الجامعـــــة الإسلاميـة ـ غزة
عمــــادة الدراســات العليــا
كليــــــة أصــول الديـــــن
تخصص تفسير وعلوم قرآن

الماء في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب : فتحي عبد العزيز العبادسة

إشراف : د/ مروان محمد أبو راس

العام الجامعي
1422 هـ / 2002م

الإهـــــداء

إلى شهداء فلسطين الذين رووا الأرض بدمائهم الزكية .

إلى روح أمي التي طالما جاهدت من أجلي .

إلى أبي صاحب القلب الكبير .

إلى زوجتي وأولادي الذين كابدوا معي عناء البحث .

إلى كل غيور على حبة رمل أو قطرة ماء مـــن بـــلاد المـــسلمين .

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى هؤلاء جميعاً .

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ [1]

﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [2]

أتقدم بالشكر لمنارة العلم والإيمان: الجامعة الإسلامية بغزة ممثلة برئيسها الأستاذ الدكتور/ محمد عيد شبير والقائمين معه على إدارة هذا الصرح الشامخ .

وأتقدم بالشكر لكلية أصول الدين التي تلقيت بين أروقتها العلم والدين .

وأتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل لأستاذي وشيخي الدكتور مروان محمد أبو راس الذي أولاني كل رعاية وإرشاد ونصح مما أثرى هذا البحث وجعله في هذه الصورة فجزاه الله عني خير الجزاء .

وأتقدم بالشكر لأستاذي الفاضلين:

الدكتور ***رياض قاسم***

الدكتور ***وليد العامودي***

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث والنصح لي .

وأتقدم بالشكر للأخوة في قاعة التخريج الذين كانوا عوناً لي على إتمام هذا البحث.

وأخيراً أشكر كل من قدم لي مساعدة أو نصيحة أو إرشاداً فجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

---

(1) سورة سـبأ: الآية / 13

(2) سورة النمل: آية / 19



المقدمة

الحمد لله الذي جعل من الماء كل شئ حي، فأجرى الأنهار، وملأ البحار، وساق السحاب بالماء فأحيا به البلاد والعباد .

وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين الذي بلغ عن ربه آيات هذا الكتاب المبين، الذي جمع علو السابقين واللاحقين عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم

أما بعد ... .

لقد جعل الله سبحانه وتعالى في الماء حياة الأرض، وقد كان الماء قبل خلق السماوات والأرض حيث قال تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(1) أليس هذا دافعاً قوياً أن ينظر الإنسان وبعناية جادة إلى هذا العنصر ودراسته دراسة مستفيضة ؟

إنّه الماء الذي هو أعظم سر من أسرار الوجود على هذه الأرض، فقد أكد الله تعالى هذه الحقيقة حيث قال: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾(2) وقال أيضاً: ﴿ **وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ** ﴾(3) وقال ﷺ : **كل شيء خلق الله من الماء** (4) .

ولقد عني القرآن بالماء عناية كبيرة حيث ذكر الماء في جميع صوره وأشكاله : من مطر وأنهار وعيون وبحار وسحاب وأودية، منبهاً كل إنسان وباحث في العلوم القرآنية والتفسير الموضوعي إلى دراسة هذا الكم الكبير من الآيات العظيمة وممعناً النظر في ألفاظها ومتدبراً حكمها ومعانيها وذلك لأن هذا العنصر الذي لا غني للكائنات الحية عنه ولا سيما الإنسان في جميع مجالاته الحياتية من زراعة وصناعة وتجارة وشرب وسقي فلا حياة له بلا ماء .

ولما كانت آيات الماء في القرآن الكريم متعددة الأغراض والمجالات وكأني بالقرآن يقول يا مسلم انظر في نفسك وما حولك هل تجد من شيء إلا والماء أصله فتدبر ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُـــهَا** ﴾(5)

---

(1) سورة هود: من الآية / 7
(2) سورة الأنبياء: آية / 30
(3) سورة النور: أية / 45
(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل (223/2ـــ 295 ـــ 493) صححه ابن حجر في فتح الباري 29/5
(5) سورة محمد: آية / 24

وقال:﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّــــهُ الْحَقُّ** ﴾[1]
وقال: ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون** ﴾[2] إذن فهي دعوة ربانية من خالق هذا الكون الذي هو كتاب الله المنظور والمفتوح حولنا في آفاقه الواسعة، كي نتدبر هذه الآيات الكونية ونتعرف على قدرة الله فيها وعظمة إعجاز خلقه ،ودعوة أخرى من كتاب الله المقروء و المتلو نتدبر آياته ونغوص في أعماق بحار كلماته ومعانيها نستخرج منها لآلئها ودررها البلاغية والإعجازية وحكمته القرآنية الربانية في آياته الكونية والتي منها الماء، هذا العنصر الذي أخذ لب العلماء لأثره العجيب في الكون والحياة .

فإن هذا الاهتمام القرآني بالماء دافع قوي جداً للتدبر والتفكر ودراسة هذا الموضوع دراسة علمية تفسيرية مستفيضة، ولعل هذه الأمور الجليلة كفيلة بدفع الهمة للبحث حول هذا الموضوع الهـــام والحيوي في حياة الفــرد والمجتمع، ولذا هو حديث الساعة في هذا الزمان.

أهمية الموضوع وبواعث اختياره

إن هذا الموضوع حري جدا بالدراسة العلمية الموضوعية الجادة ، وذلك لكثير من الدواعي ، والأسباب التي منها :

1- الماء هو عصب الحياة للفرد والمجتمع، وموضوع عناية العالم بأسره.
2- عناية القرآن بالماء، وإعطاؤه مساحة لا يستهان بها في المصحف الشريف، مما يدلل على أهمية الموضوع حتى بلغت آيات الموضوع خمس عشرة ومائتي آيـــة حـــسب علمـــي وبحثي .
3- جدة الموضوع : فالموضوع جديد من حيث العناية بالماء من النواحي التي ذكــرت فـــي المقدمة .
4- من عناية الباحثين بموضوع الماء كتب حوله رسالة علمية واحدة فقط ولم توفــه حقــه؛ لسعة الموضوع وكبر حجمه في القرآن، فحق علينا الوفاء ببعض حقه بكتابة هذه الرسالة بحيث تظهره بثوب جديد.
5- غلب على الدراسات المقدمة في المياه طابع الدراسات السياسية والعلوم البحتة والبيئية .
6- تشعب واختلاف وتنوع الأغراض التي تدل عليها الآيات القرآنية في الموضوع مما يجعله أكثر أهمية

---

(1) سورة فصلت: آية / 53
(2) سورة الذاريات: آية / 21

7- إثراء الدراسات القرآنية الجادة من خلال التفسير الموضوعي لآيات الماء.

8- ما يدور اليوم على الساحة الدولية من عناية العالم بالمياه ، ومستقبلها في الكرة الأرضية عامةً والشرق الأوسط خاصة. إذ إن كل التحليلات السياسية عن الصراع القادم أنه سيكون بسبب المياه وامتلاكها والتحكم في مصادرها .

أهداف البحث

(1) جمع الآيات المنثورة في سور القرآن حول المياه .

(2) إخراج بحث تفسيري موضوعي للآيات المتعلقة بالماء في القرآن الكريم .

(3) إبراز عناية القرآن الكريم بالماء.

(4) إظهار ما في **الآيات** القرآنية من بلاغة وإعجاز وإخراجها في ثوب جديد قدر استطاعتي .

(5) إلقاء الضوء على أحكام الشرع في قضية المياه والقانون الدولي حول المياه .

(6) بيان واجب الأمة الإسلامية نحو مصادر المياه والمحافظة عليها .

(7) كشف الستار عن حقيقة الصراع في المنطقة والذي من أسبابه المياه .

الجهود السابقة

كما ذكرت سابقًا انه غلب على الدراسات التي عنيت بالمياه الطابع السياسي والعلوم البحتة مثل علوم الأرض و الجغرافيا والبيئة .

أما الدراسات الشرعية فقد تناثر الموضوع فيها بين سطور كتب التفسير وعلوم القرآن .

ولا ننسى الدوريات التي نشر فيها بعض المقالات حول الموضوع .

رسالة دكتوراه بعنوان / **المياه والرياح في القرآن مع ما تحدث العلم الحديث بشأنهما.** للدكتور عبد الرحمن هشبول الشهري ، وقمت بإحضار خطة الرسالة فتبين من خلال الإطلاع عليها أنها مقسمة إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : بدء الخلق .

وقسمه إلى خمسة فصول تحدث فيها عن النظريات العلمية في خلق الكون وبداياته ، والعلم وحدوث العالم ، وأول المخلوقات ، ومادة الخلق الأولى ، وابتداء وجود الماء على الأرض .

الباب الثاني: الماء .

وقسمه إلى عشرة فصول صغيرة تشبه المباحث تحدث فيها عن أشكال الماء،

والجوانب العلمية المتعلقة بالموضوع، وعرف أحوال الماء من نهر وبحر وعين ويم وملح وتكلم عن البرزخ والعلم الحديث والتيارات البحرية والنعم الموجودة في البحر: نعمة الأكل ونعمة الركوب ونعمة الحلية .

الباب الثالث: الرياح .

وقسمه إلى خمسة فصول تحدث فيها عن الرياح وعلاقتها بالماء والمطر والبرق والرعد والصواعق والبرد وما للعلم الحديث من نظريات وحقائق حول علاقة الرياح بها.

ومن هذا العرض لما في الرسالة المذكورة والتي كما يبدو أن الباحث التزم بعنوان بحثه المحصور في العلاقة بين العلم الحديث والماء والرياح ومن هنا فإن خطتي وهي بين يديكم ذكرت فيها فصلاً لأهمية الماء لم تأت الرسالة السابقة إلا بالقليل منه ، ولم تتعرض إلى الفساد ، وفصل الإعجاز العلمي زدت واستدركت فيه الكثير عليه وفصل الماء في المثل القرآني لم يتعرض له وفصل الصراع لم يتعرض له وهو حيوي جداً وفصل أقسام الماء لم أتناوله بالكيفية التي تناولها وأفردت فصلاً في الماء نعمة وجزاء في الدنيا والآخرة .وهكذا يتبين مدى الفرق ومقدار الجديد في خطتي عن الرسالة المذكورة .

منهج البحث وطبيعة عمل الباحث

لقد كان منهجي في هذا البحث ملخصاً في النقاط التالية:

1- جمع الآيات المنثورة في سور القرآن الكريم، وتخريجها مع إثبات ذلك في الحاشية، كل آية في موضعها .

2- لقد قمت بتفسير الآيات تفسيراً موضوعياً ما استطعت .

3- وكنت أسير في تفسير الآيات مع النص القرآني بالتحليل لبيان ما في الآيات من بلاغة في الغالب وما فيها من قراءات وإعراب أحياناً إذا اقتضت الحاجة .

4- واستعنت بالأحاديث الشريفة على تكملة المباحث لخدمة الموضوع ومستشهداً بها على صحة ما ورد في الرسالة من أقوال ولم أضع في هذه الرسالة من الأحاديث إلا ما كان مقبولاً بدرجة الصحة أو الحسن معتمداً بذلك على تصحيح أو تحسين العلماء.

5- وقمت بتخريج الأحاديث من مصادرها ومظانها الأصيلة وكنت أتوسع في تخريج الحديث إذا لم يكن في الصحيحين أو في أحدهما وأحياناً لا أكتفي بوجود الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فأقوم بزيادة تخريج إن كانت هناك حاجة .

6- ورجعت في كل علم من العلوم إلى كتب أهل الاختصاص فيه مثل كتب البيئة والجيولوجية والجغرافية والصحة والتاريخ والتخريج واللغة وغيرها من العلوم عند

الحاجة إليها .

7- قمت ببيان بعض معاني الكلمات الغريبة أحياناً وأثبت ذلك إما في النص أو في الحاشية .

8- وكذلك كنت أقوم بالترجمة للأعلام غير المعروفين والمجهولين للعامة والخاصة فقط أما أعلام المفسرين من الصحابة والتابعين وكذلك أصحاب التفاسير التي استعنت بها ورجعت إليها فهم في غنى عن الترجمة لهم؛ لشهرتهم العلمية .

9- وأثبت ما ليس من صميم البحث في الحاشية من زيادة فائدة لغوية أو علوم أخرى غير التفاسير .

10- عنونت في داخل الرسالة للمباحث والمطالب والأغراض والمسائل التي تحتاج إلى عنوان وقد قسمت أحياناً بشيء من التفصيل تفسير بعض المباحث التي دعت الحاجة إلي وضع عناوين لها مثل (سبب النزول) و (شرح الآية) وما شابه .

11- قدمت لرأيي ووجهة نظري في أية مسألة بكلمة (قلت) مميزاً ذلك قولي من قول الآخرين عند بحث المسائل التي فيها أكثر من رأي .

خطة البحث

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة:

المقدمة:

تمهيد : جعلته في صفات الماء وخصائصه العلمية .

الفصل الأول: أهمية الماء والمحافظة عليه

وقسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول : أهمية الماء

و فيه ستة مطالب :

المطلب الأول : الأهمية الشرعية

أولاً: أنواع المياه من ناحية شرعية

ثانيًا: الوضوء .

ثالثًا: الغسل .

رابعًا: التيمم .

خامسًا: طهارة الثياب .

الفصل السادس: الصراع على الماء

وفيه مباحث ستة :

خاتمة الرسالة: ذكرت فيها ملخص الرسالة و خلاصة ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لإتمام هذا البحث فما كان من صواب فبتوفيق الله وهداه وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان .

تمهيد: الصفات العلمية للماء

لما كان الماء هو عصب الحياة وأصل الوجود على هذا الكوكب؛ حيث قال تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾[1] وهذا الماء الذي هو سائل الحياة، خلقه الله تعالى قبل السموات والأرض، قال سبحانه: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...**﴾[2] " وظاهر الآية الكريمة معناه أنه قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرض لم يكن في الوجود سوى عالم الماء ومن فوقة عرش الله ، ثم حدث أن خلق الله الكون الذي من حولنا وأوجدنا فيه لكي يختبرنا ويظهر حقيقة أعمالنا وإيماننا ... ولفظ الماء هنا من الغيبيات التي لا مجال للخوض فيها لبعدها عن مجال العلم الطبيعي ."[3] ولما سبق خلق الماء كل المخلوقات جعله الله أساس حياة الكائنات الحية . وخصّه بهذه المكانة الخاصة على سائر السوائل والمواد جميعاً، ووهبه الله صفات تميزه عن سائر المائعات ولما كان هذا البحث "الماء في القرآن الكريم" عنصره الأساس ومحور دراسته الماء توجب أن نتعرف على هذا السائل العجيب وندرس خواصّه وصفاته العلمية التي تجلى لنا حقيقة هذا السائل الذي جعله الله سبب الحياة على الأرض .

أولاً: الصفات الكيميائية للماء :

1- *التركيب الذري للماء* :

يتركب الماء من ذرتين من الهيدروجين H_2 ، وذرة أوكسجين **O** ، ويرمز إلى الماء كيميائياً بـ H_20 : وهو أكسيد الهيدروجين ، ويوجد في الأرض مثلما توجد الأكاسيد الأخرى، لأن الهيدروجين معدن على شكل غاز ، مثلما يكون الزئبق معدناً على شكل مائع في الظروف العادية من حرارة وضغط .

فالماء أكسيد المعدن الذي هو الهيدروجين ، وهو يعتبر من المواد الأولية التي تتركب منها الأرض "[4] .

---

(1) سورة الانبياء: الآية / 30

(2) سورة هود: الآية / 7

(3) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (23) / جمال الدين الفندي ، مجلة الأزهر الجزء السادس، الستة والستون جمادي الآخرة 1408 هـ ، فبراير 1988 م ص 769 .

(4) وجعلنا من الماء كل شيء حي / محمد عبد الله الشرقاوي، مقال في مجلة هذه سبيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع ، 1402 هـ ــ 1982 م ص 160 ، وانظر موسوعة الزاد 7 / 1669 ، والموسوعة العربية العالمية 22 / 24 . ــ ط2 . ــ ، والكون والتكوين في آيات الكتاب المبين / محمد محمود عبد الله ص 51 . ــ ط1 . ــ الرياض، دار الشواف للنشر والتوزيع ، 1415 هـ - 1995 م .

"وتتميز ذرة كل عنصر بعدد ما تحويه من البروتونات أو الإلكترونات . ولذلك تعرف الذرة بعددين ، عدد الكتلة = عدد البروتونات + عدد النيترونات .

وعدد الشحنة = عدد البروتونات = عدد الإلكترونات .

وعليه فإن الأوكسجين عدد كتلة ذرته هو (16) والعدد الذري له (8) ويعبر عن ذلك بـــالرمز O_8^{16} وهذا يعني أن عدد الإلكترونات يساوي(8) وهو نفس عدد البروتونات .

أما عدد النيترونات = عدد الكتلة – العدد الذري = 16 – 8 = 8 .

وفي حالة فقد أو اكتساب إلكترونا فإنها تصبح أيوناً موجباً بالفقد وأيوناً سالباً بالكسب. لزيادة أو نقص الشحنة السالبة فيه وهي الإلكترون أما ذرة الهيدروجين فتتكــون ذرتهــا مــن بروتون واحد ويدور حولها الكتــرون واحــد H_1^1 ، ويطلــق عليــه اســم (البرتيــوم) أي الهيدروجين الشائع وللهيدروجين عدة نظائر أهمها:

الديوتريوم (D) ويسمى الهيدروجين الثقيل عدد كتلته (2) والتريتيوم (T) وعدد كتلته (3) ، والماء العادي المستخدم في الشرب والزراعة هــو مكــون مــن اتحــاد الأوكــسجين واليروتيوم (H_2O) وهو الذي يسقط على هيأة مطر، أما الماء الثقيل فهو المكون مــن إتحــاد الأوكسجين مع الديوتريوم (D_2O) وهذا يختلف في خواصّه عن الأول وهو سام "[(1)] .

2- *كهربية جزيء الماء* :

جزيء الماء المكون من ذرة الأوكسجين وذرتي الأيدروجين (H_2O) هذا الجزيء متعادل من الناحية الكهربائية ، إلا أن نواة ذرة الأوكسجين الأكبر حجماً تجتذب الإلكترونات السالبة عدداً أكبر مما تجتذبه كل من ذرتي الأيدروجين ، ويشكّل هذا الوضع بنياناً هندســياً عليــه شــحنة سالبة في جانب ، وشحنة موجبة في الجانب المقابل، أي يكون لجزيء الماء قطبان كهربيــان مختلفان، ومن ثم يوصف بأنه (قطبي) أو (ذو قطبين) ، ويعزي إلى ظاهرة (القطبيــة) هــذه تفسير العديد من خصائص الماء، مثل القدرة الفائقة على إذابة عدد كبير من المــواد، وممــا يؤهله أيضاً لأداء دور رئيسي في كل التفاعلات الحيوية، وفي التخلص من السموم والنفايات. هذا فضلاً عما يقوم به في التربة من إذابة المواد اللازمة لتغذية النبات، وعمل الماء الــذائب في تشكيل سطح الأرض وتحويل مكوناتها من حال إلى حال .[(2)]

3- إن الماء أكثر السوائل المعروفة إذابة لغيرها من الأجسام، وهو بذلك يلعب دوراً كبيراً في العمليات الحيوية داخل أجسامنا بوصفه مركباً أساسياً من مركبات الدم وذلك من خلال ما يقوم به من تفاعلات كيميائية داخل الجسم الحي من تحويل المواد وتحليلها وكذلك تــسهيل عمليــة

---

(1) الكون والتكوين في آيات الكتاب المبين / محمد محمود عبد الله ص 50 – 53 باختصار .

(2) قراءة إسلامية في كتاب الكون / أحمد فؤاد باشا – مقال في مجلة الأزهر رمضان 1414 هـ – فبراير / مــارس 1994 – الجزء التاسع – السنة السادسة والستون .

التغيرات والتفاعلات للمواد داخل الجسم مما يؤدي إلى أكبر استفادة من المادة الغذائية والتخلص من الفضلات . وذلك لأن درجة ذوبانه عالية ويبقى سائلاً لفترة طويلة تحت الظروف العادية .[1]

4- *التجاذب المائي (الرباط الهيدروجيني) :*

ومن خصائص الماء أيضاً ما يحدث من تجاذب متبادل بين جزيئين من الماء حيث تجتذب ذرة الهيدروجين من أحد الجزيئين ذرة الأوكسجين من الجزيء الثاني ويعرف هذا الاتحاد باسم (الرباط الهيدروجيني) ونظراً للزاوية الموجودة بين الذرتين. فإن جزيئات الماء تشكل حلقات سداسية الأضلاع .

هذا علاوة على ما بين الذرات من ترابط كيميائي بين الأوكسجين والأيدروجين [2] .

ثانياً: الصفات الفيزيائية للماء :

لقد خصّ الخالق سبحانه وتعالى هذا الماء بصفات طبيعية ميزته عن جميع السوائل الموجودة على الأرض، وحتى عن كل المواد المكونة للأرض .

1- صور وجود الماء على الأرض:

أ – الحالة السائلة:

يوجد الماء في الأرض على صوره الثلاثة التي أولها الصورة السائلة، وهذه تملأ بطون البحار والمحيطات بمائها المالح بما أذاب من أملاح على القشرة الأرضية. وأما الماء العذب المتجدد الذي يجري في الأنهار وينبثق من العيون ويتساقط مطراً وجاء ذكر هذه الصورة من صور الماء في معظم الآيات التي تحدثت عن الماء منها ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ...** ﴾[3] وقال تعالى:﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...**﴾[4] .

ب ــ الحالة الغازية:

ويوجد الماء في الأرض على هيئة غاز هو بخار الماء الذي يحمله الهواء وقد جعل الخالق القدير بخار الماء أخف من الهواء في الوزن بنسبة 5 إلى 8 على الترتيب، وذلك لكي تحملها تيارات الهواء الصاعدة إلى مناطق إثارة السحب ونزول المطر حيث يتكاثف بخار الماء أو يتحول إلى نقط من الماء أو إلى بلورات من الثلج تبعاً لدرجات الحرارة في طبقات الجو العليا

---

(1) انظر التفسير بالكيمياء / توماس دافيرباركس – مقال مترجم في مجلة المسلمون عدد الجمعة شهر شعبان 1412 هـ الموافق من شهر مايو 1982 عدد رقم 31 ، وانظر الموسوعة العربية ص 12 / 25 . ــ ط2 . ــ .

(2) موسوعة الزاد 7 / 1669 ، وانظر الموسوعة العربية العالمية 22 / 26 .

(3) سورة الزمر: الآية / 21

(4) سورة الرعد: الآية / 17

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِه...** ﴾[1] .

ج ـ الحالة الصلبة:

ومن صور الماء في الأرض كذلك الماء الصلب، أو الثلج، الذي يتراكم عند القطبين وفي أعالي الجبال الشامخة، حيث يكون مصدراً لفيضانات الأنهار وهذا الثلج يعمل كخزانات عظمى للطاقة التي تساعد على تنظيم درجة حرارة الأرض وتحول دون حدوث ارتفاع عالٍ في درجات الحرارة مع المسطحات المائية وقد ذكر القرآن هذه الصورة عند حديثه عن البرد. ﴿ **وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ...**﴾[2] .

وهكذا نجد الماء في الأرض في الظروف العادية ودرجات الحرارة الطبيعية في صوره الثلاثة السائلة والصلبة والغازية والتي أشار إليها القرآن كما بينت سابقاً [3] .

2- شفافية الماء :

الماء شفاف نسبياً بحيث يمكن لأشعة الشمس أن تنفذ خلال طبقات سميكة منه، بينما الأرض اليابسة يقتصر التسخين على طبقة رقيقة تمتص خلالها الأشعة، وفي الكتل المائية تعمل تيارات الحمل والتيارات البحرية على توزيع الحرارة عبر مساحات واسعة، كما أن نحواً من ثلث الطاقة المقبلة من الشمس تستخدم في عمليات التبخير من الأسطح المائية. ولذلك تجعل هذه الشفافية الماء يمتص أكبر قدر من الإشعاع الشمسي دون أن ترتفع درجة حرارتها ارتفاعاً كبيراً ولذلك نجد نسيم البحر معتدلاً وملطفاً صيفاً وشتاءً .[4]

3- السعة الحرارية للماء :

السعة الحرارية للماء: وهي تعني القدرة على اكتساب الطاقة الحرارية والاحتفاظ بها .

ذلك أن الماء يتميز عن باقي السوائل بسعة حرارية كبيرة تعمل على إبطاء معدّل تسخينه أو تبريده .

---

(1) سورة الروم: الآية / 48

(2) سورة النور: الآية / 43

(3) انظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد جمال القندي مقال في مجلة الأزهر ، جمادي الأخرة 1408 هـ الموافق فبراير 1988 الجزء السادس ، السنة الستون ص 768 ، وانظر الجغرافيا الطبيعية / حسن أبو سمور وعلى غانم . ـ ط1 . ـ عمان ، دار المعارف 1419 هـ - 1998 م ، ومن دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية / موسى الخطيب ص 80 . ـ ط1 . ـ القاهرة ، مؤسسة الخليج العربي 1994 م ،والجغرافيا المناخية (علم المناخ) / نعمان شحادة ص 206 . ـ ط1 . ـ عمان ، دار المستقبل 1996 م .

(4) وجعلنا من الماء كل شيء حي / محمد عبد الله الشرقاوي في مجلة هذه سبيلي عدد 4 / 1402 هـ - 1982 ص 170 .

ويقول علماء الفيزياء إن هذه الخاصية الفيزيائية المميزة للماء هي التي تجعل مياه المحيطات والبحار تتمتع بثبات عظيم في درجة حرارتها يساعدها على حماية أحياء كثيرة من تقلبات الجو .

ويقولون إن هذا هو ما يحدث في جسم الكائن الحي ذاته، فإذا عرفنا أن التفاعلات الكيميائية الحيوية تتم على نحو أمثل في حدود ضيقة من تغير درجة الحرارة لأدركنا قيمة هذا الثبات الحراري للأحياء. فإن الماء بسرعة جريانه وجودة توصيله للحرارة يحملها بعيداً عن مصدر تولدها وبذلك يعمل على تنظيم درجة حرارة الأجسام الحية ويحافظ عليها .[1]

4- الماء موصل جيد للحرارة :

إن الماء يوصل الحرارة بسرعة كبيرة وذلك لما يسمى بتيارات الحمل التي تحمل الحرارة من مصدر الحرارة إلى بقية أجزاء الماء فيتصاعد الماء الساخن بفعل التيارات الحاملة ويهبط الماء البارد مكانه وهكذا تدور الدورة حتى يصل إلى درجة الغليان .

5- استقرار الحالة السائلة للماء :

" إنّ الماء من أكثر السوائل استقرارا في حالته السائلة في مدى واسع من درجات الحرارة المعتادة في جميع أنحاء الأرض؛ بفضل سعته الحرارية العالية أي أن الماء يحتاج إلى كمية كبيرة جداً من الحرارة حتى يتحول إلى غاز ويتبخر، وذلك مما يساعد الكائنات الحية على مقاومة الحرارة من خلال ما تفرز من عرق على جلودها؛ فيبرد الجلد وتلطف درجة حرارة الحيوانات ".[2]

6- كثافة الماء :

كل السوائل تزداد كثافتها إذا بردت حتى تتحول إلى الحالة الصلبة، والماء هو الذي يشذ عن القاعدة، فهو عند التجمد تقل كثافته ويزداد حجمه ويطفو فوق سطح الماء كما يحدث في المحيطات المتجمدة؛ حيث الماء سائلاً من أسفل تعيش فيه الكائنات البحرية وعلى السطح طبقة من الجليد تعمل على عزل الحرارة وعدم وصولها إلى القاع، وهذا من حكمة الخالق ورحمته بمخلوقاته. ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[3] .

7- التوتر السطحي :

يعني التوتر السطحي مقدرة المادة على الالتصاق والتماسك بعضها ببعض، وللماء توتر سطحي عالي جداً ، وهذا يجعل سطح الماء أشبه بغشاء قوي ومرن، فإذا وضعت إبرة من حديد فوق سطح الماء برفق تظل محمولة عليه دون أن تغوص بالرغم من زيادة كثافتها كثيراً

---

(1) قراءة اسلامية في كتاب الكون / أحمد فؤاد باشا، ج 9 ، في مجلة الأزهر 1414 هـ - 1994 م سنة 66 .

(2) نفس المصدر السابق

(3) سورة الملك: الآية / 14

عن كثافة الماء، وكثير من صغار الكائنات، مثل البعوض والعناكب تستطيع أن تمشي فوق الماء وأبسط وسيلة لإيضاح تماسك الماء وتوتره السطحي هي ملاحظة شكل قطرات الماء التي تتساقط من الصنبور تباعاً في تؤدة وبطء على هيئة كرات صغيرة مشدودة إلى بعضها البعض .[1]

8- الخاصية الشعرية :

يقصد بالخاصية الشعرية مقدرة سائل ما على الارتفاع أعلى من سطح ما، وذلك ضد قوة الجذب الأرضي، ويمكنك ملاحظة ذلك في مقدرة الماء على الارتفاع في كأس ماء، حيث يكون الماء عالياً حول حواف الكأس أي في مكان ملامسة الماء للزجاج. وهذا مما يكسب الماء القدرة على الحركة داخل التربة وفي صعوده عالياً في جذور وسيقان النباتات، كما تساعد هذه الخاصية الدورة الدموية داخل أجسامنا والتي بدورها تتألف في معظمها من الماء فتبارك الله القائل في كتابه المسطور:﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِه** ﴾[2] [3]

إن هذا التمهيد سوف يوضح كثيرًا من العمليات والظواهر التي سوف تمر في ثنايا الرسالة خلال فصل الإعجاز وغيره .

---

(1) انظر الموسوعة العربية العالمية 22 / 25 ، وموسوعة الزاد ص 1671 ، وقراءة اسلامية في كتاب الكون / أحمد فؤاد باشا / مجلة الأزهر ج9 / السنة 66 ص 1372 .

(2) سورة لقمان: الآية / 11

(3) انظر الموسوعة العربية العالمية 22 / 25 ، وموسوعة الزاد ص 1671 ومجلة الأزهر ج9 / السنة 66 نفس المقال السابق .

الفصل الأول:أهمية الماء والمحافظة عليه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهمية الماء

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الأهمية الشرعية للماء

المطلب الثاني: الأهمية الاقتصادية للماء

المطلب الثالث: الأهمية السياسية والحربية للماء

المطلب الرابع: الأهمية الاجتماعية للماء

المطلب الخامس: الأهمية الطبية للماء

المطلب السادس: الشرب والسقاية

المبحث الثاني: المحافظة على الماء

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب فساد الماء

المطلب الثاني: مضاره ومخاطره

المطلب الثالث: طرق حماية الماء والمحافظة عليه

المبحث الأول: أهمية الماء

المطلب الأول: الأهمية الشرعية للماء

أولاً: الماء الطهور

لقد اعتنى الشارع الحكيم بالمياه عنايةً واسعة، لا سيما جانب العبادة، وخاصة أحكام الطهارة التي أفرد لها بابا واسعاً من أبواب الفقه، حيث بين الفقهاء أقسام المياه التي يتطهر بها برفع الحدث، وإزالة النجس عن البدن والثوب والمكان، فقسموا المياه من حيث الصفة، وما يترتب عليها من أحكام شرعية إلى أقسام ثلاثة:

الماء الطهور والماء المستعمل والماء المتنجس، والقرآن ذكر من هذه الأقسام الطهور الذي بقي على أصل الخلقة، قال تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾[1] وسوف أبسط الكلام في تفسير الآية، أما المباحث الفقهية في أقسام المياه، فقد توسعت في ذكره كتب الفقه، فمن أراد السعة فهناك بغيته.

"والحياة على هذه الأرض كلها تعيش على ماء المطر إما مباشرة، وإما بما ينشؤه من جداول على سطح الأرض ومن ينابيع وعيون وآبار من المياه الجوفية المتسربة إلى باطن الأرض منه، ولكن الذين يعيشون مباشرة على المطر هم الذين يدركون رحمة الله المتمثلة فيه إدراكاً صحيحاً كاملاً. وهم يتطلعون إليه شاعرين بأن حياتهم كلها متوقفة عليه، وهم يترقبون الرياح التي يعرفونها تسوق السحب ويستبشرون بها، ويحسون فيها رحمة الله ."[2]

"والطاء والهاء والراء أصل واحد صحيح يدل على نقاء وزوال دنس، ومن ذلك الطهر: خلاف الدنس، والتطهر: التنزه عن الذم وكل قبيح، والطهور: الماء...، والطهور: الطاهر في نفسه ولغيره."[3] يقول الرازي: "واعلم أن الفقهاء قد استنبطوا أحكام المياه من قوله تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾ "[4]

---

(1) سورة الفرقان: آية / 48

(2) في ظلال القرآن/ سيد قطب ، 6 / 171 . ـ ط7 . ـ بيروت، دار إحياء التراث العربي ،1391هـ –1971م .

(3) معجم المقاييس في اللغة/ أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي المعروف بابن فارس ت/395 هـ تحقيق؛ شهاب الدين أبو عمرو ص 626 . ـ ط1 ـ . بيروت ، دار الفكر ، 1415هـ – 1994م .

(4) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب/ محمد فخر الدين بن عمر الرازي ، ت/606 هـ 24 / 90 . –ط1 – . بيروت ، دار الفكر ، 1401 هـ – 1981م

قال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾ وغير الله الإسلوب مظهراً للعظمة أي حيث لا ممسك للماء فيه غيره سبحانه فقال ﴿**مَاءً** ﴾ ثم أبدل فيه بياناً للنعمة به فقال ﴿ **طَهُورًا** ﴾"[1]

"والالتفات من الغيبة إلى التكلم في قوله ﴿**وَأَنْزَلْنَا** ﴾ لأن ضمير التكلم أظهر في الامتنان من ضمير الغائب ويشعر بمدى النعمة وعلو المنة الربانية بإنزال الماء الطهور وما فيه من إنعام على البشرية."[2]

"ولما كانت هذه الأفعال دالة على البعث لكن بنوع خفاء، أتبعها ثمرة هذا الفعل دليلاً واضحاً على ذلك، فقال معبراً بالإحياء، كذلك معللاً للطهور المراد به البعد عن جميع ما يدنسه مما يمنع كمال الانتفاع به"[3] ﴿**لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا** ﴾[4] ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾ " هذا التعبير يُلقى على الحياة ظل الطهارة فالله سبحانه أراد الحياة طاهرةً نقيةً وهو يغسل وجه الأرض بالماء الطهور الذي ينشئ الحياة في الموات ويسقي الأناسي والأنعام."[5]

والمراد بـ ﴿**رَحْمَتِهِ** ﴾ المطر لأنه رحمة للناس والحيوان بما ينبته من الشجر والمرعى"[6] وقال الزمخشري:" ﴿**بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾ استعارة مليحة أي قدام المطر."[7]

وقال القاسمي:" استعارة بديعة استعيرت الرحمة للمطر ثم رشحت لأن البشير يتقدم المبشر به ويجوز أن تكون تمثيلية. ﴿**بُشْرًا**﴾ من تتمه الاستعارة داخل في جملتها."[8]

وقوله: ﴿**مَاءً طَهُورًا**﴾ مبالغة في طاهر، وقيل مطهر للناس في الوضوء وغيره وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماءً طهورا، أي مطهر ، وكل مطهّر طاهر، وليس كل طاهر مطهّر."[9]

---

(1) نظم الدرر / البقاعي 5 / 325 .
(2) التحرير والتنوير / ابن عاشور 19 / 46 .
(3) نظم الدرر/ للبقاعي 5 / 325 .
(4) سورة الفرقان: آية / 49
(5) في ظلال القرآن/ سيد قطب 6 / 171 .
(6) التحرير والتنوير / ابن عاشور 47/19 .
(7) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / محمود بن عمر الزمخشري ت/528، 3 / 284 . – ط3 .– القاهرة ، دار الريان للتراث ، 1407هـ –1987 م .
(8) محاسن التأويل / محمد جمال الدين القاسمي ت/1332هـ –1914م . 12 /265 – ط2 . ـ بيروت ، دار الفكر ، 1398هـ –1978م .
(9) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل / محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، 3 / 79– 80 . ـ ط4 . ـ بيروت ، دار الكتاب العربي 1403هـ – 1983 م .

وأجمعت الأمة لغةً وشريعةً على أن وصف ﴿طَهُورًا﴾ مختص بالماء، ولا يتعدى إلي سائر المائعات وهي طاهرة ، فكان اقتصارهم بذلك على أدل دليل على أن زوال الطهور هو المطهر."[1]

يقول العلامة ابن عاشور:" وماء المطر بالغ منتهى الطهارة إذا لم يختلط به شئ يكدره أو يقذره، وهو في علم الكيمياء أنقى المياه لخلوه عن جميع الجراثيم فهو الصافي حقاً . والمعنى أن الماء النازل من السماء هو بالغ نهاية الطهارة في جنسه من المياه ووصف الماء بالطهور يقتضي أنه مطهر لغيره إذ العدول عن صيغة فاعل إلى فعول لزيادة معنى في الوصف ... ولماء المطر خاصية الإحياء لكل أرض لأنه لخلوه من الجراثيم ومن بعض الأجزاء المعدنية والترابية التي تشتمل عليها مياه العيون ومياه الأنهار والأودية كان صالحاً بكل أرض وكل نبات على اختلاف طباع الأرضين والمنابت."[2]

ومن خلال ما سبق نجد أن الاختلاف في قراءة الآية نُشْرَاً وبُشْرَاً وما فيها من الالتفات والاستعارة المرشحة تشعر بمدى البلاغة القرآنية في الآية، فإنّ نشر الرياح للسحب والمطر وتقديمه بشائر قبل النزول بالماء الطهور وانتهاءً بإحياء البلاد من الموات ونشر الحياة فيها بنشر المطر والطهارة في الأرض والنفوس واستعداداً لحياة طاهرة ملؤها العبادة والنقاء .

ثانيا: الوضوء

الوضوء لغة: الوضوء في اللغة من الوضاءة وهي الحسن والنظافة وأصلها الفعل وضأ : الواو والضاد والهمزة كلمة واحدة تدل على حسن ونظافة، والوضوء: الماء الذي يتوضأ به والوضوء فعلك إذا توضأت.[3]

"**الوضوء شرعاً:** نظافة مخصوصة، أو هو أفعال مخصوصة مفتتحة بالنية وهو غسل الوجه واليدين والرجلين ، ومسح الرأس . وأوضح تعريف له هو: أنه استعمال ماء طهور في الأعضاء الأربعة سابقة الذكر على صفة مخصوصة في الشرع .

---

(1) أحكام القرآن / أبو بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي ت/543هـ ، تحقيق؛ علي محمد البيجاوي، 3 / 1416 . ـ ط1 ، بيروت ، دار الجيل ، 1408هـ – 1988م .

(2) التحرير والتنوير / ابن عاشور 19 / 47

(3) انظر معجم المقاييس في اللغة / ابن فارس ، ص 1095 ، ولسان العرب / جمال الدين محمد بن منظور 1 / 194 . ـ ط1 . ـ بيروت ، دار صادر ، 1410هـ ـ 1990م .

وحكمه الأصلي أي المقصود أصالة للصلاة: هو الفريضة، لأنه شرط لصحة الصلاة"[1]

قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[2]

المناسبة:

يقول سيد قطب: في مناسبة هذه الآية " إن الحديث عن الصلاة والطهارة إلي جانب الحديث عن الطيبات من الطعام والطيبات من النساء. وإن ذكر حكم الطهارة إلى جانب أحكام الصيد والإحرام ... إن هذا لا يجيئ اتفاقاً ومصادفة لمجرد السرد ، ولا يجيئ كذلك بعيداً عن جو السياق وأهدافه .... إنما يجيئ في موضعه من السياق ولحكمته في النظم القرآني."[3]

يرى صاحب المنار " أن وجه المناسبة بين آية الوضوء وما قبلها هو أن الحَدَثَيْن اللذين هما سبب الطهارتين هما أثر الطعام والنكاح، ولولا الطعام لما كان الغائط الموجب للوضوء، ولولا النكاح لما كانت ملامسة النساء الموجبة للغسل."[4]

" جاءت العبارة ﴿ **إِذَا قُمْتُمْ** ﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى فعل الصلاة، وعبر عن إرادة القيام بالقيام، إذ القيام متسبب عن الإرادة ... وقيل: معنى ﴿ **قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ**﴾ قصدتموها، لأن من توجه إلى شئ وقام إليه كان قاصداً له وظاهر الآية يدل على أن الوضوء واجب على كل من قام إلى الصلاة، متطهراً كان أو محدثاً ... وكأنه قيل : إن كنتم محدثين الحدث الأصغر فاغسلوا هذه الأعضاء وامسحوا هذين العضوين، وإن كنتم محدثين الحدث الأكبر فاغسلوا جميع الجسم."[5]

---

(1) انظر الفقه الإسلامي وأدلته/ الزحيلي 1 / 208 . ــ ط3 . ــ دمشق ، دار الفكر ، 1409 هـ – 1989 م .

(2) سورة المائدة : آية / 6

(3) ظلال القرآن / سيد قطب 2 / 662 .

(4) تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار / محمد رشيد رضا 6 /220 . ــ ط2 . ــ بيروت ، دار المعرفة .

(5) انظر البحر المحيط / محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ت 745 هـ 3 /449 . ــ ط1 . ــ بيروت، دار الكتب العلمية، 1413 هـ ــ 1993 م .

وقوله تعالى: ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ قال الراغب:"أصل الوجه الجارحة، ... ولما كان الوجه أول ما يستقبلك وأشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كل شئ وفي أشرفه ومبدئه"[1]

والغسل إمرار الماء على المحل المراد غسله حتى يسيل الماء عن العضو المغسول.

ومن هنا كان وجوب غسل الوجه فالأمر من خلال السياق لم يصرفه شيء عن الوجوب وكذا يتبعه كل المغسولات الموجودة في الآية من الأيدي والأرجل .

وقوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ "إلى حرف موضوع للغاية وقد تدخل الغاية فيه تارة، وقد لا تدخل، فلما كان الحدث يقيناً،لم يرتفع إلا بيقين مثله، وهو غسل المرفقين."[2] على خلاف ما في الرأس من مسح .

وقوله:"﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أمر بغسل اليدين إلى المرفقين فإيجاب الغسل محدود بهذا الحد ، فبقي الواجب هو هذا القدر فقط، أما نفس الغسل فغير محدود بهذا الحد لأنه ثبت بالأخبار أن تطويل الغرة سنة مؤكدة "[3] قال ﷺ: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرّاً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرّته فليفعل»[4] أي بمعنى أن هذا الحد هو الذي يجزئ من العضو، وأقل من المرفقين لا يجزئ. أما زيادة الغسل بأكثر من المرفقين فمندوب والله أعلم .

وقوله تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ " المسح إمرار يدك على الشئ السائل أو المتلطخ تريد إذهابه، ومسح رأسه أمر يده عليه."[5] " والمسح هنا إمرار اليد المبلولة بالماء، ولا خلاف في وجوب مسح الرأس."[6] بمنطوق الآية ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ ولكون القدر المطلوب مسحه في الآية غير محدد كما في غسل الأيدي إلى المرافق .

---

(1) المفردات/ للراغب الأصفهاني ص 55 ت 502 تحقيق؛ نديم مرعشلي . ــ بيروت ، 1392 هــ – 1972 .

(2) زاد المسير/ لابن الجوزي ت 597 هــ 2 /300 . ــ ط4 . ــ بيروت ، دمشق ، 1474 هــ ــ 1987م .

(3) تفسير الرازي 11 /163 .

(4) أخرجه البخاري 1 / 49 ، كتاب الوضوء ، باب فضل الوضوء والغُر المحجلين رقم 136 .

(5) انظر لسان العرب لابن منظور 2 / 593 . ــ ط1 . ــ بيروت، دار صادر، 1410هــ – 1990 م، وأساس البلاغة / للزمخشري ص 593 . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار صادر ، 1399 هــ ــ 1979 م .

(6) المغني والشرح الكبير لابني قدامة / للإمامين موفق الدين ت 620هــ ، وشمس الدين ت 682 هــ 1 /141 . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار الفكر ، 1404 هــ / 1984 م .

وقوله تعالى: ﴿ **وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾ " قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص ﴿**وَأَرْجُلَكُمْ** ﴾ بالنصب والباقون بجرها."[1] " أما ﴿ **وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾ قرئت بنصب اللام وجرها أما النصب فوجهه العطف على وجوهكم وأيديكم لأن الجميع ثابت غسله من جهة السنّة وإنما فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله: ﴿ **وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**﴾ للتنبيه على الترتيب المشروع سواء قيل بوجوبه أو استحبابه، وأما الجر فوجهه ظاهر وهو العطف على برؤوسكم والمراد به المسح على الخفين وعلى ذلك حمل الشافعي – رحمه الله – القراءتين فقال: أراد بالنصب قوماً وبالجرِّ قوماً آخرين"[2] وقال الجصاص: إن المعنى يحتمل القراءتين.[3]

وكما أن ماء الوضوء يطهر البدن من الأدران فهو كذلك يطهر المؤمن من الذنوب كما أخبر ﷺ في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنْ الذُّنُوبِ**[4]

ثالثاً : الغسل

قال تعالى: ﴿**وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا**﴾[5]

وقال تعالى:﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**﴾[6] من منطوق هاتين الآيتين الكريمتين أخذ الفقهاء مشروعية وجوب الغسل للجنب.

قال الخازن: ﴿**حَتَّى تَغْتَسِلُوا**﴾ " يعني أن تغتسلوا، وفيه دليل على أن حكم الجنابة باقٍ على

---

(1) شرح الشاطبية المسمى إرشاد المريد إلى مقصود القصيد / على الصباع ص 172 .

(2) إبراز المعاني من حرز الأماني/ الأبي شامة / عبد الرحمن الدمشقي ص 294 . ـ ط1 . ـ 1349 هـ – 1930 م .

(3) انظر أحكام القرآن / الجصاص ت 270 هـ 2 / 345 . ـ ط1 . ـ بيروت ، دار الكتاب العربي .

(4) صحيح مسلم 1 / 215 كتاب الطهارة باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء رقم 244 .

(5) سورة النساء: آية /43

(6) سورة المائدة آية /6

الجنب إلى غاية الاغتسال."[1]

وفي قوله تعالى:"﴿**فَاطَّهَّرُوا**﴾ إشارة إلى أن المطلوب هو التطهر ... ولم يحدد اللفظ القرآني أسلوب التطهر أهو بالاغتسال أو بالتيمم، وذلك لأنه سبحانه قد خفف على عباده، فلم يجعل التطهر بالاغتسال أمراً لازما في جميع الأحوال ... فالمريض والمسافر، قد أبيح لهما التطهر من الجنابة بالتيمم وكذلك الصحيح المقيم إذا فقد الماء... فإذا تيمم أحدهم طهر من الجنابة، وإذا قام إلى الصلاة وجب أن يتيمم للصلاة وهو على طهارته بتيمم الطهارة من الجنابة".[2]

قصدت الآية بـ ﴿**فَاطَّهَّرُوا**﴾ الاغتسال بالماء وإن أفادت كلا الأمرين الماء والتراب، وذلك من خلال منطوق الآية بالتيمم بعدها لأصحاب الأعذار، وإلا حدث التكرار . وقد أكد الخطيب على الإعجاز القرآني في النص السابق في قوله تعالى:﴿ **فَاطَّهَّرُوا**﴾ وأشار إلى مدى التوافق بين هذا الأمر الإلهي مع قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾[3] "[4] وهو كلام جميل نُقره عليه ونسلّم له به: ولكن لا نسلّم بقوله:" ولو كان اللفظ القرآني (فاغتسلوا) بدلاً من قوله تعالى: ﴿**فَاطَّهَّرُوا**﴾ لوقع تصادم بين هذا اللفظ وبين الحكم الوارد بعده في هذه الآية والذي جاء مثله في سورة النساء."[5] ﴿**حَتَّى تَغْتَسِلُوا**﴾ فإن الناظر بتدبر في آية النساء وآية المائدة يجد أن الحكم المذكور بعد اللفظين ﴿**تَغْتَسِلُوا**﴾ و ﴿**فَاطهَّرُوا**﴾ هو نفس الحكم لفظاً ومعنى. فكيف يكون التصادم في آية المائدة ولا يكون في آية النساء وهو نفس الحكم ونفس اللفظ ولذا لا نسلم له بالتصادم ولكن نبحث عن البلاغة القرآنية في عدم استخدام نفس اللفظ في الآيتين وذلك من وجوه .

الوجه الأول: إن لفظ ﴿**فَاطَّهَّرُوا**﴾ أعم من ﴿**تَغْتَسِلُوا**﴾ حيث يفيد كلا الحالين الغسل والتيمم ولما كان نزول سورة النساء قبل سورة المائدة وهي تبين بماذا يتم رفع الجنابة تعليماً بالاغتسال بالماء فجاء بلفظ آخر في المائدة فكان التنوع باللفظ لزيادة في المعنى والفائدة فكان التعبير فيها بالنتيجة والهدف من الغسل بكمال التطهر والمبالغة فيه .

---

(1) تفسير الخازن / لعلاء الدين علي بن ابراهيم الشهير بالخازن ت 725 هـ 1 / 443 . ـ ط2 . ـ القاهرة، شركة مصطفى البابي الحلبي 1375 هـ – 1955 م .

(2) التفسير القرآني للقرآن/ عبد الكريم الخطيب 1044/6 . ـ القاهرة ، دار الفكر العربي .

(3) سورة النساء: آية /43

(4)المرجع السابق/ 6 / 1044 .

(5)المرجع السابق / 1 /1042 .

الوجه الثاني: لما ذكر الله في قوله تعالى:﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ** ﴾لبيان كيفية الوضوء أتى بلفظ التطهر في نفس الآية حتى لا يتكرر اللفظ ولما في التطهر من الجنابة من غسل عامة البدن و النظافة والطهارة .

الوجه الثالث: ولما كانت آية المائدة افتتحت بالأمر والوضوء والتطهر للصلاة جاء اللفظ بالتطهر وبالتشدد في الطاء والهاء لزيادة الحث على الطهارة لهذه العبادة وغيرها مما تمنع منه الجنابة. ولكن في آية النساء بدأت الآية في حال السكر لعلة "﴿**حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾[1] والمكث في المسجد للجنب بالاغتسال مع الرخصة بالمرور فقط فجاء اللفظ ﴿**حَتَّى تَغْتَسِلُوا**﴾ بدون التشدد والحث الموجود في ﴿**فَاطَّهَّرُوا**﴾ لعدم فوات الصلاة وضياع ثوابها ووقتها .

الوجه الرابع: إن سورة النساء نزلت قبل المائدة المتأخرة في أحكامها وفقهها فكانت آية النساء بداية تعليمية وجاءت آية المائدة توكيداً وبياناً لما سبق في النساء مع شموليتها للطهارة وبيان فرائض الوضوء وتفصيلها .

وقد ذكر ابن الجوزي وجوهاً للطهارة في القرآن[2]يجمل أن نسوق بعضها في هذه المناسبة:

أحدها: الاغتسال ، ومن قوله تعالى: في البقرة ﴿**فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ**﴾[3]، وفي المائدة ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**﴾[4] .

الثاني: الاستنجاء بالماء،ومنه قوله تعالى في براءة ﴿**فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾[5]، ونزلت في أهل قباء، وكانوا يستعملون الماء في الاستنجاء .

الثالث: الطهارة من جميع الأحداث والأقذار ومنه قوله تعالى في الأنفال ﴿**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ**﴾[6].

وقد جعل الله الاغتسال بالماء الطهور واجباً في حالات ذكرها الفقهاء وهي:

أولها:خروج المني من الرجل أو المرأة وذلك لحديث رسول الله ﷺ ﴿ **إِنَّمَا الْمَاءُ مِنْ الْمَاءِ**﴾[7].

---

(1) سورة النساء آية /43

(2) نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر/ ابن الجوزي ت 597 هـ وتحقيق؛ محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ص / 420 – 422 . ـ ط1 . ـ بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1404هـ – 1984 م .

(3) سورة البقرة آية / 222 .

(4) سورة المائدة آية / 6 .

(5) سورة التوبة آية / 8 .

(6) سورة الأنفال آية / 11 .

(7) صحيح مسلم 1 / 269 كتاب الحيض باب إنما الماء من الماء رقم / 343 .

ثانيها: التقاء الختانين ولو من غير إنزال والدليل الآية ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**﴾ والحديث ☜ **إِذَا مسّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ**☞[1] .

ثالثها: ورابعها: الحيض والنفاس: لقوله تعالى:﴿ **وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ والحديث ☜ **إِذَا أَقْبَلَتْ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلاةَ وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي** ☞[2] والنفاس فلأنه، دم حيض مجتمع .

خامسها: موت المسلم غير الشهيد. لقوله: ﷺ في الذي سقط عن راحلته فمات ☜**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ** ☞[3] وقد غسل النبي وأبو بكر من بعده وتوارثه المسلمون .

سادسها: إسلام الكافر: لحديث قيس ابن عاصم " ☜ **أَنَّهُ أَسْلَمَ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ قَالَ وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ لا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَسْتَحِبُّونَ لِلرَّجُلِ إِذَا أَسْلَمَ أَنْ يَغْتَسِلَ وَيَغْسِلَ ثِيَابَهُ** ☞[4] "[5]

وللغسل شروط لا يصح إلا بها وهي:

أولاً: النية.

ثانياً: وإزالة النجاسة.

ثالثاً: إفاضة الماء على البشرة الظاهرة وما عليها من الشعر حتى يصل الماء إلى ما تحته ومن زاد على ذلك سنة[6] وهذا مذهب الإمام الشافعي .

رابعاً: التيمم

ولما كانت الطهارة شرطاً لعبادة المسلم، ولما كان الماء هو السائل الذي اختاره الله للطهارة به، في حال استقرار العبد، بالصحة والإقامة، ولما كانت حال الاستقرار هذه ليست

---

(1) أخرجه مسلم 1 / 271 كتاب الحيض، باب الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين رقم 349 .

(2) صحيح البخاري 1 / 98 كتاب الحيض، باب إذا رأت المستحاضة الطهر رقم / 331 .

(3) صحيح البخاري 2 / 94 كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين رقم / 1262 .

(4) سنن الترمذي/ 2 / 502 – 503 ، كتاب الجمعة ،باب ما ذكر في الاغتسال عندما يسلم الرجل رقم / 605 .

(5) انظر الفقه الإسلامي وأدلته / الزحيلي 1 / 359 – 367

(6) المصدر السابق 1 / 375

على الدوام، وحتى يخرج المسلم من الحرج والضيق بفقده الماء للطهارة، رخص الله له وسيلة **أخرى يتطهر بها، وهي الصعيد الطيب فقال تعالى: في سورة النساء ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[(1)] وفي سورة المائدة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(2)] .**

والتيمم لغةً: هو القصد، حيث يقولون أمَّه يؤمه أمًا إذا قصده... وتيممته: قصدته ومنه تيممت الصعيد للصلاة وأصله التعمد والتوخي، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم اسماً علماً لمسح الوجه واليدين بالتراب.[(3)]

التيمم شرعاً: عند فقهاء الأمة لا يخرج في كونه إيصال التراب إلى الوجه واليدين بنية وشرائط مخصوصة، وإذا اختلف المذاهب في الألفاظ إلا أنها تتفق في هذا المعنى.[(4)]

قوله تعالى:﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ "أي بجراحة أو بغيرها مرضاً يمنع من طلب الماء أو استعماله."[(5)]

قال الشافعي:" وكان ظاهر القرآن أن كل مسافر سفراً بعيداً أو قريباً يتيمم عند عدم الماء"[(6)] .

خامساً: طهارة الثياب

ولما كانت طهارة البدن العمدة في صحة الصلاة وقبولها كشرط بالوضوء أو الغسل أو بالتيمم لم يغفل الشارع الحكيم طهارة المكان المصلى فيه مثل أماكن العبادة وكذلك ثياب

---

(1) سورة النساء: آية / 43

(2) سورة المائدة آية / 6

(3) انظر لسان العرب/ ابن منظور 12 / 22 ومقاييس اللغة/ ابن فارس ص 48 والمفردات/ الراغب الأصفهاني ص /577

(4) انظر المغني والشرح الكبير/ ابني قدامة 1 /266 والأم / الشافعي ، 1 /45 . ـ ط2 . ـ بيروت ، دار المعرفة 1393هـ - 1973 م وما بعدها، والفقه الإسلامي وأدلته/ وهبة الزحيلي1 / 406 .

(5) نظم الدرر/ البقاعي 2 / 260 .

(6) الأم/ الشافعي 1 / 45 .

المصلى التي سيقف بها بين يدي الله في محرابه يناجي ربه فمنع المكث للجنب والحائض في المسجد لمكان للعبادة إلا مجرد المرور لحاجة كما بيّنا في الغسل .

قال تعالى: ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(3)وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾[1] " ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ هو في النظم مثل نظم ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾ أي لا تترك تطهير ثيابك، وللثياب إطلاق صريح وهو ما يلبسه اللابس وإطلاق يكنى بالثياب عن ذات صاحبها كقول عنترة:" فشككت بالرمح الأصم ثيابه. "

. . . كناية عن طعنه بالرمح وللتطهير إطلاق حقيقي وهو التنظيف وإزالة النجاسات وإطلاق مجازي وهو التزكية قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2] والمعنيان صالحان في الآية فتحمل عليهما معاً فتحصل أربعة معان لأنه مأمور بالطهارة الحقيقية لثيابه إبطالاً لما كان عليه أهل الجاهلية من عدم الاكتراث بذلك ...

والطهارة لجسده بالأولى ومناسبة التطهير بهذا المعنى لأنها على و ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾ لأنه لما أمر بالصلاة أمر بالتطهر لها لأن الطهارة مشروعية للصلاة .

وليس في ذكر طهارة الثوب إلا هذه الآية في أحد محاملها وهو مأمور بتزكية نفسه."[3]

وقال الزمخشري:" ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات؛ لأن طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها وهي الأولى والأحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثاً."[4]

﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ أي اغسلها بالماء."[5] وهذا اللفظ صريح عند ابن كثير .

وقال أبو حيّان: في البحر ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ " الظاهر أنه أمر بتطهير الثياب من النجاسات لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ويقبح أن تكون ثياب المؤمن نجسة ... ومن هذه الآية ذهب الشافعي إلى وجوب غسل النجاسة من ثياب المصلي."[6]

ومن أراد أن يطلع على كل الوجوه فقد ذكرها مجموعة كل من ابن جرير الطبري[7] والماوردي[8] وابن الجوزي[1] وابن العربي مختصراً[2] والقرطبي[3]

---

(1) سورة المدثر: آية/3 – 4

(2) سورة الأحزاب: آية / 33

(3) التحرير والتنوير / ابن عاشور 29 /297 .

(4) الكشاف/ 4 / 645 .

(5) تفسير ابن كثير 4 /442 .

(6) البحر المحيط/ 8 / 362 – 363 .

(7) جامع البيان/ ابن جرير الطبري 29 / 144 .

(8) النكت والعيون/ الماوردي 6 / 135 .

وابن القيم[4] والبقاعي مختصراً [5] والسيوطي في الدر المنثور جامعاً [6] والألوسي في روح المعاني كذلك[7] وسعيد حوى جامعاً كل الأقوال[8] كلهم عند تفسير قوله ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ .

وقال العلامة الشنقيطي: " والواقع في السياق ما يشهد لاختيار ابن جرير وهو حمل اللفظين على حقيقتهما. وترجيح قول ابن سيرين أن المراد طهارة الثوب من النجاسة والقرينة في الآية أنها مشتملة على أمرين:

الأول: طهارة الثوب

والثاني: هجر الرجز، ومن معاني الرجز المعاصي، فيكون حمل طهارة الثوب على حقيقته لمعنى جديد أولي .

وهذه الآية بقسميها جاء نظيرها بقسميها أصرح من ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ**﴾[9]

والله تعالى أعلم .... وقد جعل الشافعي هذه الآية دليلاً على الطهارة للصلاة."[10]

" واعلم أن الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كقوله تعالى: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يُلْبَس، ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب، لا الملبوس وهذا لا بد له من دليل. لأنه عدول عن ظاهر اللفظ ... فالمعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف، والمعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل يقع فيه الخلاف. إذ باب التأويل غير محصور، والعلماء متفاوتون في هذا، فإنه قد يأخذ بعضهم وجهاً ضعيفاً من التأويل فيكسوه بعبارته قوة تميزه على غيره من الوجوه القوية، فإن السيف بضاربه"[11].

---

(1) زاد المسير/ابن الجوزي 8 / 400 .

(2) أحكام القرآن/ ابن العربي 4 / 1886 .

(3) جامع الأحكام/ القرطبي19 / 62 .

(4) التفسير القيم/ ابن القيم ص / 502 .

(5) نظم الدرر/ البقاعي 8 / 222 .

(6) الدر المنثور/ السيوطي8 / 324 .

(7) روح المعاني/ الألوسي 29 / 148 .

(8) الأساس في التفسير سعيد حوى 11 / 6243 .

(9) سورة الأنفال: آية / 11

(10) أضواء البيان/ الشنقيطي 8 / 621 في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ت 1393هـ. ـ ط1 . ـ القاهرة ، مكتبة ابن تيمية، 1408 هـ – 1988 م.

(11) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ ضياء الدين ابن الأثير، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي و د.بدوي طبانة، 1 / 63 . ـ ط1 . ـ القاهرة ، دار النهضة للطبع والنشر، بدون سنة .

وبعد هذا التحقيق المستفيض لما قاله العلماء ــ رحمهم الله ــ يرجح الباحث: القول على الحقيقة في الثياب والتطهر مع احتمال الآية للوجوه الأخرى مرجوحة والله أعلم بمراده .

سادساً: صلاة الاستسقاء

الاستسقاء في اللغة: " سقي: السقْيُ والسُقْيا: أن تعطيه ما يشرب، والاسقاء: أن تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف يشاء ... قال تعالى:﴿ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾[1].

والاستسقاء: طلب السّقي أو الاسقاء قال تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى**﴾[2]"[3]

" **والاستسقاء شرعا** :طلب السقي من الله بمطر عند حاجة العباد إليه بصفة مخصوصة.أي بصلاة وخطبة واستغفار وحمد وثناء "...

وسببه :قلة المطر، وشح الماء، والشعور بالحاجة لسقي الزرع وشرب الحيوان."[4]

ولما كانت الذنوب سبباً لانحباس القطر عن العباد قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(10)يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(11)وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[5] وقال أيضاً ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾[6]

"وصلاة الاستسقاء سنة مؤكدة ثابتة بسنة رسول الله ﷺ وخلفائه ﵃."[7]

والاستسقاء ثلاثة أضرب، اكملها الخروج والصلاة ...

ويليه استسقاء الإمام يوم الجمعة على المنبر ...

والثالث: أن يدعو الله عقيب صلواتهم وفي خلواتهم ... "[8]

---

(1) سورة الإنسان آية / 21

(2) سورة البقرة آية / 60

(3) المفردات/ الراغب الأصفهاني ص / 241 ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت817 هـ، 3 / 231 المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، دون تاريخ طبعة/1387 هـ .

(4) الفقه الإسلامي وأدلته / الزحيلي 2 / 412 .

(5) سورة نوح: آية / 10-12

(6) سورة هود: آية / 52

(7) المغني والشرح الكبير 2 / 283 .

(8) المصدر السابق 2 / 295 بتصرف، وانظر غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول منصور على ناصف 1 / 313 . ــ بيروت، دار أحياء التراث العربي 1381هـ - 1961 م .

قال تعالى في سورة الأعراف ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُــهُ أَنِ اضْــرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**﴾[1] وهــي ســورة مكية نزلت قبل قوله تعالى: في البقرة ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَــا اضْــرِبْ بِعَــصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ولا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[2]

يقول ابن كثير: عند تفسيره آية الاستسقاء في البقرة" وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في سورة الأعراف ولكن تلك مكية، فلذلك كان الإخبار عنهم بتعبير الغائــب لأن الله تعــالى يقص على رسوله ﷺ ما فعل بهم، وأما في سورة البقرة فهي مدنية فلهذا كان الخطاب فيهــا متوجهاً إليهم."[3]

قال الرازي:عند تفسيره هذه الآية ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى...**﴾ أن هذا من الإنعامــات التي أنعم الله بها على بني إسرائيل وهو جامع بنعم الدنيا والدين: أما في الدنيا لإزالته عــنهم الحاجة الشديدة للماء ولولاه لهلكوا في التيه فقد قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَــاءِ كُــلَّ شَــيْءٍ حَيٍّ**﴾[4] بل الإنعام بالماء في التيه أعظم من الإنعام بالماء المعتاد لأن الإنــسان إذا اشــتدت حاجته إلى الماء في المفازة[5] وقد أفسدت عليه أبواب الرجاء لكونه في مكان لا ماء فيــه ولا نبات فإذا رزقه الله الماء من حجر ضُرب بالعصا فانشق واستقى منه، علم أن هذه النعمــة لا يكاد يعدلها شيء من النعم، أما كونه من نعم الدين فلأنه من أعظم الدلائل على وجود الصانع وقدرته وعلمه ومن أصدق الدلائل على صدق موسى ــ عليه السلام ــ."[6]

وقد يسأل سائل لم جاءت في الأعراف ﴿**فَانْبَجسَتْ**﴾ وفي البقرة ﴿**فَــانْفَجَرَتْ**﴾ وهــل هنــاك تناقض بينهما في القصتين ؟ فيقول " الإمام ابن كثير " وأخبر هناك بقوله ﴿**فَانْبَجسَتْ**﴾ وهــو أول الانفجار وأخبر بما آلت إليه الحال آخرًا وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجــار هنــا وذاك هناك والله أعلم."[7]

---

(1) سورة الأعراف: آية / 160 .

(2) سورة البقرة: آية / 60 .

(3) تفسير ابن كثير 1 /100 .

(4) سورة الأنبياء: آية / 30

(5) المفازة/ الصحراء لا ماء فيها والبرية القفر والمفازة المهلكة، انظر لسان العرب/ابن منظور 5 / 392.

(6) تفسير الرازي 3 / 94 بتصرف .

(7) تفسير ابن كثير 1 / 191 .

المطلب الثاني:الأهمية الاقتصادية للماء

أولاً: التجارة

إن معظم مدار الاقتصاد العالمي اليوم على التجارة من خلال: عملية شـراء وبيـع السلع والخدمات . بين الدول والشعوب وداخل الدول نفسها[1] .
ويقول الراغب": التجارة التصرف في رأس المال طلباً للربح "[2] ويوضح ابن خلـدون فـي مقدمته التجارة بقوله " اعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بـالرخص وبيعها بالغلاء أياً ما كانت السلعة من أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يـسمى ربحاً."[3]

ولقد عني القرآن بالتجارة في العديد من آياته الكريمة ذاكراً التجارة مـع الله بالعمـل الصالح حيث الكسب في الآخرة فقال:" ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(10)تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْـرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ**﴾[5] في حديثه عن المنافقين، وذكر التجارة المتداولة بين الناس فقال:﴿ **إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ**﴾[6] وقال:﴿**إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**﴾[7]
وقال:﴿ **وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا**﴾[8]

---

(1) انظر الموسوعة العربية العالمية 6 / 95 . ـ ط2 . ـ الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419 هـ ، 1999 م .

(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني ص / 68 ، وانظر عمدة الحفاظ السمين الحلبي 1 / 294 ، ولسان العرب ابن منظور 2 / 89 .

(3) مقدمة ابن خلدون ص 313 .

(4) سورة الصف: آية / 10 – 11

(5) سورة البقرة: آية / 16

(6) سورة البقرة: آية / 282

(7) سورة النساء: آية / 29

(8) سورة التوبة: آية / 24

أما بالنسبة للتجارة في البحر وهي ما تخصنا في هذه الدراسة لم يذكرها القرآن بلفظ التجارة بل جاءت من خلال الآيات التي تحدثت عن البحر والانتفاع بما سخره الله لنا من منافع فيه ومن ضمنها التجارة عبر هذا البحر. يعبر عنها بلفظ ﴿**بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾[1] وبلفظ ﴿**وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾[2] وست آيات في كتاب الله أسوقها تباعاً ثم نبين شواهدها في الموضوع فلو فسرتها كلاً على حده لطال البحث .

وهاهي الآيات حسب ترتيبها في المصحف الشريف .

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[3] .

وقال تعالى في سورة النحل :﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[4] .

وقال تعالى في الإسراء:﴿ **رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾[5].

وقال تعالى في سورة الروم:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[6].

وقال تعالى في سورة فاطر:﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[7].

قال تعالى في سورة الجاثية:﴿ **اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[8] .

من خلال ما سبق من آيات نشاهد ونلاحظ ما يلي:

---

(1) سورة البقرة: آية / 164

(2) سورة النحل: آية / 14

(3) سورة البقرة: آية / 164

(4) سورة النحل: آية / 14

(5) سورة الإسراء: آية / 66

(6) سورة الروم: آية / 46

(7) سورة فاطر: آية / 12

(8) سورة الجاثية: آية / 12

أن الله عبر عن معنى التجارة في البحر بلفظ ﴿**لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه**ِ﴾ وفضل الله ونعمه كثيرة ومن ضمنها التجارة، وفسر السواد الأعظم من المفسرين أن الابتغاء من فضل الله هو التجارة مع ذكرها لأمور أخرى مع التجارة، واعتمدوا شاهداً من القرآن قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[1] وعليه فهذه الآيات الست جاء فيها ذكر التجارة عبر البحر.[2]

ولما جاء ذكر التجارة في الآيات عقب الحديث عن الملح واللحم الطري والحلية، وذكر وسائل النقل التي تتم بواسطتها هذه التجارة، وكأن القرآن يقول لنا أن هذه النعم المستخرجة من البحر هي من ضمن السلع المتاجر بها والتي ينتفع الناس بها عن طريق التجارة بها وما تدر من أرباح طائلة وخير عميم. فمثلاً تجارة اللؤلؤ والمرجان وكذلك ما يستخرج من معادن وأملاح وبترول وغيرها من البحار، كالأسماك بأنواعها وكمياتها الضخمة كل هذه الثروات التي تدخل في مجال التجارة في البحر لا مجال للتوسع فيها هنا فقد أفردت لها مباحث مستقلة.

وبالرغم من التشابه الموجود في المعنى بين الآيات إلا أن لكل آية خصوصياتها من سياقها داخل السورة، ومن لفظها ومعناها يتضح ما بينها من اختلاف ليجعل كل آية قائمة بذاتها في لفظها ومعناها، فنجد ذكر التجارة في آية البقرة جاء من خلال مجموع المنافع ﴿**وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾ وفي آية النحل استعرضت الآية بشئ من التفصيل ما أُجمل في آية البقرة من منافع البحر، حيث ذكر اللحم الطري والحلية والفلك مواخر والتجارة، وكذلك في سورة فاطر ذكر المنافع نفسها .

ونجده في الإسراء والجاثية تحدث عن تسخير البحر بجريان الفلك فيه بدون ذكر اللحم والحلية.

وذكر في الإسراء والجاثية والروم سير الفلك بالجري و الإزجاء وهو أقل قوة من المخر في النحل وفاطر فهي هنا تشق البحر شقا بمقدمها، فتحدث صوتاً .

ونجد العلاقة السببية بين الرياح والسفن في جريانها فوق سطح الماء ثم قال: ﴿**لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ**﴾ أي بأمر الله وكذلك في سورة الجاثية .

---

(1) سورة البقرة آية / 198

(2) انظر تفاسير الأئمة / الطبري 14 / 89 ، ابن الجوزي 4 / 435 ، الرازي 20 / 7 ، أبو حيان 5 / 466 ، التحرير والتنوير 14 / 120 ، الزمخشري 2 / 598 ، القرطبي 2 / 194 ، ابن العربي 3 / 1218 ، أبو السعود 3 / 253 ، السمرقندي 3 / 15 ، الشنقيطي 3 / 208 ، ابن عطية 2 / 35 ، القاسمي 2 / 15 ابن جزي الكلبي 1 / 66 .

ونجد الآيات في النحل والروم وفاطر والجاثية تختم بقوله ﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ وهـذا ختم يناسب مقام النعمة والفضل لله ملزم الشكر هنا، ولما كان الحديث في البقرة على سـبيل الاستدلال على قدرة ووحدانية الله ثم الامتنان بما خلق قال:﴿ **لآيَات لِقَـوْمٍ يَعْقِلُـونَ**﴾ ولكـن سورة الإسراء جاءت للامتنان والتذكير بفضل الله الرحيم فقال:﴿ **إِنَّـهُ كَـانَ بِكُـمْ رَحِيمًـا** ﴾ فالآيات التي تليها تتحدث عن مخاطر البحر وإن التجارة منه لا يملكها إلا الله ﴿**وَإِذَا مَـسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَـى الْبَـرِّ أَعْرَضْـتُمْ وَكَـانَ الإِنْـسَانُ كَفُورًا**﴾[1]

ثانياً: الزراعة

"الزراعة من أهم الأنشطة التي يمارسها الإنسان وتمدنا تقريباً بكل ما نحتاجـه مـن غـذاء، بالإضافة إلى توفير مستلزماتنا من الكساء والمأوى، وليس هذا فحسب بل توفر لنـا المـواد الضرورية لبعض الصناعات الأساسية مثل الدهانات والمواد الطبية (والصناعات الغذائيـة) يقولون لولا الزراعة ما قامت الحياة البشرية على الأرض بشكلها المعروف لنا الآن."[2]

وقد كرّم الله الزرّاع والزراعة بذكرهم في كتابه العزيز في أكثر من موضع فأهل الزراعة هم أهل الحضارات وحيثما وجدت الزراعة وجدت شعباً متحضراً ومستقرا .

والقرآن ينبه الإنسان إلى أن ما يقوم به من زرع إنما هو في الحقيقة فعل الله وما الزارع إلا مهيئا وباذراً للبذرة لا أكثر أما النبات وخروجه وشق الأرض وإخضرارها فهو من الله .

قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ(63)أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾[3] وتـدعو الآيتـان الكريمتان الزرّاع أن ينظروا إلى الزرع الذي ينبت بين أيديهم وينمو ويـؤتي ثمـاره ... مـا دورهم فيه ؟ إنهم يحرثون ويلقون الحب والبذور التي صنعها الله، فمن منـا صـنع الحـب والبذور؟ وبمجرد الإلقاء في الأرض ينتهي دور الزرّاع وتأخذ القدرة الإلهيـة فـي عملهـا المعجز الخارق العجيب فليسوا إلا مهيئين الأرض للبذر وإلقاء البذر فيها مجـدديها بـالحرث على سبيل الاستمرار . فهم لا ينبتون[4]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: ﷺ " لا يقولن أحدكم زرعت وليقل غرست "

---

(1) سورة الإسراء: آية / 67

(2) عالم النبات في القرآن الكريم، عبد المنعم فهيم الهادي و دنيا محسن بركة ص 13 . ـ ط1 . ـ القاهرة ،دار الفكر العربي – 1990 م .

(3) سورة الواقعة: آية / 63 – 64

(4) في ظلال القرآن / سيد قطب 7 / 703 ، وانظر نظم الدرر / للبقاعي 7 / 417 .

قال محمد (ابن سيرين) قال أبو هريرة: قال تعالى:﴿**أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾ [1]

ويذكر القرآن الدور الإلهي في عملية الإنبات في قوله تعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24)أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(25)ثُمَّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقًّا(26)فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28)وَزَيْتُونًا وَنَخْلا(29)وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30)وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾[2]

هكذا ينزل الماء من السماء صبا متخللاً الأرض إلى الحبة فتبعث الإرادة الإلهية الحياة الكامنة فيها فتنطلق في اتجاهين الجذر للأسفل والمجموع الخضري للأعلى ولكنه ضعيف لا يقوى على شق الأرض فيشقها الخالق لتخرج هذه الأوراق الضعيفة ثم تكبر لتكون النوع الذي أراد الله لها أن تكون مما ذكر في الآيات من طعام للإنسان أو حتى للأنعام. [3]

فقال تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾[5]

---

(1) تاريخ جرجان / حمزة بن يوسف الجرجاني ت 428هـ ؛ تحقيق أحمد عبد المعيد خان ص 411 . ــ ط3 . ــ الناشر بيروت ، عالم الكتب 1981 م ، والمعجم الأوسط للطبراني ت 360 هـ ؛تحقيق طارق محمد وعبد المحسن الحسيني ص8 / 80 ورقم 8024 . ــ دون طبعة. ــ القاهرة ، الناشر دار الحرمين ، مسند البزار/ لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ت 92 هـ ؛ تحقيق محفوظ الرحمن زين الله . ــ ط1. ــ مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم بيروت والمدينة المنورة 1409 هـ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 4 / 120 وقال فيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي ولم أجد له ترجمة وبقية رجاله ثقات قلت لكن ترجم له ابن حبان في الثقات وذكره ابن حجر في لسان الميزان وكذلك الرازي في الجرح والتعديل . والرجل قد انتفى عنه علة الجهالة بذكره عند أهل الاختصاص وبناء على ما سبق فإن الحديث حسن .

(2) سورة عبس: آية / 24 – 31

(3) انظر تفسير ابن كثير 4 / 473 ، والتحرير والتنوير / ابن عاشور بتلخيص 30 / 130 – 133 ، وتفسير الرازي 13 – 95 ، وفي ظلال القرآن / سيد قطب 3 / 313 .

(4) سورة السجدة: آية / 27

(5) سورة النمل: آية / 60

فهو سبحانه الذي يحيي الأرض بعد موتها بإنزال الماء من السماء عليها حتى تصبح حـدائق وبساتين تسر الناظرين وتبهج نفوسهم .

وحتى نبين مدى الأهمية الاقتصادية فقد أشار القرآن إلى شتى أنواع المزروعات وكلهـا ذات أهمية في حياة الإنسان فمثلاً الحبوب مثل: القمح والشعير والأرز والفول والعـدس وغيرهـا نجد القرآن تحدث عن السنبلة والحب فقال:﴿ **كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ**﴾[1] وقال تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**﴾[2]

يقول الرازي: " والحَبُّ هو الذي يكون مقصوداً بذاته مثل حبـة الحنطـة والـشعير وسـائر الأنواع والنوى هو الشيء الموجود في داخل الثمرة مثل: نوى الخوخ والتمر وغيرهما."[3]

وأشار القرآن إلى أهمية الحَبّ في حياة الناس في قصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ عندما فـسر حلم الملك وأسدى لهم الحل لمشكلة الجفاف وقلة المحصول فقال لهم:﴿ **قَالَ تَزْرَعُـونَ سَـبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ**﴾[4] وباقي القصة معلـوم فهـذه مشكلة اقتصادية تواجه ملك مصر يضع لها القرآن حلاً بالزراعة لمدة سـبع سـنين بخـزن إنتاجها إلا القليل مما يأكلونه ويترك الحب بلا درس فـي سـنبله . ومـن هـذا المخـزون يستهلكون سنوات القحط والجدب . وهذا إشارة إلى أهمية الحب والزراعة في حياة الأمم .

ويذكر القرآن الخضروات[5] والفاكهة[6] فيقول:﴿ **فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْـأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾[7] ﴿**وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾[8] فقد ذكر بعض من الخضروات مثل: القثّاء وهو شبيه بالخيار والثوم والبصل واليقطـين وهـو مـن فصيلة القرعيات التي منها البطيخ والشمام والقرع بنوعيه الأبيض والأصفر وهكذا .

وكذلك الفاكهة قال تعالى:﴿ **وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28)وَزَيْتُونًا وَنَخْلا(29)وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30)وَفَاكِهَـةً وَأَبًّا**﴾ فذكر الفاكهة عامة والعنب والنخل وقال: ﴿**وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـاتٍ**

---

(1) سورة البقرة: آية / 261

(2) سورة الأنعام: آية / 95

(3) تفسير الرازي 13 / 95

(4) سورة يوسف: آية / 47

(5) انظر كتاب نظرات في الكون والقرآن / مهندس عبدالهادي ناصر ص 372 / 373 . ـ ط1 . ـ القاهرة،المكتبة الأكاديمية .

(6) نفس المصدر ص 374 / 375 .

(7) سورة البقرة: آية / 61

(8) سورة الصافات: آية / 146

مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾[1] وقال:﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾**[2]

ويقول الرازي:" اعلم إنه تعالى ذكر هنا أربعة أنواع من الأشجار النخل والعنب والزيتون والرمان، وإنما قدم الزرع على الشجر لأن الزرع غذاء، وثمار الأشجار فواكه. والغذاء مقدم على الفاكهة وإنما قدم النخل على سائر الفواكه لأن التمر يجري مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب ... وإنما ذكر العنب عقب النخل لأن العنب أشرف أنواع الفواكه وذهب الرازي يفصل فوائد كل نوع من هذه الفواكه واستعمالاتها الغذائية والعلاجية فمن أراد المزيد يرجع إلى التفسير فهناك بغيته .[3]

" ﴿**جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ**﴾ أي بساتين ممسوكات مرفوعات ﴿**وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ**﴾ غير مرفوعات وقال ابن عباس " معروشات ماانبسط على الأرض مما يعرش مثل الكروم والزروع والبطيخ وغير معروشات على ساقه النخل وسائر الأشجار."[4]

وكذلك يذكر من ضمن الزرع وله أهمية اقتصادية ألا وهو الشجر الذي يؤخذ منه الخشب والحطب والنار والآثاث وغير ذلك من المنافع .

" والشجر أكبر النباتات حجماً وقد يفوق ارتفاع بعضها مبنى مكون من ثلاثين طابقاً، وتستمر الأشجار في النمو طوال حياتها والشجرة هي أكبر الأحياء المعروفة عمراً "حيث يعمر بعض الأشجار إلى آلاف السنين و يوجد ما يقرب من عشرين ألف نوع من الأشجار تتفاوت بين أشجار الغابات القوية وأشجار الزينة الهشة."[5]

" وتمد الأشجار الناس بالغذاء والألياف والعقاقير وأهم من ذلك كله إنها تمدهم بالأخشاب واستخدم الإنسان ما قبل التاريخ الخشب لتصنيع أول رمح وأول قارب وأول عجلة ... كما تشمل منتجات الأشجار الفحم النباتي والفلين، والصموغ، والمطاط، وغيرها ، ولا ينظر الناس إلى الأشجار كما ينظرون إلى بقية النباتات التي ينمو بعضها لفترة قصيرة ثم تموت بل ينظرون إليها بوصفها معالم ثابتة في المناظر الطبيعية ... واهتمت كل دول العالم بالأشجار وزراعتها وتنص قوانين بعض الدول على تحريم قطع الأشجار."[6]

---

(1) سورة الأنعام: آية / 99

(2) سورة الأنعام: آية / 141

(3) انظر تفسير الرازي 13 / 115 .

(4) تفسير القرطبي 7 / 98 .

(5) عالم النبات في القرآن ص 105 ، الموسوعة العربية العالمية 5 / 14

(6) نفس المصدر السابق ص 106 .

وعني القرآن بذكر الشجرة عناية فائقة وأبرز ما فيها من منافع فذكر من هذه المنافع النار حيث يوقد الإنسان من هذه الأشجار ناراً ويستخدمها في استخدامات شتى قال تعالى:﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**﴾[1]

وقال تعالى:﴿**أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ(71)أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ**﴾[2]
وقال تعالى: ﴿ولو **أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ**﴾[3]
وهذا مما يوحى للإنسان باستخدام وصناعة هذه الشجر أدوات يُنتفع بها كالأقلام ،ونجد أن الله ينبه على استخدام الشجر والخشب في صناعة الفلك فيذكر الألواح التي صنع منها سيدنا نوح سفينته ﴿**وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**﴾[4] أي على سفينة مصنوعة من الألواح الخشبية التي قد شدت ألواحها بالمسامير"الدسر."[5]
وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من هذه الأشجار كان يستخدم قطع وألواح يكتب عليها قال تعالى:﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً** ﴾[6]
"واللوح كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب وهو الذي يكتب فيه."[7]
ولا يخفى على جاهل أو عالم ما للشجر من أهمية واستخدام في حياة البشرية مما يعطيه أهمية اقتصادية في حياتنا وبعد هذا الشيء من الاختصار من خلال التمثيل للآيات المشتملة على الزراعة ومكانتها في حياة الإنسان نجد الهدف من ذكرها والإكثار من الآيات الواصفة للزرع،والإنبات ،والحرث ،والحصاد ،وغير ذلك مما هو منثور بين آيات وسور القرآن الكريم.

ثالثاً: الثروة السمكية

"يعتبر صيد الأسماك من أقدم الحرف، وتمارسها الشعوب المتقدمة تجارياً، والبدائية معاشياً على حدٍ سواء .

(1) سورة يس: آية / 80
(2) سورة الواقعة: آية 71 ـــ 72
(3) سورة لقمان: آية 27
(4) سورة القمر: آية / 13
(5) انظر تفسير القرطبي 132/17 ، التحرير والتنوير / ابن عاشور 27 / 184 .
(6) سورة الأعراف: آية 145
(7) لسان العرب / ابن منظور 2 / 584 .

ويقتصر **الصيد المعاشي** على المياه العذبة والمالحة القريبة من السواحل التي يقطنها الإنسان وتتميز معداته بأنها بدائية، وإنتاجه للإستهلاك الذاتي أو المحلي، ويتركز معظم صيادي الصيد المعاشي في بلاد الشرق ويقدر إنتاجه بثلث الإنتاج التجاري أي 23 مليون طن.
أما **الصيد التجاري** فهو أعقد من المعاشي التقليدي وهو عمل منظم ، وقد يكون موسمياً بسبب هجرة الأسماك ويأتي إنتاجه من بلاد بعيدة حيث أعالي البحار، وتطبق فيه الأساليب العلمية والتقنية الحديثة، ويعضد هذا النمط التجارة على نطاق واسع سواء داخلية أو خارجية مع الإختلاف بين منطقة وأخرى "[1]

وتمثل الأسماك مصدراً هاماً للبروتين الحيواني وهي أنواع منها ما يعيش بالقرب من سطح الماء مثل الرنجة والسردين والاسقمبري والتونة والسالمون والراي والجمبري والحوت وغيرها .
ومنها ما يعيش في أعماق المياه مثل البقلة والبكلاه والهادوك وغيرها وهذا على سبيل المثال.[2]

"أورد القرآن العظيم ذكر الأسماك على اختلاف ألوانها وأنواعها وأشكالها وأحجامها باسم (اللحم الطري)، وقد جاء بهذه العبارة مرتين الأولى في سورة النحل لقوله جل وعلى :﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾[3] والثانية في سورة فاطر قال تعالى: ﴿**وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾[4] " [5] وذكر الله الحوت في سورة الكهف في قصة موسى وفتاه ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا(61)فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا**﴾[6]

وكان هذا الحوت سمكة في مكتلهم ، قد اتخذوه طعام غذاءٍ لهم فجعله الله آيةً بعد أن كان ناضجاً جاهزاً للأكل انسلّ إلى البحر وقد دبت فيه الحياة ،" قال القرطبي: قال ابن عباس كان حوتاً مملحاً في زنبيل وكان يصيبان منه غذاءً وعشاءً فلما انتهيا إلي الصخرة على ساحل

---

(1) الجغرافيا الإقتصادية / محمد محمود الديب ، ص 344 . ـ ط1 . ـ مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ، 1981 م ، وانظر الجغرافيا الإقتصادية / محمد رياض وكوثر عبد الرسول ص 112- 113 .
(2) الجغرافيا الإقتصادية / محمد محمود الديب ، ص 324 .
(3) سورة النحل: آية / 14
(4) سورة فاطر: آية / 12
(5) عالم الحيوان بين العلم والقرآن / محمد محمود عبد الله ص 33 .
(6) سورة الكهف: الآية / 61 – 62

البحر وضع فتاه المكتل فأصاب الحوت جرى البحر فتحرك الحوت في المكتل فقلب المكتل وانسرب الحوت."[1]

ومن خلال هذا الشاهد يتبين مشروعية اتخاذ الأسماك غذاءً طيباً وكذلك في قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾ "يقول الرازي واعلم أن في ذكر الطري مزيد فائدة وذلك لأنه لو كان السمك كله مالحاً لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري فإنه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة، علم أنه إنما حدث لا بحسب الطبيعة بل بقدرة الله وحكمته حيث أظهر الضد من الضد."[2]

" ﴿**لَحْمًا طرِيًّا**﴾ فجمع أصناف السمك بذكر واحد فكان صغاره ككباره في الجمع بينهما "[3]

قال تعالى:﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[4]

في الآية السابقة كان الحديث عن البحر الملح وما فيه من أسماك ولكن في هذه الآية فقد بينت أن الحديث عن البحر الملح والعذب والمقصود بالعذب الأنهار حيث قال:﴿ **هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ**﴾ وفي كل من هذين البحرين المتناقضين في الطعم والطبيعة والحجم لكل أسماكه وأنواعه المختصة به ولكل طعمه المميز له ويجمع بينهم القرآن بلفظ ﴿**وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا** ﴾ وحث القرآن الإنسان على الانتفاع بما في البحر من ثروة سمكية من خلال حليّة صيد هذه الحيوانات حيث قال:﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**﴾[5]

ولعل الآية تفرق بين اللحم الطري الذي هو صيد البحر وبين طعامه ففي هذه الكلمة إشارة إعجازية لتنبيه الإنسان لما في البحر من خيرات تصلح أن تكون طعاماً يستخدمه الناس اليوم بعد مئات السنين كالطحالب وأعشاب البحر بديلاً عن أطعمة البر تشكل مخزوناً غذائياً يتجه إليه العالم اليوم وفي مستقبلهم، " وهناك شعوباً تعتمد اعتماداً أساسياً على البحر كاليابان مثلاً ليس فقط على أسماكه وصيده ولكن تعتمد وبصفة رئيسية على نباتات البحر إعمالاً لقوله تعالى:﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**﴾ "[6]

---

(1) انظر تفسير القرطبي 11 / 13 – 14 .

(2) تفسير الرازي 20 / 50 – 60 .

(3) تفسير القرطبي 10 / 86 .

(4) سورة فاطر: آية / 12

(5) سورة المائدة: آية / 96

(6) نظرات في الكون والقرآن / عبد الهادي ناصر ص 322 .

وكما كان الحديث السابق عن أسماك البحار المالحة، فإن الأنهار والبحيرات كانت دائماً مصدراً من مصادر الغذاء الأساسية منذ القدم وما زالت أسماك المياه العذبة تكون جانباً هاماً في إنتاج الأسماك العالمية، حتى إن بعض الدول اتجهت للدراسات الواسعة في مجال زراعة الأسماك وتربيتها في بحيرات صناعية يتم مراقبة نموها وتوفير غذائها على أساس من الأساليب العلمية كي تنتج أكبر قدر من الإنتاج الذي جعل هذه البحيرات من المصادر المهمة اقتصادياً بعد انتشارها في كثيرٍ من دول العالم. [1]

رابعاً: الثروة الحيوانية

إن رعي الماشية والحيوانات الأليفة مهنةٌ قديمةٌ هدى الله الإنسان إليها، وكانت من المهن التي تحقق للإنسان مورداً رئيساً للغذاء بعد مهنة الصيد؛ حيث استئنس الإنسان الحيوانات، وأخذ يربيها ويقوم على رعايتها .

يسود الرعي التقليدي المتنقل في الأقاليم الفقيرة في أعشابها، وحيث يصعب قيام الزراعة؛ إما لنقص الأمطار أو قصر فصل النمو بسبب شدة البرودة أو لوعورة السطح وشدة الإنحدار، أو لضعف خصوبة التربة ومن هنا تسود حرفة الرعي المتنقل، ومن أهم الأقاليم: المناطق المدارية في أفريقيا بالإضافة إلى بعض المناطق الجبلية في أوروبا ووسط آسيا والمناطق الصحراوية .

قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ**﴾[2] وقال تعالى:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾[3]

وقال أيضاً ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(48)لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا**﴾[4]

لقد ساق القرآن لنا آيات كثيرة تتحدث عن عالم الحيوان، من مادة خلقه إلى فوائده ومنافعه ومن أصغر هذه الحيوانات إلى أضخمها، عندما ذكر البعوضة والذبابة والنملة وذكر الفيل والحيتان والذي يهمنا من عالم الحيوان في القرآن في هذا المطلب هو الثروة الحيوانية

---

(1) الجغرافيا الإقتصادية / محمد رياض وكوثر عبد الرسول، ص 110 .

(2) سورة النور: آية / 45

(3) سورة الشورى: آية / 29

(4) سورة الفرقان: آية / 48 – 49

وأهمية هذه الثروة اقتصادياً في حياة البشرية وسوف نختار على سبيل المثال لا الحصر بعض الآيات التي تحدثت عن الأنعام ومنافعها للإنسان .

ولقد منَّ الله سبحانه وتعالى علينا بأن خلق لنا من الأنعام أزواجاً ثمانية فقال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**﴾[1] هذه الثمانية أزواج التي ذكرها الله هنا مجملة وفي آية المائدة حيث قال:﴿ **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ**﴾[2] فصل وبين نوع هذه الأنعام في سورة الأنعام ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ... وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ**﴾[3]

فقد حدد نوع هذه الأنعام في هاتين الآيتين وهي الضأن أي الغنم، والماعز، والإبل، والبقر فذكر هذه الأصناف الأربعة بأزواجها ذكوراً وإناثاً، وإذا تحدثنا عن فوائد هذه الأنعام كثروة حيوانية تشكل السواد الأعظم في التربية الحيوانية وإنتاج اللحوم كجانب اقتصادي في عالمنا اليوم قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**﴾[4] وذكر الله لحوم الأنعام في معرض حديثه عن الهدي والأضحية عندما قال:﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(36)لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ**﴾[5]

والبدن واحدتها بدنة وهي تطلق على الإبل خاصة دون البقر فقد فرق الرسول ﷺ في قوله: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً...**[6]

---

(1) سورة الزمر: آية / 6

(2) سورة المائدة: آية / 1

(3) سورة الأنعام : الآية / 143 – 144

(4) سورة الأنعام: آية / 142

(5) سورة الحج: آية / 36 – 37

(6) أخرجه البخاري كتاب الجمعة باب فضل الجمعة 1 / 301 رقم 881 ومسلم كتاب الجمعة باب الطيب والسواك 2 / 582 رقم 850 ، أبو داود كتاب الطهارة باب الغسل يوم الجمعة 1 / 96 رقم 351 ، والترمذي كتاب الجمعة باب ما جاء في التبكير إلى الجمعة 2 / 372 رقم 499 والنسائي كتاب الجمعة باب وقت الجمعة 3 / 39 رقم 1388 ، وأحمد 2 / 460 ، صحيح ابن حبان 7 / 13 ، مسند الشافعي 1 / 62 ، مالك 1 / 101 ، أبو يعلى 11 / 355 .

وهذا في حديثه عن ثواب مَنْ بَكّرَ لصلاة الجمعة ﴿**صَوَافَّ**﴾ أي قد صفت قوائمها والإبل تنحر وقوفاً وقد عقلت يدها فيكون قائما على ثلاث ومعنى ﴿**فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا**﴾ سقطت بعد نحرها وقوله ﴿**فَكُلُوا مِنْهَا**﴾ أمر معناه الندب وكل العلماء يستحب أن يأكل الإنسان من هديه ﴿**وَأَطْعِمُوا**﴾ أمر إباحة و ﴿**الْقَانِعَ**﴾ السائل وهو من معنى القناعة وهي الرضا والتعفف وترك المسألة وأما ﴿**وَالْمُعْتَرَّ**﴾ فهو الذي يُطيف بك يطلب ما عندك سائلا كان أم ساكتاً قال مالك: أحسن ما سمعت أن القانع الفقير والمعتر الزائر[1] .

ولقد جمع الله منافع جمة في الأنعام فقال في ذلك:﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(5)وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ(6)وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(7)وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[2]

بدأ الحديث في الآية عن أمر هام ومنفعة يشعر بها البشر عامة لحاجتهم إليها في أيام البرد والصقيع، وأكثر الناس استشعاراً بذلك الذين يعيشون في الصحراء، أو في بلاد الإسكيمو حيث الحاجة إلى الدفء، وذلك بأصواف وأوبار وفراء الحيوانات، فمنها الملابس التي تدفئ الأجساد، والجلود التي تستخدم في استعمالات شتى حتى إن الإنسان استخدمها في صناعة البيوت حيث عبر القرآن عن ذلك ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾[3]

"يذكر الله تبارك وتعالى تمام نعمه على عبيده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن يأوون إليها، ويستترون بها وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع، وجعل لهم أيضاً من جلود الأنعام بيوتاً يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها عند إقامتهم في السفر والحضر ولهذا قال: ﴿**تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ**﴾ ﴿**وَمِنْ أَصْوَافِهَا**﴾ أي الغنم ﴿**أَوْبَارِهَا**﴾ أي الإبل ﴿**أَشْعَارِهَا**﴾ أي الماعز والضمير عائد على الأنعام ﴿**أَثَاثًا**﴾ أي تتخذون منه أثاثاً وهو المال وقيل المتاع وقيل الثياب، والصحيح أعم من هذا كله فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك ويتخذ مالاً وتجارة وقوله ﴿**إِلَى حِينٍ**﴾ أي إلى أجل مسمى ووقت معلوم."[4]

وبعد الحديث عن منفعة الأكل واللحوم والحديث عن الصوف والدفء والملابس والبيوت تأتي منفعة أخرى، استخدامها في السفر وحمل المتاع قال الله تعالى:﴿ **وَالْخَيْلَ**

---

(1) انظر تفسير القرطبي 12 / 60 – 65 .

(2) سورة النحل: آية / 5 – 8

(3) سورة النحل: آية / 80

(4) تفسير ابن كثير 2 / 581

وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1] وهي استخدام الأنعام في السفر عليها .

وقال تعالى: **﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(21)وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾**[2]

قال تعالى:**﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[3] ومن خلال هذه الآيات تظهر جلياً منفعة الركوب وحمل الأثقال والسفر على هذه الأنعام من بلد لم يكن الإنسان باستطاعته أن يبلغها ويصل إليها بدون استخدام هذه الأنعام حتى في زمننا هذا حيث الأماكن الوعرة التي لا تستطيع وسائل المواصلات الوصول إليها لكونها بكراً غير معبدة .

" قال ابن عباس: **﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾** يريد مكة إلى المدينة أو إلى اليمن أو إلى الشام أو إلى مصر قال الواحدي هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير إبل لشق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه البلاد ."[4]

" وقال ابن كثير:" إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وذك في الحج والعمرة والغزو والتجارة وما جرى مجرى ذلك لتستعملوها في أنواع الاستعمال من ركوب وتحميل."[5]

ولو نظرنا لما سبق من المنافع لوجدناها منافع مادية حسية ولكن جعل الله لنا في هذه الأنعام منافع معنوية أخرى وخاصة عندما عبر الله عنها سبحانه وتعالى بالجمال والزينة فقال **﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾** وقال تعالى:**﴿ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾**[6]

---

(1) سورة النحل: آية / 8
(2) سورة المؤمنون: آية / 21 – 22
(3) سورة النحل: آية / 7
(4) تفسير الرازي 19 / 231 .
(5) تفسير ابن كثير 2 / 563 .
(6) انظر عالم الحيوان في العلم والقرآن / محمد محمود عبد الله ص64 . ـ ط1 . ـ بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة 1996

واعلم أن وجه التجمل بها أن الراعي إذا روحها بالعشي وسرحها بالغداة تزينت عند تلك الإراحة والتسريح الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء وفرحت أربابها وعظم وقعها عند الناس بسبب كونهم مالكين لها.[1]

" وتقديم الإراحة عل التسريح لأن الجمال عند الإراحة أقوى وأبهج لأنها تقبل حينئذ ملآى البطون حافلة الدروع مرحة لمسرة الشبع ومحبة الرجوع إلى منازلها من معاطن ومرابض.

والإتيان بالمضارع في تريحون وتسرحون لأن ذلك من الأفعال المتكررة وفي تكررها تكرر النعمة لمناظرها."[2]

وهكذا تبين لنا أن هذه الثروة لم تقف منافعها على اللحوم فحسب بل يستفيد الإنسان من أصوافها وأوبارها وجلودها وألبانها وما يترتب عليها من صناعات مثل الغزل والنسيج والدباغة وصناعة الألبان والأجبان المختلفة الأنواع والأشكال [3] .

خامساً: الحلية واللؤلؤ والمرجان

لقد سبق أن تحدثنا في هذا المطلب عن الثروة السمكية وطعام البحر الذي سخره الله لنا وقد جمع بينه وبين الزينة والتجمل في آيتي سورتي النحل وفاطر حيث قال:﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾[4] هذا في حديثه عن البحر المالح أما في فاطر فقد جمع بين الاثنين العذب الفرات والملح الأجاج قال:﴿ **وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾[5] فهذه الحلية وهذه الزينة هي موضوع هذا الغرض الذي نتعرض له بشيء من التفصيل لم نكن قد تعرضنا له عند تفسير الآيات في المواضيع السابقة حيث عرضت .

---

(1) تفسير الرازي 19 / 233 وانظر تفسير القرطبي 10 / 71 وتفسير البحر المحيط / ابن حيان 5 / 461

(2) التحرير والتنوير / ابن عاشور 14 / 105 .

(3) انظر الجغرافيا الإقتصادية / محمد رياض وكوثر عبد الرسول ص 177 – 180 .

(4) سورة النحل: آية / 14

(5) سورة فاطر: آية / 12

والحلية: كالحلي الجمع حِلِي وحُلِي وهو كل حِليةٍ حُليت بها امرأةٌ أو سيف ونحوه والجمع حُلِي قال تعالى:﴿ **مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ**﴾[1] " [2] .

" بدأ أولاً من منافع البحر بما هو أهم وهو الأكل ثم ثنى بما يتزين به وهي الحلية من اللؤلؤ والمرجان ونبه على غاية الحلية وهو اللبس ورغم أن فيها منافع غير اللبس كالبيع والشراء والربح والتجارة وقيل: إن العذب يخرج منه لؤلؤ لا يلبس إلا قليلاً إنما يتداوى به ويقال: إن في الزمرد بحرياً وقوله: ﴿**تَلْبَسُونَهَا**﴾ خاص بالنساء والمعنى يلبسها نساؤكم وأسند اللبس إلى الذكور لأن النساء إنما يتزيّن بالحلية من أجل رجالهن فكأنها زينتهم ولباسهم."[3]

"وقال القرطبي:﴿**وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾ يعني به اللؤلؤ والمرجان لقوله تعالى:﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[4] وإخراج الحلية إنما هي فيما عرف من الملح فقط."[5]

" ويقول العلامة: ابن عاشور ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ إن كان المراد بالبحرين معروفين من البحار الملحة تكون من في قوله منهما ابتدائية لأن اللؤلؤ والمرجان يكونان من الملح وإن كان المراد بالبحرين البحر الملح كانت من في قوله منهما للسببية كما في قوله تعالى:﴿ **فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾[6] أي يخرج اللؤلؤ والمرجان بسببهما أي بسبب مجموعهما أما اللؤلؤ فأجوده مكانةً في مصب الفرات على الخليج العربي قال الرمّاني: لما كان الماء العذب كاللقاح للماء الملح في إخراج اللؤلؤ قيل: يخرج منهما كما يقال يتخلق الولد من الذكر والأنثى."[7]

اللؤلؤ والمرجان من الحلي الثمينة والتي تشكل ثروة اقتصادية جعل اليابانيين يقيمون مزارع خاصة يربون فيها المحار الخاص لإنتاج اللؤلؤ لما فيه من ثروة وتجارة رابحة [8] .

والآن حق لنا أن نتعرف كيف يتكون هذا اللؤلؤ والمرجان ونعرف طبيعته والبيئة التي يعيش فيها .

---

(1) سورة الأعراف: آية / 148

(2) لسان العرب / ابن منظور 14 / 194 .

(3) انظر البحر المحيط / ابن حيان 5 / 465 ، والرازي 20 / 6 – 7 .

(4) سورة الرحمن: آية / 22

(5) تفسير القرطبي 10 / 86 .

(6) سورة النساء: آية 79

(7) تفسير التحرير والتنوير / 27 / 250 .

(8) انظر جغرافية البحار والمحيطات / مهدي محمد علي، ص 342 ، الناشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، بدون سنة، بدون طبعة.

" يأخذ اللؤلؤ من حيوان من أنواع الحلزونيات ذات أصداف بأشكال متنوعة، فقد تكون طويلة أو قصيرة أو مخروطية أو مغزلية أو أسطوانية الشكل، كما يتباين ألوانها فقد تكون بيضاء أو بألوان مختلفة، وتتكون صدفة محار اللؤلؤ من مصراعين، ويعيش الحيوان في داخلها مغموراً في الرمل والطين، ولا يبرز منه سوى نهايته الخلفية، وهو يتحرك ببطء بواسطة قدم عضلية تبرز من بين مصراعي الصدفة، ويتغذى على الحيوانات المجهرية الصغيرة، وهو حيوان مقاوم للبرد، ويغطي جسم المحار صدفة بيضاوية الشكل مسطحة مستديرة من الجهة الأمامية مدببة قليلاً من الجهة الخلفية، حيث يرتبطان بجسم الحيوان برباط مطاطي، وتتركب الصدفة في مقطعها العرضي من طبقة خارجية خشنة الملمس، وطبقة وسطى منشورية وهي أسمك طبقات الصدفة وطبقة داخلية لؤلؤية تكون ملساء عاكسة للضوء، وتتكون من نفس المادة التي يتكون منها اللؤلؤ، ويعتبر تكون اللؤلؤ عملاً دفاعياً تلجأ إليه أنواع المحار إذا دخلت بين الصدفة الجبة أجسام غريبة من قبل ذرات الرمل، أو يرقات بعض الديدان الطفيلية، فيصبح الجسم الغريب معزولاً داخل الجبة ضمن كيس يتكون من جدارها، ثم يقوم جدار الكيس بإفراز مادة اللؤلؤ حول الجسم الغريب بشكل طبقات رقيقة متحدة المركز .

وتعتبر البحار المشهورة بصيد اللؤلؤ هي الخليج العربي والبحار المحيطة بجزيرة سيريلانكا والهند واليابان وشمال غرب أستراليا .

أما المرجان: يتكون المرجان في شعاب واسعة الانتشار في محيطات العالم الدافئة من تراكم هياكل حيوان المرجان، وتتكون من كربونات الكالسيوم، إلا أن حيوان المرجان لا يستطيع مقاومة حركة الأمواج اليومية المتتالية، ولذلك يظهر دور العوامل المساعدة على إنباته ألا وهي الطحالب التي تفرز غطاء صلباً قرنفلي اللون من الجير يكسو هياكل المرجان الميتة فيتماسك وتتحول إلى أحجار جيرية المسامية .

ويظهر المرجان على ألوان مختلفة فمنها الأسود والأسمر والأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي والأحمر، وتظهر على أشكال مختلفة مثل المرجان المروحي والمرجان القلمي وعلى هيئة قرون الغزال أو المخ أو الفطر أو الكأس وغيرها .

ويوجد المرجان في مستعمرات بالقرب من خط الساحل في المناطق المدارية، أو مستعمرات أبعد عن الساحل لعدة كيلو مترات كما هو الحال في الحاجز المرجاني شمال شرق أستراليا،

أو الشعاب المرجانية الحلقية التي تحيط بالجزر البركانيـــة المنتــشرة فـــي أعمـــاق البحـــار والمحيطات مثل جزيرة تاهيتي .[1]

سادساً: الملح

الملح من المعادن التي يكثر استخدامه في مجالات شتى حتى أننا كثيراً ما نجـــده موضـــوعاً على الموائد عند تناول الطعام، فهذه المادة البيضاء العجيبة التي تدخل في معظـــم الأطعمـــة وتشكل نسبة كبيرة من ملوحة مياه البحار والمحيطات، هي نعمة من نعم الله التـــي هـــدى الله الإنسان من قديم العصور لاستخدامها والانتفاع بها، وقبل أن ندخل إلـــى الآيـــات القرآنيـــة المتحدثة عن الملح، نعرّج على تعريف الملح وتركيبه واستخداماته وأماكن وجوده وأنواعـــه ولكن باختصار شديد

تعريف الملح:

"هو معدن شفاف هش يتكون من عنصري الكلور والصوديم، والاسم الكيماوي لـــه كلوريد الصوديم، ويرمز له بالرمز (NA CL) أو بالعربية (ص كل) ويتـــأين إلـــى أيـــون الصوديم (+ NA) الموجب وأيون الكلور (-CL) السالب."[2]

وهذا الملح هو المعروف باسم ملح الطعام حتى أن الأطفال فـــي بعـــض القبائـــل الإفريقيـــة يمصون قضبان الملح كما يمص أطفالنا أعواد قصب السكر، وقد كان الإنسان البدائي جاهلاً لوجود الملح في الطبيعة حتى ذاق ماء البحر، وأول بلد اكتشف فيه الملح على ما يقـــال هـــو ليبيا وتعتبر الولايات المتحدة والصين أكبر الدول المنتجة للملح في العالم، ومن الدول الرائدة في إنتاج الملح ألمانيا وكندا والمكسيك والهند.[3]

استخدامات الملح :

يستخدم الملح في استخدامات عديدة نذكر بعضها:

استخدامه في الطعام وفي الصناعات الكيميائية[4]

---

(1) انظر جغرافية البحار والمحيطات / مهدي محمد علي ص 340 / 344 ، وانظر التحرير والتنوير / ابن عاشور 17 / 232 ، وانظر التحرير والتنوير / ابن عاشور 27 / 250

(2) الموسوعة العربية العالمية 14 / 106 ، وانظر جغرافية البحار والمحيطات ص 313 .

(3) انظر الغذاء والدواء / صبري القباني ص 560 . ــ 15 . ــ بيروت ، دار العلم للملايين ، 1402هــ – 1982 م .

(4) تستهلك الصناعة الكيميائية أكبر الكميات من الملح وتستخدمه بصفة رئيسية لإنتاج مواد كيميائية أخرى لصنع أحد مركبات الصوديم مثل الصودا الكاوية التي تستخدم بصفة أولية في صناعة الزجاج والصابون

من أين يأتي الملح ؟

الملح من البحر فماء البحر مالح لأن مياه الأمطار تذيب المعادن التي تحتوي على الصوديم والكلور في صخور التربة ثم تحمل الأنهار هذه المعادن إلى البحر .

وطريقة تبخير مياه البحر للحصول على الملح هي من أقدم الطرق لاستخلاص هذا المعدن ويسمى هذا الملح بـ**(الملح الشمسي)** .

وهناك مناطق أخرى يتواجد فيها الملح غير البحر على هيئة صخور مترسبةٍ في طبقةٍ صلبةٍ كثيفةٍ تحت الأرض، ويسمى بـ**الملح الصخري** .

وتشتهر بهذا الملح النمسا و بولندا حيث المناجم الملحية تحت الأرض [1]

ومن الجدير بالذكر أن أكثر بقاع الأرض ملوحةً هو البحر الميت في فلسطيننا الحبيبة وهذا البحر الصغير الذي تبلغ مساحته ألف وأربعون كيلو متراً مربعاً وارتفاعه ثلاث مئةٍ وتسعة وتسعون متراً تحت سطح البحر حيث يبلغ طوله ثمانون متراً وعرضه في أشد مناطقه اتساعاً ثمانية عشر كيلوا متراً وهذه المنطقة غنية بالأملاح المعدنية منها ملح الطعام والبروميد وكلوريد الكالسيوم وكلوريد البوتاسيوم [2]

والآن مع الآيات القرآنية قال تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا**﴾[3] وقال تعالى:﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ**﴾[4]

" إن ماء البحر ماء ملح بأصل خلقته، ولا يقال له مالح لأن أهل اللغة يصفون الماء العذب الذي خالطه الملح بالماء المالح لأنه ليس على أصل الخلقة فإن مخالطة الملح للماء العذب ظاهرة في الذوق مثل الطعام المالح، وأما الأرض السبخة التي يصير بها ماء البحر مالحاً رُوعي فيها الأصل لا المجاورة، ومعني الأجاج أي المُر[5]

وتشتق مركبات الكلور أيضاً من الملح حيث تستخدم هذه المركبات في صناعة الورق والبلاستيك ومضادات الآفات وسوائل التنظيف ومضادات التجميد وهناك استخدامات أخرى مثل سقل السراميك، وإطعام المواشي والأدوية، وتكرير النفط، والتبريد، ومعالجة مياه الصرف الصحي، وصباغة النسيج، وإزالة عسر الماء. انظر الموسوعة العربية العالمية .

(1) انظر الموسوعة العربية العالمية 24 / 106 .

(2) انظر الموسوعة الفلسطينية 1 / 352

(3) سورة الفرقان: آية / 53

(4) سورة فاطر: آية / 12

(5) انظر تفسير الرازي 26 / 11 ، وتفسير القرطبي 14 / 334 ، والتحرير والتنوير / ابن عاشور 22 / 280

ولم يذكر لفظ الملح في القرآن إلا في هاتين الآيتين من سورة الفرقان وفاطر أمـــا إن كـــان الأمر على الماء المالح فكل آية تحدثت عن البحر فقد تضمنت في معناها الملح، و يـــصعب في هذا المقام المختصر التعرض لآيات البحر هنا لكثرتها في القرآن وعدم مباشرة اللفظ فيه.

سابعاً: المواصلات البحرية و- السفن -

" لو عدنا بالتاريخ إلى أيام الإنسانية ربما استطعنا أن نتخيل الإنسان البدائي، وهـــو يكتـــشف الوسيلة الأولى في النقل المائي، عندما وضع جثة أي حيوان تمكن من اصطياده فوق جـــذع شجرةٍ عائم أو جذعين استطاع أن يربطهما معاً بحبال من الليف أو القش وقد تبين الإنـــسان البدائي أنه يستطيع بهذه الطريقة أن ينقل أشياء ثقيلة قد يعجز عن نقلها وحده بلا مساعدة من شخص أو وسيلة."[1]

" وظل الإنسان يتطور حسب احتياجاته وإمكانياته المتاحة على مر الزمن حتى صنع السفينة الشراعية، وبدأت تجوب هذه السفن أرجاء البحار والمحيطات حتى أصبحت البحـــار والمحيطات طرقاً بحرية للتجارة الدولية، وأصبحت السفن ولنقل المسافرين من بلد إلـــى بلـــد بأغراض السياحة والحج والغزو والحرب، حتى أصبحت هناك الأساطيل التجارية والحربيـــة والغواصات في أعماق البحار ووسائل النقل البحري المختلفة."[2]

---

* الترب: التراب ، والمفايل: اللاعب من الصبيان يدفن شيء في التراب ثم يقسمه إلى قسمين ثم يسأل في أي الأقسام هو فإن أخطأ يقال له خاب فالك واللعبة تسمى المفايلة ــ الموسوعة الشعرية للمجمع الثقافي ــ .

(1) اقتصاديات النقل البحري / كارلين أولولين؛ ترجمة مختار السويقي ص 13 . ــ ط2 . ــ القاهرة، مطابع مدكور 1979، وانظر جغرافية البحار والمحيطات / مهدي علي ص 384 .

(2) انظر المصدر نفسه ص 14

ويعتبر الفينيقيون والعرب والمصريون القدماء واليونانيون من أقدم شعوب العالم ركوباً للبحر، فقد كان للعرب من سكان الجزيرة العربية حصة في الملاحة، وخدمة عملية النقل البحري في البحر الأحمر، منطلقين منه نحو البحر العربي والمحيط الهندي، فأحسنوا صناعة الزوارق والسفن، واستنباط الأجهزة والتسميات البحرية حيث أن (أمير البحر) هذه التسمية أخذت من العربية التي كانت شائعة الاستعمال وقد أصبح العرب سادة وأساتذة العالم في الملاحة حيث ذكر ذلك في شعرهم حيث قال الشاعر طرفة بن العبد من البحرين بقوله :

عَدُولِية أو من سَفِين بن يامِن　　　يجور بها الملاّح طوراً ويهتدي

يشق حَبَابَ الماء حَيْزُومُها بها　　　كما قسم التُّرب المفايل باليد *

وزادت اهتمامات المسلمين في صدر الإسلام فتوغلوا في البحر الهندي والأطلسي حتى أصبح البحر المتوسط بحيرةً إسلامية حتى سنة 1492 م .

وقد أنشأت الموانئ في المناطق الساحلية الواسعة التي تبنى اصطناعياً بغية استقبال السفن البحرية أو المحيطية، أو نقطة انطلاق السفن إلى عرض المحيطات والبحار لخدمة حركة المواصلات والتجارة البحرية بكافة خدماتها، فتعددت أغراض وتخصص الموانئ حسب ما تقدم من خدمات بحرية مثل: الموانئ التجارية، والحربية، والصيد، والنفط، والغاز، والتزود بالوقود، والمرور، والتخزين، وأخيراً الميناء الحر .

وهناك مناطق بحرية ساحلية تتصف بالعمق والبعد عن التأثيرات الموجية البحرية، وتتسم بموقع طبيعي يصلح لاستقبال سفن وإقلاعها بسهولة تسمى المرافئ .(1)

لقد ذكرت كلمة السفينة في القرآن أربعة مرات ثلاث منها في سورة الكهف وواحدة في سورة العنكبوت ووردت السفن بلفظ آخر وهو الفلك ثلاث وعشرون مرة وكذلك بلفظ آخر وهو الجوار مرتين مرة في الشورى ومرة في الرحمن بلفظ الجمع أما في الحاقة فلقد جاءت بلفظ المفرد مرة واحدة.(2)

وبالنظر إلى الألفاظ التي ذكرها القرآن في معنى السفينة وهي: الفلك، والجواري، نجد بينها تقارب شديد في المعنى فكتب اللغة ذكرت أن معناها واحداً كلها تدل على السفينة ولكن بالرجوع إلى أصل الكلمات وجدت أن السَّفْن يدل على تنحية الشئ عن وجه الشئ كالقشر.(3)

---

(1) انظر جغرافية البحار والمحيطات / مهدي محمد علي ص 350 – 355 .

(2) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي في الصفحات التالية 352 – 526 – 168

(3) معجم مقاييس اللغة / لابن فارس ص 482 قاله ابن فارس .

وقال السمين الحلبي:" هو نحت ظاهر الشئ مثل سفن العود والجلد وسفن الرمح .[1]

وهذا ينطبق على حركة السفينة داخل الماء، فهي تقشط وتقشر وجه الماء قشراً بمقدمها فتصبح كالإسفين تشق الماء شقاً وكذلك الجارية فلفظها دال على حركة السفينة في الماء فهي تنساح داخل الماء انسياحاً فقد قال ابن فارس: الجيم والراء والياء أصل واحد وهو انسياح الشيء يقال جرى الماء جرياناً وجرياً فأما السفينة فهي الجارية .[2]

"وأما الفلك فالفاء واللام والكاف أصل صحيح يدل على استدارة الشيء من ذلك فلكة المغزل وأما السفينة فتسمى فلكاً ويقال أن الواحدة والجمع فيهما سواء، ولعلها تسمى فلكاً لأنها تدور في الماء ".[3]

فالسفينة تدور في الماء بسهولة ويُسر فكانت التسميات تدل على نوع وطبيعة الحركة داخل الماء حتى أن الآيات القرآنية ذكرت أكثر من طريقة لسير السفينة في الماء .

فقال تعالى:﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ**﴾[4]

وقال تعالى:﴿ **وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ**﴾[5] وقال تعالى:﴿ **رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ**﴾[6] فجاءت الأفعال بالإزجاء وهو السير البطئ بيسر ولين ثم الجري وذلك أسرع وأقوى ثم المخر و هو أقوى وأعنف فمن هنا نتبين كيف أن القرآن فرق في تعبيره عن حركة السفينة في الماء بهذه السرعات الثلاثة المتفاوتة في الكم والنوع وذلك من إعجاز القرآن وبلاغته التي تبقى على مر الزمان .

ولما عبر القرآن عن المنافع التي ينعم بها البشر بهذه السفن فذكر الشحن إذ قال ﴿**إذ أبق إلى الفلك المشحون**﴾ أي المملوءة يقال شحنت السفينة أي ملأتها.[7]

مبيناً بذلك أحد المنافع وهي الشحن حتى أننا نجد الآن في قرننا هذا سفناً خاصة في شحن البضائع أوالبترول ويعبر القرآن مرة بلفظ الحمل قال تعالى:﴿ **وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ**

---

(1) انظر عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 2 / 233 ، ولسان العرب ابن منظور 13 / 209 ومختار الصحاح/ أبو بكر الرازي ص 127 .

(2) معجم مقاييس اللغة / لابن فارس ص 211 .

(3) المصدر السابق ص 819 ، واسان العرب / ابن منظور 10 / 479 ، ومختار الصحاح / للرازي ص 214 .

(4) سورة ابراهيم: آية / 22

(5) سورة النحل: آية / 14

(6) سورة الإسراء: آية / 66

(7) عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 2 / 292 .

تُحْمَلُونَ﴾[1] وقد قرنها الله هنا بالأنعام التي تحمل الناس ومتاعهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس فقال عن ذلك في سورة الزخرف ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ**﴾[2] وكذلك ابتغاء الفضل من الله وهو الذي أفردناه في بند التجارة كذلك الصيد واستخراج اللؤلؤ والمرجان كل هذه منافع جعلها الله سبحانه وتعالى في الفلك لغاية وهي ﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[3] وتحدث القرآن عن مهنة الملاحة في آية الكهف فقال: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ**﴾[4]

ويقول أهل التفسير: أن هؤلاء المساكين الذين يعملون على هذه السفينة هم ضعفاء يعملون بأجرة، ومنهم من قال أنهم يملكون هذه السفينة، أو أنهم كانوا تجاراً ولكن من حيث هم مسافرون عن قلة في لجة البحر، وبحال ضعف عن مرافعة خطب عبر عنهم بمساكين قاله القرطبي[5] أو أن تلك السفينة لأقوام محتاجين متعايشين بها في البحر والله تعالى سماهم مساكين كما قاله الرازي [6]

وجمع أبو حيان بين القولين .[7] وقال العلامة ابن عاشور: والمساكين هنا بمعنى ضعفاء المال الذين يرتزقون من جهدهم ويرق لهم لأنهم يكدحون دهرهم لتحصيل عيشهم ... وكان أصحاب السفينة هؤلاء عملة يأجرون سفينتهم للحمل أو للصيد.[8]

وخلاصة القول أن أصحاب السفينة كانوا يعملون في الملاحة في البحر على ظهر سفينتهم كما تفيد الآية بلفظها ومعناها ونكتف بهذه الآية مثالاً يبيّن القرآن فيه العمل في البحر والملاحة فيه .

ثامنا: السدود والكهرباء

إن من نعم الله التي اكتسبها الإنسان بفضل تعليم الله له، لإستنباط المنفعة من خلال الاستفادة من موارد المياه، فالأمر يدخل فيه فعل البشر للاستفادة مما أوجد الله في الطبيعة من طاقة

(1) سورة غافر: آية / 80

(2) سورة الزخرف: آية / 12

(3) سورة فاطر: آية / 12

(4) سورة الكهف: آية / 79

(5) تفسير القرطبي 11 / 34 .

(6) تفسير الرازي 21 / 160 .

(7) تفسير البحر المحيط / أبو حيان 6 / 145 .

(8) تفسير التحرير والتنوير / ابن عاشور 16 / 11 .

كامنة مهدورة يجدها الإنسان لخدمته من الظواهر الطبيعية وما يقيم عليها من منشآت ألا وهي السدود والكهرباء المتولدة من الانتفاع بهذه السدود أو بالشلالات الطبيعية المعترضة مجرى الأنهار .

وبداية نتحدث عن السدود ومنافعها الاقتصادية وما ذكر في القرآن عنها من أشكال .

" **السد:** السين والدال أصل واحد وهو يدل على ردم شئ وملائمته من ذلك سددت الثلمة سداً وكل حاجز بين شيئين سدّ "[1]

" **السُدُّ:** بالضم الجبل والحاجز ما كان مخلوقا لله تعالى وبالفتح من فعلنا والجمع سُدود."[2]

السد بناءٌ يشيد عبر النهر ليحجز المياه وتتفاوت أحجام السدود ما بين ترابية أو حجرية صغيرة أو سدود شاهقة من الخرسانة بعلو ناطحات السحاب اضطر الناس إلى تخزين المياه خلال مواسم الأمطار بكميات وفيرة تفي بحاجتهم وحاجة حيواناتهم وزروعهم في فترات الجفاف.[3]

عمل السدّ: يحبس السدّ الماء في المجاري والأنهار التي يشيد عليها بحيث تتكون خلفه بحيرة أو مخزون كبير من الماء قد يعلو منسوبه إلى ارتفاع السد نفسه . كما تتدفق كميات من المياه

المخزونة من خلال تربينات مائية فتتولد الطاقة الكهربائية المستخدمة في البيوت والصناعات.

ولم يتحدث القرآن عن السدود المائية بشكل مباشر بلفظ السد إنما ذكر هذا اللفظ في قصة ذي القرنين ولم يقصد به سداً مائياً يحجز الماء إنما هو سد ردم يحول بين يأجوج ومأجوج الظالمين حتى لا يؤذوا غيرهم من الأقوام المجاورة فقال تعالى: ﴿**قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾[4] فرد عليهم ذو القرنين بقوله: ﴿**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا(95)ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا(96)فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾[5]

---

(1) معجم المقاييس في اللغة / ابن فارس ص 477 ، وانظر لسان العرب / ابن منظور 3 / 207

(2) القاموس المحيط / الفيروزأبادي ص 367 .

(3) الموسوعة العربية العالمية 12 / 206 .

(4) سورة الكهف: آية / 94

(5) سورة الكهف: آية / 95 – 97

قد ينشأ هنا سؤال لماذا نذكر هذه الآيات وهي لا علاقة لها كما ذكرنا سابقاً بالسد المائي ؟
يرى الباحث: إن القرآن في هذه الآيات عرف السد تعريفاً جليا حيث وضح أنه حاجز بين سدين أو جبلين أو صدفين ﴿**إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ**﴾ وكذلك بيّن كيفية بناء هذا السد وذكر بطريقتين وهما الردم والثانية السد المعدني المكون من سبيكة الحديد والنحاس صنعه ذو القرنين وهذا واضح جلي في الآيات .
وهناك طرق كثيرة لأنواع السدود وإقامتها(1) ، وما ذكره القرآن من هذه الأنواع والطرق وهي السد الردمي والسد الفولاذي المعدني .
وأما ما ذكره القرآن حول السد المائي هو ما تحدث به القرآن عن سد مأرب وقصة سبأ حيث بين أنه قد جاء قوم سبأ سيلٌ عظيم سماه القرآن الكريم **بالسيل العرم** بقوته وشدته حيث قال تعالى: ﴿**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾ (2)

" وقد اختلفوا في **العرم** فقال ابن عباس هو اسم الوادي وقال مجاهد هو اسم السد وقال أبو عبيدة والكسائي هو المسناة وقال جعفر هو اسم الجرذ الذي ثقب السد وسيل العرم مثل في الدواهي العظام التي تفرق الناس وتمزقهم كما يقال للقوم إذا تفرقوا بهلاك بعضهم وانتشار آخرين ذهبوا أيدي سبأ." (3)

يقول الإمام الطبري: فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسليا سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول، والعرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة، وعن قتادة ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾ ذكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع إليهم مسايل من أودية شتى

---

(1) أنواع السدود: أقام الناس أنواعاً كثيرة من السدود خضع كل واحد منها للظروف الخاصة بالموقع المقام عليه، ونوع المواد المتاحة لتشييده . ففي الأماكن التي تتوفر فيها يصبح بناء السدود ذات حشوة صخرية أو سدود حجرية، ذات جدوى اقتصادية مجزئة. كذلك تبنى السدود الخشبية حيث تتوافر جذوع الأشجار وكثر استخدام الخرسانة إلا أن نقل موادها كالحصاد والرمل والإسمنت غير المتوفرة في موقع البناء يشكل عبءًا مالياً ضخماً وقد برهنت السدود الترابية على مزايا اقتصادية كبيرة. كما أن بناء السدود المفرغة في بعض المواقع يوفر مواد البناء وهناك السدود المعقودة الضيقة في الوديان الصخرية محدودة الاتساع أو الأنواع المصنوعة من الفولاذ وكلها اقتصادية التكلفة. وحتى لا نطيل في الشرح نكتفي بذكر الأسماء والأنواع مثل السدود المفرغة التي بها تجاريف، والسدود البنائية ذات الأكتاف أو ما يعرف بالسد المسطح، والسدود المتعددة العقود، والسدود الجسرية. والسدود الترابية وغيرها. انظر الموسوعة العربية العالمية 14 / 207 – 208 .

(2) سورة سبأ: آية / 16

(3) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري ت: 429؛ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الناشر ،دار المعارف سلسلة ذخائر العرب رقم 57 القاهرة بدون طبعة وبدون سنة ص 568 .

فعمدوا وسدوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا عليه أبواباً وكانوا يأخذون من مائه مـا احتاجوا إليه، ويسدون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئاً[1]

قال القرطبي: العرم فيما روي عن ابن عباس السد ويقول القرطبي فردموا ردماً بين جبلين وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض فكانوا يسقون من الأعلـى ثـم الثاني ثم الثالث على قدر حاجتهم فخصبوا وكثرت أموالهم فلما كذبوا الرسول سلط الله عليم الفأرة فنقب الردم .[2]

وذكر ابن حجر في فتح الباري المسناة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد المراد بها ما يبنى في عرض الوادي ليرتفع السيل ويفيض على الأرض كأنه أخذ من عرامة الماء وهو ذهابه كـل مذهب وقال الفراء العرم المسناة وهي مسناة كانت تحبس الماء على ثلاثة أبواب.... [3]

وبعد هذا الذكر لما اختلف فيه من معنى سيل العرم .

يرى الباحث: إن معنى العرم هنا اسم السد الذي بناه ملوك سبأ على أعظم الأوديـة عنـدهم حتى يحجزوا مياهها ليرتفع بها، فجاءها أمر الله بطريقته الربانية في الإغراق فأصبح المـاء نقمة بعدما كان نعمة، حيث جاءهم ماء عظيم لم يستطع السد تحمله بعد فتـرة طويلـة مـن الزمن لضعفه فانهار السد وردم التراب بيوتهم واقتلع جنتيهم وتفرقوا أيدي سـبأ، ولا داعـي للتفسيرات التي تذكر الجرذ، وما يشعر بها من أساطير لا تقوى على أن تكون حجة أو دليـل والله تعالى أعلم .

وبعد أن انتهينا من العرض والحديث عن السد وسيل العرم أقول: إن هـذه السـدود التي يقيمها الإنسان على مجاري الأنهار والوديان لها أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية مثل ري الزراعة، واستصلاح الأراضي الصحراوية الصالحة للزراعة، ولكن ينقصها الماء كذلك حماية القرى والمساكن على ضفاف الأنهار من خطر الفيـضانات وتنظـيم عمليـة الـري واستهلاك الماء بشكل متواصل متوازن، وكذلك لتحسين وضع الملاحة في الكثير من الأنهار التي يقل منسوب المياه فيها للملاحة، ونصل إلى منفعة جليلة أصبحت من ضرورات الحيـاة البشرية في البيوت والمصانع، ألا وهي توليد الكهرباء من هذه السدود التـي تحجـز خلفهـا الكميات العظيمة من المياه فتنقل من خلال فتحات خاصة لتوليد الكهرباء .

ولا يقتصر توليد الكهرباء عل المياه الساقطة من السدود بل هناك مـصادر طبيعيـة أخرى مثل الشلالات، والشلال هبوط مفاجئ لنهر أو جدول وتحدث عادةً حيث يعبـر النهـر

---

(1)انظر ابن جرير الطبري 22 / 72 – 79 .

(2) تفسير القرطبي 14 / 285 .

(3) فتح الباري/ لابن حجر 8 / 536 .

صخور صلبة تقاوم التعرية الجوية تحدث مظاهر مماثلة تسمى منحدرات الماء في قطاعات أنهار حيث يزداد الانحدار وينساب الماء أسرع من المعتاد ومن أشهر الشلالات الموجودة في العالم شلالات فكتوريا على حدود دولة زامبيا وزمبابوي بمجموع سقوط 979 متر أعلى شلالات العالم ، وشلالات جافرني في فرنسا 610 متر .[1]

لو تدبرنا القرآن وتفحصنا آياته لا تجد ذكراً للكهرباء باسمها المعروف الآن ولفظها بل نجد ذكراً بالمسبب الذي يسبب ما يسمى اليوم بالكهرباء الجوية وهو اصطكاك وتصادم الغيوم والبرق في السماء حيث قال تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**﴾[2]

" والقرآن الكريم يقرر في بساطة علمية معجزة أن البرد هو المسؤول عن تلك الشحنات الكهربائية التي تسبب عواصف البرق والرعد، الذي كانت من أهم ميادين البحث والتنقيب خلال عشرات السنين، وظهر في هذا السبيل العديد من النظريات، حتى انتهي العلماء إلى تلك الحقيقة التي قررها الحكيم الخبير في كتابه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، ولا يقف الإعجاز العلمي للآية السابق عند هذا الحد بل نجدها تربط بين البرد والبرق .

وعندما يقوى الهواء على عزل الشحنة السالبة العليا عن الشحنة الموجبة في أسفل يحدث التفريغ الكهربائي على هيئة برق وينجم عن التسخين المفاجئ الذي يحدثه البرق في منطقة انبعاثه أن يتمدد الهواء فجأة ويتمزق محدثاً الرعد ... وما جلجلة الرعد إلا عملية طبيعية بسبب سلسلة الانعكاسات وقواعد السحب لصوت الرعد الأصلي، وقد يحدث في بعض العواصف أن يتكرر حدث التفريغ الكهربائي مع أي جسم مرتفع عن سطح الأرض فأنه يسمى صاعقة."[3] ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ [4]

المطلب الثالث: الأهمية السياسية والحربية للماء

---

(1) انظر الموسوعة 14 / 234 – 235 .

(2) سورة النور: آية / 43

(3) الإعجاز العلمي في الإسلام القرآن كريم / محمد كامل عبد الصمد ص 111 – 112. ـــ ط4 . القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 1997م .

(4) سورة البقرة: آية / 19

أولاً: من ضرورات المعركة

لما كان الماء هو حياة البشر ولا يستغني عنه في حال السلم والرخاء،وفي حال الحرب أشد حاجة وأكثر ضرورة، فهو من أساسيات وضرورات المعركة يتجلى ذلك في القرآن عند حديث رب العزة عن غزوة بدر، وكيف كانت التكتيكات والتجهيزات التي سبقت المعركة تعتمد على التمكن من الماء وحرمان العدو منه يقول تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾[1]

لقد علم الله بعلمه وحكمته أن المسلمين في ضيق وحرج مما أصابهم من ملاقاة ذات الشوكة، وهي مقاتلة قريش بقدها وقديدها، وما علم من حرج المسلمين حينما أصابتهم الجنابة، وعلموا أن القوم قد سبقوهم إلى الماء، وبدأ الشيطان يوسوس لهم، وأن هناك بينهم وبين بدر أرضاً رملية لا تساعدهم على الحركة والمشي، اقتضت حكمته وقدرته ورحمته أن تنزل عليهم الماء من السماء حتى يرفع عنهم كل هذا العنت الذي ذكرت. أنزل الله الماء جندياً من السماء كأنه جنديٌ يقاتل معهم ويمهد للمعركة، حيث زلزل أقدام الكفار فلم تثبت أقدامهم لحظة نزول المطر فلم يتقدموا اتجاه المسلمين .

سبحانه وتعالى هو العليم بشئونهم وحاجتهم للنصر بالماء فنصرهم به وأصلح حالهم.
يقول الرازي:" ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ**﴾ أي من قبل الله، واعلم أن كل نوم ونعاس فإنه لا يحصل إلاّ من قبل الله تعالى فلولا حصول هذا النعاس وحصول الاستراحة حتى يتمكنوا في اليوم الثاني من القتال لما تم الظفر وكذلك فقد غشيهم هذا النعاس دفعةً واحدة مع كثرتهم ، وحصول النعاس للجمع العظيم في الخوف الشديد أمرٌ خارق للعادة لذلك كان هذا النعاس في حكم المعجز."[2]

"من أنواع نعم الله تعالى المذكورة في قوله سبحانه تعالى ﴿**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ**﴾ ولا شبهة أن المراد منه المطر.... وعظمة النعمة به من جهات:
أحدها: زوال العطش، فقد روي أنهم حفروا موضعاً في الرمل فصار كالحوض الكبير اجتمع فيه الماء حتى شربوا منه وتطهروا وتزودوا .

---

(1) سورة الأنفال: آية / 11

(2) انظر تفسير الرازي 15 / 136 – 137 .

وثانيها: أنهم اغتسلوا من ذلك الماء وزالت الجنابة عنهم وقد علم أن المؤمن يكاد يستقذر نفسه ويغتم إذا لم يتمكن من الاغتسال ويضطرب قلبه لأجل هذا السبب ولذلك عد الله تعالى تمكينهم من الطهارة من جملة نعمه.[1]

" والمدد على هذا النحو مددٌ مزدوج: مادي وروحي. فالماء في الصحراء مادة الحياة، فضلاً على أن يكون أداة النصر. والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يواجه المعركة. ثم هذه الحالة النفسية التي أصابت الموقف ووسوس بها الشيطان! حالة التحرج من أداء الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء. و{ ولم يكن قد رخص لهم بعد في التيمم، فقد جاء هذا متأخراً في غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة } .

وهنا تثور الهواجس والوساوس، ويدخل الشيطان من باب الإيمان ليزيد حرج النفوس ووجل القلوب أو النفوس التي تدخل المعركة في مثل هذا الحرج وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزعةً مهزومة من داخلها ... وهنا يجيء المدد وتجيء النجدة ويتم المدد الروحي بالمدد المادي؛ وتسكن القلوب بوجود الماء وتطمئن الأرواح بالطهارة؛ وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال."[2]

ولقد وصف منير الغضبان هذا الماء النازل من السماء بأنه جندي من جنود الله جعل له وظائف أربعة ألا وهي الشرب والتطهر وصرف رجز الشيطان عنهم والربط على القلوب من الخوف وتثبيت الأقدام على الرمال.[3]

وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة النبوية أن الحُباب بن المنذر بن الجموح قال يا رسول الله ﷺ ، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه، ولا أن نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة ! فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم، فننزله، ثم نغوّر ما وراءه من القلب [4] ثم نبني عليه حوضاً، فنملأه بالماء، ثم نقاتل القوم، نشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله: ﷺ لقد أشرت بالرأي فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا

---

(1) تفسير الفخر الرازي 15 / 136 – 137 .

(2) في ظلال القرآن / سيد قطب 3 / 118 – 819 .

(3) المنهج التربوي للسيرة النبوية / منير محمد الغضبان ص 75 .– ط1 . ــ الأردن ، مكتبة المنار 1991م.

(4) القلب: جمع قَلِيب وهو البئر لسان العرب / ابن منظور 1 / 688 .

أتي أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلب، وبني حوضاً على القليب الذي نـزل عليه فملئ ماءً ثم قذفوا فيه الآنية [1]

وقد علق المبارك فوري على هذا العمل الذي فعله الرسول والصحابة بقوله: { ***الجيش الإسلامي يسبق إلى أهم المراكز العسكرية*** } [2] فقد اعتبر سبق المسلمين إلى الماء وتغوير الآبار بمشورة الحُباب بن المنذر أنه فعل ورأي خبير عسكري حنكته التجارب والأيام ومن خلال ما بيناهُ سابقاً تظهر أهمية الماء وحاجة الجيوش له ومما يؤكد ذلك العلوم العسكرية الحديثة حيث " قامت إدارة المهمات في الجيش المصري قبل حرب العاشر من رمضان بتغيير زمزمية المياه التي يحملها الجندي لكي تصبح سعة لترين ونصف بدلاً من القديمة التي كانت تسع ثلاث أرباع اللتر من الماء حتى يكون مع الجندي ما يكفيه من المياه لمدة يوم كامل."[3] ولما كان هذا هو الحال تبين لنا مدى أهمية وضرورة الماء للجيوش في المعارك من خلال القرآن ومن خلال السياسات الحربية للجيوش الحديثة .

ثانياً: الماء مانع أمام الجيوش

ولما تبين في أهمية وضرورة الماء للمعركة، نجد أنفسنا أمام دور آخر يلعبه الماء في المعارك الحربية ألا هو كونه مانعاً أمام الجيوش للتقدم أو الانسحاب أوالفرار؛ وما يحتاجه من عبور معدات وإمكانات كبيرة .

وقد كان البحر عائقاً أمام سيدنا موسى، عندما هرب ببني إسرائيل من فرعون ووقف أمام البحر لا يتجاوزه، وفرعون من وراءهم حتى "بلغ الكرب مداه ،وإن هي إلا دقائق تمر ثم يهجم الموت ولا مناص! ولكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه، لا يشك لحظة وملء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة وإن كان لا يدري كيف تكون. فهي لا بد كائنه والله هو الذي يوجهه ويرعاه " ﴿**قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [4] .... وفي هذه اللحظة

---

(1) السيرة النبوية / لابن هشام ؛حققها وضبطها ووضع فهارسها مصطفى السقا ابراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي بيروت ،الدار الثقافية العربية 1 / 620 .

(2)الرحيق المختوم / صفي الرحمان المبارك فوري دار إحياء التراث ص 302 .

(3) المعارك الحربية على الجبهة المصرية / جمال حماد ص88. ـ ط1 . ـ الزهراء للإعلام العربي 1989 – 1409هـ.

(4) سورة الشعراء: آية / 62

الأخيرة ينبثق الشعاع المنير في ليل اليأس والكرب، وينفتح طريق النجاة من حيث لا يحتسبون ."[1]

إن قصة نجاة موسى عليه السلام وغرق فرعون وجنوده بيّن لنا كيف كان البحر بدايةً حاجزاً أمام سيدنا موسى ثم جاءت المعجزة الربانية وانشق البحر ثم أصبح مهلكةً لفرعون وجنده وسوف نتدبر النص الكريم حتى نتبين ما به من إعجاز وبلاغة وحكمه، ونشاهد من خلاله معركة بين الحق والباطل كان الماء أحد جنودها .

النص الكريم لمشهد المعركة:

﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ(60)فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(61)قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ(62)فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ(63)وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ(64)وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ(65)ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ(66)إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(67)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(68)﴾[2]

لما ظهر أمر موسى ـ عليه السلام ـ بما شاهدوه من الآية – آية العصا مع السحرة في الفقرة السابقة من السورة – أمره الله تعالى بأن يخرج ببني إسرائيل لما كان في المعلوم من تدبير الله لموسى وتخليصه من القوم وتمليكه بلادهم وأموالهم .

فلذلك أمره الله تعالى أن يسري ببني إسرائيل وهم الذين آمنوا وكانوا من قوم موسى.[3]

شرح الآيات:

أما قوله:"﴿**فَأَتْبَعُوهُمْ**﴾ أي فلحقوهم، وقوله: ﴿**مُشْرِقِينَ**﴾ داخلين في وقت الشروق من أشرقت الشمس شروقاً إذا طلعت " .[4]

"﴿**فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ**﴾ أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرؤية."[5]

﴿**قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ "قال ابن عباس: لما انتهى موسى إلى البحر، وهاجت الريح العاصف، فنظر أصحاب موسى خلفهم إلى الريح، وإلى البحر أمامهم ﴿**قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾."[1]

---

(1) في ظلال القرآن / سيد قطب 6 / 212 .

(2) سورة الشعراء: آية / 60 – 68

(3) انظر تفسير الرازي 28 / 136 .

(4) نفس المصدر السابق 24 / 138 .

(5) تفسير القرطبي 13 / 106 .

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾[2] كانوا يذبحون أبناءنا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يدركوننا، أي في الساعة فيقتلوننا .

ومن صورة هذا المشهد الرهيب يتبين لنا كيف كان البحر يقف أمام سيدنا موسى وقومه حاجزاً مانعاً يحول بينهم وبين الخلاص من فرعون وجنوده، فلولا لطف الله بهم وهداية موسى، وأمر الله بفلق البحر لكانوا مدركين حقاً بلا أدنى شك في ذلك، ولكنها الرعاية الإلهية لموسى وقومه ﴿قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ " فعند ذلك قال لهم كلا وذلك كالمنع مما توهموه، ثم قوى نفوسهم بأمرين :

أحدهما:﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ وهذا دلالة النصرة والتكفل بالمعونة.

والثاني: قوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ والهدي هو طريق النجاة والخلاص، وإذا دله على طريق نجاته وهلاك أعدائه، فقد بلغ النهاية في النصرة."[3] "فلما عظم البلاء على بني اسرائيل، ورأوا من الجيوش مالا طاقة لهم به، أمر الله تعالى موسى –عليه السلام– أن يضرب البحر بعصاه، وذلك أنه عز وجل أراد أن تكون الآية متصلة بموسى ومتعلقة بفعلة؛ وإلا فضرب العصا ليس بفارق البحر، ولا معين على ذلك بذاته إلا بما افترق به من قدرة الله تعالى واختراعه."[4] قال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ " فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فضربه وقال انفلق بإذن الله ... ففيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق."[5]

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ أي قربنا فرعون وجنوده من البحر وجمعناهم وأدنيناهم إليه .[6]

وأضاف الرازي قائلاً " قال ابن عباس وابن جريج وقتاده والسدى ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ أي وقربنا أي حيث انفلق البحر للآخرين قوم فرعون ثم فيه ثلاثة وجوه .

أحدها: قربناهم من بني إسرائيل .

ثانيها: قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد

ثالثها: قدمناهم إلى البحر"[7]

---

(1) تفسير الطبري 19 / 79 .
(2) سورة الأعراف: آية / 129
(3) تفسير الفخر الرازي 24 / 138 .
(4) تفسير القرطبي 13 / 106 – 107 .
(5) تفسير ابن كثير 3 / 337 .
(6) انظر تفسير ابن كثير 3 / 338 .
(7) تفسير الرازي 24 / 139 .

يرى الباحث: كل هذه الوجوه تحتملها الآية مجتمعة ﴿**وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ(65)ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ**﴾

" فالمعنى أنه تعالى جعل البحر يبساً في حق موسى وقومه حتى خرجوا منه وأغرق فرعون وقومه لأنه لما تكامل دخولهم البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا في ذلك الماء."(1)

وهكذا كان البحر بعد المعجزة الربانية سبباً في هلاك فرعون وهزيمته في المعركة حيث غرقوا جميعاً بإطباق البحر عليهم بقدرة الله تعالى فوقف هذا الماء مانعاً طبيعياً حتى أصبح مقبرة لهم .

والتاريخ القديم والحديث يحدثنا عن الماء كحاجز أمام الجيوش يعتصم بها كما قال سعد بن أبي وقاص ﷺ عندما أراد فتح المدائن. ونسوق النص من كتاب البداية والنهاية .

" لما فتح سعد نهر شير واستقر بها، وذلك في صفه لم يجد فيها أحداً ولا شيئاً مما يغنم بل قد تحولوا بكما لهم إلى المدائن وركبوا السفن وضموا السفن إليهم، ولم يجد سعد ﷺ شيئاً من السفن وتعذر عليه تحصيل شئ منها بالكلية، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة وأسودّ ماؤها، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها، وأخبر سعد بأن كسرى يزدجرد عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن، وأنك إن لم تدركه قبل ثلاث فإن عليك تدارك الأمر .

فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة، فحمد الله وأثني عليه وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فينا وشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل. فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول: من يبدأ فيحمي لنا الفراض . يعني ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى ليجوز الناس إليهم آمنين ."(2)

وشاهدنا في هذه الرواية أن الفُرس قد اعتصموا خلف نهر دجلة حتى يحول بينهم وبين جيش المسلمين وكذلك اتخذوه عائقاً أمام تقدم سعد ﷺ إلا أن الإيمان واليقين بالله وبنصره وحب الشهادة في سبيل الله كان حافزاً قوياً لخوض النهر وكان النصر حليف الإسلام وجنده وكانت الهزيمة والخذلان نصيب الكفار الجبناء عباد النار من الفرس المجوس.

---

(1) تفسير الرازي 14 / 140 .

(2)نكتفي بهذا القدر من الرواية فقد ساق ابن كثير الموضوع بتفاصيله فمن أراد المزيد فليرجع إليه، البداية والنهاية / ابن كثير، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح 7 / 61 . ـ ط1. ـ القاهرة، دار الحديث ، 1992 ، وتاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك / محمد بن جرير الطبري 310 هـ ؛تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . ـ ط4 . ـ القاهرة دار المعارف سلسلة ذخائر العرب 9 / 430 .

ونذكر من التاريخ الحديث عبور الجيش المصري قناة السويس في العاشر من رمضان سنة 1396 هـ وفي السادس من أكتوبر 1973 مـ حيث عبرت القوات المصرية هذا المانع المائي الذي تصور العدو أنه لا يقهر ولا يعبر لما كان علية من تحصينات خط برليف تسمى باسم رئيس أركان جيشهم أنذاك وهو حاييم برليف حيث يصف ذلك المؤرخ العسكري جمال حمَّاد فيقول:" كانت القناة في حد ذاتها تعتبر مانعاً مائياً فريداً في طبيعته ولا تماثل غيرها من الموانع المائية في العالم. إذ كان عبور القوات المصرية لهذا المانع المائي الهائل الذي يواجهها أمراً يكاد يكون مستحيلاً سواء من جهة نظر الأصدقاء أو الأعداء .

قال موسى ديان[1]: في إحدى مناقشاته التي دارت في رئاسة الأركان الإسرائيلية حول احتمالات عبور المصريين للقناة قال في صلف وغرور " لكي يعبر المصريون قناة السويس فإنه يلزمهم سلاح المهندسين الأمريكي وسلاح المهندسين السوفيتي مجتمعين لمساعدتهم في ذلك "

وتعد القناة مانعاً صعباً نظراً لأن أجنابها حادة الميل ومكسوة بالدبش والحجارة لمنع انهيار الأتربة والرمال إلى القاع مما يجعل من الصعب على آية مركبة برمائية أن تعبرها إلا إذا نسف أكتاف الشاطئ وتجهز منزل ومطلع تستطيع المركبة البرمائية أن تستخدمه في النزول إلى الماء والخروج منه .

علاوة على ما كان في الجانب الآخر من ساتر ترابي إرتفاعه بين عشرين إلى خمس وعشرين متراُ في الأماكن المحتمل اختيارها للعبور؛ فكان هذا الساتر عائقاً مكملاً للعائق المائي عبر قناة السويس [2]

المطلب الرابع:الأهمية الاجتماعية

أولاً: حاجة المجتمع إلى الماء

قال تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شئ حي**﴾ إن هذه الآية الجامعة لكل مظاهر الحياة التي جعلت الماء سبباً في حياة الأحياء كلها، تبين لنا مدى حاجة المجتمع بشتى أشكاله وأنماطه وطبيعته الماء الذي بُث فيه سر الحياة العجيب، فالنبات والحيوان والإنسان لا غنى لهؤلاء جميعاً عن الماء ولو بحثنا عن كلمة تصدق على هذا المفهوم بدقة متناهية لم نجد أصدق من

---

(1) موسى ديان وزير دفاع الكيان الصهيوني في حرب أكتوبر 1971م .

(2) انظر المعارك الحربية على الجبهة المصرية ص 118 – 120 .

كلمة الإحياء التي عبر بها القرآن عن مدى ضرورة وحاجة المجتمع، بكل أحيائه إلى هذا الإحياء وإلا فلا حياة .

عبر القرآن عن إحياء الأرض والبلاد في كثير من المواقع من سوره الكريمة نذكر بعضها على سبيل المثال قال تعالى: ﴿**وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾[1] وقال كذلك:﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(9)وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(10)رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ**﴾[2] وهناك آية جامعة يقول فيها رب العزة:﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(48)لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا**﴾[3]

فقد جمعت هذه الآيات بين حياة النبات والإنسان والحيوان ففيهما الجمع بين صور الحياة كلها، ولذا أرى أن نأخذ هاتين الآيتين من سورة الفرقان نموذجاً وشاهداً كمثال عن هذا الغرض الخاص بحاجة المجتمع للماء . فالإنسان لا غنى له في حياته بجميع مظاهرها من زراعة أو صناعة أو تربية للحيوان عن الماء، فقد بينا في المطالب السابقة من خلال الأهمية الدينية والاقتصادية والحربية والسياسية حاجة المجتمع والإنسان للماء في تلك الجوانب سابقة الذكر ولأن في هذا المطلب نبين الأهمية الاجتماعية أو الدور الاجتماعي للماء، من خلال طبيعة الإنسان التي تحتم عليه أن يعيش في مجتمع متعاون، وفي جماعات يقوم كل منهم بدوره في هذا المجتمع، ولما كانت الدراسة والبحث في الجوانب القرآنية كان الاختيار لآيتي سورة الفرقان مثالاً نفسره ونفصل شاهده .

المناسبة:

ولما تحدث القرآن عن بعض الظواهر الطبيعية الكونية مثل الظل ومده وقبضه والشمس التي هي سبب؛ مع دوران الأرض في نشوء الليل والنهار ولما كان في النوم موات وفي النهار حياة ونشور ذكر الله سبحانه وتعالى ظواهر طبيعية أخرى تكون سبباً في موات وإحياء الناس والبلاد والعباد ألا وهي رحمة الله المنزلة من السماء بالماء الطهور .

يقول البقاعي: في نظم الدرر " ولما دل على عظمته بتصرفه في المعاني بالإيجاد والإعدام، وختمه بالإماتة والإحياء بأسباب قريبة، أتبعه التصرف في الأعيان بمثل ذلك دالاً

---

(1) سورة الزخرف: آية / 11

(2) سورة ق: آية / 9 – 11

(3) سورة الفرقان: آية 48 – 49

على الإماتة والإحياء بأسباب بعيدة، وبدأه بما هو قريب للطافته من المعاني، وفيه النشر الذي ختم به ما قبله"[1]

شرح الآيتين :

" اعلم أن الله تعالى ذكر من منافع الماء أمرين أحدهما ما يتعلق بالنبات والثاني ما يتعلق بالحيوان أما أمر النبات فقوله:﴿**لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**﴾ وفيه سؤالان:

السؤال الأول: لِمَ قال لنحي به بلدة ميتاً ولم يقل ميتة ؟

الجواب " لأن البلدة في معنى البلد في قوله: ﴿**فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ**﴾[2]

السؤال الثاني: ما المراد من حياة البلد وموتها ؟

الجواب الناس يسمون ما لا عمارة فيه " من الأرض مواتاً وسقيها المقتضي لعمارتها إحياءً لها.

وأما أمر الحيوان فقوله سبحانه ﴿ **وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا**﴾ وفيه سؤالان:

السؤال الأول: لم خص الإنسان والأنعام ههنا بالذكر دون الطير والوحش مع انتفاع الكل بالماء ؟ الجواب لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام لأنها قنية (أي تربية) الأناسي، وعامة منافعهم متعلقة بها فكأن الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام عليهم بسقيهم .

السؤال الثاني: ما معنى تنكير الأنعام والأناس ووصفهم بالكثرة ؟

الجواب معناه أن أكثر الناس يتجمعون في البلاد القريبة من الأودية والأنهار ومنافع المياه فهم في غُنية في شرب المياه عن المطر، وكثير منهم نازلون في البوادي فلا يجدون المياه للشرب إلا عند نزول المطر وذلك قوله تعالى: ﴿**لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**﴾ .

السؤال الثالث: لِمَ قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناس ؟

الجواب لأن حياة الأرض وسقي الأنعام سبب في حياة الإنسان فقدم السبب " [3]

" وقوله ﴿**لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**﴾ أي أرضاً قد طال انتظارها للغيث فهي هامدة لا نبات فيها ولا شئ، فلما جاءها الماء عاشت واكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان كما قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾[4] وقوله تعالى:﴿ **وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا**﴾ أي وليشرب منه الحيوان والأنعام وأناس محتاجين إليه غاية

---

(1) نظم الدرر/ 5 / 325 .

(2) سورة فاطر: آية / 9

(3) انظر تفسير الرازي 24 / 90 – 91 ، وانظرتفسير البحر المحيط / أبو حيان 6 / 463 .

(4) سورة الحج: الآية / 5

الحاجة لشربهم وزروعهم وثمارهم كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا**﴾(1)

وقال تعالى: ﴿**فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾(2) "(3)

ومما سبق من كلام أهل التفسير يتبين لنا مدى حاجة البلاد والعباد من نبات وحيوان وإنسان للماء من جميع مرافق الحياة وكلما تطورت الحياة البشرية احتاج الإنسان إلى الماء أكثر بالتقدم الصناعي فأغلب الصناعات تحتاج إلى المياه إما لدخولها كعنصر في الصناعة في تكوين المادة المصنوعة أو في تبريد الآلات .... أو غير ذلك .

ثانياً: تجمع الحضارات حول الماء .

" ولأهمية الماء كانت الحضارات القديمة على ضفاف الأنهار حيث الماء والزراعة وبتعاقب السنين والقرون زاد السكان وازداد اهتمام الإنسان بالماء فعمل على شق الترع ليوصل الماء إلى جهات أخرى لتعمر بالزراعة وانتاج الغذاء."(4)

" يقول الرازي: إن أكثر الناس يجتمعون في البلاد القريبة من الأودية والأنهار ومنافع المياه."(5)

ومن أمثلة الحضارات التي سادت وقامت حول منابع وأحواض الأنهار على سبيل المثال المصريون القدماء حول حوض نهر النيل وكذلك أهل بابل في العراق حول نهري دجلة والفرات حتى اعتبرت حدائق بابل المعلقة من عجائب الدنيا السبع. وكذلك الصين والهند وغيرها من الحضارات التي انتشرت واتخذت الأودية والأنهار موطناً لها حيث الزراعة وحيث الحياة مع الماء .

ولما أمر الله سيدنا إبراهيم أن يُسكِنَ زوجه هاجر وولده إسماعيل في الحجاز، وفي الوادي القفر حيث لا ماء ولا زرع بجوار بيته الحرام، نفّذ أمر الله وتوجه إليه بالدعاء لهم، أن تهوي إليهم جماعة من الناس تؤنس وحشتهم لعلمه أن الناس لا يجتمعون على غير الماء لحاجتهم له

---

(1) سورة الشورى: آية / 29

(2) سورة الروم: آية / 50

(3) تفسير ابن كثير 3 / 322 .

(4) الموارد المائية في الوطن العربي / عز الدين فراج ص 3 . ــ ط1 . ــ القاهرة ، دار الفكر العربي 1986 م.

(5) تفسير الفخر الرازي 24 / 91 .

فقدم لذلك بقوله: ﴿ **بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾[1]

وكأن حال سيدنا إبراهيم يقول: يا رب ابعث لهذا الوادي ما يجعله سبباً ورغبةً في سكناه حتى تهوي القلوب إليهم في هذا القفر المجدب .

إن الذي ينظر إلى مكة بجبالها ووديانها الجرداء التي لا تنفع لزرع ولا لصناعة، وكأن الله اختار لهذا البلد أن يعمل في مجال آخر، ألا وهو مجال الخدمات من تجارة وخدمة للمجتمع من سقاية وإطعام وضيافة، فكانت زمزم والبيت الحرام سبباً مغرياً ومشجعاً للسكن في جبال مكة الجرداء .

وسوف نتدبر النص الكريم من سورة إبراهيم قال تعالى:﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[2]

قصة هذه الآية:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَتْ إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ حَتَّى بَلَغَ يَشْكُرُونَ وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ قَدْ

---

(1) سورة إبراهيم: آية / 37

(2) سورة إبراهيم: آية / 37

أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَهْلَهُ وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنْ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا [1] أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ فَقَالَتْ نَعَمْ وَلَكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ ... ﴾ [2]

شرح الآية:

يقول الألوسي: إن سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ عندما قال: ﴿**بواد غير ذي زرع**﴾ المقصود وادي مكة ــ شرفها الله تعالى ــ ، وصفه الله بأنه غير ذي زرع للمبالغة لأن المعنى ليس صالحاً للزرع، وكان ذلك لحجريته ،[3]

وقال ابن عطية: وإنما لم يصفه عليه السلام بالخلو عن الماء مع أنه حاله إذ ذاك لأنه كان علم أن الله تعالى لا يضيع إسماعيل عليه السلام وأمه في ذلك الوادي وأنه سبحانه يرزقهما الماء فنظر عليه السلام النظر البعيد العاقبة [4]

وقال أبو حيان: وقد يقال: عن انتفاء كونه ذا زرع مستلزم لانتفاء الماء إذ لا يمكن أن يوجد زرع إلا حيث الماء فنفى ما يتسبب عن الماء وهو الزرع لانتفاء سببه وهو الماء [5].

وقوله تعالى: ﴿**فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**﴾ ذكر ابن الجوزي في زاد المسير عن ابن عباس قال: نحنُّ إليهم وقال قتادة تنزع إليهم وقال الفراء: تريدهم ... وقال معنى هذا الميل إليهم على قولين:

---

(1) جرياً: أي رسولاً ، النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير 1 / 264

(2) صحيح البخاري مع الفتح كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي رقم 3364 ، 6 / 396 .

(3) انظر روح المعاني/ الألوسي 13 / 237 .

(4) انظر تفسير المحرر الوجيز / ابن عطية 10 / 92 .

(5) انظر تفسير البحر المحيط / أبو حيان5 / 420 .

أحدهما: أنه الميل إلى الحج، قاله الأكثرون .

والثاني: أنه حُبُ السكن بمكة، رواه عطية عن ابن عباس وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، لحجه اليهود والنصارى ولكنه قال: من الناس .[1]

وقال البقاعي: ﴿**تهوي**﴾ أي تقصدهم فتسرع نحوهم برغبة وشوق إسراع من ينزل من حالق؛ وزاد المعنى وضوحاً وأكده بحرف الغاية الدال على بعد لأن الشيء كلما بعد مدى مرماه اشتد وقعه فقال:﴿**إليهم**﴾ ولما دعا لهم بالرزق المتضمن للدعاء بجيرانها فقال:﴿**وارزقهم**﴾ أي على يد من يهوى إليهم ﴿**من الثمرات**﴾ أي التي أثبتها في بلادهم وبين العلة الصالحة بقوله:﴿**لعلهم يشكرون**﴾ أي ليكون حالهم حال من يرجى شكرهم لما يرون من نعمك الخارقة للعوائد في ذلك الموضع البعيد عن الفضل لولا عنايتك فيشتغلوا بعبادتك لإغنائك لهم وإحسانك إليهم، وقد أجاب الله دعوته ."[2]

لقد استجاب الله دعوة سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ وأخرج الماء الذي هو سبب في نزول جرهم عند أم إسماعيل عليه السلام وتجمع الناس بعد ذلك وكثروا وخاصة عند بناء البيت وأمر الله الناس بالحج إليه .

وشاهدنا هنا كما أسلفنا أن كل التجمعات البشرية والحضارات تقوم حول الماء وبه .

المطلب الخامس: الأهمية الطبية

إن للماء أهمية كبيرة في مجال الطب والدواء فإن الماء مذيب جيد للكثير من المواد الكيميائية ولذلك فإنه يستخدم في الصناعات الدوائية فمثلاً محلول الجلكوز الذي يعطي للمرضى في المستشفيات هو ماء ومذاب فيه بعض الأملاح والأدوية مثل البنسلين ومشتقاته فإنها تحلل بالماء المقطر أو المغلي بعد تبريده. وغيرها مما نشاهد ونعايش في حياتنا اليومية .

"الماء نهر الحياة الدافق في عرق الإنسان حاملاً إلى كل خلية في جسمه أسباب بقائه بأكسجين، وغذاء، وهرمونات، ومواد المناعة، ودواء، وفيتامينات، وكل العمليات الحيوية في جسم الإنسان ــ بلا استثناء ــ لا تجري إلا بوجود الماء ...

---

(1) انظر زاد المسير/ ابن الجوزي 4 / 368 .

(2) نظم الدرر/ 4 / 192 .

والماء فعلاً هو أكسيد الحياة منذ البداية حتى النهاية فجسم الإنسان يحتوي أكثر من سبعين في المئة من وزنه ماء، وبمعنى آخر أن خمسين كيلو جراماً من وزن أي إنسان في المتوسط هي من الماء الصرف."[1]

وهذا يشير إلى مدى أهمية الماء كمادة حيوية للوجود والبقاء ... فإن غاب الماء عن الجسم فإنه يجف وترتفع حرارته، ويذبل ويموت .... وإذا كان الإنسان يمكنه البقاء حياً بدون طعام فترة طويلة فإنه لا يستطيع ذلك بدون الماء لبضعة أيام قليلة وبمزيد من التفصيل فإن وجود الماء بالجسم العديد من الخدمات الصحية مثل:

"* ينظم درجة حرارة الجسم .

* يعمل على تخليص الدم من السموم والمخلفات .

* يقوم بدور الوسيط في كثير من العمليات الكيميائية .

* يساعد على الإتزان الكيماوي للجسم .

* يعمل على تشحيم وترطيب المفاصل .

* يسهل القيام بعملية الهضم .

* ينقل الغذاء إلى الأنسجة .

*يحفظ للجسم توازنه وانسجامه .

فالعلاج بالماء ليس خدعة ولا يجب أن يستهان به ... وحتى يتحقق ذلك لا بد من ضبط أمور العلاج به على أسس علمية سواء فيما يتعلق بخصائص الماء المستخدم، مثل: بارد، دافئ، ساخن،في صورة ثلج أو بطرق استخدامه مثل: عمل الحمامات، سوائل كاملة أو الجزئية أو في صورة كمادات وغير ذلك أو فيما يتعلق بالمدة اللازمة لكل طريقة للوصول إلى الفائدة المرجوة علاوة على شربه كعلاج."[2]

وقد أشار القرآن إلى العلاج بالماء في قصة سيدنا أيوب علية السلام حيث قال تعالى: في سورة الأنبياء ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(83)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾[3]

---

(1) الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي/ محمد بن عبد العزيز بنعبد الله . ــ ط1 . ــ 1996 م وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المملكة المغربية 3 / 457 .

(2) انظر العلاج بالماء وطرق التداوي به/ أيمن الحسيني ص 6 . ــ ط1 . ــ القاهرة، مكتبة ابن سينا ، 1992 م.

(3) سورة الأنبياء: آية/ 83 – 84

وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ(41)ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ(42)وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لأولِي الألْبَابِ**﴾[1]

وبالتعرض لآيات سورة ص التي تحدثت عن العلاج بالماء بشكل واضح وجلي فهي فصّلت ما أجمل في سورة الأنبياء قبل قوله تعالى:﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ**﴾ قال: في سورة ص ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾ هنا امتلأ دعاء سيدنا أيوب أدباً مع الله بأن نسب الضر والنصب والعذاب للشيطان، ووضحت الآية الضر بالنصب والعذاب .

وكذلك في قوله تعالى:﴿ **فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ** ﴾ وضحت سورة ص كيف أو سبب كشف الضر عنهم وطريقة العلاج حيث قال: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ .

شرح الآيات:

واعلم أنه كان قد حصل عنده نوعان من المكروه ... الهم الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات، والألم الشديد في الجسم؛ ولما حصل هذان النوعان لا جرم، ذكر الله تعالى لفظين وهما النصب والعذاب"[2] "وقيل إن النصب ما أصابه في بدنه والعذاب ما أصابه في ماله" ذكره القرطبي وقال فيه بعد .[3]

﴿**بِنُصْبٍ**﴾ أي ضر ومشقة وهمٌ وداء ووجع وبلاء يثقل صاحبه فيتعبه ويعييه ويكده ويجهده ويصل به إلى الغاية من كل ذلك ... ﴿**عَذَابٍ**﴾ أي نكد قوى جداً دائم مانع من كل ما يلذ ويمكن أن يساع ويستطعم أجمله، ونكره تنكيراً لتعظيم استغنائه على وجازته عن جمل طوال ودعاء عريض إعلاماً بأن السيل قد بلغ الزبى، وأوهن البلاء القوي."[4]

وكذلك ذكر بعض أهل التفسير قصصاً مطولة لا تخلو من الإسرائيليات وأقوالاً في غاية القسوة والفساد .[5]

والذي يتناسب مع اعتقاد المسلم وإيمانه أن الله ابتلى سيدنا أيوب في ماله وولده وفي جسده بمرض شديد، صبر على ذلك كله بإيمانه وثقته بفرج الله، حتى تنزلت عليه رحمة رب العالمين بالشفاء التام ورد أهله وماله إليه كما عبر عن ذلك القرآن .

---

(1) سورة ص: آية/ 41 – 43 .

(2) تفسير الرازي 26 / 212 .

(3) تفسير القرطبي 15 / 208 .

(4) نظم الدرر/ للبقاعي 6 / 388 – 389 .

(5) تفسير القرطبي 15/ 208 ، وابن جرير الطبري 23 / 166 ، تفسير البحر المحيط / أبو حيان 7 / 340 .

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ " والركض هو الدفع القوي بالرجل ... قيل إنه ضرب برجله تلك الأرض فنبعت عين فقيل ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي هذا ماء تغتسل به فيبرأ باطناك وظاهر اللفظ يدل على أنه نبعت له عين واحدة من الماء اغتسل فيه وشرب منه."[1] قيل:" أمر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء في جسده."[2] وقال بعض المفسرين أنه ضرب برجله اليمنى فنبعت عين فاغتسل بها وبرجله اليسرى عيناً أخرى فشرب منها ومنهم من قال: أنه سار بين الضربة الأولى والثانية أربعين ذراعاً ومنهم من قال العين الأولى حارة والثانية باردة وهذا مخالف لظاهر الآية ﴿مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فيدل الظاهر على أنها عين واحدة اغتسل وشرب منها [3]

ذكر القرآن طريقتين للعلاج بالماء وهما: الاغتسال به وشربه فأما الاغتسال بالماء فإما أن يكون الماء ساخناً أو بارداً وهذا الذي ناسب مرض سيدنا أيوب أن يكون الماء بارداً ولكن يستخدم الأطباء الماء الساخن في العلاج لما يناسب من حالات مرضية فللماء الساخن تأثيرٌ على أعضاء الجسم مثل:

1 – زيادة وقتية في ضغط الدم يتبعها انخفاض فيعود لحاله الأولي.
2 – زيادة الدورة الدموية السطحية للجلد .
3 – زيادة كمية الدم للعضلات .
4 – استرخاء تام في العضلات وتخفيف تقلص العضلات .
5 – زيادة سرعة ضربات القلب .
6 – زيادة حجم الدم .
7 – زيادة كمية العرض وبالتالي زيادة التخلص من النفايات – السموم في الجسم – .
8 – زيادة سرعة التمثيل الغذائي وبالتالي زيادة نسبة الأكسجين في الأنسجة ويتبع ذلك زيادة في كمية ثاني أكسيد الكربون المنتجة .
9 – زيادة سرعة التنفس .
10– تنبيه الجهاز المناعي للجسم وزيادة كمية الأجسام المضادة .
11– تنبيه العمليات الكيميائية التي تجري في الكبد وسرعة التخلص من حامض اللاكتيك .
12– تسكين الجهاز العصبي الحسي والحركي وتخفيف الآلام .

ويستخدم الماء الساخن للمساعدة في الشفاء من الحالات المرضية الآتية:

---

(1) تفسير الرازي 26 / 214 .

(2) تفسير القرطبي 15 / 211 ، والبحر المحيط/ أبو حيان 7 / 384 .

(3) انظر البحر المحيط 7 / 384 .

آلام الظهر، والتهابات المفاصل والآلام العصبية والشد والتقلص العضلي والشد والجزع المفصلي والتصلب والكدمات والسحجات وهناك حالات مرضية لا ينصح باستخدام الماء الساخن في علاجها مثل:

حالات الحمى الحادة ومضاعفات القلب الخطيرة والتشنج والنزيف الحاد والجروح المفتوحة وقرحات الفراش نتيجه الرقاد الطويل والتهابات الجلد الحادة، وأمراض الجلد ذات الطفح المعدي وأمراض الأوعية الدموية والأمراض العصبية التي يقل فيها الإحساس بالحرارة وسلس البول والبراز ومرض الخوف الشديد من الماء والأمراض السرطانية الخبيثة ومرض الدرن النشيط [1]

ولما كانت هذه فوائد الاغتسال بالماء الساخن فإن البارد يستخدم كذلك للاغتسال به أو وضعه ككمادات على الأجزاء المصابة وعلى عكس حمام الماء الساخن الذي يؤدي إلى اتساع الأوعية الدموية وبالتالي الاسترخاء، فإن حمام الماء البارد يؤدي لانقباض الأوعية الدموية مما يؤدي إلى التنشيط والانتعاش ومن فوائد الحمام البارد ما يلي:

1- تنشيط الجسم بصفة عامة .

2- رفع كفاءة الجهاز المناعي .

3- تخفيض حرارة الجسم .

4- يعمل على تخفيف الروماتيزم .

5- جلب الشعور بالمرح والانتعاش .

6- تنشيط مسام الجلد .[2]

" وماء الثلج والبرد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه كان يدعو في الاستفتاح وغيره﴿ **اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ**﴾ [3]" [4]

ولقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد عن هدي رسول ﷺ في علاج الحمى أن رسول ﷺ كان يعالج المحموم بوضع الماء البارد على رأسه فيقول ابن القيم فإنها تسكن على المكان

---

(1) أسرار العلاج بالماء الساخن والاسترخاء/ محمد كمال مصطفى. ــ ط1. ــ دار الطلائع القاهرة 1998 ص907

(2) انظر العلاج بالماء/ أمين الحسيني ص 15 .

(3) صحيح البخاري مع فتح الباري 2 / 226 كتاب الآذان باب ما يقول بعد التكبير رقمها 743 ، صحيح مسلم كتاب المساجد ، باب ما يقال بعد تكبيرة الإحرام رقم 598 ، 1 / 419 .

(4)انظر معجم التداوي بالأعشاب ابن قيم الجوزية . ــ ط2 . ــ القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي،1407 هــ 1986م ص128 .

بالانغماس بالماء البارد وسقي الماء البارد المثلوج ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلى علاج آخر وذلك لقسم من الحميات العرضية.[1]

" وحديث الرسول ﷺ في ذلك الوقت واضح على عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء**[2]وقال : **عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَتْ إِذَا أُتِيَتْ بِالْمَرْأَةِ قَدْ حُمَّتْ تَدْعُو لَهَا أَخَذَتْ الْمَاءَ فَصَبَّتْهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَيْبِهَا قَالَتْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَبْرُدَهَا بِالْمَاءِ** [3] وبهذا الهدي النبوي يتبين لنا مدى أهمية واستخدام الماء في علاج بعض الأمراض التي تصيب الإنسان . وفي ذلك إعجاز علمي نبوي حيث نبه النبي صلى الله عليه وسلم للعلاج الأمثل للحمى .

المطلب السادس:الشرب والسقاية

بعدما تحدثنا في المطالب السابقة عن أهمية الماء الواسعة والتي كانت في غالبها تقدم خدمات ومنافع للإنسان لا تتوقف حياته عليها بشكل مباشر بل منها ما هو ضروري ومنها ما هو في درجة الحاجة ومنها ما هو كمالي ولكن مطلبنا هذا تتوقف حياة الإنسان بشكل مباشر عليه فلا غنى للإنسان عن شرب الماء وكذلك ما حوله من حيوان ونبات إذا انقطع عنه الماء ذبل وجف ومات لذلك أردنا بيان أهمية الماء من ناحية الشرب والسقيا .

ولنتعرف على مدى أهمية وفائدة شرب الماء للإنسان نذكر الفوائد المترتبة على شرب الإنسان للماء:

1- " شرب الماء بمثابة عمل حمام لأعضاء الجسم .. ينعشها وينظفها .
2- تنشيط وظائف الكلية .
3- تنظيم حرارة الجسم .. فهو يخفض درجة حرارته مع ارتفاع درجة حرارة الجو الخارجي .
4- تجديد حيوية كل خلايا الجسم .
5- تنشيط الجهاز الهضمي وأعضاء الإخراج .
6- تخفيف سوائل الجسم .
7- تنقية السموم .

---

(1) انظر زاد المعاد / 4 / 27 .

(2) صحيح البخاري ، 5 / 2162 ، كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم رقم 5391.

(3) صحيح البخاري، 5 / 2162 ، كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم رقم 5392 .

8- يساعد على تخفيف التهاب المفصل وليونة حركته .

9- يمنح الجسم الرطوبة اللازمة.. مما يكسب الجسم الليونة، ويحفظ للعينين البريق ."[1]

لما كانت هذه مكانة الماء جعله الإسلام مشاعاً بين الناس فقال ﷺ : ﴿ **الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْكَلَإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ** ﴾ [2]**وفي رواية بزيادة الملح** ، وحث الإسلام على التصدق بالماء على كل كائن حي من نبات وحيوان وإنسان .

أما الإنسان فقد أولاه اهتماماً أكبر فجعل منع الماء عن إنسان ظمآن من موجبات العذاب الأليم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلاةِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ ...** ﴾[3]

وفي المقابل جعل رسول الله ﷺ أفضل الصدقة سقي الماء، عن سعد بن عبادة قال ﴿**قلت يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال سقي الماء**﴾ وفي رواية أبي داود زاد ﴿**قال فحفر بئراً وقال هذه لأم سعد**﴾ وفي رواية أحمد ﴿**فقلت يا رسول الله دلني على صدقة قال اسقي الماء**﴾[4]

أما بالنسبة للنبات فقال ﷺ: فيما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال:﴿ **لا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُمْنَعَ بِهِ الْكَلأ**﴾ [5] هذا حتى لا يمنع الناس من الكلأ ورعيه .

أما بالنسبة للحيوان قال ﷺ :﴿ **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا**

---

(1) العلاج بالماء وطرق التداوي به / أيمن الحسيني ص 7 – 8 .

(2) أخرجه أبو داود 3 / 278 ، كتاب البيوع ، باب في منع الماء ، رقم 3477 ، وأحمد 5 / 364 ، وابن ماجة 2 / 826 كتاب الرهون، باب المسلمون شركاء في ثلاثة رقم 2473 ؛ صححه الألباني ، انظر رقم 6713 في صحيح الجامع .

(3)أخرجه البخاري كتاب المساقاة باب إثم من منع ابن السبيل من الماء 3 /145 – 148 ، ومسلم، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية رقم 108 ، 1 / 103 .

(4) أخرجه النسائي ، في كتاب الوصايا ، باب فضل الصدقة عن الميت 6 / 254 ، وأبو داود كتاب الزكاة باب فضل سقي الماء رقم 1681 ، 2 / 130 ، وابن ماجة كتاب الأدب باب فضل صدقة الماء رقم 3684 ، 2 / 1214 ، وأحمد 5 / 284 ، وابن حبان 8 / 135 ، والحاكم في المستدرك 1 / 574 رقم 1511 – 1512 ، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم 1113 .

(5) صحيح البخاري كتاب المساقاة باب من قال إن صاحب الماء أخص بالماء 3 / 144 ، مسلم في صحيحه كتاب البيوع باب تحريم فضل بيع الماء رقم 1566 ، 3 / 1198 .

الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا فَقَالَ نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ[1] وفي هذا الحديث الحث والترغيب في سقي البهائم والحيوانات .

هكذا أولى الإسلام ورسولنا الكريم سقي الماء لكل ما هو حي من نبات أو حيوان أو إنسان كل هذا الاهتمام من خلال الترغيب في سقيه والترهيب من منعه. لما لهذا الماء من أهمية تتوقف عليها حياة الأرض ومن عليها .

وذكر القرآن في معرض امتنان رب العزة علينا بنعمة سقي الماء وشربه فذكر القرآن آيات كثيرة منها ﴿ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ** ﴾[2] ﴿ **وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً**﴾[3] ﴿ **فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوه**﴾[4]﴿ **لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً** ﴾[5] ﴿ **هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ** ﴾[6] ﴿ **وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً** ﴾[7] ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾[8]﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(68)ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ69لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ**﴾[9]

نأخذ منها على سبيل التمثيل والاستشهاد بها في هذا المطلب قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(68)ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ(69)لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ**﴾

المناسبة:

" ومناسبة الانتقال أن الحرث إنما ينبت زرعه وشجره بالماء فانتقل من الاستدلال بتكوين النبات إلى الاستدلال بتكوين الماء الذي به حياة الزرع والشجر ..."[10]

شرح الآية:

---

(1) أخرجه البخاري كتاب المساقاة باب فضل سقي البهائم 3 / 146 – 147 .

(2) سورة الشعراء: آية / 79

(3) سورة المرسلات: الآية /27

(4) سورة الحجر: الآية / 22

(5) سورة الفرقان: الآية / 49

(6) سورة الفرقان: الآية / 53

(7) سورة الانسان: الآية / 21

(8) سورة النحل: الآية / 10

(9) سورة الواقعة: آية / 68 – 69

(10) التحرير والتنوير / ابن عاشور 27 / 323 – 324 .

" ووصف ﴿**الماء**﴾ بـ ﴿**الَّذِي تَشْرَبُونَ**﴾ إدماج للمنّة في الاستدلال، أي الماء العذب الذي تشربونه، فإن شرب الماء من أعظم النعم على الإنسان ليقابل بقوله بعده ﴿**لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ**﴾ والمراد ماء المطر ... وماء المطر هو معظم شراب العرب المخاطبين حينئذ ولذلك يقال للعرب: بنو ماء السماء ."[1]

يقول ابن جرير الطبري :" أفرأيتم أيها الناس الماء الذي تشربون ءأنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض أم نحن منزلوه لكم ... ولو نشاء جعلنا ذلك الماء الذي أنزلناه من المزن لكم ملحاً، وهو الأجاج والأجاج من الماء ما اشتدت ملوحته .

يقول:لو نشاء فعلنا ذلك به فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس ولا زرع ... فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعكم، وصلاح معايشكم، وتركه أن يجعله أجاجاً لا تنتفعون به ."[2]

" وخص الماء بالذكر لأنه ألطف وانظف أو تذكيرًا لهم بالإنعام عليهم ..."[3]

ولما مَنَّ الله على الإنسان بشرب الماء العذب لم يتركه هكذا بلا آداب تضبط هذا الشرب فقال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[4]

" واعلم أن قوله:﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا**﴾ مطلق يتناول الأوقات والأحوال، ويتناول المطعومات والمشروبات، فوجب أن يكون الأصل فيها الحل في كل الأوقات، وفي كل المطعومات والمشروبات إلا ما خصه الدليل والمنفصل والعقل أيضاً مؤكداً له. لأن الأصل في المنافع الحل والإباحة "[5]

" قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة. فأما ما تدعو الحاجة إليه وهو ما سد الجوعة وسكّن الظمأ، فمندوب إليه عقلاً وشرعاً، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال، لأنه يضعف الجسد ويميت النفس ، ويضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل.[6]

وفي المقابل إنّ الزيادة في شرب الماء لا تدخل في الإسراف المذكورفي الآية ولعل المراد بالشرب المشروبات الآخرى غير الماء تفيد عدم الإفراط في المطعم أو المشرب وليس ذلك فحسب وعدم الإسراف في تبذير وإهلاك الماء بدون فائدة تعود أو منفعة ينتفع بها

---

(1) تفسير التحرير والتنوير / ابن عاشور 27 / 323 – 324 .

(2) تفسير ابن جرير الطبري 27 / 200 – 201 ، وانظر تفسير القرطبي 17 / 221 .

(3)تفسير الرازي 29 / 184 .

(4) سورة الأعراف: آية / 31

(5) تفسير الرازي 14 / 66 .

(6) تفسير القرطبي 7 / 191 .

وكذلك عدم الإفساد وتلويث المياه فبفسادها إسراف وتبذير وقد ختم الله الآية بقوله: ﴿ **إن الله لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ لقد جاءت كلمة ﴿**الْمُسْرِفِينَ**﴾ معرفة وهذا يفيد استغراق اللفظ واستيعابه لجنس المسرفين جميعاً بكل أشكال الإسراف وأنواعه وأحجامه وهيئاته وأوقاته وأماكنه وفيه تنفير شديد وترهيب بقوله: ﴿**إن الله لا يُحِبُّ**﴾ فالذي لا يحبه الله محظور الاقتراب منه .

ونذكر بعض الآداب تتمة للفائدة وذكر ابن الجوزي أن من هديه ﷺ أنه شرب قاعداً في أكثر الأحيان وشرب واقفاً لبيان الجواز ويبدأ باسم الله ويحمد الله بعد الشرب فيقول: الحمد الله الذي منّ علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وربما قال الحمد لله الذي أطعم وسقا وسوغه وكان إذا شرب ناول من على يمينه وإن كان من على يساره أكبر منه سناً [1] وكان من هديه ﷺ وآدابه في الشراب عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ **كان يتنفس في الشراب ثلاثاً** .[2] وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ **نهى أن يتنفس في الإناء**[3] وعن أبي هريرة ﷺ قال نهى رسول الله ﷺ **أن يشرب من في السقا أو القربة** [4] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ **نهى عن النفخ في الشراب**[5] عن أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **ساق القوم آخرهم** ــ يعني شرباً ــ [6]

---

(1) انظر زاد المعاد / ابن القيم 1 / 149 .

(2) متفق عليه أخرجه البخاري 5 / 2133 ، كتاب الأشربة ، باب النهي عن التنفس في الإناء رقم 5308، ومسلم 3 / 1602 ، كتاب الأشربة ، باب كراهية التنفس في الإناء رقم 2028 .

(3) متفق علية البخاري ومسلم نفس المجلد والصفحات في الحاشية السابقة .

(4) البخاري 5 / 2132 كتاب الأشربة، باب الشرب من فم السقاء رقم 5626 .

(5) أخرجه الترمذي 4 / 307 كتاب الأشربة ، باب ما جاء ساق القوم آخرهم شرباً رقم 1894 ، وقال:الترمذي (حديث حسن صحيح)

(6) أخرجه الترمذي 4 / 303 كتاب الأشربة ، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب رقم 1887 قال: الترمذي(حديث حسن صحيح)

المبحث الثاني: فساد الماء وطرق حمايته

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أسباب فساد الماء

المطلب الثاني: مضار التلوث ومخاطره

المطلب الثالث: طرق حماية الماء والمحافظة عليه

المطلب الأول: أسباب فساد الماء

ولما كان الماء سبباً في استمرار الحياة على هذا الكوكب توجب على الإنسان وهو المنتفع الأعظم به أن يحافظ عليه ويحميه من أي سبب أو شكل من أشكال الفساد المباشرة والغير مباشرة .

فالماء كأي شيء خلقه الله في هذا الكون صالحاً ونافعاً على أصل خلقته في هذه الطبيعة ولكن الإنسان عند ما يتدخل بمصالحه الفردية ونظرته المحدودة التي تضر هذا الصلاح وتدخل إليه كدرات فساده وإفساده وخلال هذا المطلب سوف نتعرف على هذا الفساد وأسبابه التي تقضي على القطرة الصالحة والمنفعة العامة العظيمة للماء فقد قال الله تعالى:
﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]

شرح الآية:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ اختلف أهل التفسير حول المقصود بمعنى البر والبحر إلى أقوال كثيرة ذكرها الأئمة الطبري [2] والقرطبي [3] الرازي[4] وغيرهم في تفاسيرهم، "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الله تعالى ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر في الأرض القفار والبحر بحران، بحر ملح، وبحر عذب، فمنها جميعاً عندهم بحر ولم يخصص حل ثناؤه والخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذباً كان أو ملحاً، وإذا كان ذلك كذلك دخل القرى التي على الأنهار والبحار ."[5]

---

(1) سورة الروم: آية / 41

(2) تفسير الطبري 21 / 49 .

(3) تفسير القرطبي 14 / 40 .

(4) تفسير الرازي 25 / 128 .

(5) تفسير الطبري 21 / 50 .

" وفساد البر يكون بفقدان منافعة وحدوث مضارّه، مثل حبس الأقوات من الــزرع والثمــار والكلأ، في موتان الحيوان المنتفع به، وفي انتقال الوحوش التي تصاد من جراء قحط الأرض إلى أرضين أخرى، وفي حدوث الحوائج من جراد وحشرات وأمراض.
وفساد البحر كذلك يظهر في تعطيل منافعه، قلة الحيتان، واللؤلؤ، والمرجان ونــضوب ميــاه الأنهار، وانحباس فيضانها الذي به يستقي الناس".[1]

وقوله تعالى: ﴿**بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس**﴾ قال الزمخشري بسبب معاصيهم وذنــوبهم كقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾[2] [3] وهذا بيان أســباب ظهــور الفساد بسبب اقتراف الناس لمخالفة الفطرة التي فطر الله الناس عليها في الحياة الدنيا وذلــك لمخالفة شرعه ومنهاجه في المحافظة على نعم الله ومنافعه التي سخرها للإنسان وهل هنــاك أكبر من ذلك معصية وذنب مما استوجب لهم ذوق العذاب وبالاً لأعمالهم وذلــك ليرجعــوا ويتوبوا إلى ربهم عما اقترفت أيديهم من فسادٍ في الأرض في البر والبحر .

وقال تعالى: في أؤلئك الذين يفسدون في الأرض ويسعون في فسادها ﴿**وَمِنَ النَّــاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَــدُّ الْخِــصَامِ(204)وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[4]

شرح الآية:

ذكر الله في هذه الآيات المنافقين وشرح صفاتهم و أفعالهم والغرض من ذلك إصلاح أفعــال القلوب والجوارح واختلف في هل هي في أقوام مخصوصة أم هي عامة في حق مــن كــان موصوفاً بهذه الصفة المذكورة في الآية وهذا هو الأرجح عندي أنها عامة
والآية بعمومها تعم كل فساد كائن في أرض أو مال أو دين وهو الصحيح إنشاء الله تعالى:
" الفساد ضد الصلاح وهو إتلاف ما هو نافع للناس نفعاً محضاً أو راجحــاً ... وإنمــا كــان الفساد غير محبوب عند الله لأن في الفساد تعطيلاً لما خلقه الله في هذا العالم لحكمة صــلاح الناس فإن الحكيم لا يحب تعطيل ما تقتضيه الحكمة [5] ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِــي الأَرْضِ**﴾ أن الله تعالى: وصف هذا المنافق بأنه إذا تولى مدبراً من رسول الله ﷺ وعمــل فــي أرض الله

---

(1) تفسير التحرير والتنوير / ابن عاشور 21 / 110 .
(2) سورة الشورى: آية / 30 .
(3) الكشاف/ الزمخشري 3 / 483 .
(4) سورة البقرة: آية / 204 / 205 .
(5) تفسير التحرير والتنوير/ لبن عاشور 2 / 270 .

بالفساد، وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي وذلك أن العمل بالمعاصي إفساد في الأرض فلم يخصص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض ."[1]

يرى الباحث: فإن التولي بالإدبار عن منهج الرسول ﷺ هو من أعظم الفساد لأنه يخالف الشرع ويدخل الإنسان في مطامع نفسه وهواها .

وقوله ويهلك الحرث والنسل عن مجاهد قال إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم، والنسل: العقب والولد ... .

عن عطاء قال: الحرث: الزرع والنسل من الناس والأنعام، قال يقتل نسل الناس والأنعام وكذلك قال الضحاك والنسل كل دابة والناس منهم [2] ولما كان الفساد بما كتبت أيدي الناس وقد ظهر جلياً وشمل كل مظاهر الحياة ومنها الموارد الطبيعية وعلى رأسها المال كان لزاماً علينا بيان ذلك بشيء من الموضوع والتفصيل من خلال الكتب المتخصصة التي تحدثت عن البيئة وفساد الماء وتلوث ... كل ما يؤثر على جميع عناصر البيئة بما فيها من نبات وحيوان وإنسان وكذلك كل ما يؤثر في تركيب العناصر الطبيعية غير الحية مثل الهواء والتربة والبحيرات والبحار وغيرها [3]

وهذا تعريف التلوث ولما كان العنصر الذي يخصنا في الموضوع هو الماء فحريّ بنا أن نُعرف تلوث الماء .

تعريف تلوث المياه " هو تغيير في طبيعة الماء وخواصه في مصادره الطبيعية المختلفة بحيث يصبح غير صالح للكائنات الحية التي تعتمد عليه في استمرار بقائها."[4]

أنواع تلوث المياه:

1- " **تلوث طبيعي:** ويعني به التلوث الذي يغير خصائص الماء الطبيعية ويجعله غير صالح للاستعمال الآدمي قبل اكتسابه الرائحة الكريهة أو اللون أو المذاق غير الطبيعي .
2- **تلوث كيمائي:** اختلاط مواد كيماوية سامة في الماء ويصبح بذلك للماء تأثير سام نتيجة وجود هذه المواد مثل مركبات الرصاص أو الزرنيخ أو المبيدات الحشرية

---

(1) ابن جرير الطبري 2 / 317 .

(2) ابن جرير الطبري 2 / 317 - 3 / 318 باختصار .

(3) الإنسان وتلوث البيئة/ محمد سيد الأرناؤوط ص 30 . ــ ط2 . ــ القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1996م .

(4) تلوث المياه العذبة/ أحمد عبد الوهاب عبد الجواد ص 106 . ــ ط1 . ــ سلسلة دائرة المعارف البيئية الناشر الدار العربية للنشر والتوزيع 1995م .

3 - **التلوث البكتيري البيولوجي:** وذلك بوجود ميكروبات مرضية بالمياه فبتسبب عــن شربه الأمراض المعدية "[1]

مصادر تلوث مياه الشرب:

1- مصادر منزلية .
2- مصادر صناعية .
3- مصادر زراعية .
4- خزانات المياه والمواسير .
5- مصادر بشرية وحيوانية .
6- مصادر نباتية .
7- مصادر الصرف الصحي .
8- مصادر إشعاعية ." [2]

ذكرت هنا المصادر دون بيان وتفصيل تاركاً ذلك للرجوع إلى مصادرها وكتبهاالمتخصصة، أما المياه المالحة التي هي مصدر للغذاء والاستحمام ومنافع كثيرة أخرى. فهي عرضة أيضاً للتلوث وهناك الكثير من الأسباب لتلوث هذه المسطحات المائية المالحة من أهمها .

مصادر التلوث البحري:

1- التلوث بتأثير المدن الساحلية وما يتخلف عنها من نفايات المصانع أو مياه الصرف المنزلي أو المياه الحارة بسبب تبريد وإدارة المصانع ومحطات توليد القوى العامة على السواحل، أو عملية تموين السفن خاصة من المدن والموانئ .
2- التلوث بفعل الإطماء – ترسب – بالقرب من مصبات الأنهار.
3- التلوث بفعل الحوادث الناجمة عن غرق ناقلات النفط أو التسرب منها .
4- " نتيجة انفجار بعض آبار النفط في قيقان البحار والمحيطات
5- التلوث عن طريق دفن النفايات الذرية أو التجارب النووية في المحيطات
6- التلوث عن طريق قنوات الصرف الصحي الزراعية بما تحمله من مبيدات حــشرية أو مبيدات الأعشاب .

---

(1) تلوث المياه وتحديات الوجود/ محمد يسري دعبس ص 16 سلسلة التنمية والبيئة . ــ ط2 . ــ الإسكندرية الناشر المؤلف1996م .

(2) الإنسان وتلوث البيئة/ الارناتوط ص 146 – 148 وانظر تلوث المياه وتحديات الوجود/ محمد يسري دعبس من ص 16 – 23 ، وانظر أيضاً الصحة والبيئة/ محمد كمال عبد العزيز ص 50 – 58 . ــط1 . ــ دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير القاهرة .

7- التلوث بفعل السفن التي تجوب البحار والمحيطات خاصة السفن العملاقة الأخذة في الانتشار ومخلفاتها ."[1]

وكذلك المسطحات العذبة من بحيرات وأنهار وخزانات المياه العذبة والترع تتلوث بكثير من الملوثات نذكر منها .

1- " التلوث بالغبار والغازات والميكروبات وغيرها من الجو .

2- التلوث من سطح الأرض وما به من فضلات آدمية وغير آدمية.

3- التلوث من السفن العائمة والمراكب السائرة فوق المسطحات المائية العذبة .

4- التلوث من المصارف والمجاري المتصلة بهذه المياه اتصالاً مباشراً أو غير مباشر .

5- التلوث من مخلفات المصانع التي تصرف في المياه .

6-الاستحمام وقضاء الحاجة وغسل الملابس والأواني وغيرها ." [2]

المطلب الثاني:مضار التلوث ومخاطره

إن تلوث الماء وفساده بشكل عام يسبب أضراراً كبيرة في جميع مناحي الحياة مما يفسد حياة البشرية ،وقد نهانا الإسلام عن الضرر فقال صلى الله عليه وسلم **لا ضرر ولا ضرار**[3]

وهذه قاعدة فقهية عامة في التشريع الإسلامي وقد جعل المشرع لهذه الشريعة مقاصد شرعية عامة من هذه المقاصد الضروريات الخمس وهي الدين،والنفس ،والعقل ،والنسل ، والمال ، وهي أقوى مراتب المصالح الضرورية .[4]

---

(1) مشكلات البيئة المعاصرة/ محمد عبد الرحمن الشرنوبي ص 229 . ــ ط1 . ــ القاهرة، مكتبة الإنجلوة المصرية، 1993 م وانظر الصحة والبيئة / محمد جمال عبد العزيز ص 53 وانظر الإنسان وتلوث البيئة/ محمد السيد الارنائوط ص 179 .

(2) تلوث البيئة وتحديات الوجود / محمد يسري دعبس ص 5 – 6 .

(3) أخرجه ابن ماجة 2 / 784 عن عبادة بن الصامت رقم 2340 وأحمد في مسنده 5 / 326 عن عبادة أيضاً وعن ابن عباس 1 / 313 ، والمستدرك 2 / 66 عن أبي سعيد الخدري رقم 2340 والبهيقي من طرق الحاكم عن عبادة بن الصامت رقم 11657 ، والشافعي في مرسلاً عن مالك 1 / 224 ، والطبراني في الأوسط 1 / 90 ، عن عائشة رقم 268 وعن ابن عباس 4 / 225 رقم 3777 ، وفي الكبير عن ثعلبة بن أبي مالك رقم 1387 وفي 11 / 228 عن ابن عباس رقم 11576 وعنه أيضاً في 11 / 302 رقم 11806 وقد صحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم 7517 .

(4)انظر أصول الفقه الإسلامي / وهبة الزحلي ص 1020 . ــ ط1 . ــ دمشق، دار الفكر 1986م .

وهذه الضرورات تتأثر من خلال فساد الماء، فهذا الماء بفساده يفسد المال في نفسه ،وبما ينفق لإصلاحه وحمايته ، وبفساده تفسد النفس من خلال الأمراض المنتشرة بتلوثه ، وكذلك يتأثر النسل بهذا الفساد ، وهذا التلوث ، ولما كان العقل السليم في الجسم السليم يتأثر العقل بصحة الجسم فيدخل إليه الفساد والمرض ، وإذا مرض الإنسان قلت عبادته وقيامه بالواجبات الشرعية المترتبة عليه حال صحته فيصبح من أصحاب الأعذار ، ومن خلال هذه المقدمة يتبين لنا أن تلوث الماء وفساده يؤثر تأثيراً عظيماً على مصالح الأمة من أعلاها إلى أدناها ، وهل هناك أهم من الكليات الخمس وهي الدين ، والنفس ،والعقل ، والنسل ، والمال وقد نهى القرآن عن الفساد في الأرض في آيات عديدة فقال تعالى :﴿ **....وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [1]

شرح الآية:

لقد نهى الله سبحانه وتعالى قوم شعيب عن النقصان في الكيل والميزان لأن ذلك أكل لأموال الناس بالباطل وبغير رضاهم مما يوجب المنازعة والخصومة وهما يوجبان الفساد .

وذكر الرازي أن الله أراد به المنع من كل ما كان فساداً حملاً للفظ على عمومه ، وذكر أيضاً في قوله تعالى ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ منع من مفاسد الدنيا ، وقوله تعالى ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ**﴾ منع من مفاسد الدين فصارت الآية جامعة للنهي عن مفاسد الدنيا والدين.[2]

يرى الباحث: ﴿ **وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ**﴾ فإن هذه الآية هي موطن حياة الناس وأعمالهم الدينية والدنيوية وليست الدينية فقط مما أنعم الله فيها على الناس من آلاء ونعم وأجلها الماء وهو الذي يشكل أكثر من سبعين من مئة جزء من مساحة هذه الأرض فيتضمنها خطاب الله بالنهي عن الإفساد في الأرض " وهذا اللفظ يعم دقيق الفساد وجليله ". [3]

قال أبو حيان الأندلسي:" هذا نهي عن إيقاع الفساد في الأرض وإدخال ماهيته في الوجود فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان".[4]

وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[5] "ومعنى ﴿**بَعْدَ إِصْلاحِهَا**﴾ بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين."[1]

---

(1) سورة الأعراف آية / 85

(2) انظر تفسير الرازي 14 / 181 .

(3) تفسير القرطبي 7 / 248 .

(4) تفسير البحر المحيط / أبو حيان 4 / 313 .

(5) سورة الأعراف: آية / 56

ويقول ابن جرير الطبري: "وترك الفساد في الأرض خير لكم في عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة."[2] وفي قوله ﴿**بَعْدَ إِصْلاحِهَا**﴾ "والتصريح بالبعدية هنا تسجيل لفظاعة الإفساد بأنه إفساد ولما هو حسن ونافع ،فلا معذرة لفاعله ولا مساغ لفعله عند أهل الأرض."[3]

ولما كانت الأرض ما فيها من نعم مما سخر الله للإنسان حتى يحمد الله ويشكره شكراً عملياً على ما أنعم وما سخر له في هذه الأرض فيحافظ عليه ويحفظه من الفساد قال تعالى:﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[4]

شرح الآية:

"لقد سخر الله لهذا الإنسان ما في السماوات وما في الأرض ففي السماء الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والهواء والملائكة الموكلة بهذا كله ،وما في الأرض من البهائم والمياه والجبال والنبات."[5]

"وهذا تعميم بعد تخصيص اقتضاه الاهتمام أولاً ثم التعميم ثانياً ﴿**مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ عام مخصوص بما تحصل للناس فائدة من وجوده ..كالشمس للضياء ،والمطر للشرب ، أو من بعض أحواله ..كالكواكب للإهتداء بها في ظلمات البر والبحر ، والشجر للاستظلال ، والأنعام للركوب والحرث ونحو ذلك"[6]

كل هذه النعم السابقة تتأثر ويدخل إليها الضرر والفساد بالتلوث الذي ينجم عنه الكثير من الأضرار التي نذكر منها على سبيل المثال :

أولاً: الأذى والضرر الجماعي :

وذلك عندما تتلوث المياه الطبيعية برواسب المياه الحمضية ؛والتي لا يمكن تحديد فترة بقائها فهي متغيرة وإن كانت قصيرة نوعاً.فهي تؤثر في مناطق إقليمية ومحلية ، كما أنها تخلف روائح كريهة تستمر لأسابيع في مناطق انتشارها . والتي أصبحت تعاني فيها الآن الأنهار ذات التيار البطيء والبحيرات القريبة من المراكز الصناعية ،هذا بالإضافة لما تسببه هذه الرواسب من آثار على مذاق المياه وتلوثها بالكيماويات الحمضية .

---

(1) نفس المصدر السابق 4 / 313 .

(2)تفسير ابن جرير الطبري 8 / 238 .

(3) تفسير التحرير والتنوير/ ابن عاشور 9 / 175 .

(4) سورة الجاثية: آية / 13

(5) انظر تفسير البحر المحيط / أبو حيان 8 / 45 ، وانظر تفسير الطبري 25 / 143 .

(6) تفسير التحرير والتنوير / ابن عاشور 25 / 337 .

ثانياً: الخسائر في الممتلكات :

فالأملاح المذابة وما تحدثه من تحات لفترات متغيرة ومناطق محلية ، وكذلك المياه الطينيـــة وما تخلفه من رواسب ، بالإضافة إلى فقد وتراجع في قيمة الأمـــاكن المخصـــصة للـــسياحة عندما مما يجهد ميزانيات الدول خاصة الأقل تقدماً ؛ لتحسين الوضع وإصلاحه .

ثالثاً : تلف النباتات والحيوانات :

عن طريق المواد المغذية والنيتروجين والفوسفات الذي يتسبب فـــي زيـــادة نمـــو النبـــات ، والحرارة التي تتسبب في إبادة الأسماك وبعض المبيدات الحشرية الكيميائية العضوية وغيـــر العضوية التي تسبب ضررا ًكبيراً على الثروة السمكية في المسطحات المائية .

رابعاً : الإضرار بصحة الإنسان :

من إصابته بالميكروبات من بكتيريا وفيروسات أو أملاح زائدة في المياه ومعادن ثقيلة فكـــل ذلك له أثر سلبي عظيم على صحة الإنسان من أمراض وإعاقات وقلـــة إنتـــاج ومـــصاريف علاج وغير ذلك .

خامساً : الأضرار الوراثية :

ويقصد به ما يصيب النظام الوراثي الإيجابي للجنس البشري فالمبيدات الحشرية تترك آثـــاراً تمتد من أيام إلى سنوات على نطاق محلي وإقليمي ولكنها محاصرة حتى الآن .ومن يـــدري هل يمكن الاستمرار في ذلك ؟ أم أن التدهور قد يصيبها ومن ثم تحدث آثـــاراً ســـلبية علـــى النظم الوراثية وعلى الإنجاب .

وذلك من خلال بعض الكيماويات ذات النشاط الإشعاعي التي تتأثر بها المياه وكلها ذات آثار متشابهة .

سادساً : تدهور النظم الكيمياء الحيوية الهامة :

كنظام الطاقة مثلاً والدوران البيوجيوكيميائية. فهذه كلها تتأثر بمكونات الميـــاه مـــن الزيـــت (المكرر على وجه الخصوص) وبعض الكيماويات العضوية والمبيدات الحـــشرية وعمليـــات التعرية وذلك مما يخرج من المصانع من مياه ساخنة وفسفور ونيتروجين وتصب فـــي ميـــاه الأنهار ويلقى فيها من نفايات هذه المصانع .[1]

وينتج من خلال هذه الأضرار الكبيرة الشاملة الكثير من الأمراض التي يسببها تلوث الميـــاه ونذكر بعض الأمراض التي تتسبب عن تلوث الماء .

---

(1) مشكلات البيئة المعاصر / محمد عبد الرحمن الشرنوبي ص 232 ــ 234 . ــ ط1 . ــ القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية 1993م .

"مما لا شك فيه أن الماء يكون وسيلة نقل بعض الأمراض المعدية أو قد يؤدي إلـــى التـــسمم الكيميائي أو إلى نقص بعض العناصر على النحو التالي :

1 ــ أمراض بكتيرية :

مثل التيفوئيد ، والدوسنتاريا ، والباسيلية ، والكوليرا ،والنزلات المعوية عند الأطفال والكبار وأمراض أخرى .

2 ــ أمراض فيروسية :

3ــ أمراض طفيلية :

مثل البلهارسيا والدوسنتاريا الأميبية وشلل الأطفال والتهاب الكبد الوبائي وبعــض النـــزلات الشُعبية عند الأطفال .

4ــ تسوس الأسنان بسبب قلة الفلوريدات عن **0.5** ملليجرام / لتر أو تبقع الأسنان الناتج عن زيادة الفلوريدات بمياه الشرب .

5ــ تضخم الغدة الدرقية البسيط بسبب قلة اليود في الماء ."(1)

6- القصور في عمل الكلية أو الفشل الكلوي الذي ينتشر في بلادنا هذه الأيام بـــسبب تلـــوث المياه وملوحتها .

وهذه الأمراض في غالبها تكون على شكل وباء منتشر في البلاد انتشار النار فـــي الهـــشيم وأضرارها قد تكون إقليمية أو أكثر لبيان ذلك ونحذر من الأسباب التي تنشأعنها هذه الأوبئـــة وتتمثل أهم طرق انتقال الأمراض إلى الإنسان بواسطة الماء فيما يلي :

1 ــ شرب المياه الملوثة .

2 ــ الاستحمام في المياه الملوثة .

3 ــ التوضؤ والاستنجاء من مياه ملوثة .

4 ــ ري المزروعات التي تؤكل طازجة بمياه ملوثة .

5 ــ وضع الثلج المصنوع من مياه ملوثة لتبريدها .

6ــ استعمال المياه الملوثة في تحضير المأكولات أو غسل أواني الشرب أو الأكل " (2)

وبعد التعرف على الأمراض وطرق نقلها ندرك الخطورة من خلال التعرف على خـــصائص هذه الأوبئة

" وتتميز خصائص الأوبئة التي تنتشر بواسطة الماء بما يلي :

1 ــ إصابة عدد كبير من الأهالي الذين يستعملون نفس المورد المائي .

---

(1) تلوث البيئة وتحديات الوجود / محمد يسري دعبس ص 4

(2) نفس المصدر ص 5 .

2 ــ إصابة جميع الأعمار دون تفرقة بين الأطفال والكبار .

3 ــ يتوقف الوباء عند الكف عن استعمال المورد الأول واستخدام مورد آخر أو علاج مياه المورد الأول قبل استعمالها . "[1]

نكتفي بهذا القدر من النقول الخاصة بتلوث المياه وبيان أضرارها ومخاطرها لننتقل إلى المطلب الثالث لنتحدث فيه عن طرق حماية الماء والمحافظة عليه .

المطلب الثالث:طرق حماية المياه والمحافظة عليها

ولما كان الماء على هذه الأهمية والضرورة للحياة توجب علينا أن نحافظ على هذه النعمة ونحميها من أي عدوان عليها من قبل المفسدين في الأرض الذين يدمرون الإنسان وما حوله من منافع بيئية طبيعية ولا فيما الماء .

ولقد نهى القرآن عن الفساد وحذر منه بعمومه وقد بينت ذلك في المطلبين السابقين مع التوضيح والتفصيل من كتب هذا العلم المتخصصة .

ونحن في هذا المطلب أمام الواجب المفروض علينا شرعاً وفرعاً ومتطلب حياة ألا وهو حماية المياه والمحافظة عليها .

يقول تعالى: ﴿**كلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾[2] لقد سبق أن تعرضنا لهذا النص الكريم.[3] ولكن من جانب عدم الإسراف في الشرب. وإن كانت الآية تحتمل العموم وتتعدى خصوصية الأكل والشرب واللبس والزينة عند الصلاة. إلى عدم الإسراف في كل شيء .

وبين القرآن الكريم في موضع آخر عندما نهى عن التبذير ورهب من ذلك حيث وصف هؤلاء المبذرين بأنهم إخوان الشياطين فقال تعالى:﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾[4] الإسلام دين ودولة، وعقيدة عمل، وفكرة ونظام، واجتماع وعمران، ولا أدل على ذلك من نهيه عن التبذير وحثه على الاقتصاد، ولقد كان أسلوب القرآن ووصفه المبذرين بأنهم إخوان الشياطين أسلوباً لاذعاً وتصويراً عالياً أبرز المبذرين في صورة بشعة حيث كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لنعم ربه كفورا...

---

(1) نفس المصدر ص 5 .

(2) سورة الأعراف: آية / 31

(3) انظر صفحة 73

(4) سورة الإسراء: آية / 27

والآية تفيد أن المبذر مماثل للشيطان والشيطان كفورٌ لربـه فالمبـذر كفـور لربـه جاحـد لنعمته."[1]

" والتبذير: تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الإسراف." [2]

والماء أغلى أهم الأموال والتبذير إسراف والله لا يحب المسرفين والآيـات التـي تتحدث عن الإسراف كثيرة مع اختلاف مناسبتها في سورها مع احتمالها للمعنى العـام فـي الإسراف. ولا مجال لاستعراضها هنا .

أما السنة المطهرة فقد دعت للاقتصاد في الوضوء بحيث لا يزيد المرء عـن ثـلاثٍ واعتبره العلماء من التبذير والإسراف فقد ذكر البخاري كلاماً في ذلك قال **وَقَـوْلِ اللَّـهِ تَعَالَى إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ .... قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ وَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فَرْضَ الْوُضُوءِ مَرَّةً مَرَّةً وَتَوَضَّأَ أَيْضًا مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ثَلَاثٍ وَكَرِهَ أَهْلُ الْعِلْمِ الإِسْـرَافَ فِيهِ وَأَنْ يُجَاوِزُوا فِعْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** [3]

وهذا القول لأبي عبد الله البخاري في صحيحه يصف فعل رسول الله فـي وضـوءه بعـدم الإسراف والتخفيف في استخدام الماء حتى في الطهارة والعبادة .

وكذلك دعا الإسلام إلى المحافظة على الماء وحمايته عندما نهى ﷺ عن البول في الماء الدائم أو الراكد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ** [4] وثبت أن البول في الماء وثم الاغتسال فيه يـؤدي للإصـابة بمـرض البلهارسيا،

ونَهى الرسول عن البول في الماء هو سبق إلى المحافظة على مصادر الميـاه مـن التلوث بالأمراض والديدان المعدية والنجاسات من باب أولى إن هذا الوعي الإسلامي النبوي هو قمة الحضارة والوعي البيئي قبل هذا العالم بقرون . ولا يقتـصر النهـي النبـوي عـن الممارسة العملية في التلويث بل يتعدي ذلك إلى الجانب الوقائي من الملوثات الأخرى حيـث يقول: **عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْـلُ أَوْ قَالَ جُنْحُ اللَّيْلِ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِـنْ الْعِـشَاءِ**

---

(1) التفسير الواضح / محمد محمود حجازي 15 ص 20 .

(2) الكشاف / الزمخشري 2 / 661 .

(3) البخاري مع الفتح / كتاب الوضوء الباب الأول ج1 / 232 .

(4) البخاري مع الفتح 1 ص345 كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم رقم 238 مسلم 1 / 235 كتاب الطهارة ، باب النهي عن السيول في الماء الراكد رقم 281 .

فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا (1)

وفي رواية أخرى مختصرة **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَغْطِيَةِ الإِنَاءِ وإيكاء السِّقَاءِ وَإِكْفَاءِ الإِنَاءِ** (2) إكفاؤه إذا كان فارغاً أي قلبه وتغطيته إذا كان فيه شيء .

تأمل حديث جابر الجامع الذي يعتبر في قمة المحافظة الوقائية من الشياطين والواسق والحرائق والمحافظة على الطعام والشراب من الحشرات والهوام أثناء الليل .

إن هذه التعاليم النبوية الصحيحة والتي تحمي الإنسان والبيئة لتبعث فينا روح الانتماء إلى مجتمع نظيف بعيد عن الأمراض والتلوث. إن نحن اقتدينا بهدايات رسولنا الكريم .

بعض الحلول وطرق الحماية من تلوث الماء:

1- ترشيد الاستهلاك المنزلي والزراعي والصناعي والاقتصاد حسب الحاجة بلا إسراف أو إهدار .
2- منع أسباب التلوث الآدمي والصناعي والكيميائي والبيولوجي .
3- عدم صب الصرف الصحي في المياه العذبة والمالحة إلا بعد معالجتها وصرفها في أعماق البحار أو الصحاري البعيدة .
4- منع الملوثات النفطية بجميع أسبابها للمحافظة على البحار والمحيطات .
5- تجنب دفن النفايات الذرية في البحار والمحيطات والمواد المشعة وكذلك التجارب النووية.
6- إصلاح شبكات المياه لتجنب الفاقد والمهدور منها وكذلك تجنب ما تسببه من أمراض معدية .
7- وضع خطة شاملة قطرية لاستغلال أكبر قدر من مياه الأنهار والأودية التي تذهب هدراً في البحار
8- ترشيد وتطوير نظام الري الزراعي بطرق علمية حديثه
9- نشر الوعي البيئي بصورة مستمرة بين أفراد المجتمع .
10- التعاون الدولي في قضية المياه بين الدول الغنية والفقيرة وكذلك بين الدول ذات الحوض النهري المشترك .

---

(1) البخاري مع الفتح / كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده رقم 3280 ، 6 / 336 .

(2) مسلم / كتاب الأشربة باب الأمر بتغطية الإناء رقم 1012 ، 3 / 1594 ، وأبو داوود كتاب الأشربة ، باب تغطية الإناء رقم 2731 ، 3 / 339 ، وابن ماجة كتاب الأشربة، باب تخمير الإناء رقم 3411 ، 2 / 1129 واللفظ له .

الفصل الثانـي

مصادر الماء وأقسامه في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادر الماء في القرآن الكريم

المبحث الثاني: أقسام الماء وأوصافه في القرآن الكريم

المبحث الأول: مصادر الماء في القرآن الكريم

المطلب الأول:

خروج الماء من الأرض

1- العيون
2- الأنـهار
3- الآبار

أولاً: العيون أو الينابيع

إن للماء مصادر يتحصل منها، وهذه المصادر إما أن تكــون جوفيــة مــن بــاطن الأرض، أو نازلةً من السماء من خلال أشكال مختلفة، ونحن في هذا الفصل نتعرض لهــذه المصادر، وصورها في القرآن الكريم، ونبدأ بالمصدر الجوفي الأرضي، حيث يخرج منها: العيون، أو الينابيع، وكذلك جزء كبير من مياه الأنهار يكون منها، وجزء آخر يكــون مــن السيول التي تنشأ من المطر، ونبدأ بالعيون والينابيع .

" **العين:** والعين والياء والنون أصل واحد صحيح يدل على عضو به يُبْصَر وينظــر ثم يشتق منه .... ومن الباب العين الجارية النابعة من عيون الماء "[1] "وهي ينبــوع المــاء الذي ينبع من الأرض ويجري ، والجمع أعين وعيون."[2] وذكرت كتب اللغة معاني كثيــرة للعين، وهذا المعنى هو الذي يعنينا حتى أن تاج العروس ذكر أكثر من أربعين وجهاً.[3]

---

(1) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 725 – 726 .

(2) لسان العرب / ابن منظور 13 / 304 .

(3) تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي . ــ ط1 دون سنة دار مكتبة الحياة بيروت 9 / 387 وما بعدها . وانظر مجمل اللغة / أحمد بن فارس؛ تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. ــ ط2 . ــ بيروت ؛ مؤسسة الرسالة 1986 م 3 / 640 ، وانظر عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 3 / 177 ، انظر إتفاق المباني وافتراق المعاني سليمان بن بنين الدقيقي النحوي ص 108؛ تحقيق يحيى عبد الرؤوف جبر . ــ ط1 . ــ عمان، دار عمار للنشر والتوزيع 1985 م .

"**نبع** : النون والباء والعين كلمتان إحداهما نبوع الماء والموضع الذي ينبع منه ينبوع ومنابع الماء مخارجه من الأرض" [1]

ومن هذا التعريف لأهل اللغة يتبين لنا أن العين والينبوع واحد فهوالماء الذي يخـــرج جاريـــاً من الأرض فهما لفظان مترادفان .

ومن وجوه ذكر العين في القرآن العين منبع المـــاء الجـــاري، فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿**فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾[2] والعين النهر في قوله تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَـــا عِبَـــادُ اللَّهِ**﴾[3] كما ذكره ابن الجوزي.[4]

والينبوع في علم الأرض:

" مصدر طبيعي للماء ينبع من الأرض حيث تتسرب مياه المطر، ومياه الثلوج الذائبـــة إلـــى الأرض، وترشح خلال مسام وشقوق التربة ثم منها إلى الطبقات الصخرية ويصل الماء فـــي النهاية إلى طبقة لا يستطيع المرور منها، ويسمى هذا الماء المحتجز تحـــت الأرض الميـــاه الجوفية وربما تتسبب حركة باطن الأرض وكذلك الاختلاف في منسوب الماء الجوفي عندما يرتفع عن مستوى سطح البحر في دفع الماء إلى أعلى، حتى يجد منفذاً إلى الـــسطح، مكونـــاً ينبوعاً .

وتوجد الينابيع في الجبال والأودية وغالباً ما توجد أسفل صخرة، أو منحدر، أو حيث يوجد شق أو أخدود، ويؤدي إلى السطح، وتوجد أكبر الينابيع في مناطق الحجـــر الجيـــري، حيث يسيل الماء تحت الأرض في قنوات على شكل كهوف، وتصل مثل هذه القنـــوات إلـــى السطح وتتدفق منها كميات كبيرة، من المياه خارجة من باطن الأرض."[5]

وذكر القرآن العيون والينابيع في مواضع مختلفة من سور القرآن الكريم، ومن وجوه مختلفة، فتراه تحدث عن تفجيرها ودرجة التفجير، وكذلك أنواعها، حسب المـــادة الخارجـــة منها، ودرجة جريان وتدفق الماء منها. واستخدامها للنعمة والإهلاك وكونها آية، أو معجزة، أو طلبها على سبيل التعجيز.ولذلك سوف أسوق الآيات حسب الأغراض التي ذكرتها.

---

(1) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 1008 .

(2) سورة البقرة: آية / 60

(3) سورة الإنسان: آية / 6

(4) الوجوه والنظائر / ص 443 – 444 .

(5) الموسوعة العربية العالمية 27 / 348 وانظر كوكب الأرض / حسن سيد أحمد أبو العينين . – ط5 .– 1979 ، دار النهضة العربية بيروت ص 294 .

الغرض الأول: تفجير العيون بشكل عام

يتحدث القرآن عن آية إحياء الأرض الميتة، وإخراج الحب منها، والجنات من النخيل والأعناب، وتفجير العيون خلالها يقول تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ الأرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ(33)وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ**﴾[(1)]

ذكر الله هنا في معرض حديثه عن آياته، وإنعاماته على الإنسان، أنه فجر له العيون لتسقِ الحدائق والبساتين والزروع، وهذا الامتنان بنعم الله على الإنسان ﴿**أَفَلا يَشْكُرُونَ**﴾[(2)] على هذه النعم التي لا تحصى .

وتفجير العيون" آية عظيمة لأن الأرض أجزاؤها بحكم العادة لا تصعد، ونحن نرى منابع الأنهار والعيون في المواضع المرتفعة، وذلك دليل القدرة والاختيار."[(3)]

" ولما كانت الجنات لا تصلح إلا بالماء، وكان من طبع الماء الغور في التراب، والرسوب بشدة السريان إلى أسفل، فكان فورانه إلى جهة العلو أمراً باهراً للعقل لا يكون إلا بقسر قاسر حكيم قال:﴿**فَجَّرْنَا**﴾ أي فتحنا تفتيحاً عظيماً﴿**فيها**﴾ ودل على تناهي عظمته وتعاليها عن أن يحاط بشيء منها للتبعيض يقول: ﴿**مِنَ الْعُيُونِ**﴾ والتعريف هنا يدل على أن الأرض مركبة على الماء، فكل موضع منها صالح لأن يتفجر منه الماء، ولكن الله يمنعه ... ولو شاء لفجر الأرض كلها عيوناً، كما فعل بقوم نوح – عليه السلام – فأغرق الأرض كلها."[(4)]

الغرض الثاني: قوة الإنفجار

وساق لنا القرآن درجات التفجير بين القوة والضعف، أو التدرج في خروج الماء عند انفجاره من الأرض. قال تعالى:﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[(5)]

وفي موضع آخر قال:﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**﴾[(6)]

---

(1) سورة يس: آية / 33 – 34
(2) سورة يس: آية / 35
(3) تفسير الرازي 26 / 67 .
(4) نظم الدرر/ البقاعي 6 / 260 .
(5) سورة البقرة: آية / 60
(6) سورة الأعراف: آية / 160

نلاحظ أن خروج الماء بضرب سيدنا موسى – عليه السلام – للحجر كان على قوتين:

أحدهما: أشد من الأخرى بتعبير القرآن عن ذلك بقوله: في البقرة ﴿**فانفجرت**﴾ وفي الأعراف ﴿ **فَانْبَجَسَتْ**﴾ "يقال بجس الماء وانبجس انفجر ، لكن الإنبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج في شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع "[1]

ويرى الرازي لهذا الاختلاف وجوها ثلاثة :

" **أحدها:** الفجر الشق في الأصل، والانفجار الانشقاق ومنه الإنبجاس اسم للشق الضيق القليل، فهما مختلفان اختلاف العام والخاص فلا يتناقضان .

ثانيها: لعله انبجس أولاً ثم انفجر ثانياً، وكذا العيون يظهر الماء منها قليلاً ثم يكثر لدوام خروجه.

ثالثها: لا يمتنع أن حاجتهم إلى الماء كانت تشتد فينفجر، أي يخرج الماء كثيراً، ثم كانت تقل فكان الماء ينبجس أي يخرج قليلاً "[2]

يرى الباحث: والقول الثاني يصدقه العلم الحديث اليوم من خلال عوامل النحت التي يفعلها الماء في الصخور فمع كثرة خروج الماء من المصدر يتسع فيصبح خروج الماء أكثر أما القول الثالث للرازي لا ينبنى على العلم ولكنه وجه عقلي ويحتاج إلى دليل .

وكذلك من الأقوال التي لا يستقيم لها قوام قول عبد الكريم الخطيب " وهذا الاختلاف في التعبير إنما هو لاختلاف الحال، فحين ضرب موسى الحجر كان الإنبجاس أولاً، ثم تلاه الانفجار، فكل من الإنبجاس والانفجار وصف لحال من أحوال ضربة العصا وأثر من آثارها، وذلك وجه مشرق من وجوه الإعجاز، في التكرار الوارد على الأحداث في القصص القرآني."[3]

يرى الباحث: وما هو دليله على أن ذلك وصف لحال من أحوال ضربة العصا وأثر من آثارها .

والشاهد في الأمر أن العيون مختلفة في درجة انفجارها، بين الكثرة والقلة؛ حسب سعة الشق الذي تخرج منه، وكذلك كمية الماء المتدفقة من الكهوف المختزن فيها المياه الجوفية التي هي مصدر العيون والينابيع .

---

(1) المفردات / للراغب الأصفهاني ص 34 .

(2) تفسير الرازي 3 / 96 ، وانظر القرطبي 1 / 419 .

(3) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 1/ 90 .

الغرض الثالث: درجة جريان الماء

هذا الذي أسلفت هو قوة الإنفجار، ولكن درجة جريان الماء من هذه العيون ،وصفه الله تعالى في القرآن في موضعين: من سورة الرحمان قال تعالى:﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَــانِ**﴾[1] وقــال بعدها: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾[2] .

الجري: بيّنته سابقاً في مطلب السفن والملاحة البحرية [3].

"أما **النضخ:** شدة فور الماء في جيشانه، وانفجاره من ينبوعه، وهو ما كان من سفل إلى علو.. وعين نضاخة تجيش بالماء، وفي الآية أي فوارتان."[4]

" ومن صفات هاتين الجنتين أن فيهما عينان تجريان، بالماء العذب الرقــراق وهــذا الماء السلسبيل المتدفق من العيون الجارية، هو في نفسه نعمة إلى جانب نعمة الجنة ، وإلــى ظلها الممدود."[5]

" النضخ والنضح بمعنى واحد إلا أن النضخ أكثر إعطاءً للماء مــن النــضح، كمــا يشعر بذلك ثقل الخاء، وخفة الحاء، فعلى مقدار وزن كل منهما يكون قدر كل مــن النــضخ والنضح من الماء .

أي في هاتين الجنتين عينا ماءٍ تضخان الماء ضخّاً، وفي دفعات متتالية، ولا ترسلانه متدفقاً كهاتين العينين اللتين في الجنتين السابقتين، كما يقول سبحانه ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ**﴾

وليس هذا ضناً من الله سبحانه وتعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيــراً، وإنمــا هــو عطاء يفرّق فيه بين أهل الإحسان، حيث ينزل كل منهما منزلة الذي هو أهلٌ له، وذلك عــدل الله، الذي يجري مع إحسانه ويضبط موازينه ."[6]

ولأنهما تجريان قال السمرقندي " يعني في البساتين نهران من الماء غيــر آســن أو غير متغير."[7] ونخلص إلى أن العينين الجاريتين يسيل ماؤهما بــين أشــجار الجنــة بقــوة

---

(1) سورة الرحمن: آية / 50

(2) سورة الرحمن: آية / 66

(3) انظر صفحة / 44

(4) انظر لسان العرب 3 / 62 .

(5) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 27 / 691 .

(6) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 27 / 697 ، وانظر تفسير القرطبي 17 / 185 وفي رحاب التفسير / عبد الحميد كشك 7 / 6114 ، والتفسير المنير / وهبة الزحيلي 27 / 232 ، وتفسير الرازي 29 / 122 – 134

(7) بحر العلوم/ السمرقندي 3 / 310 .

وانسياح، ففتخللان وتسقيان هاتين الجنتين وكأنهما النهر الجاري كما وصــفهما الــسمرقندي لقوة جريان الماء فيهما.

أما العينان النضاختان فهما تفوران في المكان، يتدفق منهما الماء كالنافورة، وحولهما الأشجار، وهما دون السابقتين حيث قال تعالى:﴿ **وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ**﴾[1]

الغرض الرابع: أنواع العيون حسب المادة الخارجة منها

ولما بين الله في الأغراض السابقة التفجير، ودرجته وقوة جريانه، بيّن الله كذلك أكثــر مــن نوع من أنواع العيون، حسب المادة الخارجة منها. يقول تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّــهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾[2] ويقول أيضاً ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾[3] وقال سبحانه ﴿**وَفَجَّرْنَــا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ**﴾[4] هذه آيات وغيرها كثير تحدثت عن عيون الماء العذب في الدنيا والآخرة ... وهناك نوع آخر من العيون، يخرج منها الماء الساخن والطين ممزوجاً بمائها، كما قــال تعالى:﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**﴾[5]

الحَمَئَة: حمئ الماء يحمأ حمأً: كثر فيه: الحمأةُ وهي الطين الأسود المُنْــتِنْ متكــدّر وتغيرت رائحته، فهي عين حمئة. "[6]

ذكر الرازي أن معنى عين حمئة أنها عين من ماء وطين على قول، وقــول آخــر: على أنها حامية أي ساخنة، ورجّح أن تكون الأولى مع إمكانية الجمع بين الإثنين فــي نفــس الحين. فقال:" واعلم أنه لا تُنافي بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصــفين جميعاً " ... وأنه يترائى للناظر أن الشمس تغرب في هذه العــين، كمــا يظهــر للــراءي أن الشمس تغرب في البحر وهي ليست كذلك .[7]

يرى الباحث: لا يمكن أن ترى الشمس في هذا الحال؛ إلا إذا كانت هذه العين تكــوّن حولها مستنقعاً أو بركةً أو حوضاً من الماء واسعاً، لدرجة أنه يشكل أفقاً للناظر إليــه حتــى

---

(1) سورة الرحمن: آية / 62
(2) سورة الإنسان: آية / 6
(3) سورة الدخان: آية / 25
(4) سورة يس: آية / 34
(5) سورة الكهف: آية / 86
(6) الإفصاح في فقه اللغة / حسين موسى وعبد الفتاح الصعيدي 2 / 992 .
(7) تفسير الرازي 21 / 166 – 167، وانظر تفسير النيسابوري 3 / 2172 ، وانظر التفسير المنير/ وهبة الزحيلي 16 / 24 .

يرى الشمس تغرب فيه، واللفظ يدل على أنها كانت ضحلة من الطين الأسود وهذا يدل بالعقل على وجود عدة عيون في المكان تغذيه، حتى تكوّن هذه المساحة من الماء الغامر .

وكذلك قد تكون هذه العيون ساخنة فوّارة، مثل العيون البركانية التي تقذف الماء الساخن مع الطين، وبعض المواد الأخرى. والله تعالى أعلم .

وذكر القرآن في حديثه عن النعم التي أنعمها على عبده سيدنا سليمان، أنه أسال له **عين القطر:** وهو النحاس المذاب، وأذكرها هنا لأن الله سماها عين وأخرجها من الأرض له، وأسالها من باب بيانها كنوع من العيون مختلف في مادته قال تعالى: ﴿ **وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ** ﴾[1]

" يعني أجرينا له عين الصفر[2] النحاس المذاب ... وروى سفيان عن الأعمش قال: سيلت له كما سيل الماء، ويقال: جرى له عين النحاس في اليمن."[3]

الغرض الخامس: العيون معجزة

وذكر القرآن العيون؛ كونها آية أو معجزة، أجراها على يد سيدنا موسى – عليه السلام – عندما استسقاه قومه فقال تعالى:﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[4] وقال في الأعراف ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**﴾[5]

تعرضت لهاتين الآيتين في أكثر من موضع، ولكن في كل موضع نأخذ منهما على قدر الشاهد، ولكن هنا أتحدث عن المعجزة في هذه العيون؛ حيث أجراها الله على يد سيدنا موسى –عليه السلام – ." أي طلب لهم السقيا من الله تعالى بأن يسقيهم بماء يكفيهم حاجتهم في هذه الصحراء المحرقة ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ**﴾ أي فاجبناه إلى ما طلب، وأوحينا إليه أن اضرب الحجر بعصاك، وقد أمره أن يضرب بها حجراً من أحجار الصحراء،

قال الحسن البصري: لم يكن حجراً معيناً، بل أي حجر ضربه انفجر منه الماء، وهذا أظهر في حجة موسى– عليه السلام – وأدل على قدرة الله تعالى وقد سماه في سفر الخروج الصخرة."[6]

---

(1) سورة سبأ: آية / 12

(2) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 570 .

(3) بحر العلوم / السمرقندي 3 / 66 .

(4) سورة البقرة: آية / 60

(5) سورة الأعراف: آية / 160

(6) تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي 1 / 126 ، وانظر تفسير ابن كثير 1 / 100 .

وتلك آية من آيات الله البينة، ونعمة من نعمه الجليلة،على هؤلاء القوم الشاردين عن موارد الحق والهدى، تحترق أكبادهم عطشاً في هجير الصحراء، فتطلع عليهم رحمة الله ... فيتدفق الماء عذباً زلالاً من إثنتي عشرة عيناً بعدد قبائلهم ."[1]

وقال الزحيلي:" أما تفجير المـــاء مـــن الحجـــر فكـــان معجـــزة لموســـى- عليه السلام - والمعجزات كلها من صنع الله ."[2]

وتظهر المعجزة في قصة موسى – عليه السلام –من وجوه:

1- تفجير الماء من الحجر بضربه بالعصا. في كلا الحالين إن كان حجراً بعينه أو أي حجر كان حسب الروايات المختلفة .

2-خروج اثنتا عشرة عيناً وكان يكفيهم عين واحدة، تسعهم وتفي حاجاتهم، ولكـــن كـــي لا يتشاحنوا ويتشاجروا، على الماء فجعلها على عدد أسباطهم .

3- أنها كانت حسب الحاجة يخرج الماء عند الحاجة ويقف عند عدم الحاجة إليه أو في حال رحيلهم عن المكان .[3]

الغرض السادس: طلب العيون بغرض التحدي والمراوغة والتعجيز

جاء ذكر العيون والينابيع على سبيل التعجيز والتحدي .

قال تعالى:﴿ **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا**﴾[4]

" ونبع الماء ينبع نبعاً ونبوعاً إذا خرج من العين ... ولذلك سميت العين ينبوعـــاً... وجمعـــه ينابيع وزاد الفيروزأبادي الجدول الكثير من الماء ."[5] ومنبع غزير ومنابع [6]

سبب النزول: الآية قوله تعالى:﴿ **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا**﴾عن ابن عباس أن قريشاً اجتمعوا، فقالوا: يا محمد ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مـــا أدخلت على قومك، لقد سببت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشـــتمت الآلهـــة وفرقـــت

---

(1) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 1 / 89 ، وانظر تفسير المنار / محمد رضا 1 / 326 .

(2) التفسير المنير / وهبة الزحيلي 1 / 169 .

(3) انظر تفسير الرازي 3 / 97 .

(4) سورة الإسراء: آية / 90

(5) تهذيب اللغة / لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. ــ ط1 . ــ دون سنة ؛ تحقيق عبد الحليم النجار ومراجعة محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، وانظر معجم مفردات الفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني ص 502، وبصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز / الفيروزأبادي ؛ تحقيق عبد العليم الطحاوي 5 / 13 . ــ ط1 . ــ القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، 1970

(6) أساس البلاغة / الزمخشري / ص 615 .

الجماعة، فما من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تريد مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالا، وأن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئيا تراه قد غلب بذلنا أموالنا في طلب العلم حتى نبرئك، منه فقال رسول الله: ﷺ ، ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم مبشرا ونذيرا، قالوا فإن كنت غير قابل منه ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا وأشد عيشا منا، فلتسأل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليُجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ... فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله، فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فو الله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلماً، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة، ومعك أربعة من الملائكة فيشهدوا لك أنك كما تقول، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فأنزل عليه ما قاله عبدالله بن أبي أمية، وقالوا لن نؤمن لك ... إلى قوله بشرا رسولا .[1]

لما ثبتت معجزة الرسول ﷺ – القرآن الكريم – ،وعجز كفار مكة أن يأتوا بمثله، طلبوا من الرسول ﷺ المعجزات المادية، وقد طلبوا منه ستة من الآيات والمعجزات المادية، ومنها تفجير العيون أو الينابيع من الأرض بحجة أن مكة أرض جرداء ولا زرع فيها ولا بساتين، وهذا نوع من التعجيز مقروناً بالتحدي، والمراوغة لا من أجل التوصل إلى التصديق والإيمان ومعرفة الحقيقة، فلو أرادوها لكفاهم القرآن صدقاً على نبوة الرسول ﷺ .

وذلك كان رداً على تحدي القرآن لهم وعجزهم وفشلهم في المواجهة أمام حقيقة الرسالة [2]

وهؤلاء القوم حتى لو جاءتهم الآيات، وشاهدوها بأعينهم فلن يؤمنوا لشدة جحودهم، وعنادهم ومراوغتهم للحق، فقد قال الحق في أمثالهم ﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ(96) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾[3] فهم لا يبحثون عن الإيمان، بل

---

(1) انظر لباب النقول في أسباب النزول / للسيوطي 140 – 141 . ـ ط1 ـ . بيروت ، دار إحياء العلوم ، بدون سنة . وانظر أسباب النزول للواحدي/ ص 168 – 169 .

(2) انظر تفسير الرازي 21 / 56 – 57 ، والتفسير المنير / وهبة الزحيلي 15 / 167 .

(3) سورة يونس: آية / 96 – 97

طلبوا ذلك ليرضوا كبرياءهم وعنادهم، بعدم تلبية الرسول لهم طلبهم، ويتخــذوا مــن ذلــك ذريعة للبطش به، ومن معه، ويكونوا كما قالوا أو نعذر فيك .

الغرض السابع: استخدام العيون نعمةً أو عقاباً

لقد تحدث القرآن عن العيون ضمن حديثه عن انعامه على عباده في عدة آيات منها: قال تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ**﴾[1] وقــال فــي الشعراء ﴿**أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ(133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾[2] ﴿**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِــينَ(146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾[3] وفي الدخان ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيونٍ(25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**﴾[4] سبق الحديث عن آية سورة يس وسوف أعرض هنا آيتي الشعراء وآية الدخان .

فأما سورة الشعراء فهي من سور القصص القرآني، وقد ذكر فيها جمعٌ من الأنبيــاء مثــل موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب وسيدنا محمد ﷺ وعلى الأنبياء أجمعين .

﴿**وَاتَّقُواْ الذي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُون(132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ(133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾

يخاطب هود –عليه السلام– قومه عاد بدعوتهم للتقوى، مذكراً إياهم بما منّ الله علــيهم، وأمدهم من النعم التي يعلمونها: من أنعام وبنين، وبساتين تجري فيها العيون،" وهذا زيادة في دعائهم إلى الآخرة وزجراً لهم عن حب الدنيا والانشغال بالسرف والحــرص والتجبــر ثــم وصل هذا بالوعظ ما يؤكد القبول، وهو التنبيه على نعم الله تعالى عليهم بالإجمــال أولاً ثــم بالتفصيل ثانياً فأيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حيث قال:﴿**أمدكم بمــا تعلمــون**﴾ ثــم فــصّلها بقوله:﴿ **أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ(133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ ."[5]

ونجد صالح –عليه السلام– يعظ قومه كذلك، مذكراً إياهم بأمور منها أنهم لــن يتركــوا حسب ظنهم في هذا النعيم من البساتين وعيونها وتطمعون في ذلك وأنه لا دار للمجازاة على أعمالكم. فالأمن والاستقرار في النعيم لا يكون بدون تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله فيقول لهم:﴿**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ(146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(147) وزروع ونخل طلعها هضم**﴾ أما في سورة الدخان فيقول تعالى:﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيونٍ(25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**﴾

---

(1) سورة يس: آية / 34

(2) سورة الشعراء: آية / 133 – 134

(3) سورة الشعراء: آية / 146 – 147

(4) سورة الدخان: آية / 52

(5) تفسير الرازي 24 / 157 .

" دلت هذه الآية على أنه تعالى أغرقهم – فرعون وجنوده –، ثم قال: بعد غرقهم هذا الكلام وبيّن تعالى أنهم تركوا خمسة أشياء وهي:الجنات والعيون والزروع والمقـام الكـريم ﴿**وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ**﴾[1] نعمة العيش والتنعم به ."[2] "وكم هنا للتكثير ...وقـال ابـن عمر المراد بالنعمة هنا قيل مصر وقيل أرض مصر لكثرة خيرها. وقيل ما كانوا فيـه مـن السعة والدعة كما ذكره القرطبي."[3]

هذا في جانب النعمة أما في الإهلاك فقال تعالى: ﴿**وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾[4]

يصف لنا القرآن كيف كان الطوفان، الذي أغرق الله به قوم نوح – عليه السلام – عندما عصوه وأنكروا دعوته. وصفه وصفاً فيه من البلاغة ما ليس في قول القائل وفجرنا عيـون الأرض، وهذا بيان التمييز في كثير من المواضع ... ﴿**فَالْتَقَى الْمَاءُ**﴾ له معنى لطيف، وذلك أنه تعالى لما قال: ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ**﴾[5] ذكر الماء وذكر الانهمار، وهـو النزول بقوة فلما قال: ﴿﴿**وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا**﴾ كان من الحسن البديع أن يقول ما يفيـد أن الماء نبع منها بقوة، فقال ﴿**فَالْتَقَى الْمَاءُ**﴾ أي من العين فار الماء بقوة حتى ارتفع والتقى بماء السماء. ولو جرى جرياً ضعيفاً لما كان هو يلتقي مع ماء السماء؛ بل كان ماء السـماء يـرد عليه ويتصل به ."[6]

إن فتح أبواب السماء، وتفجير الأرض وطغيان الطوفان، وغرق قوم نوح كان أمـراً إلهياً معجزاً يدلل على قدره الملك الجبار حتى أن الماء غطّي الجبال لأن ابن نوح لم ينج من الغرق بعد أن آوى إلى جبلٍ ظاناً أنه سيعصمه من الماء ﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾[7] فقد كان الموج كالجبال كما وصفه الله تعالى ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ**﴾[8] فكانت هذه العيون المتفجرة سلاحاً يهلك هؤلاء الجاحدين .

---

(1) سورة الدخان: آية / 27
(2) تفسير الرازي 27 / 246 .
(3) انظر تفسير القرطبي 16 / 138 .
(4) سورة القمر: آية / 12
(5) سورة القمر: آية / 11
(6) تفسير الرازي 29 / 37 .
(7) سورة هود: آية / 43
(8) سورة هود: آية / 42

" ومن اللطائف في هذه الآية:

1) قوله: ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ**﴾ لأن السماء ذات الرجع ومالها من فطور، ولم يقل شققنا السماء، وقال في الأرض ﴿**وَفَجَّرْنَا الأرْضَ**﴾ لأنها ذات الصدع .

2) لما جعل المطر كالماء الخارج من أبواب مفتوحة واسعة، ولم يقل وأجرينا من الأرض بحاراً وأنهاراً، بل قال ﴿**عُيُونًا**﴾ والخارج من العين دون الخارج من الباب ذكر في الأرض أنه تعالى فجرها كلها، فقال ﴿**وَفَجَّرْنَا الأرْضَ**﴾ لتقابل كثرة عيون الأرض سعة أبواب السماء فيحصل بالكثرة هاهنا ما حصل بالسعة هاهنا .

ذكر عند الغضب سبب الإهلاك وهو فتح أبواب السماء، وفجر الأرض بالعيون وأشار إلى الإهلاك بقوله: ﴿**عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾ أي أمر الإهلاك ولم يصرّح، وعند الرحمة ذكر الإنجاء صريحاً بقوله تعالى:﴿**وحملناه**﴾ وأشار إلى طريق النجاة بقوله:﴿**ذات ألواح**﴾."[1]

الغرض الثامن: ظاهرة وباطنة

ووصف لنا القرآن العيون حيث مكانها: عيون خارجية وعيون وينابيع باطنية. فأما العيون الخارجية فينطبق على كل ما سبق من أغراض فلا داعي للتكرار، وأما بالنسبة للعيون الباطنية – داخل باطن الأرض – فهي التي سوف نبيّن وصفها وهي مذكورة في سورة الزمر في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ...**﴾[2]

هذه الآية من سورة الزمر ضربها الله لنا مثلاً لقصر الحياة الدنيا، تشبيهاً بحال الزرع، وقصر مدة اخضراره ونضارته؛ ليتعظ الإنسان فلا يركن إلى الدنيا وزينتها الفانية .

" وذلك أن الله تعالى بيّن أنه أنزل من السماء ماءً، وهو المطر وقيل كل ما كان في الأرض فهو من السماء، ثم أنه تعالى ينزله إلى بعض المواضع ثم يقسمه فيسلكه ينابيع في الأرض، أي فيدخله وينظمه ينابيع في الأرض عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجسام ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ."[3]

---

(1) تفسير الرازي 29 / 37 .

(2) سورة الزمر: آية / 21

(3) تفسير الرازي 26 / 264 ، والمقتطف من عيون التفاسير / مصطفى الخيري المتصوري، 4 / 478 ؛ حققه محمد على الصابوني . ــ ط1 . ــ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع 1995 م.

" أي أدخله في الأرض فجعله ينابيع يعني عيوناً في الأرض تنبـــع."[1] " أي فـــصار جارياً تحتها ينبع منها ."[2]

" ويكون في باطنها شرايين تتجمع ."[3] وبعد هذه النقول مـــن التفاســـير قـــديمها، وحديثها، يتضح أن الله ينزل الماء من السماء فيتخلل شقوق الأرض، وتربتهـــا فـــي مـــسالك تؤدي إلى كهوف جوفيه في باطن الأرض، فتخرج من مسالكها داخل هذه الكهـــوف ينـــابيع داخل الأرض تصب في هذه المحاضن الجوفية .

ومن هنا كان الإعجاز العلمي في هذه الآية الكريمة التي أشارت إلـــى هـــذه العلـــوم الجيولوجية قبل العلم الحديث .

ثانيا: الأنـهار

المياه الجوفية مصدرٌ رئيسٌ للأنهار، إلى جوار مياه الأمطار ، وكثر ذكر الأنهـــار فـــي القرآن، ولا سيما فيما أعد الله لعباده في الجنة، وذكر القرآن الأنهار في الدنيا، ولكن ضـــمن آيات تحمل معاني مختلفة الأغراض، فمن المعاني والأغراض:

1- للدلالة على كمال قدرة الخالق سبحانه .
2- في الامتنان بالنعمة على عباده .
3- إقامة الحجة على المشركين على وحدانيته .
4- تفاخر وتكاثر وغرور فرعون بجريان النيل من تحته .
5- تفجير الأنهار من الحجارة .
6- الابتلاء بالشرب من النهر .
7- الأنهار جزء من ثمار الاستغفار .
8- طلب تفجيرها للمراء والتعجيز والمراوغة .

الغرض الأول: الدلالة على كمال قدرة الخالق سبحانه

لقد تحدث القرآن عن ظواهر طبيعية كثيرة، للدلالة على قدرة الله- جل شـــأنه- فـــي خلق السماوات والأرض وما بينهما ومن ضمن هذه الظواهر الطبيعية الأنهار ومثـــال ذلـــك قوله تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا**﴾[4]

---

(1) بحر العلوم / السمرقندي 3 / 148 .
(2) أيسر التفاسير / الجزائري 4 / 478 .
(3) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 23 / 1143 .
(4) سورة الرعد: آية / 3

" يخبر تعالى عن كمال قدرته، وعظيم سلطانه ... ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ**﴾ أي جعلها متسعة ممتدة، في الطول والعرض، وارساها بجبال راسيات شامخات، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون؛ ليسقي ما جعل فيها من الثمرات، المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح."[1]

" وعطف الأنهار على الجبال مباشرة؛ لأنها سبب تولدها وتبعها، ولا يمنع انبساط الأرض للحياة في أجزائها أنها غير كروية، أو مسطحة في حجمها الكلي ... ."[2]

ولكن الإمام القرطبي ينكر كروية الأرض بقوله: " في هذه الآية رد على من زعم أن الأرض كالكرة [3] " وكأنه يريد الإمام الرازي الذي يثبت كروية الأرض في تفسيره مستدلاً بوجوه كثيرة ليس هنا مجالها .

وكذلك عدّد وجوهاً للاستدلال على وجود الخالق، وقدرته بخلق الجبال، ثم إنه بين أن هناك علاقة قوية في قرن الجبال بالأنهار، في كثير من المواضع في القرآن الكريم، وفسر أن المياه الجوفية المتكونة تحت هذه الجبال عندما تتعاظم؛ فلكثرتها وقوتها تتقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض، ومن هنا كانت الأنهار تتولد وتتبع متفجرةً من الجبال .[4]

الغرض الثاني: الامتنان بالنعمة على عباده

نعم الله لا تحصى ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[5] ومن هذه النعم: نعمة جريان الأنهار في الأرض، وتفجيرها بالماء العذب الرقراق، هذه النعم التي كثيراً ما يذكرها الله تذكيراً لعباده ليعبدوه ويشكروه، لما من عليهم بكرمه ورحمته .

ويذكر الله الأنهار في القرآن تحت هذا الغرض، مبيناً ما سخّر لهم في خلق السموات والأرض، والتي منها الأنهار .قال تعالى:﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ**﴾[6]

---

(1) تفسير ابن كثير 2 / 500 – 501 .

(2) التفسير المنير / الزحيلي 13 / 105 .

(3) تفسير الجامع لأحكام القرآن 9 / 280 .

(4) انظر تفسير الرازي 19 / 3 – 4 .

(5) سورة النحل: آية / 18

(6) سورة إبراهيم: آية / 32

" يعّدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفاً محفوظاً، والأرض فراشاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾[1] ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان، والأشكال والطعوم والروائح والمنافع، وسخر لكم الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه ... وسخر الأنهار تشق الأرض، من قطر إلى قطر، رزقاً للعباد من شرب وسقي، وغير ذلك من أنواع المنافع ."[2]

" ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾ يعني البحار العذبة؛ لتشربوا منها وتسقوا وتزرعوا "[3] ويقول الإمام الرازي: " واعلم أن ماء البحر لا ينتفع به في الزراعات، لا جرم ذكر تعالى إنعامه على الخلق، بتفجير الأنهار والعيون حتى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزرع والنبات، وأيضاً ماء البحر لا يصلح للشرب، والصالح لهذا المهم هو مياه الأنهار."[4]

يرى الباحث: هذا وجه، ولكن عطف تسخير الأنهار على تسخير الفلك، وهو أقرب معطوف، يدل أنه يراد به الملاحة النهرية، علاوة على ما في الأنهار من منافع أخرى، كالشرب وسقي الزرع، ويرجح ذلك أنه ذكر إنزال الماء العذب للشرب والسقيا صراحةً من السماء. فهل يراد تكرار المنفعة مرة أخرى، وكذلك ذكر المطر لكونه سبباً من أسباب وجود الأنهار .

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[5]

" أي جبالاً ثابتة. رسا يرسو إذا ثبت وأقام ... والميد: الاضطراب يميناً وشمالاً، ماد الشيء يميد ميداً إذا تحرك ."[6]

﴿وَأَنْهَارًا وَسُبُلا﴾ أي جعل فيها أنهاراً تجري من مكان إلى مكان آخر، رزقاً للعباد، ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع والبراري والقفار، ويخترق الجبال والآكام فيصل إلى البلد الذي سخر لأهله، وهي سائرة في الأرض يمنه ويسره، وشمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً، ما بين صغار وكبار، وأودية تجري حيناً وتنقطع في وقت، ما بين نبع وجمع، وقوي السير وبطيئه، بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسر، فلا إله إلا هو ولا رب سواه."[7]

---

(1) سورة طه: آية / 53
(2) تفسير ابن كثير 2 / 540 .
(3) تفسير القرطبي 9 / 366 .
(4) تفسير الرازي 19 / 130 .
(5) سورة النحل: آية / 15
(6) تفسير القرطبي 10 / 90 – 91 .
(7) تفسير ابن كثير 2 / 566 ، وانظر التفسير المنير / للزحيلي 14 / 100 .

وفسر الزمخشري ألقى بمعنى جعل أي جعل فيها أنهاراً [1] ونقل عنه ذلك القرطبي [2] والرازي[3]

" إعلم أن المقصود من هذه الآية ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الأرض:
فالنعمة الأولى: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾.
والنعمة الثانية: من النعم التي أظهرها الله تعالى على وجه الأرض هي، أنه تعالى أجرى الأنهار على وجه الأرض، واعلم أنه حصل هاهنا بحثان:
البحث الأول: أن قوله: ﴿**وَأَنْهَارًا**﴾ معطوف على قوله: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ**﴾ والتقدير وألقى رواسي وأنهاراً. وخلق الأنهار لا يبعد أن يسمى بالإلقاء فيقال: ألقى الله في الأرض أنهاراً كما قال: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ**﴾ والإلقاء معناه الجعل ...
البحث الثاني: أنه ثبت في العلوم العقلية أنّ أكثر الأنهار إنما تتفجر منابعها في الجبال، فلهذا السبب لما ذكر الله تعالى الجبال أتبع ذكرها بتفجّر العيون والأنهار .
النعمة الثالثة: قوله:﴿ **وَسُبُلا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ وهي معطوفة على﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ**﴾"[4]

ويقول تعالى في موضع آخر:﴿ **كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا**﴾[5] " والنهر بنصب الهاء والجزم، بمعنى واحد في اللغة، إلا أن قراءة النصب أصح ."[6]

" أي كان النهر يجري في داخل تلك الجنتين [7] ،وفي قراءة يعقوب وفجرنا مخففة وفي قراءة الباقين وفجّرناً مشددة والتخفيف هو الأصل؛ لأنه نهر واحد والتشديد على المبالغة لأن النهر يمتد فيكون كأنهار. ﴿**خِلالَهُمَا** ﴾ أي وسطهما وبينهما ."[8]

---

(1) انظر الزمخشري 2 / 598 .
(2) تفسير القرطبي 10 / 90 .
(3) تفسير الرازي 20 / 10 .
(4) تفسير الرازي 20 / 10 .
(5) سورة الكهف: آية / 33
(6) بحر العلوم / السمرقندي 2 / 299 .
(7) انظر التفاسير الآتية: ابن كثير 3 / 84 ، والزمخشري 2 / 721 ، والقرطبي 10 / 403، والسمرقندي 2 / 299 ، والرازي 21 / 125 ، واللفظ له والباقون بالمعنى .
(8) تفسير الرازي 20 / 125 .

الغرض الثالث: إقامة الحجة على وحدانية الله

" وتقرير الوحدانية أصل مشترك في جميع الرسالات السماوية، فإن التعدد نبت في الأرض في بعض البيئات الضالة، ولما كان قد شاع بين العرب، فقد وجه القرآن إليهم خمسة أسئلة ترسي قواعد الوحدانية، تشرح الحقيقة لكل ذي لب ."[1]

وقد طرح الله تعالى هذه الأسئلة الخمسة في سورة النمل لإقامة الحجة عليهم في شركهم ، ومن هذه الأسئلة هذا السؤال، في قوله تعالى:﴿ **أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ**﴾[2]

﴿**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا**﴾ " أي قارّة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها، ولا ترتجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتةً، لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال :﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾[3] ﴿**وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا** ﴾أي جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة، شقها خلالها وصرفها فيها، ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك ... "[4]

وذكر الرازي: أن الله سبحانه يدلل على أنه هو الخالق لأصول النعم، وفروعها في السماء و الأرض، من خلال ما ذكر من آيات واضحة جلية في خلق السموات والأرض، وإنزال الماء من السماء، والحدائق ذات البهجة، وجعل الأرض قراراً وشق الأنهار خلالها والجبال الراسيات ... وغيرها منكراً على الكفّار شركهم، ومقيماً الحجة عليهم، على أنه الإله المستحق للعبادة، ونبذ ما دونه من معبودات أخرى. [5]

" والأنهار في الأرض هي شرايين الحياة، وهي تنتشر فيها في كل اتجاه، بعد أن تكونت من منابعها في الجبال وكذلك من الأمطار، فتجري وفق طبيعة الأرض، والخالق هو القادر على تكوين السحاب وإنزال المطر، وجريان الأنهار،ولا يملك أحد أنّ يقول إن أحداً غير الخالق المدبّر قد شارك في خلق هذا الكون على النحو الذي هو عليه، وجريان الأنهار حقيقة واقعة يراها المشركون فمن ذا أوجد هذه الحقيقة ؟ أإله مع الله ؟ "[6]

---

(1) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم / محمد الغزالي ص 294 . ـ ط2 .ـ القاهرة ، دار الشروق 1996 م.

(2) سورة النمل: آية / 61

(3) سورة غافر: آية / 64

(4) تفسير ابن كثير 3 / 371 .

(5) انظر تفسير الرازي 23 / 205 – 206 .

(6) في ظلال القرآن 6 / 293 .

﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾أي إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غيره فَلِمَ يعبدون مالا يضر ولا ينفع ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ﴾ يعني كأنهم يجهلون الله فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية."[1]

واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الإنكار والزجر."[2]

" إن استقرار الأرض بمن عليها، فلا قلق ولا اهتزاز! أمر مدهش، لأن للأرض حركتان: حول نفسها، وحول الشمس، ومع هذا الحراك المزدوج والانطلاق الهائل في الفضاء لا يهتز كوب ماء في يدك !

ثم إن الأرض كرة وأربع أخماسها ماء ملح. وفي القارات أنهار وبحيرات عذبة، ولا يختلط عذب وملح، كل مستقر في مجراه ! لاختلاف الكثافة النوعية كما يقولون، أفلا يسوقنا هذا إلى الله؟."[3]

وهكذا يقيم الله الحجة على المشركين، بما خلق من أنهار ومياه، تجري في الأرض لا يقوى على تفجيرها وإجرائها إلا الله .

الغرض الرابع: تفاخر وتكاثر وغرور فرعون بجريان النيل من تحته

إن الله تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لا يفلته، ومن هؤلاء الظلمة فرعون، أخذه الله بما تفاخر به على قومه، من أنهار تجري من تحته، وملك على قوم استخف عقولهم فأطاعوه، قال تعالى:﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾[4]

"بيّن الله تعالى أن موسى–عليه السلام– بعد أن أورد المعجزات القاهرة الباهرة التي لا يشك في صحتها عاقل. أورد فرعون هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال: إني غني كثير المال والجاه، ألا ترون أنه حصل لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، وأما موسى فإنه فقير مهين، وليس له بيان ولسان.(شبهةُ كفار مكة) ﴿**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[5]

---

(1) تفسير القرطبي 13 / 371 .

(2) بحر العلوم / للسمرقندي 2 / 502 .

(3) نحو تفسير موضوعي / محمد الغزالي ص 294 .

(4) سورة الزخرف: آية / 51 .

(5) سورة الزخرف: آية / 31

ويعني الأنهار التي فصلوها من النيل ومعظمها أربعة: نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس،

(يرى الباحث: لعله يقصد بعض الترع والقنوات التي تتفرع من النيل وهي كثيرة**)**

قيل كانت تجري تحت قصره، وحاصل الأمر أنه احتج بكثرة أمواله، وقوة جاهة على فضيلة نفسه."[1] وقيل إن فرعون لما رأى تلك الآيات خاف ميل القوم إليه- أي موسى- فجمع قومه فقال:﴿ **يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ**﴾ أي لا ينازعني فيه أحد ﴿**وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي**﴾ قال قتادة: كانت جناناً وأنهاراً تجري تحت قصوره."[2] ،" وقيل بين يدي في جناني وبساتيني "[3]

" والجماهير المستعبدة المستغفلة، يغريها البريق الخادع القريب من عيونها، ولا تسمو قلوبها ولا عقولها إلى تدبر ذلك الملك الكوني العريض البعيد، ومن ثم عرف فرعون كيف يلعب بأوتار هذه القلوب، ويستغفلها بالبريق القريب."[4]

ومن عظيم حكمة الله -سبحانه وتعالى- أنه أهلك فرعون بما تفاخر به- وهو الماء الذي يجري من تحته- بكل غرور وتكبر فكان الماء سبباً لهلاكه بأمر الله .

الغرض الخامس: تفجير الأنهار من الحجارة

لقد نبه الله سبحانه وتعالى الإنسان إلى مصادر وجود الأنهار، حيث ذكر نزول الماء من السماء، وهو سبب من أسباب جريان الأنهار، وكذلك تفجيرها من الصخور والجبال، وقد قرن الله بين الجبال والأنهار؛ لكونها سبب في وجودها ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾[5]، وقد سبق شرحهما في الأغراض السابقة .

وفي هذا الغرض أعرض عملية تفجير الأنهار من الحجارة، عند ضرب المثل بقسوة قلوب بني إسرائيل، وبيان أن هذه الحجارة ألين وأنفع من هذه القلوب الجاحدة؛ حيث يتفجر منها الماء بالأنهار والعيون قال تعالى:﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا**﴾[6]

" إن من الحجارة ما ينشق فيخرج منه الماء الذي يجري حتى تكون منه الأنهار.

---

(1) تفسير الرازي 27 / 217 .

(2) تفسير القرطبي 16 / 98 .

(3) تفسير الزمخشري 4 / 257 .

(4) في ظلال القرآن / سيد قطب 7 / 339 .

(5) سورة الرعد: آية / 3

(6) سورة النحل: آية / 15

قالت الحكماء: إن الأنهار إنما تتولد عن أبخرة تتجمع في باطن الأرض، فإن كان ظاهر الأرض رخواً انشقت تلك الأبخرة، وانفصلت وإن كان ظاهر الأرض صلباً حجرياً اجتمعت تلك الأبخرة ولا يزال يتصل تواليها بسوابقها حتى تكثر كثرةً عظيمةً، فيعرض حينئذٍ من كثرتها وتواتر مددها أن ينشق الأرض وتسيل تلك المياه أودية وأنهاراً .

﴿ **وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ**﴾[1]

أي من الحجارة لما يصّدع فيخرج منه الماء فيكون عيناً لا نهراً جارياً، أي أن الحجارة قد تندى بالماء الكثير والماء القليل .

وفي ذلك دليل على تفاوت الرطوبة فيها وإنها قد تكثر في حال حتى يخرج منها ما يجري منه الأنهار وقد تقل."[2]

الغرض السادس: الابتلاء بالشرب من النهر

كما جعل الله الماء نعمة لقوم، وجعله هلاكاً لأقوام آخرين، امتحن الله بني إسرائيل وابتلاهم به كي يميز الله الصابرين وأهل الطاعة من المتخاذلين وأهل المعصية، فقد ابتلى الله بني إسرائيل قبل دخولهم المعركة مع طالوت لدخول الأرض المقدسة فلسطين، ابتلاءاً عظيماً وهم عطشى بعدم الشرب من ماء النهر، ليعلم الله الصادقين من الكاذبين، فقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ**﴾[3]

" في حكمة هذا الابتلاء وجهان:

الأول: كان مشهور من بني إسرائيل أنهم يخالفون الأنبياء والملوك، مع ظهور الآيات الباهرة، فأراد الله تعالى إظهار علامة قبل لقاء العدو يتميز بها من يصبر على الحرب، ممن لا يصبر لأن الرجوع قبل مقابلة العدو لا جرم قال:﴿ **إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ**﴾ .

والثاني: أنه تعالى ابتلاهم ليتعودوا الصبر على الشدائد ."[4]

وقال تعالى:﴿ **وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا**﴾[5]

---

(1) سورة البقرة: آية / 74

(2) انظر تفسير الرازي 3 / 130 .

(3) سورة البقرة: آية / 249

(4) تفسير الرازي 6 / 180 .

(5) سورة الجن: آية / 16 – 17

والفتنة: الابتلاء والامتحان، وكأن الله تعالى يريد اختبارهم فمن أعرض عنه حرمه المـــاء، ومن أطاع وسار على هديه سقاه إياه غدقاً كثيراً غامراً .

فإن الماء قد جعله الله بغرض الابتلاء والاختبار لغربلة العباد الصالح من العاصي .

الغرض السابع: الأنهار من ثمار الاستغفار

" وقد ربط الله بين الاستغفار والأرزاق، وفي القرآن مواضـــع متكـــررة فيهـــا هـــذا الارتباط بين صلاح القلوب، واستقامتها علـــى هـــدي الله، وبـــين تيـــسير الأرزاق وعمـــوم الرخاء... جاء في موضع ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾[1] وفي موضع آخر ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَـــا عَـــنْهُمْ سَـــيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ(65)وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْـــهِ يُمَـــتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ**...﴾[3] وهذه القاعدة التـــي يقررهـــا القرآن في مواضع متفرقة، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنة الحيـــاة، كما أن الواقع العملي يشهد بتحقيقها على مدار القرون"[4]

قال تعالى:﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّـــهُ كَـــانَ غَفَّـــارًا(10)يُرْسِـــلِ الـــسَّمَاءَ عَلَـــيْكُمْ مِدْرَارًا(11)وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾[5]

" الأشياء التي وعدهم من منافع الدنيا في هذه الآية خمسة:

أولها: قوله:﴿ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾ وفي السماء وجوه:

1- أن المطر منها ينزل إلى السحاب.

2- أن يراد بالسماء السحاب .

3- أن يراد بالسماء المطر .

ثانيها: قوله:﴿**وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ**﴾ وهذا لا يخص بنوع واحد من المال بل يعم الكل .

وثالثها: قوله:﴿**وَبَنِينَ**﴾ ولا شك أن ذلك بما يميل الطبع إليه .

ورابعها:قوله:﴿ **وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ**﴾ أي بساتين .

---

(1) سورة الأعراف: آية / 96

(2) سورة المائدة: آية / 66

(3) سورة هود: آية / 3

(4) في ظلال القرآن 8 / 300 – 301 .

(5) سورة نوح: آية / 10 – 12

وخامسها: قوله:﴿ **وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾ "[1]

" وإعادة فعل يجعل بعد واو العطف في قوله:﴿ **وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾ للتوكيد اهتماماً بشأن المعطوف؛ لأن الأنهار قوام الجنات وتسقي المزارع والأنعام، وفي هذا دلالة على أن الله يجازي عباده الصالحين بطيب العيش..."[2]

" وفي هذه الآية والتي في "هود" دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار."[3] قال تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مجرمين**﴾[4] ونزول المطر سبب من أسباب تكوين الأنهار وقوتها وسيد الاستغفار ما رواه البخاري النبي ﷺ قال: **سَيِّدُ الاستغفار أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** [5]

" وأخرج الطبري عن الشعبي، قال: خرج عمر بن الخطاب يستقي، فما زاد على الاستغفار ثم رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح[6] السماء التي يُستنزل بها المطر، ثم قرأ "الآية" "[7]

الغرض الثامن: طلب تفجير الأنهار بغرض التعجيز والمراء

سبق أن طلب كفار قريش من الرسول ﷺ ،مجموعة من الأمور على سبيل الجدل والتعجيز وحتى يقولوا إنّا أعذرناك يا محمد وخيّرناك، فإذا ما بطشوا به يرفعون عن أنفسهم الملامة

---

(1) تفسير الرازي 30 / 138 .

(2) التحرير والتنوير / ابن عاشور 29 / 198 .

(3) تفسير القرطبي 18 / 302 .

(4) سورة هود: آية / 52

(5) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب أفضل الإستغفار رقم 6306 ، 4 / 187، والترمذي كتاب الدعوات باب 15 رقم 3393 ، 5 / 467 ، والنسائي ؛ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، كتاب الإستعاذة باب الإستعاذة من شر ما صنع رقم 5522 ، 8 / 279 . ــ ط2 . ــ بيروت، دار البشائر الإسلامية 1986 م ، وأحمد 4 / 122 .

(6) المجاديح: هو جمع مجدح: وهو ثلاثة كواكب وهي عند العرب من الأنواء التي لا تكاد تخطيء، والمجدح عود مجنح الرأس تساط به الأشربة. الفائق في غريب الحديث / للزمخشري 1 / 195 ، والنهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير 1 / 243.

(7) تفسير ابن جرير الطبري 29 / 93 .

والحرج، فطلبوا منه تفجير ينبوعاً من الأرض، وكذلك إخراج جنة يملكها من نخل وعنب، يفجر الأنهار خلالها وبين أشجارها. وسبق التعرض في مطلب العيون [1] وفي هذا الغرض نبيّن الطلب الثاني وهو الأنهار.﴿ **أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا**﴾[2]

" لما تبين إعجاز القرآن، وانضمت إليه المعجزات الأخر، والبينات ولزمتهم الحجة وغُلبوا، أخذوا يتعللون بإقتراح الآيات ! فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة، فقالوا:﴿**لن نؤمن لك حتى ...**﴾[3]

" والتقدير كأنهم قالوا هب أنك لا تفجّر هذه الأنهار لأجلنا فتفجرها من أجلك . قرأ عاصم وحمزة والكسائي تَفْجُر بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم مخففة واختاره أبو حاتم قال لأن الينبوع واحد والباقون بالتشديد واختاره أبو عبيدة ولم يختلفوا في الثانية مشددة لأجل الأنهار، ولأنها جمع يقال فجرت الماء فجراً وفجرته تفجيراً .فمن ثقّل أراد به كثرة الإنفجار من الينبوع "[4]

ثالثاً: الآبار

الآبار أيضاً من المياه التي مصدرها جوفي من باطن الأرض، فالعيون والأنهار يفجرها الله، ولكن في الآبار فإنها من حفر الإنسان، وبحثه عن الماء لحاجته الماسة إليه، فيجث عن هذا الماء في أماكن وجوده ومظانها .

وقد ذكر القرآن الآبار بلفظين الأول هو: البئر، وجاء هذا اللفظ للبئر غير المستغلة وغير المنتفع بها وكما وصفها الله بأنها بئر معطلة. لا يستقي منها أحد .

واللفظ الثاني هو: الجب، وهو الوارد في سورة يوسف حيث ورد في قصته مع أخوته، والقائه في هذا الجب، وهذه البئر كانت عاملة، بدليل ورود السيارة عليها للشرب، وكذلك رعي أخوة يوسف حولها وسقي ماشيتهم منها .

---

(1) سبق في ص / 97

(2) سورة الإسراء: آية / 91

(3) تفسير الزمخشري 2 / 696 ، وانظر البحر المحيط 6 / 77 .

(4) تفسير الرازي 21 / 58 ، وانظر زاد المسير ابن الجوزي 5 / 86 – 87 ، وانظر التفسير الوسيط / محمد سيد طنطاوي 15 / 201 – 202 .

أما اللفظ الأول وهو البئر يقول تعالى:﴿ **فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ**﴾[1]

" كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو مظلة أو كرْم فهوعرش .

والخاوي: الساقط من خوى النجم إذا سقط، أو الخالي من خوى المنزل، خلا من أهله ... وقوله﴿**عَلَى عُرُوشِهَا**﴾ لا يخلو من أن يتعلق بخاوية، فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها، أي خَرّت سقوفها على الأرض، ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ... .

ومعطلة من أعطله بمعنى عطّله، ومعنى المعطلة: أنها عامرة فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء؛ إلا أنها عطلت، أي: تُركت لا يستقي منها لهلاك أهلها، والمشيد: المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى: كم قرية أهلكنا ؟ وكم بئر عطلنا عن سقاتها ؟ وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه ؟ فترك ذلك لدلالة ﴿ **مُعَطَّلَةٍ** ﴾ عليه."[2]

أما اللفظ الثاني وهو الجب يقول تعالى:﴿ **وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ**﴾[3]
وجاء ذكر الورود على هذا البئر في قوله تعالى:﴿ **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ**﴾[4] .

﴿**غَيَابَةِ الْجُبِّ**﴾ وهي غوره وما غاب منه عن أعين الناظر وأظلم من أسفله ... أراد غيابه حفرته التي يدفن فيها. وقريء غيابات على الجمع ... والجب: البئر لم تطو، لأن الأرض تُجب جباً لا غير ... ﴿**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ**﴾ رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف- عليه السلام - في الجب،فأخطئوا الطريق، فنزلوا قريباً منه، وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن إلا للرعاة ."[5]

المطلب الثاني: إنزال الماء من السماء

تقدم في المطلب السابق الحديث عن المصدر الأول للماء؛ ألا وهو باطن الأرض، أي المياه الجوفية وفي هذا المطلب نتناول المصدر الثاني من مصادر المياه وهو: ماء السماء، وقد ورد هذا الماء في القرآن بأسماء مختلفة وسوف أسوقها حسب ألفاظها الطبيعية الواردة في القرآن مثل:

---

(1) سورة الحج: آية / 45

(2) تفسير الزمخشري 3 / 161 – 162 ، وانظر الرازي 23 / 44 – 45 ، والبحر المحيط 6 / 348 .

(3) سورة يوسف: آية / 15

(4) سورة يوسف: آية / 19

(5) تفسير الزمخشري بتصرف 2 / 446 .

أولاً: ألفاظ تبين أنواع السحاب:

1- أنواع تحت لفظ السحاب :

أ ــ السحاب المسخر وهو عموم السحاب .

ب ــ السحاب المبسوط .

ج ــ السحاب الثقال .

د ــ السحاب الركامي .

2 -المزن　　3- المعصرات　　4- الحاملات

5- الغمام　　6- العارض

ثانياً: المطر :

أ-الغيث　　ب-الرحمة　　ت- الرزق　　ث- الوابل

ج-الطل　　ح-الوَدْق　　خ-الخبء　　د-الثجاج

ذ- الغدق　　ر-الصيب　　ز-الرجع

ثالثاً: جبال من برد :

رابعاً: الأودية :

أولاً: ألفاظ تبين أنواع السحاب

1 ــ السحاب

جاء ذكر السحاب في القرآن، بوصفه حسب درجة كثافته في الجو، وهذا يبين مدى دقة القرآن في ذكر تكوين السحاب، وكيفية تجمعه وتأليفه وتراكمه بعضه على بعض حتى ينزل مطراً، متفاوت في القطر والقوة والضعف والكثرة والقلة .

أ- السحاب المسخر ــ وهو عموم السحاب ــ

كل السحاب مسخر بأمر الله في جو السماء، يسوقه الله سبحانه حيث يشاء، لذلك تنطبق هذه التسمية على كل أشكال السحاب، من منبسط وثقال وركام، ولذا كان حقه التقديم بداية ثم يتبعه بقية الصور .

يقول تعالى:﴿ ... **وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[1]

قوله تعالى:﴿ **وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾

---

(1) سورة البقرة: آية / 164

سمي السحاب سحاباً لانسحابه في الهواء [1]. ومعنى التسخير: أي السحاب المذلل والمطوع.[2]

ولقد سمي السحاب المسخر لوجوه:

أحدها: قَهَرهُ الله على غير طبعه من النزول لثقله، وإبقائه في جو الهواء لذا سمي مسخراً .

الثاني: أن زيادته عن قدر الحاجة إليه فيها ضرر، ونقصه كذلك فيه ضرر، وإرساله بالقدر المعلوم للحاجة المعلومة عند الله تعالى هو المصلحة، ولا يكون إلا بتقدير القادر القاهر لذا سمي مسخراً .

الثالث: أن السحاب دائم الحركة مع الرياح، وسوقه إلى البلد الذي أراد الله أن يسقيه إياه هو تسخير من الله .[3]

الرابع: سُخِر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله .[4]

" وتعقيب تصريف الرياح بالسحاب لأنه كالمعلول للرياح كما يشير إليه قوله تعالى ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا**﴾[5] ولأن في جعله ختم المتعاطفات مراعاة في الجملة لما بديء به لأنه أرضي سماوي فينتظم بدء الكلام وختمه ."[6]

" وقوله:﴿ **لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة."[7]

ولقد بينت السنة بحديث واضح وصريح كيف يسخر الله السحاب ويسوقه إلى عباده الصالحين ثمرة للعمل الصالح . **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاةٍ مِنْ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَه فِي حَرَّةٍ[8] فَإِذَا شَرْجَةٌ[9] مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا**

---

(1) تفسير الرازي 2 / 202 ، وانظر تفسير القرطبي 2 / 200 .

(2) انظر تفسير الرازي 4 / 202 ، وانظر بحر العلوم / السمرقندي 1 / 173 .

(3) انظر تفسير الرازي 4 / 202 ، وابن كثير 1 / 202 .

(4) تفسير الزمخشري 1 / 211 .

(5) سورة الروم: آية / 48 .

(6) تفسير الألوسي 2 / 33 .

(7) تفسير الزمخشري 1 / 211 .

(8) الحرة: هي الأرض ذات الحجارة السود ، النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير 1 / 365 .

(9) شرجة: الشراج: مجاري الماء من الحرار إلى السهل واحدها شرجة / غريب الحديث أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري 1 / 102 . ـ ط1 . ـ بيروت، دار الكتب العلمية 1988 م ، والنهاية / ابن الأثير 2 / 456.

رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ[1] **فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ .** [2]

ب- السحاب المبسوط

جاء ذكر السحاب بشكله المنبسط في السماء في قوله تعالى:﴿ **الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا...** ﴾[3]

" يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء فقال تعالى:﴿ **الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا** ﴾إما من ماء البحر كما ذكره غير واحد أو مما يشاء الله عز وجل ﴿**فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾أي يمده فيكثره وينميه ويجعل من القليل كثيراً ينشيء سحابة ترى في رأي العين مثل الترس ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالاً مملوءة ."[4]

وبسط السحاب إما متصلاً بعضه مع بعض، أو متفرقاً قطعاً في جو السماء [5] وكيف يشاء رب العزة .

" وفي إرسال الرياح قدرة وحكمة: أما **القدرة:** فظاهرة فإن الهواء اللطيف، الذي يشقه الودق، يصير بحيث يقلع الشجر، وهو ليس بذاته كذلك، فهو بفعل فاعل مختار .

وأما **الحكمة:** ففي نفس الهبوب، فيما يفضي إليه من إثارة السحب، ثم ذكر أنواع السحب فمنه ما يكون متصلاً، ومنه ما يكون منقطعاً، ثم المطر يخرج منه، والماء في الهواء أعجب علامة على القدرة، وما يقضي إليه من إنبات الزرع وإدرار الضرع حكمة بالغة، ثم إنه لا يعم بل يختص به قوم دون قوم وهو علامة المشيئة .[6]

ج- السحاب الثقال ساق لنا القرآن آيتين في السحاب الثقال الأولى في الرعد بقوله:﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾[7]

---

(1) المسحاة: هي المجرفة من الحديد . النهاية / ابن الأثير 4 / 328 .

(2) أخرجه مسلم كتاب الزهد باب الصدقة على المساكين 4 / 2288 رقم 45 ، وأحمد 2 / 296 بمثله .

(3) سورة الروم: آية / 48

(4) تفسير ابن كثير 3 / 437 – 438 .

(5) انظر تفسير الزمخشري 3 / 226 .

(6) تفسير الرازي 25 / 133 .

(7) سورة الرعد: آية / 12

والأخرى في الأعراف في قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ...** ﴾[1]

آية الرعد تقول: ﴿**وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾ نشأ: نشأت السحابة: أنشأها الله، ورأيت نشأً من السحاب، وهو أول ما يبدو[2] " السحاب اسم للجنس والواحدة سحابة. والثقال: جمع ثقيلة لأنك تقول: سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول إمرأة كريمة ونساء كرام. وهي الثقال بالماء."[3]

" ويخلقها منشأة جديدة وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة من الأرض، وقال مجاهد السحاب الثقال الذي فيه الماء ."[4] " والأجزاء المائية من السحاب، سواء قيل أنها حدثت في جو الهواء أو تصاعد من أبخرة البحار، لا بد أن يكون حدوثها بإحداث حكيم قادر ."[5]

وفي آية الأعراف تقول:﴿ **حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ...**﴾

" أقله واستقل به: رفعه"[6] و ﴿**سُقْنَاهُ**﴾ ساقت الريح السحاب: أي قادته وساق الله إليه خيراً وهذا من المجاز وهو بمعنى: قاده متتابعاً ."[7]

" عن ابن عمر "الرياح ثمان: أربع منها عذاب: وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم، وأربع منها رحمة: الناشرات المبشرات والمرسلات والذاريات ."[8]

" في هذه الآية الكريمة عرض لمظهر من مظاهر قدرة الله، وما تحمل هذه القدرة إلى الناس من رحمة، فهذه الرياح يرسلها الله رسل رحمة إلى الناس، حيث تحمل السحاب مثقلاً بالماء، فتسوقه إلى الأرض الجديب والبلد الميت، ثم تنزل ما حملت من ماء، فتسيل به الوديان، وتجري منه العيون، وإذا هذا الجدب، وذلك الموات، حياة تدب في أواصل الكائنات، من جماد، ونبات، وحيوان، تلك بعض مظاهر القدرة ... القادرة ."[9]

ولما كان السحاب يبدأ بخاراً، ثم يتجمع في السماء منبسطاً، في طبقات رقيقة عالية، أو قطعاً متفرقة، ثم يتجمع أكثر كلما بردت الحرارة، ويؤلف بينه حتى يصبح مثقلاً بالماء، ويتراكم

---

(1) سورة الأعراف: آية / 57

(2) أساس البلاغة / الزمخشري 631 .

(3) تفسير الزمخشري 2 / 353 .

(4) تفسير ابن كثير 2 / 505

(5) التفسير المنير / الزحيلي 2 / 132 .

(6) أساس البلاغة / الزمخشري ص 521 .

(7) انظر نفس المصدر السابق ص 314 .

(8) تفسير النيسابورى 2 / 1408 .

(9) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 8 / 417 .

بعد ذلك بعضه على بعض، فيكون متراكماً كالجبال، وفي هذه الحالة يقال له السحاب الركامي .

د- السحاب الركامي

يقول تعالى: في سورة الطور ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ**﴾[1]

ويقول تعالى: في سورة النور ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ**﴾[2]

" ركم: الراء والكاف والميم أصل واحد يدل على تجمع الشيء تقول ركمت الشيء: ألقيت بعضه على بعض وسحاب مرتكم وركام ."[3]

في سورة الطور لم تسق الآية، بقصد الحديث عن السحاب، بل بقصد العناد والمكابرة، إخباراً عن المشركين أنهم مكذبون، حتى ولو رأوا عذاب الله ساقطاً عليهم قطعاً من السماء،لقالوا مكابرة وتكذيباً وعناداً هذا سحاب مركوم .[4]

أما آية النور فإن الله يبين فيها كيف يكون التدرج في تكوين السحاب حتى يكون ركاماً .

﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا**﴾ " يذكر تعالى أنه يسوق السحاب بقدرته، أول ما ينشئها وهي ضعيفة، وهو الإزجاء ."[5]

﴿**ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ**﴾أي يجمع بينه بعد تفرقة، وفي ذلك دلالة على وجودها متقدما إذ التأليف لا يصح إلا بين موجودين [6]

﴿**ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا**﴾ " ثم أنه سبحانه يجعله ركاماً، وذلك تركيب بعضها على بعض، وهذا مما لابد منه لأن السحاب إنما يحمل الكثير من الماء إذا كان بهذه الصفة، وكل ذلك من عجائب خلقه ودلالة ملكه واقتداره."[7]

ويذكر الرازي أن معظم السحاب من البخار المتصاعد، ثم يتكاثف في طبقات الجو العليا وقليل منه يحدث من تكاثف الهواء فإن صادف برودة في الجو يتجمع حتى يتعاظم،

---

(1) سورة الطور: آية / 44

(2) سورة النور: آية / 43

(3) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 418 .

(4) انظر تفسير / ابن كثير 4 / 246 .

(5) تفسير ابن كثير 2 / 298 ، وانظر بحر العلوم / السمرقندي 2 / 443 ، وانظر التفسير المنير / الزحيلي 18 / 265 .

(6) انظر تفسير الرازي 24 / 13 ، وتفسير ابن كثير 2 / 298 .

(7) تفسير الرازي 24 / 13 .

فإذا كانت البرودة ضعيفة يتقاطر البخار، ويكون سحاباً متراكماً، يكون منه المطر،وأما إذا صادف برودة قوية تكون الثلج والبرد .[(1)]

2- المُزُنْ

ومن الألفاظ التي وردت في القرآن بمعنى السحاب لفظ المزن وذلك في قوله تعالى:
﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(68)ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ** ﴾[(2)]

" **المزن:** السحاب عامّة، وقيل السحاب، ذو الماء وقيل المزنة السحابة البيضاء وواحدته مزنة. والجمع مُزْن والبرد حَبُّ المُزْن هو مَزن القربة يمزُنها مَزْناً إذا ملأها. وهو الأصل وما دونه فروع منه .[(3)]

" خصه بالذكر لأنه ألطف وأنظف، أو تذكيراً لهم بالإنعام عليهم. – قلت: وهذا أصح – والمزن السحاب الثقيل بالماء لا بغيره من أنواع العُذّاب يدل على ثقله قلب اللفظ وعلى مدافعة الأمر وهو النزم في بعض اللغات السحاب الذي مس الأرض."[(4)]

3- المعصرات

ومن أسماء السحاب المعصرات وجاء ذكر ذلك في قوله تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا** ﴾[(5)]

المعصرات:" عصر: العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة: فالأول: دهر وحين، والثاني: ضغط شيء حتى يتحلب، والثالث: تعلق بشيء وامتساك به .

الأصل الثاني: العصارة: ما تحلب من شيء تَعصِره...، ومن الباب: المعصرات: سحائب تجيىء بمطر .الآية .

وأُعْصِرَ القوم، إذا أتاهم المطر .

فأما الرياح وتسميتهم إياها المعصرات فليس يبعد أن يعمل على هذا الباب من جهة المجاورة، لأنها لما أثارت السحاب المعصرات سميت معصرات ."[(6)]

---

(1) نفس المصدر السابق 24 / 13 .

(2) سورة الواقعة: آية / 68 – 69 .

(3) لسان العرب / ابن منظور 13 / 406 ، معجم مقاييس اللغة / 983 ،والصحاح / للجوهري 6 / 2203 ، الإفصاح في فقه اللغة / حسين موسى وعبد الفتاح الصعيدي 2 / 944

(4) تفسير الرازي 29 / 183 – 184 .

(5) سورة النبأ: آية / 14 .

(6) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 4 / 242 ، وانظر تفسير الرازي 13 / 8 .

" وذكروا في تسمية السحاب بالمعصرات وجوهاً:

الأول: المعصرات السحائب بلغة قريش .

الثاني: المعصرات السحائب ذات الأعاصير فإن عصرتها نزل المطر .

الثالث: التي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر " قاله الرازي [1]

قلت: هناك وجه لذكر المعصرات من منطوق الآية وهو في قوله تعالى:﴿ **الْمُعْصِرَاتِ**﴾ وقوله:﴿ **ثَجَّاجًا**﴾المعصرات من عصر وحلب السحاب حلباً أو عصراً وهذا يجعلها تثج الماء ثجاً "والثج هو صب الماء بقوة وكثره وماء ثجاج أي صبّاب ."[2] ولما كان الماء ينصبّ من السحابة بهذه القوة، وكأن الريح تعصر هذه السحاب، حتى لا تبقى فيها ماءً، فوصف الماء بالثجاج، يفيد ويدل على عصر هذا السحاب عصراً لذا سماها الله المعصرات .

4- الحاملات

والسحاب يطلق عليه الحاملات؛ لأنها تكون مملوءة ومشبعة، تحمل الماء في طبقاتها، وجاء ذكر ذلك في سورة الذاريات " ﴿**فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا**﴾[3]

وقر: الواو والقاف والراء: أصل يدل على ثقل في الشيء . والوقر: الحمل. ويقال نخلة موقرة أي ذات حمل كثير .[4]

﴿**فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا**﴾ لأنها تحمل المطر وقر وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على إيقاعه موقع حملاً [5] والتقدير (الحاملات حملاً) .

وتسمية السحاب بالحاملات في هذه الآية، له علاقة بالرياح، وذلك أن الله لمّا أقسم بهذه الأشياء من مخلوقاته، أراد أن ينبه الإنسان للقدرة الإلهية، التي جعلت هذه السحائب تحمل بين طبقاتها،هذا الثقل الرهيب الرعيب، ويحمل كل هذا الرياح بأمر الله، ولكونها حاملة قال فالحاملات وقرا، بكل ما تحمل كلمة وقراً من ثقل. فلم يقل فالحاملات ماءً .

---

(1) نفس المصدر والصفحة .

(2) انظر معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 179 ، مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار العلم، ص 82 ، ولسان العرب / ابن منظور 2 / 221 .

(3) سورة الذاريات: آية / 2

(4) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 1101 .

(5) تفسير الزمخشري 4 / 13 .

5-الغمام

أطلق الله على السحاب اسماً آخر، كي يؤدي وظيفته في الآية الكريمة، التي جاءت لتذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم؛ لعلهم يشكرون أو يرجعون إليه ويخلصون له العبادة قال تعالى:﴿ **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ**﴾[1] في البقرة ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ**﴾في الأعراف.[2]

لقد منّ الله على بني إسرائيل بالعديد من النعم، وأجرى على يد موسى –عليه السلام – الكثير من الآيات والمعجزات، وكان من النعم التي أنعم الله بها عليهم، أن جعل السحاب يظلهم من حر الشمس الحارقة في صحراء سيناء فترة التيه .

﴿**الْغَمَامَ**﴾ ". غَيَمَ الغين والياء والميم كلمة تدل على ستر شيء لشيء ."[3] " ومنه الغمام لكونه ساتراً لضوء الشمس."[4]

والغيم والغمام هو السحاب وجمعه غيوم وغيام [5]

لما ذكر الله تعالى ما دفعه عنهم من النقم، شرع يذكرهم أيضاً بما أسبغ عليهم من النعم فقال:﴿ **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ**﴾ وهو جمع غمامة " سمي بذلك لأنه يغم السماء."[6] أي يواريها ويسترها، وهو السحاب الأبيض ظُللوا به في التيه ليقيهم حر الشمس ."[7]

" واعلم أن هذا هو الإنعام الذي ذكره الله تعالى، وظاهر هذه الآية يدل على أن الإظلال كان بعد أن بعثهم لأنه تعالى قال:﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ**﴾بعضه معطوف على بعض، وإن كان لا يمتنع خلاف ذلك، لأن الغرض تعريف النعم التي خصهم الله تعالى بها ."[8]

يرى الباحث: ولما عرفنا مما تقدم معنى الغمام، عرفنا لم اختير هذا اللفظ، بدلاً عن أي لفظ يدل على السحاب، حتى يفي بالغرض المذكور في الآية ألا وهو التظليل والستر من الشمس وحرها في الصحراء .

---

(1) سورة البقرة: آية / 57

(2) سورة الأعراف: آية / 160

(3) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 839 .

(4) المفردات / الأصفهاني 377 .

(5) انظر لسان العرب 12 / 446 ، الصحاح / للجوهري 5 / 1999 ، والقاموس المحيط 1476 ، وتهذيب اللغة / الأزهري 8 / 216 .

(6) زاد المسير / ابن الجوزي 1 / 83 .

(7) تفسير ابن كثير 1 / 95 .

(8) تفسير الرازي 3 / 93 ، وانظر تفسير ابن جرير الطبري 1 / 293 .

6 – العارض

العارض من أسماء السحاب، وصف به الله السحاب في القرآن، واختار هذا الوصف؛ لما له من دلالة في النص القرآني المذكور فيه، حيث قال تعالى:﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**﴾[1]

والعارض: هو السحاب، يعترض في الأفق، أو في ناحية السماء[2] والعارض من كل شيء: ما يستقبلك، كالعارض من السحاب ونحوه .[3]

قال: الماوردي وفي تسميته عارضاً ثلاثة أقوال:

أحدها: لأنه أخذ في عرض السماء .

الثاني: لأنه يملأ آفاق السماء .

الثالث: لأنه مار من السماء. والعارض هو المار الذي لا يلبث وهذا أشبه .[4]

إنّ عاداً قوم سيدنا هود –عليه السلام – لما كذبوه وعتوا عن أمر ربهم، أتاهم الله بعذاب من حيث كانوا ينتظرون الخير بالمطر والسحاب بعد جفاف أصابهم، ولما تراءا لأبصارهم السحاب بادياً في الأفق استبشروا الخير والماء والحياة والنماء، وذلك لطول عهدهم بالأمان من العذاب الذي أنكروه على هود ــ عليه السلام ــ فكان في هذا السحاب عذاب، وريح تدمر كل ما جاءت عليه، فلم تبق ولم تذر أخضراً ولا يابساً. فلما رأوه قالوا هذا عارض فيه المطر لنا؛ لجهلهم بربهم وعذابه .[5]

ووصف الله هذا السحاب بالعارض، دون غيره من الأوصاف لكونه كما ذكر الماوردي في القول الثالث أن يمر هذا السحاب ولا يلبث كما تعودوا في الواقع، أن يأتي السحاب إما بالمطر أو يقلع في السماء ويذهب .

لذلك شعروا بالأمان، فكذبوا نبيهم بما وعدهم من العذاب، فهو غير متوقع أن يلبس هذا العذاب لباس الخير والحياة، وهذا أوقع في النفس وأشد .

---

(1) سورة الأحقاف: آية / 24

(2) المفردات / الأصفهاني 342 ، وغريب القرآن وتفسيره / اليزيدي 338 ، وتهذيب اللغة / للأزهري 1 / 469 ، والنهاية في غريب الحديث والأثر 3 / 213 ، وبصائر ذوي التمييز / الفيروزأبادي 4 / 44 ، والصحاح / الجوهري 3 / 1085 .

(3) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 7508 .

(4) النكت والعيون / الماوردي 5 / 283 .

(5) انظر تفسير ابن كثير 4 / 161 ، ونظم الدرر 7 / 136 ، وتفسير الرازي 28 / 28 ، وفي الظلال / سيد قطب 7 / 422 .

ثانيا: المطر

هذا الماء النازل من السحاب، بمائه العذب الزلال، فيه حياة البشر والزرع والضرع، من إنعامات الله التي لا غنى عنها والتي لا تقدر بثمن .

جاء ذكر المطر في القرآن على وجهين:

أحدهما: المطر المعروف. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ **إن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً**﴾[1]

والثاني: الحجارة ومنه قوله تعالى في قصة قوم لوط:﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا**﴾[2] " [3]

حتى أن لفظ المطر المقصود به الماء جاء في مقام أنه مؤذي ولم يأت في مقام المنفعة كما في سورة النساء. والمتدبر لكلمة مطر في القرآن وأفعالها وإشتقاقاتها يجد أنها جاءت في الشر والهلاك وعذاب الأقوام التي عصت ربها، فكان عذابهم بأن أمطرهم الله بحجارة، أو عارض مهلك من ريح عقيم، أو صرصر أو عاتية ليكونوا عبرة لمن خلفهم من الأمم .

ولكن الوجه المشرق للمطر جاء بلفظ غير المطر: إما بلفظ الماء، أو الغيث أو السحاب مما يفيد أن فيه الخير والنماء ومثال ذلك ﴿**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[4] ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾[5] وغيره كثير في هذا الباب .وبلفظ الغيث قال تعالى:﴿ **وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ**﴾[6] ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ**﴾[7] و ﴿**كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾[8] أما لفظ السحاب فقد سبق في المطلب السابق الحديث عنه .

ولكن المطر جاء في القرآن بألفاظ كثيرة حسب أوصافه وليعطي دلالة في سياق الآيات الواردة فيها، وهذه الألفاظ هي:

1- الغيث　　　2- الرحمة　　　3- الرزق

وهذه تجمع تحت منافع المطر وغاية نزوله، أما الأوصاف الواردة في شكل ودرجة قوة نزوله من السحاب بين الضعف والقوة والكثرة والقلة فهي:

---

(1) سورة النساء: آية / 102

(2) سورة الأعراف: آية / 84 ، والشعراء آية / 173 ، والنمل آية / 58

(3) نزهة الأعين النواظر / ابن الجوزي 541 .

(4) سورة البقرة: آية / 22

(5) سورة فاطر: آية / 27

(6) سورة لقمان: آية / 34

(7) سورة الشورى: آية / 28

(8) سورة الحديد: آية / 20

1- الرجع 2- الوابل 3- الطل 4- الودق

5- الثجاج 6- الصيب 7- الغدق

وعلى الرغم من كونها وصف للمطر، إلا أن كل لفظ له دلالة في موقعه، واستخراج هذه الدلالات هو روح هذا المطلب.

1- الغيث

وخلاصة ما قاله أهل اللغة في الغيث: من الغوث والغين والواو والثاء كلمه واحدة، وهي الغوث من الإغاثة، أي الإعانة والنصرة عند الشدة. والغيث هو المطر والكلأ لكون المطر سبباً له، وهو المطر الخاص بالخير الكثير النافع؛ لأنه يغاث به الناس ."[1]

وجاء لفظ الغيث في القرآن الكريم في ثلاث آيات في ثلاث سور هي:﴿ إن **اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ...** ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ... كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ...**﴾[4] المتأمل والمتدبر لهذه الآيات الثلاث يجد أن كل آية تتحدث عن موضوع مختلف تماماً ، وكلمة الغيث لها مقام خاص، ودلالة خاصة، تختلف في كل آية عن الأخرى، حسب معنى الآية، وغرضها، فمثلاً في آية لقمان ﴿**يُنَزِّلُ الْغَيْثَ**﴾ جاءت ضمن خمسة أشياء اختص رب العزة بها في علمه وهي: علم الساعة، ونزول الغيث، وعلم ما في الأرحام، وعلم أرزاق العباد، وعلم أين تموت كل نفس. وذلك للدلالة على سعة علمه وخبرته، فهو العليم الخبير كما أخبر في فاصلة الآية ﴿**إن الله عليم خبير**﴾

وهذه الخمسة هي مفاتح الغيب التي ذكرها الله تعالى في قوله:﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لايَعْلَمُهَا إلا هُوَ**﴾[5] وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي لله عنهما قال: قال النبي ﷺ " مفاتح الغيب خمس، ثم قرأ ﴿**إن اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾[6] الآية .

---

(1) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 817 ، وانظر البحر المحيط / الفيروزأبادي 222 ، ولسان العرب / ابن منظور 2 / 174 ، وتاج العروس / الزبيدي 1 / 937 ، والمفردات / الأصفهاني 379 .

(2) سورة لقمان: آية / 34

(3) سورة الشورى: آية / 28

(4) سورة الحديد: آية / 20

(5) سورة الأنعام: آية / 59

(6) أخرجه البخاري 6 / 24 كتاب التفسير باب سورة لقمان رقم 4778 .

" هذه مفاتح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها ... وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون، بذلك ومن يشاء من خلقه ."[1]

﴿**يُنَزِّلُ الْغَيْثَ**﴾ " في الأوقات التي جعلها معينة لإنزاله، ولا يعلم ذلك غيره ."[2]

ونزول الغيث معطوف على علم الساعة، وينزل الغيث بعلمه وقدرته ... يسوقه إلى حيث يشاء، وينزله حيث يشاء، ومتى يشاء ... وليس يعترض على هذا بما يصطنع العلم الحديث اليوم من المطر الصناعي، فإن هذا المطر يصطاده العلم اصطياداً، من بخار الماء الذي أنزله الله ... وإنه لا يعدو أن يكون أشبه بقطرات الماء التي تتكاثف على سطح إناء مملوء بماء مثلوج ، أو قطرات الندى التي تتساقط من الهواء على النبات في الليل. وإذا كان للعلم أن يقف لهذه الحقيقة، فليصطنع الهواء أولاً، ثم ليصطنع الماء ثانياً،ثم ليجمع بين الماء والهواء ثالثاً . وعندئذ يقال إن العلم إنما يعمل فيما هو له ... أما أن يعمل العلم فيما هو لله، فهو لا يعدو أن يكون نفسه مادةً من تلك المواد التي يعمل فيها ."[3]

وجاء المطر في الآية بلفظ الغيث، لبيان أن إغاثة الناس متى وكيف لا يعلمها إلا الله لأن ذلك داخل في أمر الرزق. والغيث فيه حياة و رزق الناس عامة ولكن الرزق المذكور في الآية هو خاص بالفرد لقوله:﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا**﴾والكسب كذلك هو عام ليس في الرزق خاصة فهو في الأعمال والأفعال والأرزاق .

فذكر الغوث في الآية مناسب، وبليغ ولا يقوم مقامه أي كلام آخر لما فيه من الدلالة الواضحة .

وفي آية الشورى ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[4]

أحاط بالناس الجفاف، وألهبهم العطش، حتى قنطوا؛ أن يرسل الله لهم ما يطفئ عطشهم، ويبل جفافهم، وينبت زرعهم، جاءهم الغوث بالغيث، فأغاثهم الله بنزول الرحمة، ينشرها بين أيديهم وحولهم، فتستبشر النفوس والقلوب، بالخير، والنماء، والرواء. هكذا تكون دلالة الغيث في الآية، لو قال: مطراً أو أي لفظٍ آخر لما أفادت لفظ الإغاثة بعد يأس، وحياة بعد قنوط .

---

(1) تفسير ابن كثير 3 / 454 .

(2) فتح القدير / الشوكاني 4 / 245

(3) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 21 / 595 .

(4) سورة الشورى: آية / 28

يقول ابن كثير:" أي من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه كقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ**﴾[1] وقوله جل جلاله: ﴿**وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ**﴾أي يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية ."[2]

وفي آية الحديد ﴿**كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ** ...﴾ والغيث هو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا**﴾ وبكونه يعجب الكفار نباته إذاً فهو قد أغاثهم وأعانهم ورحمهم به. ودخوله في المثل سبب في ما أعجب الزراع من نبات الزرع وما أعجب الكفار من أحوال الدنيا. وكما يفرحوا بالزرع النامي والغيث بعد القنوط يفرحوا بالدنيا المقبلة عليهم بعد حرمانها أو قلة اليد فيها .[3]

2- الرحمة

يطلق الله اسم الرحمة على المطر، لأن الله يرحم به العباد، فيغاثوا بعد الجفاف، ولما كان المطر فيه حياة الناس والدواب والزرع، فالرحمة فيه نعم كل هذه المخلوقات، لذا يصدق عليه لفظ الرحمة .

والرحمة:" الراء والحاء والميم أصل واحد؛ يدل على الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك رَحمه يرحُمه، إذا رَقَّ له وعطف عليه "[4] " وسمي الله الغيث رَحْمةً لأنه برحمته ينزل من السماء ."[5]

والآيات في هذا عديدة قال تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾[6] في الأعراف والفرقان أما في النمل فقال:﴿**ومن يرسل**﴾[7] وفي الروم ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾[8] وقال تعالى:﴿ **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾[9]

---

(1) سورة الروم: آية / 49

(2) تفسير ابن كثير 4 / 116 .

(3) تفسير ابن كثير 4 / 314 .

(4) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 446 .

(5) لسان العرب / ابن منظور 12 /232 .

(6) سورة الأعراف: آية / 57 ، وسورة الفرقان آية / 48

(7) سورة النمل: آية / 63

(8) سورة الروم: آية / 46

(9) سورة الروم: آية / 50

هذه الآيات الكريمات كلها تذكر الرحمة، ولمّا رجعت لتفسير ابن كثير فيهـا جميعـاً وجدته يفسرها بأنها المطر .

﴿**بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾ قال: أي بين يدي المطر .[1] وفي آية النمل قال: أي بـين يـدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجدبين ... "[2]

وفي آيتي الروم ﴿**وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ أي المطر الذي ينزله فيحيـي بـه العبـاد والبلاد.[3]

وفي قوله:﴿ **وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ " تتمثل تلك الصورة التي يفعلها المطر حين ينزل الأرض، فيسفر به وجهها، ويهز له كيانها، وإذا هي قد كانت جرداء، ميتة وحشة، قد لبـست أثواباً قشيبة الألوان والأصباغ، وإذا هي حياة دافقة ."[4]

والسواد الأعظم من جمهور المفسرين على هذا القول بأن الرحمة في هـذه الآيـات والمواضع تعني المطر والماء النازل من السحاب، وهو ما قاله الإمام ابن كثير في تفسيره .
ووصفه بالرحمة لأن الله يرحم العباد بإخراج النبات من الأرض والنماء والخيـر. فـصدق الوصف عليه بدقه وبلاغه .

3- الرزق

الرزق:"رزق: الراء والزاء والقاف أُصَيْلٌ واحد يدل على عطاء لوقت، ثـم يحمـل عليه غير الموقوت فالرزق: عطاء الله جل ثناؤه ."[5] " وقد يسمي المطر رزقاً."[6]

ولقد سمى الله المطر رزقاً في القرآن في أكثر من آية قال تعالى:﴿ **وَمَا أَنْـزَلَ اللَّـهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾[7] وقال أيضاً ﴿**هُوَ الَّـذِي يُـرِيكُمْ آيَاتِـهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**﴾[8] ويقول كذلك:﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾[9]

لما كان الغوث: الإعانة والنصرة، والرحمة: من الرقة والعطف والرأفة جاء الرزق وفيه العطاء تلمس فيه المادة إلى جانب ما في الغيث والرحمة من أمور معنوية. وقد يكون ما

---

(1) تفسير ابن كثير 2 / 223 .
(2) تفسير ابن كثير 3 / 373 .
(3) تفسير ابن كثير 3 / 337 .
(4)التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 21 / 540 .
(5) معجم مقاييس للغة / ابن فارس 401 .
(6) لسان العرب 10 / 115 .
(7) سورة الجاثية: آية / 5
(8) سورة غافر: آية / 13
(9) سورة الذاريات: آية / 22

يخرج بالماء من أرزاق وزروع " والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم ."[1]

قال تعالى:﴿ **وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾" وسمي المطر رزقاً لأنه سبب الرزق "[2]

والله سبحانه يذكر عباده بما مَنَّ عليهم من رزق يخرج به خبء الأرض وأقواتها وقال تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**﴾

﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ** ﴾ أي دلائل توحيده وعلامات قدرته ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**﴾ يعني المطر فإنه سبب الأرزاق. جمع سبحانه بين إظهار الآيات وإنزال الأرزاق، لأن بإظهار الآيات قوام الأديان، وبالأرزاق قوام الأبدان، وهذه الآيات هي التكوينية التي جعلها الله سبحانه في سمواته وأرضه وما فيهما وما بينهما ."[3]

ولقد بَعُد عبد الكريم الخطيب عندما أعتبر الرزق القرآن مع أن جمهور المفسرين على أنه المطر.[4]

وقال تعالى:﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾

" وفي السماء رزقكم " هو المطر لأنه سبب الأقوات. وعن سعيد بن جبير: هو الثلج وكل عين دائمة منه، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تُحرمونه بخطاياكم."[5]

وهكذا انتهت أوصاف المطر التي تحمل معنى النفع للناس، وما أنزل بها من أغراض إيمانية تطابق مقاصد القرآن، حيث معاني الهداية والإرشاد.

والآن إلى الجانب الآخر حيث أوصاف المطر من قوة وضعف وكثرة وقلة .

1- الرجع

أطلق الله لفظ الرجع على المطر النازل من السماء، وذلك في آية سورة الطارق ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾[6] **الرجع** :" الراء والجيم والعين أصل كبير مطرد منقاس يدل على

---

(1) لسان العرب / ابن منظور 10 / 115 .

(2) تفسير الزمخشري 4 / 285 ، وانظر فتح القدير / الشوكاني 5 / 4 ، وتفسير ابن كثير 4 / 148 .

(3) فتح القدير / الشوكاني 4 / 484 ، وانظر تفسير ابن كثير 4 / 74 ، وانظر تفسير الرازي 27 / 42 .

(4) انظر التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 24 / 1214 .

(5) تفسير الزمخشري 4 / 40 ، وانظر فتح القدير / الشوكاني 5 / 85 .

(6) سورة الطارق آية / 11

تردد وتكرار، فأما الرجع فالغيث، وهو المطر في قوله "الآية" وذلك أنها تغيث وتــصب ثــم ترجع تغيث." [1]

" ﴿ **ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾ الماء "[2] قال أهل اللغة: الرجع المطر منهم الزجاج والخليل، ووجه تسمية المطر رجعاً ما قاله القفال إنه مأخوذ من ترجيع الصوت وهو إعادته وكذا المطر لكونه يعود مرة بعد أخرى سمي رجعاً. وقيل إن العرب كانوا يزعمون أن السحاب تحمل المــاء مــن بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض، وقيل سمّته العرب رجعاً لأجل التفاؤل ليرجع علــيهم، وقيل لأن الله يرجعه وقتاً بعد وقت ."[3]

يرى الباحث: والراجح من هذه الأقوال هو أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه مرة أخرى إلى الأرض وتتكرر هذه العملية وهي ما يسمى بالدورة المائية في الطبيعة.

2- الوابل

" وبل: الواو والباء واللام: أصل يدلُّ على شدة وتَجَمُّع، والوبل والوابل: المطر الشديد ."[4] وفي اللسان [5] المطر الشديد الضخم القطر وفي المفردات [6] الثقال القطــر " ويقــال أرض مطلولة وموبولة ومجودة من الجود ."[7]

هذا هو الوابل عند أهل اللغة. وقد جاء تسمية المطر بالوابل، فــي موضــعين مــن القرآن الكريم، في سورة البقرة قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتُبْطِلُــوا صَــدَقَاتِكُمْ بِــالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّــهُ لا يَهْــدِي الْقَــوْمَ الْكَافِرِينَ(264)وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّــةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[8]

هاتان الآيتان جاءتا على سبيل المثل، وقد ضرب الله بها مثل حــال المنفــق ريــاءً وسمعةً؛ ليقول عنه الناس أنه منفق، فحاله كحال الصخر والحجر الأملس، وعليه شيء مــن

---

(1) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 443 ، ولسان العرب / ، ابن منظور 8 / 120 .

(2) مجاز القرآن / أبي عبيدة التميمي 2 / 294 .

(3) فتح القدير / الشوكاني 5 / 420 ، وتفسير الزمخشري 4 / 242 .

(4) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 1081 .

(5) لسان العرب / ابن منظور 11 / 718 .

(6) المفردات للراغب الأصفهاني 547 .

(7) غريب الحديث / الخطابي 10 / 72 .

(8) سورة البقرة آية 264 – 265

التراب يغطية، فجاءه مطر شديد عصف بهذا التراب، ولم يُبق منه شيئاً وهكذا أعمال وانفاق هذا المنفق رياءً لم يجد منها في الآخرة شيئاً .

ومثّل الله في المقابل للمؤمن الذي ينفق في سبيل مرضاة الله، وتثبيتاً لإيمانه، مثّل له بالجنة التي تثمر وتنتج ضعف ما كانت تنتج من قبل؛ بسبب الوابل، وإن لم يأتها المطر الكثير وجاءها المطر الضعيف القليل، فإنها لا تظلم من ثمرها شيئاً، وهذا مثل بليغ يصور حال هؤلاء وهؤلاء في أوضح صورة وأجلاها وأصدقها .[1]

وسوف نتعرض لهذين المثلين بالتفصيل في الفصل الخامس الخاص بالأمثال، أما بالنسبة لملائمة اللفظ للموضع في الآيتين، أقول وبالله التوفيق لما كان يتطلب في المثل إزالة التراب عن الصفوان، كان لا بد أن يكون هذا الماء النازل موصوفاً بصفة توحي بالشدة والقوة وضخامة القطر حتى تزيل التراب ويعطي الصورة الوضوح، ويخدم المعنى هذا في الآية الأولى أو المثل الأول. أما في المثل الثاني: فإن الحديث عن الجنة وحياة هذه الجنة بالماء، وهي بربوة ولا تصل إليها مياه الأنهار؛ لارتفاعها عن مستوي الماء فكانت بحاجة إلى هذا المطر، حتى تعطي ضعفين من النتاج، وكذلك للتمثيل بين الذي ينفق نفقة كبيرة، وبين الذي ينفق نفقة قليلة، ولكلٍ أجر، ولكن من أجل المقابلة؛ جاء لفظ الوابل مقابل للفظ الطل والعكس.

3- الطل

الطل: هو أضعف المطر، وهو ماله أثر قليل، وجمعه طلال ثم يليه الرذاذ والبغش، وهو الندى فيقال للحباب الذي على النبات يصبح عليه الطل .[2]

وجاء ذكر الطل في القرآن في سورة البقرة مرة واحدة. وقد سقنا الآية كاملة في البند السابق ﴿**فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ سبق توضيح المثل الوارد في اللفظ في البند السابق .

" ولما كان الوابل قد لا يوجد قال ﴿**فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**﴾ أي فيصيبها لعلوها طل، وهو الندى الذي ينزل في الضباب، وهو سن من أسنان المطر، خفي لا يدركه الحس حتى يجتمع، فإن المطر ينزل خفياً عن الحس وهو الطل، ثم يبدو بلطافة وهو الطش، ثم يقوي وهو الرش ثم يزداد ويتصل وهو الهطل، ثم يكثر ويتقارب وهو الوابل، ثم يعظم سكبه

---

(1) انظر فتح القدير / الشوكاني 1 / 285 – 286 والكشاف / الزمخشري 1 / 313 – 395 وتفسير ابن كثير 1 / 319 – 320 وكتاب التسهيل / ابن جزي الكلبي 1 / 92 .

(2) انظر مختار الصحاح 1 / 166 ، وغريب الحديث / الخطابي 1 / 72 ، والمفردات / الأصفهاني 315 ، والنهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير 1 / 143 ، ولسان العرب / ابن منظور 1 / 295 .

وهو الجود... ."[1] وجاء الطل هنا يقابل الوابل، فعندما ذكر الكثير بيّن أن هذه الجنة تثمر ولو بالماء القليل .

4- الوَدْقُ

" **الودق:** المطر يقال هو هيدب السحاب. ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط، والودق المطر كله شديده وهينه."[2] ولكن الزمخشري قال: الودق السحاب أو المطر الشديد.[3]

وذكر القرآن لفظ الودق بمعنى المطر النازل من خلال السحاب، ومن بين طبقاته، في موضوعين من القرآن في سورة النور وسورة الروم قال تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِه**﴾[4]

وقال تعالى:﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِه**﴾[5]

" **الودق:** المطر عند جمهور المفسرين ومنه قول الشاعر[6] :

فلا مزنة ودقت ودْقَها * * * ولا أرض أبقلت إبقالها .

يقال ودقت السحابة فهي وادقة، وودق المطر يدق أي قطر يقطر وقيل إن الودق البرق والأول أولى، ومعنى من ﴿**خِلالِه**﴾من فتوقه التي هي مخارج القطر."[7]

"و الرياح تثير سحاباً، فيبسطه الله في السماء كيف يشاء، ويجعله كسفاً أي قطعاً متراكمة، وسرعان ما يتفتق هذا السحاب عن ودق، أي مطر يدق الأرض، ويترك عليها آثاره، وإذا

---

(1) نظم الدرر / البقاعي 1 / 519 .

(2) انظر لسان العرب / 10 / 373 ، والنهاية / ابن كثير 5 / 167 ، ومختار الصحاح / الرازي 1 / 298 ، وغريب القرآن / اليزيدي 274 .

(3) الكشاف / الزمخشري 2 / 92 .

(4) سورة النور: آية / 43

(5) سورة الروم: آية / 48

(6) الشاعر هو عامر بن جوين الطائي شاعر وفارس من أشراف طيئ في الجاهلية وكان من المعمرين قيل أنه عاش مائتي عام قتل غيلة من أمرؤ القيس بن حجر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / عبد القادر بن عمر البغدادي ؛ تحقيق عبد السلام هارون ط2 1979 الهيئة العامة للكتاب القاهرة 1 / 53 ولإعلام للزركلي 3 / 250 .

(7) فتح القدير / الشوكاني 4 / 41 ، وانظر الكشاف / الزمخشري 3 / 245 ، وتفسير ابن كثير 3 / 298

الذين يستقبلون هذا المطر، قد لبسوا ثوب البشر، ونزعوا ما كانوا قد لبسوا من قبل، من هَـمٍّ وكرب ."[1]

فإن من شدة هذا المطر وتواصله كأنه خيوط قد تدلت من خلال السحاب، كالأهــداب يرى بالعين واضحاً فقال:﴿ **فَتَرَى الْوَدْقَ** ﴾ فجاء بفعل الرؤية للدلالة علــى أنــه ممكــن أن نشاهده وهو خارج من السحاب وهذا التعبير أكثر ملاءمة من أن يذكره بأي وصــف آخــر غير الودق.

5- الثجاج

" ثجّ: الثاء والجيم أصل واحد، وهو صب الشيء. يقال ثج الماء إذا صبه؛ ومــاء ثجــاج أي صباب ."[2] "والثجُّ: الصبُّ الكثير وخص بعضهم به صَبّ الماء الكثير، ومطر ثجــاج شــديد الإنصباب ."[3]

وجاء وصف المطر بالثجاج في القرآن في موضع واحد في سورة النبأ قال تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا** ﴾[4]

" والثجاج المنصب بكثرة على جهة التتابع، يقال ثج الماء: أي أساله بكثرة."[5]

ويجمل الرازي الكلام الكثير في الموضوع بقوله" وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتــى يكثــر الماء فيعظم النفع به."[6]

وجاء لفظ ثجاجاً مناسب لعصر السحب وكأنه يعصر قطعة إسفنج فينصب الماء منها بقوة وكثرة وتتابع. ومن أجل هذا المعنى جاء بثجاجاً ليملأ مكانه ببلاغة وإعجاز.

6-الصّيْب

" صوب: الصاد والواو والباء أصل صحيح، يدل على نزول شــيء واســتقراره ... ومنــه الصوب، وهو نزول المطر والنازل صوب أيضاً ...

ويقال الصَّيب السحاب ذو الصّوب ... وهو خالص ماء السحاب. فكأنها مشتقة من

---

(1) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم 21 / 539 ، وانظر التفسير المنير / الزحيلي 21 / 106 .

(2) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 179 ، وانظر مختار الصحاح / الرازي 1 / 35 .

(3) لسان العرب / ابن منظور 2 / 221 .

(4) سورة النبأ: آية / 14

(5) فتح القدير / الشوكاني 5 / 364 .

(6) تفسير الرازي 31 / 9 ، وتفسير القرطبي 19 / 174 ، وانظر التفسير المنير / الزحيلي 30 / 12 ، وتفسير في رحاب القرآن / عبد الحميد كشك 9 / 7827 .

ذلك."[1]

وذكر القرآن الصيب مرة واحدة في سورة البقرة عند الحديث عن المنافقين قال تعالى:﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾[2]

" والصيب هو المطر الغزير، وكأن السماء تحولت إلى أفواه القِرَب، ومن السماء بالذات، ليعطي المعني قوة دافعة، لا يستطيع أحد ردها، بحكم ما أودعه الله في الكون من قانون الجاذبية.

هذا الوابل الصيب فيه ظلمات: ظلمة الليل والسحاب والمطر. ويتخلل هذا الصيب رعد وبرق..."[3]

والصّيب: المطر الذي يصوب: أي ينزل ويقع، ويقال للسحاب صيب أيضاً وتنكير صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل ... فإن قلت: قوله:﴿ **مِنَ السَّمَاءِ**﴾ ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء قلت: الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فتفيد أن يتصوب من سماء: أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأنه كل أفق من آفاقها سماء، كما أن أطبقة من الطباق سماء في قوله: ﴿**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**﴾[4] "[5]

7- الغَدَقْ

الغدق:" الغين والدال والقاف أصل صحيح يدل على غُزْر، وكثرة، ونعمة ومن ذلك الغدق، وهو الغزير الكثير."[6] "والغدق المطر الكثير العام، وقد غيدق المطر: كثر وهو الماء الكثير وإن لم يك مطراً ﴿**لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غدقا**﴾[7] [8] أي غزيراً ويقال فيما يغزر من ماء وعدو ونطق [9]

---

(1) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 579 ، وانظر الصحاح / الرازي 1 / 164 .
(2) سورة البقرة: آية / 19 .
(3) في رحاب القرآن / عبد المجيد كشك 1 / 106 .
(4) سورة فصلت: آية / 12
(5) الكشاف / للزمخشري 1 / 82 .
(6) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 842 .
(7) سورة الجن: آية / 16
(8) لسان العرب / ابن منظور 10 / 282 .
(9) المفردات / الأصفهاني ص 370 .

وجاء لفظ الغدق، وصفاً للماء مرة واحدة في سورة الجن، قال تعالى:﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غدقا**﴾ .

﴿**وَأَلو اسْتَقَامُوا**﴾ أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى، والمعنى: وأوحي إلى أن الشأن والحديث: لو استقام الجن على الطريقة المثلي، أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة، ولم يستكبر عن السجود لآدم، ولم يكفر، وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم، ولوسّعنا رزقهم. وذكر الماء الغدَق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها، وقرئ بهما لأنه أصل المعاش وسعة الرزق ."[1]

وقد جعل الله هذا الماء الغدق للفتنة والإختبار، على قولين:

الأول: استقاموا على الطريقة المثلي وهي الإسلام والإيمان ويكون الإختبار هل يشكرون هذه النعمة أم يكفروها .

والثاني: استقاموا على طريقة الضلال فتكون الفتنة بالاستدراج بتوسيع الرزق عليهم بالماء الكثير. والآية تحتمل القولين .[2]

ولكن القول الأول أرجح وذلك لأن الطريقة معرّفة فالأوجب أن تكون طريقته طريقة الهدى؛ ولأن الإستقامة لا تكون إلا مع الهدى."[3]

ولفظ الغدق هنا ليناسب الإنعام بالاستقامة، وليناسب بكثرته الفتنة به، فإن كان إنعاماً وجزاءً مقابل الاستقامة كان يناسبه الكثرة، وإن كان للاستدراج كان يناسبه الكثرة أيضاً .

فجاء اللفظ مناسباً تمام المناسبة للحالين معاً وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه.

ثالثاُ: جبال من برد

" برد: الباء والراء والدال أصول أربعة أحدها خلاف الحر، والآخر السكون والثبوت، والثالث الملبوس، والرابع الإضطراب والحركة وإليها ترجع الفروع.

فأما الأول فالبرد خلاف الحر. يقال برد فهو بارد، وبرد الماء حرارة جو في يَبْرُدُها ... وسحاب برد، إذا كان ذا برد ."[4]

والبَرَدُ ما يتصلب من ماء المطر لما يصيبه من البرد، يقال سحاب أبرد وبرد: ذو بردٍ وقوله تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ**﴾[1]

---

(1) الكشاف / الزمخشري 4 / 629 .

(2) انظر تفسير الكشاف / الزمخشري 4 / 170 ، وتفسير ابن كثير 4 / 431 – 432 .

(3) تفسير القرطبي 19 / 19 ، وتفسير التسهيل / للكلبي 4 / 154 .

(4) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 132 .

قال ثعلب[2]: فيه قولان: أحدهما وينزل من السماء أمثال الجبال من البرد .
والثاني وينزل من السماء من جبال فيها برد " نقله المحقق عن لسان العرب لسقوطه من الأصل ."[3]
﴿**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ**﴾ لم يزد الطبري على ما قاله ثعلب في الآية .[4]

وذكر الرازي نقلاً عن أبي على الفارسي[5] في (من) المتكررة في الآية وجوه **من الأولي** لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء و(من) **الثانية** للتبعيض، لأن ما بنزلة الله بعض تلك الجبال التي في السماء و(من) **الثالثة** للتبيين لأن جنس تلك الجبال جنس البرد."[6]

وهذا على أن هناك في السماء جبال من البرد، ينزل الله منها البرد حين يشاء، وهذا مخالف للمشاهدة، والعلم الحديث ينكره، والأصح أن السماء هي جهة العلو، فكل ما على الإنسان فهو سماء؛ ولأن السحاب في علو شاهق سمي سحاب وهذه السحب تكون جبالاً من البرد. لذا كانت من الثانية للتبعيض لأن ما ينزل هو بعض ما في السحاب في حين يبقى من السحاب الكثير في السماء يتنقل من مكان إلى مكان حتى يفرغ ما به والثالثة للجنس فعلاً والأولى بالإبتداء كما قال لكن ليس من السماء بل المقصود بالسماء السحاب. ويؤيد ذلك قول

---

(1) سورة النور: آية / 43

(2) هو أحمد بن يحيى بن زيد أبو العباس الشيباني النحوي المعروف بثعلب إمام الكوفين في النحو واللغة، له كتاب المصون واختلاف ومعاني القرآن واعراب القرآن وقواعد الشعر ، توفي سنة 290 هـ ببغداد ودفن بمقبرة باب الشام انظر طبقات الحنابلة / محمد بن أبي يعلى أبو الحسين ت 521 ، 1 / 84 وسير أعلام النبلاء/ الزهبي 13 / 506 ووفيات الأعيان / ابن ملكان 1 / 102 – 104 .

(3) عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 1 / 201 .

(4) انظر تفسير ابن جرير الطبري 18 / 154 .

(5) هو أبو على الحسن ابن أحمد الفارسي نحوي واسع العلم من أئمة النحاة ولد في فسا (إيران) وتوفي في بغداد سنة 377 هـ – 987 مـ أخذ عن ابن السراج والزجّاج وأخذ عنه علم العربية ابن جني وجماعة من حذاق النحويين له كتاب " الإيضاح في النحو والتكملة وله كتاب التذكرة وهو كبير في عدة مجلدات كما ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ت : 1067 هـ .– ط1 – دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1413 هـ – 1992 مـ 1 / 384 . وانظر " المنجد في الإعلام / تحت إشراف بطرس حرفوش، ص 517 ، . ـ ط13 . ـ دار المشرق، بيروت، 1984 .

(6) انظر تفسير الرازي 24 / 15 .

البقاعي:" وينزل من السماء أي من جهتها مبتدئاً من جبال فيها أي في السماء وهي السحاب الذي صار بعد تراكمه كالجبال ".[1]

رابعاً: الأودية

الوادي: معروف وربما اكتفوا بالكسرة عن الياء، والجمع أودية على غير قياس."[2]

"الوادي اسم فاعل من وَدَيَ يَدِي: إذا سال وَدْياً، فهو وادٍ .

ثم أطلق على المكان الذي يجتمع فيه الماء ويسيل، فالوادي هو الماء، وسُمِّي مكانه باسمه مجازاً للمجاورة ... وقيل الوادي: المعرج بين الجبلين الذي يسيل فيه الماء، ثم أطلق على كل مَعْرَج بين جبلين وإن لم يسل فيه ماء ."[3]

وجاء ذكر الوادي يسيل فيه الماء مرة واحدة في سورة الرعد قال تعالى:﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾[4]

" ومن حق الماء أن يستقر في الأودية المنخفضة عن الجبال والتلال، بمقدار سعة تلك الأودية وصغرها، ومن حق الماء إذا زاد على قدر الأودية أن ينبسط على الأرض ."[5]

وجاء لفظ ﴿**أَوْدِيَةٌ**﴾ نكرة لأن المطر يأتي على طريق المناوبة بين البقاع فتسيل أودية دون البعض.

وأما قوله:﴿ **بِقَدَرِهَا** ﴾ حسب سعة الوادي إذا كبر كثر الماء وإذا صغر قل الماء.[6]

وجاءت هذه الآية على سبيل المثل وسوف أتناولها بالشرح والتفصيل في الفصل الخامس "الماء في المثل القرآني".

---

(1) نظم الدرر / البقاعي 5 / 273 .

(2) مختار الصحاح / الرازي ص 715 .

(3) عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 4 / 341 .

(4) سورة الرعد: آية / 17

(5) تفسير الرازي 19 / 36 .

(6) انظر المصدر السابق 19 / 37 .

المبحث الثاني: أقسام الماء من حيث العذوبة والملوحة

المطلب الأول: أقسام الماء من حيث العذوبة

أولاً: العذب

ثانياً: الفرات

ثالثاً: المعين

رابعاً: المبارك

خامساً: الطهور

المطلب الثاني: أقسام الماء من حيث الملوحة

المبحث الثاني : أقسام الماء من حيث العذوبة والملوحة

من الصور التي وردت في القرآن الكريم للماء:الماء العذب ،والملح الأجاج،وذلك لحكمة من الله تعالى،حيث أن لكل من الماءين فوائده ومنافعه،وفي هذا المبحث نتناول النوعين الماء العذب والماء الملح، بالألفاظ التي وردت في القرآن .

المطلب الأول:القسم الأول الماء العذب وأوصافه

المياه العذبة غالبا ما تنزل من السماء من مطر، أو برد وكثير مما يخرج من الأرض من عيون عذبة، وأنها تجري بالماء العذب، وهذه كلها تحدث المبحث السابق عنها، من حيث مصدرها العلوي أو السفلي .

ولكن في هذا المطلب سوف نتعرض لألفاظ ذكرها القرآن، يعبر بها عن أوصاف الماء العذب وسوف نسير على طريقة المطلب السابق، في تناول اللفظ من اللغة وكتب التفسير، ثم دلالة ورود اللفظ في موضعه، وأسأل الله التوفيق .

أولاً :العذب

"عذب : العين والذال والباء أصل صحيح لكن كلماته لا تكاد تنقاس ،ولا يمكن جمعها إلى شيء واحد.

فمن الباب: عذب الماء يعذب عذوبة ، فهو عذب : طيب وأعذب القوم إذا عذب ماؤهم واستعذبوا ، إذا استقوا وشربوا عذباً "[1]

" والعذب من الشراب والطعام :كل مستساغ، والعذب:الماء الطيب ماءة عذبة وركية عذبة وفي القرآن ﴿**هذا عذب فرات**﴾"[2]

وفي الحديث "عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُسْتَعْذَبُ له الماء من بيوت السقيا،قال قتيبة بن سعيد:عين بينها وبين المدينة يومان ."[1]

---

(1) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 259/4 .

(2) لسان العرب / ابن منظور 583/1 .

وعن عبد الحميد بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا إن سيد الأشربة في الدنيا والآخرة الماء.[2]

قال تعالى: ﴿**وَهُو الذي مرج البحرينِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا**﴾ [3] قال تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[4]

شرح آية سورة الفرقان :

يدلل الله على عظيم قدرته ،ووجوب توحيده ،من خلال التقاء البحرين: الملح الأجاج ، والعذب الفرات ؛فلا يختلط ماؤها حتى أن هذا البحر العذب الفرات، تزداد عذوبة ماءه حتى يصير إلى الحلاوة، والأجاج نقيضه وأنه سبحانه بقدرته يفصل بينهما، ويمنعهما التمازج وجعل من عظيم اقتداره برزخاً حائلاً من قدرته [5]

وقيل البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر.[6]

والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون ،ومعنى العذب البالغ العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة .[7]

ولما كان المثل مضروباً للمقارنة وبيان الإعجاز في عدم مزج البحار المالح فقابله بالعذب، حتى يناسب قدر المعجزة وكذلك الدلالة على التوحيد أبلغ بهذا اللفظ دون سواه من قلة أو

---

(1) أخرجه أبو داود كتاب الأشربة باب إيكاء الآنية رقم 3735 ، 340/3 وأخرجه ابن حبان كتاب الأشربة رقم 5332 ج149/12 وأبو يعلى في مسنده رقم4613 ، 8/ 82 وأخرجه أحمد 100،108/6 وأبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ص227 والحاكم في المستدرك كتاب الأشربة رقم 7203 /4 = =، 153/4 والحديث صحيح صححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي في التلخيص 153/4 وصححه حسين أسد في تحقيق مسند أبي يعلى قال إسناده صحيح 82/8 وقال الأرناؤوط اسناده قوي في تحقيق صحيح ابن حبان 149/12 وجود اسناده ابن حجر في فتح الباري 74/10 وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 4951 .

(2) أخرجه الحاكم كتاب الأشربة رقم 153/4 3/7202 وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص .

(3) سورة الفرقان: آية / 53

(4) سورة فاطر: آية / 12

(5) انظر تفسير الرازي. 24 / 100 .

(6) كتاب التسهيل / ابن جزي الكابي 3 / 80 .

(7) التسهيل / ابن جزي الكلبي 3 / 80 .

كثرة أو قوة أو ضعف .ولبيان أنه لا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه وتعالى قال:﴿ **هو الَّـذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ...**﴾ .

أما آية سورة فاطر ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ ..**﴾

أراد الله تعالى أن يعدد النعم التي أنعمها على الناس، من خلال الماء عذبه وملحــه ،فــذكر العذب مع الملح ؛مبيناً منافع هذا وذاك ،حيث أن العذب حلو المذاق ،مستساغ الطعم ،طيــب، فيه الشرب للإنسان والحيوان والنبات ،ومنه اللحم الطري والحلية ما بين العذب والملح .

" قال أكثر المفسرين :أن المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والإيمــان، أو الكــافر والمؤمن ،فالإيمان لا يشتبه بالكفر في الحسن والنفع كما لا يشتبه البحران العــذب الفــرات والملح الأجاج ....والأظهر أن المراد ذكر دليل آخر على قــدرة الله وذلــك مــن حيــث أن البحرين يستويان في الصورة، ويختلفان في الماء فإن أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج ولو كان ذلك بإيجاب لما اختلف المتساويان ،ثم إنهما بعد اختلافهمــا يوجــد منهمــا أمــور متشابهة ،فإن اللحم الطري يوجد فيهما . والحلية تؤخذ منهما ،ومن يوجــد فــي المتــشابهين اختلافاً وفي المختلفين اشتباهاً لا يكون إلا قادراً مختاراً وقولــه تعــالى : ﴿**وَمَــا يَــسْتَوِي الْبَحْرَانِ**﴾ إشارة إلى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ إرادته."[(1)]

زاد في هذه الآية عن سابقتها ﴿**سَائِغٌ شَرَابُهُ**﴾ لبيان سهولته في الشرب وقبول طعمه للنفس.

ثانياً:الفرات

"الفاء والراء والتاء كلمة واحدة :وهي الماء الفرات ،وهو العذب ،يقال مــاء فــرات ،وميــاه فرات "[(2)] "والفرات أشد الماء عذوبة وقد فرت الماء يفرت فروتة إذا عذب ، فهو فرات "[(3)]

وورد لفظ الفرات في الكتاب العزيز ثــلاث مــرات فــي ســور الفرقــان وفــاطر والمرسلات وقد سبق الحديث عن آيتي الفرقان وفاطر في البند السابق في العذب أمــا آيــة المرسلات سوف نفسرها هنا في هذا الغرض يقول تعالى ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِــيَ شَــامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا**﴾[(4)]

(1) تفسير الرازي 26 / 10-11 .

(2) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 834 .

(3) لسان العرب 2 / 65 ، والمفردات/ الأصفهاني ص 388 .

(4) سورة المرسلات: آية / 27

"يعني الجبال أرسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب و ﴿**وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا**﴾أي عذباً زلالاً من السحاب أو مما أتبعه من عيون الأرض."[1]

"أي خلقنا الجبال الشامخات وأنزلنا الماء الفرات .وهذه الأمور أعجب من البعث"[2]

" فإن قلت: فالتنكير في ﴿**رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ**﴾ و ﴿**مَاءً فُرَاتًا**﴾ . قلت: يحتمل إفادة التبعيض لأن في السماء جبالاً، قال الله تعالى:﴿ **وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ**﴾[3] وفيها ماء فرات أيضاً بل هي معدنه ومصبه .

وأن يكون للتفخيم. أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كذبتم به من العذاب "[4]

يرى الباحث: والتنكير في الجبال والماء للتفخيم أولى وأشبه، أما التبعيض فهو بعيد جداً؛ لربط جبال الأرض بما يسبح في فضاء السماء، من غيوم متجمدة فيها برد كالجبال. والسماء ليست بحاجة إلى جبال لتثبيتها حتى لا تميد أو تضطرب فإن ذلك للأرض .

وأما الربط الموجود بين الجبال والماء الفرات فهو من وجوه .

الأول: أن الجبال مصدر من مصادر العيون والينابيع .

الثاني: وهي من مصادر الأنهار حيث تتكون على قممها الثلوج التي تذوب وتمد الأنهار بالماء .

الثالث: لأن الجبال كحواجز طبيعية تعترض السحاب فيمطر وذلك أيضاً مصدر رئيس للماء. وفي هذه الثلاثة يكون الماء عذباً فراتاً زلالاً،عدا العيون ذات الأملاح المعدنية والحارة . لذا جاء الماء الفرات بعد الجبال الشامخات العاليات علواً شاهقاً. والله أعلم .

ثالثاً: المعين

الماء المعين ": أي ظاهر للعيون وهو مشتق من عين الماء [5] وماء معين كمعيون والماء المعيون: الظاهر تراه العين جارياً على وجه الأرض .[6]

---

(1) تفسير ابن كثير 4 / 461 ، والرازي 30 / 274 ، وفي رحاب القرآن / عبد الحميد كشك 7818/9 .
(2) تفسير القرطبي 19 / 162، وفتح القدير 5 / 358 والتفسير المنير 321/29 .
(3) سورة النور: آية / 43
(4) تفسير الكشاف / الزمخشري 4 / 204 .
(5) المفردات / الأصفهاني ص 368 .
(6) لسان العرب / ابن منظور 13 / 304 .

وذكر لفظ المعين في القرآن أربع مرات في سورة المؤمنون ﴿**وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**﴾[1] وفي الصافات والواقعة ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ**﴾[2] وهذا في الجنة أما الرابعة ففي سورة الملك ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾[3]

وسوف نتعرض بالتفسير لآية(المؤمنون) وآية الملك إن شاء الله .

آية (المؤمنون) :

﴿**وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ** ﴾ " القرار: المكان المطمئن الذي يستقر فيه الماء، ومنه قيل للروضة المنخفضة قرار "[4]

" وعن قتادة ذات ثمار وماء، يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها و ﴿**وَمَعِينٍ**﴾ " المعين: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض فنسبه سبحانه على كمال نعمه عليها بهذا اللفظ على اختصاره ."[5]

وينكر ابن جرير على قتادة معنى " ذات القرار" ويصف ذلك بأنه لا وجه له يعرفه[6]

يرى الباحث: أن الأرض المستقرة والتي فيها الماء تكون عادة أرض مثمرة فيها الخير لوفرة مائها والناس تجتمع عليها، وهذا الذي يؤيده الواقع، ألم تكن العرب ترحل بحثاً عن الماء، وتسير أياماً وليالي من أجل ذلك .

وأما آية (الملك):

﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾

" وقفهم الله تعالى على مياههم التي يعيشون منها إن غارت أي ذهبت في الأرض، ومن يجيئهم بماء كثير واف، والغور: مصدر يوصف به على معنى المبالغة ... والمعين: فعيل من معنى الماء إذا كثر أو مفعول من العين، أي جار كالعين، أصله معيون، وقيل هو من العين، لكن من حيث يرى بعين الإنسان، لا من حيث يشبه بالعين الجارية وقال ابن عباس: ﴿**مَعِينٍ**﴾ عذب ."[7]

وقال ابن كثير:" أي ذاهباً في الأرض إلى أسفل فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد، الغائر عكس النابع ولهذا قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾ أي نابع سائح جار على وجه

---

(1) سورة المؤمنون: آية / 50

(2) سورة الصافات: آية / 45 ، وسورة الواقعة: آية / 18

(3) سورة الملك: آية / 30

(4) عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 3 / 348 .

(5) تفسير الرازي 23 / 104 .

(6) انظر تفسير / ابن جرير الطبري 18 / 28 .

(7) المحرر الوجيز / ابن عطية 16 / 71 .

الأرض، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل، فمن فضله وكرمه إن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر الأقطار في الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة، فلله الحمد والمنّة."[1]

" والمقصود أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه ليريهم قبح ما هم عليه من الكفر "[2]

﴿**إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ**﴾ " ولما كانت النعمة أشد ما يكون إذا كانت في الصباح الذي هو موضع ارتقاب الفلاح قال:﴿ **أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ**﴾ أي الذي تعدونه في أيديكم، بما نبهت عليه الإضافة."[3]

واختار الله هذا اللفظ ﴿**مَعِينٍ**﴾ في هذه الآية الكريمة ليقابل ﴿**غَوْرًا**﴾ وفي هذه المقابلة بلاغة وحسن اختيار جميل لفظاً ومعناً .

رابعاً: المبارك

"برك: الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء، ثم يتفرع فروعاً يقارب بعضها بعضاً."[4] " والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء ﴿**لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [5] والبركة كالحوض والجمع برك قيل سميت بذلك لإقامة الماء فيها وكل شيء ثبت وأقام فقد برك والبركة الزيادة والنماء ."[6]

وجاء لفظ ﴿**مبارك**﴾ بالتذكير والتأنيث في القرآن اثنا عشر مرةً، أربع مرات وصفاً للكتاب الكريم القرآن ومرة للبيت الحرام بمكة ومرة مضافاً إلى عيسى –عليه السلام– ومرة في الدعاء لرسولنا ﷺ ومرة صفة لشجرة الزيتون المباركة، وكذلك البقعة المباركة من الوادي طوى، ومرة في وصف ليلة القدر بالليلة المباركة، ومرة بوصف تحية الإسلام تحية من الله مباركة طيبة. وأخيراً مرة واحدة يصف الماء المنزل من السماء بالمبارك . في قوله تعالى:﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**﴾[7] "[8]

---

(1) تفسير ابن كثير 4 / 401 .

(2) تفسير الرازي 30 / 76 .

(3) نظم الدرر / البقاعي 8 / 88 .

(4) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس 126 .

(5) سورة الأعراف: آية / 96

(6)مختار الصحاح / الرازي ص49 ، وانظر عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 1 / 208 ، والمفردات / الأصفهاني ص 42 .

(7) سورة ق: آية / 9

(8) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي ص 118 .

" مطراً مباركاً، فأنبتنا به بساتين أشجاراً، وحب الزرع المحصود من البر والشعير، وسائر أنواع الحبوب ."[1] ويقول ابن كثير: أي نافعاً ﴿**جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**﴾ أي الحدائق وما يدخر حبه ويراد لذاته من الزرع .[2]

وذكر السماء والأرض للإستدال بما ينزل من السماء من ماء، وما يخرج من الأرض من نبات وزروع وبساتين، منها ما هو باق يقطف ثماره كل عام ومنها ما يحصد كله ثم يزرع من جديد وهذا من كمال القدرة [3] وقال القرطبي : ﴿**مُبَارَكًا**﴾ كثير البركة [4]
وجاء لفظ المبارك للماء هنا حتى يضفي معنى وحجم وسعة البركة الإلهية، وثبوتها في كل ما ينزل من السماء، وما يخرج به من الزرع، يضع فيه البركة والنفع الكثير الغامر ويؤيد ذلك قوله:﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّات وَحَبَّ الْحَصِيد(9)وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(10)رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ**﴾ فإن إحياء البلاد والعباد ببركة هذا الماء المبارك لهو الجو المناسب لورود هذا اللفظ المبارك والكريم في هذه الآية .

خامساً: الطهور

" الطهارة ضربان: جسمانية، ونفسانية وحمل عليها عامة الآيات ."[5]
طهر: الطاء والهاء والراء أصل واحد صحيح يدل على نقاء وزوال دنس ومن ذلك الطهر: خلاف الدنس ... والطهور: الماء قال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾[6] " واسم الماء الطهور وكل ماءٍ نظيفٍ: طهور وماء طهور أي يتطهر به وكل طهور طاهر، وليس كل طاهر طهوراً. وقال الشافعي: –رضي الله عنه – كل ماء خلقه الله نازلاً من السماء، أو نابعاً من عيون في الأرض، أو بحر، لا صنعت فيه لآدمي غير الإستقاء، ولم يغير لونه شيء يخالطه ولم يتغير طعمه منه، فهو طهور ."[7]

---

(1) تفسير الطبري 26 / 152 .
(2) تفسير ابن كثير 4 / 222 .
(3) انظر تفسير الرازي 28 / 157 .
(4) تفسير القرطبي 17 / 6 .
(5) المفردات / الراغب الأصفهاني ص 317 ، وانظر بصائر ذوي التمييز / الفيروزأبادي 3 / 528 – 529 .
(6) سورة الفرقان: آية / 48
(7) لسان العرب / ابن منظور 4 / 505 .

" وكذلك وصف الماء بأنه طهور يكون بفتح الطاء خبراً عن الآلة التي يتطهر بها، فإذا ضممت الفاء في الوقود والسحور والطهور عاد إلى الفعل، وكان خبراً عنه، فثبت بهذا أن اسم المفعول يكون بناء للمبالغة، ويكون خبراً عن الآله، وبعد هذا يقف لبيان عن المبالغة أو عن الآله على الدليل، مثاله قوله تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** ﴾ .

وقوله ﷺ **وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورًا**[1] قيل: إن ذلك اقتضى التطهير من حيث المعنى، وذلك أن الطاهر ضربان: ضرب لا يتعداه الطهارة كطهارة الثوب، فإنه طاهر غير مطهر به، وضرب يتعداه، فيجعل غيره طاهراً به، فوصف الله تعالى الماء بأنه طهور تنبيهاً على هذا المعنى ."[2]

﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** ﴾ يقول: وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماءً طهوراً ."[3] ولكن الإمام الرازي ينكر ويضعف من يقول بأن الماء ينزل من السحاب بل هذا دليل على أنه ينزل من السماء وتفسير السماء بالسحاب فلا يصرف اللفظ عن ظاهره .[4]

يرى الباحث: أن القول الذي يقوله الرازي يخالف الحقائق العلمية وما هو مشاهده للعين الظاهر في السماء . وهو كذلك يناقض نفسه عندما يفسر تكوين السحاب [5] في أكثر من موضع سقناه في هذا الفصل تحدث فيها عن تكوين السحاب من الأبخرة المتصاعدة وغير ذلك من العوامل وإلا كيف نفسر نزول المطر من السماء إلا بالسحاب؟ أو كيف يتكون السحاب؟ هل ينزل من السماء بدون تصاعده من الأرض؟ وكيف يقول بـ ﴿**السماء ذات الرجع**﴾ ؟

ووصف الماء بالطهور في هذا المقام، " إدماجاً لمنّة في أثناء المنن المقصورة، ويكون كقوله تعالى:﴿**وينزل عليكم مِنَ السَّمَاءِ ماء ليطهركم به**﴾ [6] وصف الطهارة الذاتية وتطهيره، فيكون هذا الوصف إدماجاً ولولا ذلك لكان الأحق بمقام الامتنان وصف الماء بالصفاء أو نحو ذلك."[7]

---

(1) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ " جعلت لي الأرض ومسجداً وطهورا " رقم 438 1 / 533 صحيح البخاري مع الفتح .

(2) المفردات / الأصفهاني ص 318 .

(3) تفسير الطبري 19 / 21 .

(4) تفسير الرازي 24 / 90 .

(5) انظر تفسير الرازي 24 / 13 ، والمطلب الثاني من هذا الفصل د – السحاب المركوم (الركامي) .

(6) سورة الأنفال: آية / 11

(7) التحرير والتنوير / ابن عاشور 19 / 48 .

المطلب الثاني:القسم الثاني الماء المالح

لقد ذكر الله تعالى في محكم كتابه العزيز آيتين تصف مياه البحار بوصفين: الأول: **الملح** والثاني: **الأجاج** حيث قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ** ﴾(1) ﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ** ﴾(2) .

"**الملح:** الميم واللام والحاء أصل صحيح له فروع تتقارب في المعنى وإن كان في ظاهرها بعد التفاوت، فالأصل البياض منه الملح المعروف وسمي لبياضه، وملح الماء"(3) "والملح: الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد،ويقال له ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد فيقال ماءٌ ملح وقلّما تقول العرب ماء مالح "(4)

"**الأجاج:** أجّ أما الهمزة والجيم لها أصلان: الحفيف والشدة إمّا حرّاً وإمّا ملوحةً والماء الأجاج الملح"(5) "شديد الملوحة والحرارة من قولهم أجيج النار، والمياه المتموجة لكثرة اضطرابها"(6)

نلاحظ أن الآيتين لم تذكرا نوعين من الماء المالح بل ذكرت وصفين من أوصاف الماء تقابل الوصفين الآخرين للماء العذب وهما العذب الفرات فجعل الملح يقابل العذب والأجاج يقابل الفرات حيث أن الفرات أكثر عذوبةً وسلاسة والأجاج أكثر ملوحةً وحرارة في الجوف والأول قال عنه سائغ شرابه وقال عن الثاني ملح أجاج ومن هذا المنطوق نفهم المفهوم التالي أن الملح الأجاج لا يستساغ ولا يطاق شربه .

لا نطيل الحديث في هذا المعنى فإن ما جاء في البحار ومياهها من عبر وعظات تضمنتها الآيات الكريمة يدفعنا بقوة لتتبعها ودراسة ما فيها من معاني .

فهذا البحر المخلوق الهائل الذي هو أكبر المخلوقات على هذا الكوكب، فهو المسطح المائي الجبار الذي يميز كوكب الأرض عن غيره، ويعطيه من الفضاء لونه الأزرق البديع حتى أن الله سبحانه وتعالى عندما ضرب مثلاً لسعة علمه ضربه بالبحر تقريباً لذهن الإنسان، حتى

---

(1) سورة الفرقان: الآية / 53

(2) سورة الفرقان: الآية / 53

(3) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس، ص 994 .

(4) المفردات / للراغب الأصفهاني، ص 492 .

(5) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس، ص 40 .

(6) المفردات / للراغب الأصفهاني، ص 6 .

يقرب إلى الغائب بالمحسوس، المشاهد قال تعالى:﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[1]

وجاء ذكر البحر في القرآن الكريم بلفظ البحر ثلاثاً وثلاثين مرة، وبالمثنى خمس آيات، وبالجمع ثلاث آيات، وبلفظ اليم ثماني آيات، فيصير العدد تسعاً وأربعين آية، ووردت هذه الآيات في خمس وعشرين سورة بلفظ البحر، واليم في أربع سور، فيكون مجموع السور تسعاً وعشرين سورة، وهذا مما يعادل قرابة ربع سور القرآن، مما يدلل على مدى اهتمام رب العزة بالبحر، ودعوة للمسلم أن يتفكر في هذا العدد الكبير من الآيات، ويتدبر ما فيها بما ينفعه في دنياه وآخرته.

ويتجلى ذلك الإهتمام عندما نمعن النظر في هذه الآيات والمجالات المتعددة التي تتحدث عنها والتي تدفع المسلمين إلى استقصائها والبحث عنها، حيث نجد تلك المجالات تتمثل في أمور قد يبدو من عرض بعضها أنها خاصة ولكن الهدف منها عام وشامل لكل زمان، ومكان بما يفيد الإنسانية على المدى الطويل .[2]

وفي الإطار العام أحاول تقسيم هذه الآيات جاهداً تحت أطر أربعة يندرج تحتها بعض المواضيع والتفريعات الصغيرة، حتى ندرك ما في هذا الآيات من عجائب وآيات دالة وموحية بعظمة الخالق وعظمة هذا القرآن العظيم .

أولاً: آيات تتحدث عن منافع البحر:

1- منافع عامة

أ – آيات مجملة

ب – آيات مفصلة

2- آيات في الصيد خاصة

3- آيات في الملاحة

4- آيات في التجارة

5- التنبوء بالملاحة العملاقة

---

(1) سورة الكهف: آية / 109

(2) انظر القرآن الكريم والبحر / محمد محمد زيتون، مجلة الأزهر عدد رجب 1441 هـ ديسمبر – يناير 1994 مـ الجزء السابع، السنة السادسة والستون.

ثانياً: دعوة للتفكير في البحر

ثالثاً: آيات تتحدث عن البحر وأحداث تاريخية

1- موسى وفرعون

2- موسى وفتاه

3- ابتلاء بني إسرائيل بالبحر

4- ردة بني إسرائيل

5- المن على بني إسرائيل بالنجاة

رابعاً: آيات في الترغيب والترهيب

1- التحذير من الفساد

2- تكريم بني آدم

3- التذكير بنعم الله في البحر

4- ﴿**وكان الإنسان كفوراً**﴾

أولاً: آيات تتحدث عن منافع البحر

1- منافع عامة: جاءت آيات البحر بذكر منافع جمة، منها آيات عامة أجملت المنافع. وآيات فصلت هذه المنافع.

أ- آيات أجملت المنافع

مثل قوله تعالى: ﴿ **وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾[1] في هذه الآية ذكر القرآن الكريم أن هذه الفلك تجري ولكن بماذا ؟ أجملت الآية ﴿ **بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾ أي بالذي ينفعهم من التجارات، وسائر المآرب التي تصلح بها أحوالهم "[2]

" دل على إباحة الاكتساب والتجارة والانتفاع باللذات "[3]

فقد ترك القرآن الآية بلا تفصيل، حيث فصلت منافع البحر في آيات أخرى .

ب – ومن الآيات التي فصلت هذه المنافع

آية فاطر والنحل قال تعالى:﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[4] وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ**

---

(1) سورة البقرة: آية / 164

(2) تفسير القرطبي 2 / 196 ، وانظر تفسير ابن جرير الطبري 2 / 64 .

(3) تفسير الرازي 4 / 218 .

(4) سورة فاطر: آية / 12

لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(1)

وهاتان الآيتان ذكرتا الصيد واستخراج الحلية والملاحة والتجارة ففصلت ﴿ **بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾ وقد تعرضت بالتفصيل(2) لهاتين الآيتين في الفصل الأول .(3)

2- آيات في الصيد خاصة

وذكر القرآن آيات كثيرة خاصة في الصيد والجانب الخاص بالثروة السمكية ومن هذه الآيات:﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾(4) وكذلك آيتا فاطر والنحل السابقتان وقد تعرضنا لبيان ذلك بالتفصيل في البند الخاص بالثروة السمكية من الفصل الأول .

3- الملاحة في البحر

لقد تحدث القرآن عن الملاحة البحرية والسفن في آيات كثيرة في سورة إبراهيم(5) ، والنحل (6) ، والإسراء (7) ، وغافر (8) ، والزخرف (9) ، الكهف (10) .

وقد سبق تناول هذه الآيات جميعها في الفصل الأول المواصلات البحرية والسفن (11).

4- آيات في التجارة

تحدثت عن موضوع التجارة في البحر في آيات مختلفة في السور الآتية البقرة (12)

---

(1) سورة النحل: آية / 14

(2) راجع ص 31 .

(3) انظر الفصل الأول – المبحث الأول – المطلب الثاني – الأهمية الإقتصادية أولاً وثالثاً ورابعاً وسادساً وسابعاً .

(4) سورة المائدة: آية / 96

(5) سورة إبراهيم: آية / 22

(6) سورة النحل: آية / 14

(7) سورة الإسراء: آية / 66

(8) سورة غافر: آية / 80

(9) سورة الزخرف: آية / 12

(10) سورة الكهف: آية / 79

(11) انظر ص 42 .

(12) سورة البقرة: آية / 164

النحل [1] الإسراء [2] الروم [3] فاطر [4] الجاثية [5] .

ولقد لفتت هذه الآيات النظر للتوجه إلى منفعة التجارة في البحر [6]

5- التنبؤ بالملاحة العملاقة

إن القرآن أشار إلى المنشآت الضخام التي تشبه الجبال في شكلها وضخامتها في آيتين من سورتي الشورى والرحمن .

قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأعلامِ**﴾[7] أما في الرحمن ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأعلامِ**﴾[8]

وتشير هنا إلى أن هاتين الآيتين تشيران إلى جانب الإعجاز. وعليه نحيل تفصيل أمرهما إلى الفصل الرابع (الإعجاز) .

ثانياً: دعوة للتفكر في البحر

لقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من الآيات التي تدعو الإنسان إلى التفكر والتدبر في ملكوت السموات والأرض قال تعالى:﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الألبَابِ(190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[9]

ففي آية آل عمران هذه دعوة للتفكير في ملكوت السموات والأرض وأما في قوله تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾[10] دعوة للتفكر في هذه النفس البشرية التي سخّرلها الله سبحانه وتعالى ما في السموات والأرض ومن ضمن الآيات التي في هذا الباب آية الأنعام﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلارَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[11]

---

(1) سورة النحل: آية / 14

(2) سورة الإسراء: آية / 66

(3) سورة الروم: آية / 46

(4)سورة فاطر: آية / 12

(5)سورة الجاثية: آية / 12

(6) وقد تناولت ذلك في الفصل الأول من هذا البحث بما يكفي الإشارة إليه هنا ، انظر ص 23 .

(7)سورة الشورى: آية / 32

(8) سورة الرحمن: آية / 24

(9) سورة آل عمران: آية / 190 – 191

(10) سورة الذاريات: آية / 21

(11) سورة الأنعام: آية / 59

لقد أشار الله تعالى في هذه الآية إلى ما اختص به علمه بقوله:﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ**﴾ وأشار إلى سعة علمه بقوله:﴿ **وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...**﴾ " قدم تعالى ذكر البر لأن الإنسان قد شاهد أحوال البر، وكثرة ما فيه من المدن والقرى و المفاوز، والجبال، والتلال، وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات والمعادن ... .

وأما البحر فإحاطه العقل بأحواله أقل إلا أن الحس يدل على أن عجائب البحار في الجملة أكثر وطولها وعرضها أعظم وما فيها من الحيوانات وأجناس المخلوقات أعجب. فإذا استحضر الخيال صورة البحر والبر على هذه الوجوه ثم عرف أن مجموعها قسم صغير من الأقسام الداخلة تحت قوله:﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ**﴾ "[1] والقضايا التي أشار القرآن إليها في هذه الآية تثير العقل وتحفزه لسبر أغوارها واكتشاف مكنونها من خلال البحث والتنقيب فقد شملت علوم البر والبحر والزراعة وعلوم الفلك، والبحر هنا بعجائبه وغرائبه مطروح على مائدة البحث والاكتشاف وإلى يومنا هذا مازال الكثير الكثير من أسرار هذا البحث مجهولة .

وقال تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[2]

يتبين لنا من خلال هذا العرض أن الإنسان مدعو للتفكر والتدبر، في آيات الله سبحانه وتعالى الكونية، التي منها البحر وما فيه من علوم .

ثالثاً: آيات تتحدث عن البحر وأحداث تاريخية

1-موسى وفرعون

قد وردت قصة سيدنا موسى في القرآن الكريم كثيراً فهي أكثر القصص تكراراً وجاءت في سورٍ كثيرة منها ما سرد أحداثاً متتابعة في القصة مفصلة لها كالبقرة والأعراف والشعراء ومنها ما جاء على سبيل الإيجاز بحسب ما يتطلب الموقف والسرد في السورة وذكر البحر في كثير من الآيات جاءت في قصة موسى لكون البحر كان سبباً في هلاك فرعون عدو موسى، وفي نجاة موسى وقومه في المقابل وأذكر بعض الآيات قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى**﴾[3] ومثلها في سورة الشعراء ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾[4] ثم جاء النداء الإلهي ﴿ **وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ**﴾[1] ثم

---

(1) تفسير الرازي 13 / 11 .

(2) سورة الأنعام: آية / 97

(3) سورة طه: آية / 77

(4) سورة الشعراء: آية / 63

أغرى الله فرعون واستدرجه للحاق بموسى- عليه السلام - وقومه ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[2] وهكذا كان البحر شاهداً على نجاة بني إسرائيل وهلاك فرعون، وقد تعرضت لذلك في الفصل الثالث، وبينت كيف كان الماء نعمة لموسى وقومه، ونقمة على فرعون ومليئة فلا حاجة للتكرار، ونكتفي بهذه الإشارة هنا .

2- موسى وفتاه

ومن الأحداث التاريخية في قصة سيدنا موسى - عليه السلام - التي كان البحر علامة بارزة في القصة مجمع البحرين، حيث قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاأَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾[3] وسار موسى وفتاه في رحلتهما حتى بلغا هذه العلامة ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا**﴾[4]

ولما شعر موسى بالجوع قال لفتاه أحضر لنا غداءنا وكان حوتاً في سلة معهم .

﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا(62)قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**﴾[5] وقد وضحت السنة الصحيحة ذلك عن رضي الله عنه **أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ بَلَى لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ أَيْ رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ قَالَ تَأْخُذُ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ وَرُبَّمَا قَالَ فَهُوَ ثَمَّهْ وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ فَقَالَ هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ الْغَدِ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ قَالَ لَهُ فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا قَالَ لَهُ**

---

(1) سورة الدخان: آية / 24

(2) سورة يونس: آية / 90

(3) سورة الكهف: آية / 60

(4) سورة الكهف: آية / 61

(5) سورة الكهف: آية / 62 – 63

مُوسَى ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ قَالَ أَنَا مُوسَى قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا [1]

ورواية البخاري هذه تغني عما قالته كتب التفسير فمن أراد التوسع حول الخلافات الموجودة في من هو موسى وكذلك أين يقع مجمع البحرين وغيرها من القضايا فالخلاف هناك ."[2]

3- إبتلاء بني إسرائيل بالبحر

لقد ابتلى بني إسرائيل بفتنتهم لصيد البحر في يوم السبت حيث يسبتون أي لا يشتغلون بشغل يتفرغون فيه للعبادة تعظيماً لهذا اليوم قال تعالى:﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[3]

يقول تعالى ذكره: واسأل يامحمد هؤلاء اليهود وهم مجاوروك عن أمر القرية التي كانت حاضرة البحر، يقول كانت بحضرة البحر، أي بقرب البحر وعلى شاطئة .

وذكر ابن جرير الطبري في هذه القرية أكثر من رأي. وقال والصواب من القول في ذلك أن يقال هي القرية حاضرة البحر فلا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسألة .

" يقال سبت اليهود؛ تركوا العمل في سبتهم ... واليهود دخلوا في السبت وهو اليوم المعروف وهو من الراحة والقطع "[4]

" إذ يعدون في السبت " يعني يجاوزون حد الله فيه، وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نهوا عنه ... ﴿ **يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا**﴾ أي ظاهرة على الماء شرع جمع شارع وشارعه وكل شيء دان من شيء فهو شارع ودار شارعه أي دنت من الطريق ... فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر ... فإذا انقضى السبت ذهبت وما تعود إلا في السبت المقبل ، وذلك بلاء ابتلاهم الله به، فذلك معنى قوله:﴿ **يوم لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ**﴾ وقوله: ﴿ **كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ**﴾ أي قبل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم .[5]

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب التفسير باب سورة الكهف رقم 4725 .

(2) تفسير ابن كثير 3 / 93 وما بعدها تفسير الرازي 21 / 143 وما بعدها تفسير القرطبي 11 / 8 وما بعدها وفتح القدير / الشوكاني 3 / 297 وما بعدها وتفسير ابن جرير الطبري 15 / 261 وما بعدها وقصص الأنبياء / ابن كثير 392 وما بعدها .

(3) سورة الأعراف: آية / 163

(4) تفسير القرطبي 7 / 305 .

(5) تفسير الرازي 15 / 40 .

لقد ابتلى الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل وامتحنهم فلم ينجحوا في هذا الإمتحان وسقطوا في بحر أهوائهم، ومطامعهم وفسقهم فكان عقابهم أن مسخهم الله سبحانه وتعالى قردة وخنازير . قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾(1) وقال تعالى:﴿ **مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾(2) وفي المقابل امتحن الله المسلمين بالصيد كذلك في البر تناله أيديهم ورماحهم فلم يعتدوا﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(3) ولكن صحابة رسول الله ﷺ الذين آمنوا نجحوا في الإختبار سمعاً وطاعة لله سبحانه وتعالى ورسوله .

4- ردة بني إسرائيل

بمجرد خروج بني إسرائيل من البحر، وما زالت المعجزة التي أعطيت لسيدنا موسى بشق البحر ونجاتهم من فرعون وجنوده شاخصة بأبصارهم ومروا على قوم يعبدون أصناماً لهم فقال هؤلاء الجهلة الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم، ولم تتشرب نفوسهم الطاعة لله ورسوله، قالوا لموسى – عليه السلام – نريد آلهة أصناماً مثل هؤلاء القوم، ويحدثنا القرآن عن ذلك بقوله:﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾(4) " ويقول تعالى ذكره: وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها والعبر التي عاينوها على يدي نبي الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات، ولم تعظهم تلك العبر والبيانات، حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكر معهم البهائم .

إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقومون على تماثيل لهم يعبدونها من دون الله، اجعل لنا يا موسى إلهاً، يقول تمثالاً نعبده وصنماً نتخذه إلهاً، كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها ولا ينبغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار . وقال موسى صلوات الله عليه إنكم أيها القوم، قوم تجهلون عظمة الله ، وواجب حقه عليكم ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السموات والأرض. (5)

---

(1) سورة البقرة: آية / 65

(2) سورة المائدة: آية / 60

(3) سورة المائدة: آية / 94

(4) سورة الأعراف: آية / 138

(5) تفسير ابن جرير الطبري 9 / 45 ، وانظر ابن كثير 2 / 244 .

" يقول القرطبي وابن كثير: كانت الأصنام تماثيل بقر.[1]

وقال الرازي: لم كان هذا القول الذي قالته بنو إسرائيل كفراً ؟ فتقول: أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير الله تعالى كفر سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلهاً للعالم أو اعتقدوا فيه أن عبادته تقربهم إلى الله تعالى، لأن العبادة بداية التعظيم ونهاية التعظيم، لا يليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام ويذكر الرازي أن الذين قالوا هذا من بني إسرائيل بعضهم وليس كلهم.[2]

ولم يكتف بنو إسرائيل بهذا القول بل إنهم ما أن خرج موسى للقاء ربه، وصنع لهم السامري عجلاً من حليهم التي أخذوها من أقباط مصر وهربوا بها، وما أن صنع لهم هذا العجل، وقال لهم أن هذا هو إلهكم وموسى نسي وضل فاعبدوه فعبدوا العجل نكوساً وردةً فقال تعالى عنهم :﴿ **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ**﴾[3]

والآية تفيد العموم في أن بنى إسرائيل كلهم عبدوا العجل غير هارون – عليه السلام – وذلك من وجهين الأول عموم هذه الآية والثاني قول موسى – عليه السلام – في هذه العقبة ﴿**ربي إغفر لي ولأخي**﴾ فقد خص نفسه وأخاه بالدعاء مما يدل على أن من كان مغايراً لهما ما كان أهلاً للدعاء [4]

5-المن على بني إسرائيل بالنجاة

لقد من الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل في آيات كثيرة بنجاتهم من فرعون وقومه ومن هذه الآيات قومه تعالى:﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾[5] لقد ذكر الله بني إسرائيل بهذه النعمة العظيمة عليهم [6] .

رابعاً: آيات في الترغيب والترهيب

ذكر القرآن البحر في آيات ذات غرض تربوي، فيها الترغيب والترهيب، تحث الإنسان من خلال الوعظ والإرشاد إلى تذكر الخالق الكريم الذي أنعم عليه بشتى النعم .

---

(1) ابن كثير 2 / 244 ، والقرطبي 7 / 273 .

(2) انظر تفسير الرازي 14 / 232 .

(3) سورة الأعراف: آية / 148

(4) انظر تفسير الرازي 15 / 7 .

(5) سورة البقرة: آية / 50

(6) وقد سقت قصة نجاة بني إسرائيل المبسوطة في سورة الشعراء بشيء من التفصيل، يغني عن التكرار هنا في الفصل الأول والثالث، انظر ص 53 ، ص 170 .

1- التحذير من الفساد

إن الله حذر من الفساد في كثير من الآيات الكريمات، وحذر من المفسدين بذمهم، وكذلك حرج بأنه لا يحب الفساد ﴿**والله لا يحب الفساد**﴾[1] وقال تعالى:﴿**والله لا يحب المفسدين**﴾[2] وقال تعالى ذكره ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[3] وخص الله البر والبحر بالنهي عن الفساد فيها؛ لا سيما أنها بيئة الإنسان التي يعيش فيها، حيث أن الإنسان إما في البر وإما في البحر، يعتاش ويقضي هذه الحياة القصيرة الفانية ولذا حذر الله من الفساد فيها بقوله:﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[4]

فجاء ذكر البحر خلال أمر إلهي بالتحذير من الفساد [5] .

2- تكريم بني آدم

لقد أكرم الله الإنسان بأن سخر له ما في السماء والأرض،وسخر له ما يحمله في الليل والنهار، وفي البر والبحر،في البر بالدواب وما اخترع الإنسان بعد من وسائل النقل والمواصلات وفي البحر بالفلك صغيرها وعملاقها،ورزقهم من ما طاب من الرزق وفضله على كثير من المخلوقات تفضيلاً ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾[6]

" لما تقدم قول إبليس ﴿ **هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ** ﴾[7] "ذكر سبحانه بعد ذلك تكريمه لبني آدم بأنواع الإكرام، وفنون الإنعام فقال: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ**﴾ أي فضلناهم، عن ابن عباس وأجريت الصفة على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفة... لأن المعنى أكرمناهم بالنعم الدنيوية كالصور الحسنة، وتسخير الأشياء لهم، وبعث الرسل إليهم، وقيل: معناه بما عاملناهم معاملة المكرم على وجه المبالغة في الصفة. واختلف فيما كرموا به فقيل: بالقوة، والعقل، والنطق، والتميز عن ابن عباس"[8]

---

(1) سورة البقرة: آية / 205

(2) سورة المائدة: آية / 64

(3) سورة البقرة: آية / 60

(4) سورة الروم: آية / 41

(5) وقد تناولت هذه الآية ببعض التفصيل في مبحث فساد الماء وطرق حمايته وهو يغني عن التكرار هنا انظر ص 76 .

(6) سورة الإسراء: آية / 70

(7) سورة الإسراء: آية / 62

(8) مجمع البيان الطبرسي 6 / 273 .

﴿ **كَرَّمْنَا** ﴾ تضعيف كرم أي جعلنا لهم كرماً أي شرفاً وفضلاً. وهذا هو كرم نفى النقصان لا كرم المال. وذكر القرطبي وجوهاً كثيرة لتكريم بني آدم ثم قال: والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله [(1)]

"﴿ **وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ على ظهور الدواب والمراكب ﴿**وفي الْبَحْرِ**﴾ في الفلك التي سخرناها لهم "[(2)]

" وكذلك تسخير الله تعالى المياه والسفن وغيرها ليركبها وينقل عليها ويتكسب بها مما يختص به ابن آدم كل ذلك مما يدل على أن الإنسان في هذا العالم كالرئيس المتبوع والملك المطاع وكل ما سواه هو رعيته وتبع له "[(3)]

3- التذكير بنعم الله في البحر

ورد ذكر البحر من خلال التذكير بنعمة الفلك التي تجري فيه ليتعظ الإنسان من مشاهدة هذه الآية كي يزداد إيماناً وشكراً لله تعالى على نعمه قال تعالى:﴿**ألم تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾[(4)] " يقول تعالى ذكره: للنبي محمد ﷺ ألم تر يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه ﴿ **لِيُرِيَكُمْ مِنْ ءَايَاتِهِ** ﴾ يقول: ليريكم من عبره وحججه عليكم ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ يقول: إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ﴿ **لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ يقول: لكل من صبّر نفسه عن محارم الله، وشكره على نعمه فلم يكفره ... وإن قال قائل ... وكيف خص هذه الدلالة بأنها دلالة للصبّار الشكور دون سائر الخلق ؟ قيل: لأن الصبر والشكر من أفعال ذوي الحجى والعقول، فأخبر إن في ذلك لآيات لكل ذي عقل، لأن الآيات جعلها الله عبر لذوي العقول والتمييز "[(5)]

4- وكان الإنسان كفورا .

يذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان في كثير من الآيات بنعمة الهداية في ظلمات البر والبحر ويرهب الإنسان ويحذره من كفران نعمته وجحوده،إذ ينجيه من خضم البحر وأمواجه العاتية المخيفة المرعبة،حيث يكون الإنسان في حالة ضعف،والرجاء والتضرع والخوف والفزع من

---

(1) تفسير القرطبي 10 / 293 – 294 .

(2) تفسير الطبري 15 / 125 .

(3) تفسير الرازي 21 / 16 .

(4) سورة لقمان: آية / 31

(5) تفسير ابن جرير الطبري 21 / 84 .

الغرق فلا يخرج إلا بنعمة الله ورحمته إلى البر، يكفر نعمة الله ويجحدها وقد عبر الله في قرآنه عن هذه النفس البشرية وأحوالها في آيات كثيرة نسوق منها قوله تعالى:﴿ **قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[1] وقال أيضاً:﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾[2] وقال تعالى:﴿ **أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[3]

وقال تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[4]

" واعلم أن الإنسان إذا ركب السفينة وجد الريح الطيبة الموافقة للمقصودة حصل له الفرح التام والمسرة القوية، ثم قد تظهر علامات الهلاك دفعة واحدة .

فأولها: أن تجيئهم الرياح العاصفة الشديدة .

ثانيها: أن تأتيهم الأمواج العظيمة من كل جانب .

ثالثها: أن يغلب على ظنونهم أن الهلاك واقع، وأن النجاة ليست متوقعة، ولا شك أن الانتقال من تلك الأحوال الطيبة الموافقة إلى هذه الأحوال القاهرة الشديدة يوجب الخوف العظيم والرعب الشديد، وأيضاً مشاهدة هذه الأحوال والأهوال في البحر مختصة بإيجاد مزيد الرعب والخوف، ثم إن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته، ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعاً إلى الله تعالى، ثم إذا نجّاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة ونقله من هذه المضرة القوية إلى الخلاص والنجاة، ففي الحال ينسى تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة "[5] وعبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله:﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾ [6] .

---

(1) سورة الأنعام: آية / 63

(2) سورة الإسراء: آية / 67

(3) سورة النمل: آية / 63

(4) سورة يونس: آية / 22

(5) تفسير الرازي 17 / 70 .

(6) سورة الإسراء: آية / 67

الفصل الثالث

الماء بين النعيم والعقاب في الدنيا والآخرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الماء نعيم وعقاب في الدنيا

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الماء نعيم في الدنيا

المطلب الثاني: الماء عقاب في الدنيا

المبحث الثاني: الماء نعيم وعقاب في الآخرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الماء نعيم في الآخرة .

المطلب الثاني: الماء عقاب في الآخرة .

بين يدي الفصل:

إن الخالق سبحانه وتعالى لما خلق الماء نعمة للكائنات الحية، وجعل هذا الماء حياة هذه الكائنات ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾[1] فسقى به الإنسان والدواب والزرع، فكان نعمة عظيمة وأي نعمة، ولكن جعله في الدنيا سلاحاً ذا حدين: حدٌ فيه الخير والحياة، وحدٌ آخر فيه الموت والهلاك. عقاباً للعصاة.

وفي الآخرة جعل الماء الخاص بأهل النار للتعذيب والتبكيت، وفي المقابل نجد الماء من نعيم أهل الجنة بأنهارها وعيونها وشرابها وكؤوسها وقواريرها. وفي هذا الفصل نعرض لهذا الموضوع في الدنيا والآخرة حيث يكون الماء نعمة أو جزاءً وعقاباً .

المبحث الأول: الماء نعيم وعقاب في الدنيا

المطلب الأول:الماء نعيم في الدنيا

الماء عصب الحياة ونعيمها، فبدونه لا حياة على هذا الكوكب ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾[2]، فقد أولاه الله العناية الكبرى، فجعله وسيلة لطهارة المسلم﴿ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ**﴾[3]؛ دون جميع المائعات، والشرع أفرد للمياه أحكاماً خاصة، لوضوءه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾[4] وغسله، في البدن والثوب ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾[5]، من الحدث الأصغر والأكبر .

وجعل الله كل الكائنات محتاجةً للماء، لشربها وسقيها، فأنبت الله بها الجنات، والحب والنوى، والمعروش وغير المعروش ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ** ﴾[6] .

---

(1) سورة الأنبياء: آية / 30

(2) سورة الأنبياء: آية / 30

(3) سورة الأنفال: آية / 11

(4) سورة المائدة: آية / 6

(5) سورة المدثر: آية / 4

(6) سورة الأنعام: آية / 141

وكان الماء علاجاً لكثير من الأمراض، الجلدية والمسالك البولية والمعدة والأمعاء والقولون والعضلات من خلال الشرب والحمام الساخن أو البارد ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ(41)ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ** ﴾[1] .

والماء عامل هام في مجالات الاقتصاد، من ثروة حيوانية ﴿ **وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾[2] أو سمكية ﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[3] أو زراعة﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ(63)ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾[4] أو تجارة﴿ **وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ** ﴾[5]، وغيرها من أمور الاقتصاد العديدة .

ولا غنى للإنسان عن الماء في الحروب، وفي السلم والهدوء والاستقرار، لذا كان الماء ضرورة في المعارك؛ للجندي والقوات البحرية والبرية على حد سواء ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾[6] .

ولما خلق الله هذه النعمة، وجعل لها هذه الأهمية، والحاجة الماسة، أدرك الإنسان ذلك، فتجمعت حضارات البشرية قديمها وحديثها حول الماء .[7]

المطلب الثاني: الماء جزاء وعقاب في الدنيا

عاقب الله أقواماً بالماء لما ظلموا، وجعل هذه النعمة تنقلب عليهم نقمة وعقاباً، حتى يكونوا عبرة، وعظة لمن خلفهم. ومن الأقوام التي كان الماء وسيلة هلاكم وخراب بلادهم وتفرقهم: قوم نوح –عليه السلام– وفرعون وجنوده، وسبأ.

---

(1) سورة ص: آية / 41 – 42

(2) سورة الأنعام: آية / 142

(3) سورة النحل: آية / 14

(4) سورة الواقعة: آية / 63 – 64

(5) سورة البقرة: آية / 164

(6) سورة الأنفال: آية / 11

(7) لقد اكتفيت هنا بالإشارة إلى هذه النعم الموجودة في الماء في الدنيا لمجرد التذكير فقط وذكرت ذلك في (الفصل الأول) وفيه البديل عن التكرار في هذا الفصل .

1 – قصة نوح ـ عليه السلام ـ

أما قوم نوح – عليه السلام – فقد ورد بشأنهم الكثير من آيات القرآن، وفي سورٍ متعـددة حسب طريقة القرآن، في ذكر القصص القرآني، فإنه يفرقها في سور القرآن، وكذلك يجملها أحياناً ويُفصلها أحياناً وكذلك يورد أحداثاً في سورة وأحداثاً أخرى في سورة أخرى حسب ورودها ومناسبتها في سورتها .

ولهذا السبب فلن يتسع هذا المقام لسرد كل هذا الآيات المتفرقة في سور القرآن، ولكن نختار من هذه الآيات ما ذكر القصة بوضوح وبشكل وافي ما أمكن. وإن احتاج الأمر ذكر بعض الجزئيات من مواضع أخرى لزيادة فائدة نسوقها إن شاء الله تعالى .

ولقد وردت قصة نوح –عليه السلام – مفصلة تفصيلاً متفاوتاً في السور الآتية: الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء والقمر .

والذي يحتاجه البحث من هذه القصة موضوع الطوفان، وهو العقاب الذي عاقبهم الله به وكيف كان هذا الطوفان هلاكاً لقومٍ ومنفعة لقوم آخرين .

إن كتاب الله يخبرنا عن قوم نوح أنهم كانوا أهل أوثان، وذلك أن الله عز وجل يقول:﴿ **قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا(21)وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا22وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾[1] [2] .

ولما مكث نوح –عليه السلام – دهراً؛ يدعوا قومه لنبذ عبادة الأصنام، وعبادة الخالق وحده،﴿**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا**﴾[3]

حتى لم يعد هناك أمل، في هدايتهم واتباعهم، دعا عليهم بالهلاك .

﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا(26)إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾[4]

﴿**دَيَّارًا**﴾ " تستخدم هذه الكلمة في النفي العام، يقال ما بالدار ديار ولا تستعمل في جانب الإثبات، قال أهل العربية هو فيعال من الدور"[5]

" أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً ولا دياراً وهذه من صيغ تأكيد النفي ..."[6]

---

(1) سورة نوح: آية / 21 – 23 .

(2) انظر تاريخ الطبري / ابن جرير الطبري 1 / 179 .

(3) سورة العنكبوت: آية / 14

(4) سورة نوح: آية / 26 – 27 .

(5) انظر تفسير الرازي 30 / 146 .

(6) تفسير ابن كثير 4 / 428 .

" ﴿**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾ فإن قيل كيف عرف نوح –عليه السلام– ذلك ؟ قلنا بالنص والاستقراء : أما النص فقوله تعالى:﴿ **أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ**﴾[1]

وأما الاستقراء، فهو أنه لبث فيهم " ألف سنة إلا خمسين عاماً " وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه، ويقول احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي أوصاني بمثل هذه الوصية، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك ."[2]

وبعد أن دعا نوح – عليه السلام – على قومه وأراد الله أن يستجيب دعوته أمره أن يصنع السفينة وكان قومه ينظرون وهم يمرون عليه، كيف يصنع فيسخرون منه ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾[3]
فكان يرد عليهم وعلى سخريتهم ﴿**إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ(38)فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[4]
يأمر الله نوح – عليه السلام – بأن يصنع السفينة بوحي وإلهام منه، كيف يصنعها وتحت رعاية الله عز وجل وأن يترك الشفاعة في هؤلاء القوم الظالمين الذين عصوه ولم يستجيبوا لدعوته.

إنه محكوم عليهم بالإغراق وقد وجب ذلك وقضى به القضاء وجف العلم فلا سبيل إلى كفه [5] ولم يترك سيدنا نوح – عليه السلام – بدون علامة أو إشارة لبدء الطوفان، والعقاب لهؤلاء المشركين، فأخبره عز وجل ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ**﴾[6]
حتى هنا للغاية أي أنه كان يصنع الفلك، حتى جاء وقت الموعد، وفي قوله: ﴿ **أَمْرُنَا**﴾ وجهين إما أنه أمر الله الكوني ﴿**كن فيكون**﴾ أو أنه أمر العذاب المنتظر .
يرى الباحث: والثاني أرجح. ويذكر الرازي أقوال كثيرة جداً في أمر هذا التنور الذي فار بالماء ويرجح أنه التنور الذي يخبز فيه بقوله: فإن قيل: ما الأصح من هذه الأقوال ؟ قلنا: الأصل حمل الكلام على حقيقته ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل

---

(1) سورة هود: آية / 36
(2) تفسير الرازي 30 / 146 .
(3) سورة هود: آية / 37
(4) سورة هود: آية / 38 – 39 .
(5) انظر الزمخشري 2 / 268 ، وتفسير المنار / محمد رشيد رضا 12 / 73 .
(6) سورة هود: آية / 40

اللفظ عليه ولا امتناع في العقل في أن يقال: إن الماء نبع أولاً من موضع معين وكـــان ذلـــك الموضع تنوراً.[1]

ولما جاء أمرنا وظهرت العلامة الفيصل في الأمر بدأ يحمل نـــوح – عليه السلام – معـــه في السفينة من كل أنواع الحيوان زوجين اثنين ذكر وأنثى؛ لتبقى بعد الغرق فتتناسل ويبقـــى نوعها على الأرض وأمره الله أن يحمل أهله من الذين آمنوا معه وهم قلة.[2]

وعندما فار التنور وظهرت العلامة الخاصة ببدأ الطوفان بدأ هذا الطوفـــان بتفجيـــر الأرض وفتح أبواب السماء بالماء المتفجر والمنهمر حتى التقى الماءان وراح المـــاء يرتفـــع شيئاً فشيئاً ﴿ **فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(11)وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَـــى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾[3] فانتصر الله لدينه ونبيه، فاستجاب دعاءه، وانتقم له من قومه بأن فجر الأرض وفتح السماء أبواباً ﴿ **فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ** ﴾ .

" يسأل الإمام الرازي هل المراد بفتح أبواب السماء على الحقيقة أم على المجـــاز ؟ ويجيـــب من وجهين:

أحدها: أنها حقيقة للسماء أبواب تفتح وتغلق فلا يستبعد ذلك .

الثانية: هو على طريق الاستعارة، فإن الظاهر أن الماء كان من السحاب وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر الوابل جرت ميازيب السماء، وفتح أفواه القرب أي كأنه ذلك، فـــالمطر في الطوفان كان بحيث يقول القائل: فتحت أبواب السماء .ولا شك أن المطر من فـــوق كـــان في غاية الهطلان .[4]

وفي قوله:﴿ **فَفَتَحْنَا**﴾ بيان أن الله انتصر منهم وانتقم بماء لا بجند أنزله كما قال تعالى:﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّـــا مُنْـــزِلِينَ(28)إِنْ كَانَـــتْ إِلا صَـــيْحَةً وَاحِدَةً**﴾[5] بيان لكمال القدرة، ومن العجيب أنهم كـــانوا يطلبـــون المطـــر ســـنين، فـــأهلكهم بمطلوبهم"[6]

﴿**بماءٍ منهمر**﴾ أي المنصب صباً شديداً في كثرة وتتابع بدون انقطاع [7]

---

(1) انظر تفسير الرازي 17 / 226 .

(2) انظر تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي 12 / 36 .

(3) سورة القمر: آية / 11 – 12

(4) انظر تفسير الرازي 29 / 36 .

(5) سورة يس: آية / 28 – 29

(6) المصدر السابق 29 / 36 .

(7) انظر تفسير الزمخشري 4 / 37 ، وتفسير الرازي 29 / 37 .

﴿ **وفجرنا الأرض عيوناً**﴾ سبق بيانه بالتفصيل في الفصل السابق عن الحديث عن تفجير العيون .

ولم يترك الخالق البارئ المصور صورة الطوفان بدون تصويرها في لوحة معبرة ناطقة بهول الموقف، وشدة الرعب والرهب في قوله تعالى:﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ولا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ(42)قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾(1)

" ثم يأتي المشهد الهائل المرهوب: مشهد الطوفان: إن الهول هنا هولان. هول في الطبيعة الصامتة، وهول في النفس البشرية يلتقيان:﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ**﴾ وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح – عليه السلام – ، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، ويروح يهتف بالولد الشارد:﴿ **يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ولا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**﴾ ولكن البنوة العاقّة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل ﴿ **قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ**﴾ ثم ها هي ذي الأبوة المدركة لحقيقة الهول، وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير ﴿ **قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ** ﴾ لا جبال ولا مخابئ ولا حامٍ ولا واقٍ إلا من رحم الله. وفي لحظة تتغير صفحة المشهد. فها هو ذا الموج الغامر يبتلع كل شيء ﴿ **وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾(2)

وهكذا يحول الموج ليسدل الستار على هذا المشهد المروّع وما فيه من حركة الأمواج وأصوات النداءات والأبوة الحانية والبنوة العاقة وماء صاعد وماء هابط وتلتقي هذه كلها وتنتهي بأمر الله ﴿ **وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظالمين**﴾(3)

يعلق الإمام الرازي على هذه الآية الكريمة بأنها دالة على قدرة الله وعلوه وعظمته وكبريائه من حيث قوله: ﴿**وَقِيل**﴾ ينصرف العقل إلى الله وحده بجلاله وعلوه وعظمته. وفي قوله:﴿ **يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي**﴾ يوحي خطاب الله بالأمر لهذه المخلوقات العظيمة وهي السماء والأرض على قهر الله لها، وكمال قدرته ومشيئته ... وفي قوله :﴿

---

(1) سورة هود:آية / 42 – 43 .

(2) في ظلال القرآن / سيد قطب 4 / 548 – 549 .

(3) سورة هود: آية / 44

وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ ينبه على أن ما قضي الله فهو واقع نافذ في وقته وأنه لا دافع لقضائه ولا مانع له في أرضه وسمائه.[1]

وفي قوله:﴿ **وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظالمين﴾**

" بعداً لهم من الحياة فقد ذهبوا، وبعداً لهم من رحمة الله فقد لعنوا، وبعداً لهم من الذاكرة فقد انتهوا وما عادوا يستحقون ذكراً ولا ذكرى."[2]

قام الطوفان وانتهى وهلك من هلك، ونجا من نجا، واستقرت السفينة على جبل الجودي وجاء الأمر ﴿ **قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[3] " وكانت خاتمة المطاف، النجاة والبشرى له، ولمن يؤمن من ذريته؛ والوعيد والتهديد لمن يريدون منهم متاع الحياة الدنيا ثم يمسهم العذاب الأليم."[4]

هكذا هي الحقيقة الجلية، والسنن الإلهية في هلاك الأمم الظالمة، ونجاة أهل الإيمان فكان الماء في هذا الطوفان عقاباً يجازي به الله هؤلاء في الدنيا، وفي المقابل نعمة أنعمها على الذين آمنوا بأن أراحهم من أعدائهم، وطهر الأرض من الكفر وأهلة .

ولما كان العقاب بالماء، قد أخذ أشكالاً مختلفة، بين قوم وقوم، آثرت أن أ بين ذلك من خلال ذكر الجميع؛ لما فيه من الاختلاف في الأسلوب، والطريقة الربانية في الإهلاك، وسوف يظهر هذا جلياً في قصة فرعون وقومه، بعد أن اتضحت قصة نوح وقومه، والآن مع العقاب الرباني لفرعون وقومه .

2 – قصة هلاك فرعون

إن قصة فرعون من معلومة لدى العامة والخاصة، إنه تكبر وعلا في الأرض وادعى الألوهية. قال تعالى:﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ(51)أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾**[5]

أخذه الغرور بملكه لمصر وأرضها، ونيلها الذي يجري تحته، وتكبر على موسى ونال منه، لكونه فقير ولا يملك مثله. وقال تعالى:﴿ **فَحَشَرَ فَنَادَى(23)فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾**[6]

---

(1) انظر تفسير الرازي 17 / 234 .

(2) في ظلال القرآن / سيد قطب 4 / 550 .

(3) سورة هود: آية / 48

(4) في ظلال القرآن / سيد قطب 4 / 551 .

(5) سورة الزخرف:آية / 51 – 52

(6) سورة النازعات: آية / 23 – 24

لما أخذت فرعون العزة بالإثم، وعتا عن أمر الله تعالى، وتمادي في تكذيب موسى – عليه السلام – واستمر في إعنات بني إسرائيل، وإيقاع ضروب الإذلال والإهانة بهم ."[1]

فأخذهم الله بالآيات التسعة، التي عاقبهم بها، ومن ضمن هذه التسعة الطوفان، وهي:السنون، نقص الأموال ، ونقص الأنفس ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[2] ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ**﴾[3]

و ﴿ الطُّوفَانَ﴾ ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل، قيل طغى الماء فوق حروثهم، وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة، لا يرون شمساً ولا قمراً ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره ."[4] " وعن ابن عباس في رواية كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار، وعن ابن عباس في رواية أخرى، هو كثرة الموت وكذا قال عطاء، وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال."[5] قلت: وقول ابن عباس الأول أولي، وإن جمعنا بين الاثنين فقلنا أنه الطوفان المؤدي إلى الموت فإن ذلك يتعارض مع رفع ذلك عنهم، ولم يخبر أن ذلك الطوفان أهلكهم، وإنما هو عقاب أرسل عليهم، كإنذار أولي قبل الآية الكبرى؛ وهي هلاكهم بالغرق .

" ولكن طبيعة فرعون وملئه الموغلة في السوء، أبت الإذعان للآيات الواضحة، التي تدل على رسالة موسى، فاستمروا في إجرامهم ...، فجاء الأمر الإلهي لموسى – عليه السلام – بالخروج من مصر، فانطلق بقومه بني إسرائيل سراً من أرض مصر قاصداً فلسطين ليلاً."[6]

قال تعالى:﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ(52)فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(53)إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(54)وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ(55)وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ(56)فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(57)وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**﴾[7]

---

(1) قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار. ـ ط 2 . ـ بيروت ، دار الفكر، دون سنة 197م .

(2) سورة الأعراف:آية / 130

(3) سورة الأعراف:آية / 133

(4) تفسير الزمخشري 2 / 107 ، وانظر تفسير فتح القدير / الشوكاني 2 / 238 .

(5) تفسير ابن كثير 2 / 241 .

(6) مع الأنبياء في القرآن الكريم / عفيف عبد الفتاح طباره . ـط4 . ـ بيروت، دار العلم للملايين دون سنة، ص 238 .

(7) سورة الشعراء: آية / 52 – 58

" لقد أوحى الله إلى موسى – عليه السلام – إذن أن يسري بعباده، وأن يرحل بهم ليلاً، بعد تـدبير وتنظيم . ونبأه أن فرعون سيتبعهم بجنده وأمره أن يقود قومه إلى ساحل البحـر ... وعلـم فرعون بخروج بني إسرائيل خلسة، فأمر بما يسمى(التعبئة العامـة) وأرسـل فـي المـدائن حاشرين يجمعون له الجنود، ليدرك موسى وقومه؛ ويفسد عليهم تدبيرهم؛ وهو يعلم أنه تدبير صاحب التدبير! وانطلق عملاء فرعون يجمعون الجند، ولكن هذا الجمع قد يـشي بانزعـاج فرعون، وبقوة موسى ومن معه، وعظم خطرهم، حتى يحتاج الملك الإله – بزعمه ! – إلـى التعبئة العامة. ولا بد إذن من التهوين من شأن المؤمنين ﴿**إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ**﴾ ! ففيم إذن ذلك الاهتمام بأمرهم، والاحتشاد لهم، وهم شرذمة قليلون ! ﴿**وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَـائِظُونَ**﴾ فهـم يأتون من الأفعال والأقوال، ما يغيظ ويغضب ويثير! وإذن فلهم شأن وخطر على كل حـال! فليقل العملاء: إن هذا لا يهم فنحن لهم بالمرصاد:﴿ **وَإِنَّـا لَجَمِيـعٌ حَـاذِرُون**﴾ مـستيقظون لمكائدهم، محتاطون لأمرهم، ممسكون بزمام الأمور! إنها حيرة الباطل المتجبر دائمـاً فـي مواجهة أصحاب العقيدة المؤمنين ."[1]

﴿ **فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ أي بساتين مصر وجناتهـا الفائقـة، وعيونهـا المتدفقـة، وزروع قد ملأت أراضيهم، وعمرت بها حاضرتهم وبواديهم، ﴿ **وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**﴾ يعجب الناظرين ويلهي المتأملين، تمتعوا به دهراً طويلاً ، وقضوا بلذاته وشهواته عمراً مديداً، على الكفر والفساد، والتكبر على العباد والتيه العظيم ."[2]

وأخيراً خرج موسى من مصر قاصداً فلسطين، ولحق به فرعون بحنقه وغيظه حتى وصـل موسى – عليه السلام – ساحل البحـر وهنـاك بـدأ المـشهد الحقيقـي للمعركـة.﴿ **فَـأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ60فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61)قَالَ كَلا إِنَّ مَعِـيَ رَبِّـي سَيَهْدِينِ62فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَـانَ كُـلُّ فِـرْقٍ كَـالطَّوْدِ الْعَظِيمِ(63)وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الأخَرِينَ**﴾[3]

تصف الآيات الكريمات السير الحثيث لفرعون وجنـوده، حتـى أشـرقت الـشمس بضيائها، ورأى كل فريق عدوه أمامه معاينةً، وتسبر غور النفوس وخلجاتها؛ من خـوف أو رعب من الدرك، ولكن صوت الإيمان واليقين يعلو مبدداً هذا الوجل ﴿ **كَلا إِنَّ مَعِـيَ رَبِّـي سَيَهْدِينِ**﴾ بكل قوة وجرأة وثقة بوعد الله، وبعد الوقوف أمام البحر الهائج، وموجـه الهائـل،

---

(1) في ظلال القرآن / سيد قطب 6 / 211 .

(2) تيسير الكريم الرحمن / عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دون طبعة، مؤسسة مكة للطباعـة والإعـلام 1398 هـ .

(3) سورة الشعراء: آية / 60 – 66

والخوف المخيّم على النفوس، والعدو جادٌ في الانتقام يأتي أمر الله بالفرج ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ** ﴾ ولم يتوان موسى – عليه السلام – في ضرب البحر بعصاه؛ إمتثالاً لأمر الله ومتعجلاً الفرج فكانت المعجزة ﴿ **فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾ ووقعت المعجزة، وتحقق الذي يقول عنه الناس. مستحيل. لأنهم يقيسون سنة الله على المألوف المكرور، والله الذي خلق السنن قادر على أن يجريها وفق مشيئته عندما يريد .

" وقعت المعجزة وانكشف بين فرقي الماء طريق، ووقف الماء على جانبي الطريق كالطود العظيم. واقتحم بنوا اسرائيل ... .

ووقف فرعون مع جنوده مبغوتاً مشدوهاً بذلك المشهد الخارق، وذلك الحادث العجيب ... .

وتم تدبير الله. فخرج بنو إسرائيل من الشاطئ الآخر، بينما كان فرعون وجنوده بين فرقي الماء أجمعين، وقد قرّبهم الله لمصيرهم المحتوم ﴿ **وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الأخَرِينَ(64)وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ** ﴾ !!!

ومضت آية في الزمان، فتحدث عنها القرون. فهل آمن بها الكثيرون ؟ ﴿ **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين** ﴾[1]

وهكذا انتهت هذه الآية من آيات الله، مبينة كيف كان هذا الماء الذي تفاخر به فرعون على قومه سبباً في هلاكه، بأن أغرقه الله فيه مع قومه الذين ظلموا .

نجد أن فرعون ابتلي بالمطر الشديد كما ذكرنا في الطوفان وهذا أمر مشابه إلى حد ما ما حدث مع قوم نوح إلا أنه لم يكن مهلكاً لهم هلاكاً قاطعاً دابرهم بل تضررت منه زروعهم وأرزاقهم والإبتلاء الأكبر والهلاك الأعظم كان بالماء، ولكن ليس بماء السماء أو العيون بل بماء البحر حيث أطبق عليهم بقدرة العزيز الجبار، فلم يبق أحد دخل هذا البحر إلا هلك إلا جثة فرعون، التي وعده الله ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً**﴾[2] وفي المقابل كان الأمر نعمة لموسى وبني إسرائيل بخلاصهم ونجاتهم حتى أن الله منّ عليهم هذه النعمة بقوله:

﴿ **يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾[3]

ومن هذه النعم التي أنعمها عليهم قوله:﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** ﴾[4]

---

(1) في ظلال القرآن / سيد قطب 6 / 213 .

(2) سورة يونس: آية / 92

(3) سورة البقرة: آية / 47

(4) سورة البقرة: آية / 50

وخلاصة القول أن الماء كان نعمة لموسى وقومه في الدنيا، ونقمة على فرعون وقومه في الدنيا كذلك .

3- قصة سبأ[1]

لقد أنعم الله على قوم سبأ، بنعم كثيرة وخير وفير ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾[2]

" من نعم الله ولطفه بالناس عموماً، وبالعرب خصوصاً؛ أنه قص في القرآن أخبار المهلكين، والمعاقبين ممن كان يجاور العرب،ويشاهد آثارهم، ويتناقل الناس أخبارهم؛ ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فقال تعالى:﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ**﴾ أي محلهم الذي يسكنون فيه ﴿**آية**﴾ والآية هنا ما أدرّ الله عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم أن يعبدوا الله ويشكروه. ثم فسر الآية بقوله ﴿ **جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ**﴾[3] وهذه الجنان عن اليمين والشمال رمز لذلك الخصب والوفرة والرخاء والمتاع الجميل، ومن ثم كانت آية تذكر بالمنعم الوهاب .

وقد أمروا أن يتمتعوا برزق الله شاكرين ﴿ **كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ**﴾ وذُكّروا بالنعمة نعمة البلد الطيب وفوقها نعمة الغفران على القصور من الشكر والتجاوز عن السيئات ﴿ **بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾ سماحة في الأرض بالنعمة والرخاء، وسماحة في السماء بالعفو والغفران، فماذا يقعدهم عن الحمد والشكران ؟"[4]

﴿**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ**﴾[5]

---

(1) سبأ: بفتحتين؛ وهمز آخره؛ وقصره: أرض باليمن مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام، تفرق أهلها في البلاد، وصار كل قوم منهم إلى جهة لما جاءهم سيل العرم، كما في القرآن الكريم مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع/ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي متوفي 739هـ؛ تحقيق على محمد البجاوي – ط1 1373 هـ – 1954 م – دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت 2 / 687 ،وانظر كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي المعروف بالشريف الإدريس ط1 1414 – 1994 ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1 / 56 ، ومعجم البلدان / شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ط1 1399 هـ – 1979 م دار إحياء التراث العربي بيروت 3 / 181 .

(2) سورة سبأ: آية / 15

(3) تيسير الكريم الرحمن / عبد الرحمن السعدي 6 / 132 .

(4) في ظلال القرآن / سيد قطب 6 / 640 .

(5) سورة سبأ: آية / 16 .

﴿ **فَأَعْرَضُوا**﴾ أي أنهم كفروا نعمة الله عليهم، ولم يتخذوا الإيمان طريقاً ومنهاجاً، بل عبدوا الشمس ﴿ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ**﴾[1] من دون الله – سبحانه وتعالى–[2] "فتنكروا لهذه النعم، وجحدوا هذا الإحسان، ونسوا ربهم، ولم يرجوا له وقاراً، ولم يعملوا له حساباً ."[3]

ولقد تمنوا وطلبوا أن تتباعد أسفارهم، وذلك بطراً للنعمة وإعراضاً عن المنعم؛ ولذا كان العقاب من الله تعالى:﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾ " فسلبهم سبب الرخاء الجميل والوفير، الذي هم فيه ينعمون ،وأرسل عليهم السيل الجارف، الذي يحمل العرم– وهي الحجارة تتدحرج في السيل– بشدة تدفقه،وعنفوان الماء المندفع في الوادي، حتى أخذ السد ينهار من كثرة ما حجز خلفه من الماء، وثقله وقوة دفع السيل، وقدم السد، اجتمعت هذه الأسباب بأمر الله، فدمر السد واندفع الماء يكتسح كل شيء في طريقه حتى فرقهم وشتتهم في البلاد بعد ذلك ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾[4] وبأمر الله ذهب كل شيء ولم يعد هناك سد ولا ماء وزرع ولا نماء إلا أشجار الأثل والخمط والأشجار البرية الخشنة [5]
وبقي هذا السد على حاله منهدماً حتى عام 1987 مـ جدد بناؤه [6]
وهكذا كان هذا الماء الذي هو سبب نعمتهم، وما كانوا فيه من بلدة طيبة، تحول إلى طوفان جارف وسبباً للهلاك والتشريد والتمزيق، فقد جعله الله في لحظة نعمة من النعم وفي لحظة عقاباً مهلكاً .

---

(1) سورة النمل:آية / 24 .
(2) انظر تفسير ابن كثير 3 / 533 والتفسير المنير 22 / 165 .
(3) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 22 / 798 .
(4) سورة سبأ: آية / 19
(5) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب 6 / 640 ، وانظر تيسير الكريم الرحمن / عبد الرحمن بن ناصر السعدي 6 / 133 ، انظر البداية والنهاية / ابن كثير 2 / 163 .
(6) انظر التفسير المنير / الزحيلي 22 / 165 .

المبحث الثاني:الماء نعيم وعقاب في الآخرة

المطلب الأول:الماء نعيم في الآخرة

إن من عدل الله أن جعل الآخرة للحساب والجزاء، وجعل جنة وناراً؛ حتى يعلم الإنسان أين يسير، ألِلى نار وسعير، أم إلى جنة ونعيم ؟ فلا يستوي المسلمون والمجرمون، ولا الظالم والمظلوم، فيأخذ كل منهم ما أعد الله له في نهاية الامتحان، الحياة الدنيا – هذه الدار الممر إلى دار المقر حيث النعيم المقيم ﴿ **لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ**﴾[1] وقال تعالى:﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾[2] إنها الجنات التي تنتظر المتقين ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾[3] وهل هناك جنات بلا ماء؟ بلا حياة ؟ فبدون الماء لا تكون جنة وخضرة، ولا ثمار ولا جمال؛ لذلك قرن الله تعالى بين الجنات والأنهار والعيون، وتفجيرها في هذه الجنان ،﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾[4]وقال تعالى:﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[5]

إنه النعيم الدائم في هذه الجنان، بمياهها العذبة الرقراقة، تجري من تحتهم وبين أيديهم، وعن هذا النعيم سيتحدث الباحث في هذا المطلب.

وبداية نقسم هذا المطلب إلى مسائل ثمانية:

أولاً: أنهار في الجنة .

ثانياً: تفجير العيون في الجنة وتسميتها .

ثالثاً: اقتران العيون والأنهار بالجنان .

رابعاً: الكوثر وحوض رسول الله .

خامساً: شراب أهل الجنة وطهوريته .

سادساً: الشرب في الجنة وآنيته .

سابعاً: مزج شراب أهل الجنة .

ثامناً: طواف الغلمان بالشراب على أهل الجنة .

---

(1) سورة التوبة:آية / 21

(2) سورة المطففين: آية / 24

(3) سورة القلم:آية / 34

(4) سورة الإنسان : آية / 6

(5) سورة النساء: آية / 13

أولاً: أنهار الجنة

جاء ذكر الأنهار في الآخرة ثلاث وأربعين مرة، مرةً واحدة بالمفرد والباقي بالجمع، وهذا دليل على تزيين الجنان بالأنهار التي تجري من تحتها، ووفرة النعيم في هذه الجنـــات، وتأكيداً على نعمة الماء في الجنة .

وهذه الآيات يتكرر فيها ﴿ **تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ سبع وثلاثين مرة، لذلك ســوف أتناول بعضها بالتفسير كمثال .

قال تعالى:﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِــنٍ وَأَنْهَــارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى**﴾[1]

" يقال آسن الماء ... إذا تغير ريحه تغيراً منكراً "[2]

ومثل الجنة آي وصفها بهذا الحال العجيب، ومثّل لها بهذا المثل الـــشيء العظـــيم [3] وكأنه في هذا المثل يقرن بين أمرين متقابلين، أهل الجنة وأهل النار، نعيم هــؤلاء وعــذاب أولئك، ومن ضمن ما يذكر من الوجوه في نعيم أهل الجنة، أنهار من ماء غير آســن وهــذا الجانب من الأنهار مدار الحديث .

" ﴿ **فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ**﴾ أي غير متغير لا بــوخم ولا بــريح منتــة ولا بحرارة ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاها وأطيبها ريحاً وألذها شراباً ."[4]

" إن هذه الصورة الحسية من النعيم والعذاب، ترد في مواضع من القرآن، وقد تجيء معها صور معنوية أو تجيء مجردة .[5]

" فالجنة فيها أنهار من ماء ﴿ **غَيْرِ ءَاسِــنٍ**﴾ ... فالقرآن أول مــا خاطــب العــرب العائشين في الصحراء، وكان طبيعياً أن يتحدث إليهم بأعز ما يحتاجون له " ويتشوقون إليــه وهو الماء العذب، ومن هنا يعدهم الله بأنهار من الماء العذب .

ويلي الماء في ضرورته للكائن الحي: اللبن ... ثم في مقام آخر الخمر ثــم العــسل فرتبها الله في الآية الكريمة "[6] " وإنها جمعت هذه الأجناس الأربعة من الأنهار؛ فيها الضرورة (الماء) والحاجة (اللبن) والمتعة (الخمر غير المسكرة) والعلاج النافع (العسل) "[1]

---

(1) سورة محمد: آية / 15

(2) المفردات / الراغب الأصفهاني ص 13 .

(3) انظر تفسير الرازي 28 / 54 .

(4) تيسير الكريم الرحمن / عبد الرحمن بن ناصر السعدي 7 / 165 .

(5) في ظلال القرآن / سيد قطب 7 / 456 .

(6) روح القرآن الكريم / عفيف عبد الفتاح طباره 26 / 46. ــ ط1 . ــ بيروت، دار العلم للملايين، بدون سنة .

وجاء في الحديث عن معاوية بن حَيْدَة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **إنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ وَبَحْرَ الْعَسَلِ وَبَحْرَ اللَّبَنِ وَبَحْرَ الْخَمْرِ ثُمَّ تُشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ** ﴾.[2] وفي الصحيح ﴿ **فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ** ﴾ [3]

وقال تعالى:﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾[4]

وهذا وصف آخر للجنة التي وعد الله بها المؤمنين، والذين اتقوه في الدنيا فأعد لهم هذا النزل في الآخرة .

" واعلم أنه تعالى وصف الجنة بصفات ثلاث:

أولها: تجري من تحتها الأنهار .

وثانيها: أن أكلها دائم. والمعنى: أن جنات الدنيا لا يدوم ورقها وثمرها ومنافعها. أما جنات الآخرة فثمارها دائمة غير منقطعة .

وثالثها: أن ظلها دائم أيضاً، والمراد أنه ليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة ونظير قوله تعالى: ﴿ **لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا**﴾[5] ثم إنه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاث؛ بين أن ذلك عقبى الذين اتقوا بمعنى عاقبة أهل التقوى هي الجنة، وعاقبة الكافرين النار ."[6]

---

(1) انظر التفسير المنير / الزحيلي 16 / 103 .

(2) سنن الترمذي 4 / 699 كتاب صفة الجنة باب ما جاء في وصف أنهار الجنة رقم 2571 ، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وأخرجه أحمد 5 / 5 ، وأخرجه البهيقي في البعث والنشور / أحمد بن الحسين البهيقي متوفي 458 هـ تحقيق عامر أحمد حيدر ط1 1416 هـ - 1986 مـ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية بيروت 169 وابن حبان في صحيحه 16 / 224 كتاب باب وصف الجنة وأهلها رقم 7409 وأخرجه في المنتخب من مسند عبد بن حميد ص 155 رقم 410 تحقيق صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي ط1 1408 هـ - 1988 مـ عالم الكتب بيروت ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير 19 / 424 - 425 .

(3) جزء من حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رقم 7423 كتاب التوحيد باب كان عرشه على الماء .

(4) سورة الرعد:آية / 35

(5) سورة الإنسان:آية / 13

(6) تفسير الرازي 19 / 59 .

"و﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار**﴾ أي سارحة في أرجائها وجوانبها وحيث شــاء أهلهــا يفجرونها تفجيراً أي يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا "[1]

والآيات التي تحدثت عن أنهار الجنة كثيرة كما ذكرت وأكتفي بهاتين الآيتين والآيات سردها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم تتابعاً[2]

ثانياً: تفجير العيون في الجنة وتسميتها

1-تفجير العيون

إن الله تعالى لم يترك الجنة بلا عيون تجري فيها حتى تسقيها وكذلك لما للماء الجــاري من جمال، ومتعة، وفيه حياة هذه الجنات؛ لذا فجر الله فيها العيون. وترك لأهل الجنة حريــة هذا الأمر حيث شاءوا ووقت ما يشاءوا قال تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّــهِ يُفَجِّرُونَهَــا تَفْجِيرًا**﴾[3]

" أي هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور، هو عين يشرب بها المقربون من عبــاد الله صرفاً بلا مزاج ويروون بها، ولهذا ضمّن يشرب معنى يروي حتى عداه بالباء ونــصب عيناً على التمييز "[4] ... ﴿ **يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾

" يقودونها ويُجرونها حيث شاءوا إجراءً سهلاً، ويُخرجونها من الأرض، والمــراد أنهــا تحت تصرفهم وأمرهم ."[5]

2- إجراء العيون

وهذه العيون بعد أن يفجرها الله بأيدي عباده الصالحين، فإن جِرية هــذه العيــون تكــون متفاوتة في الجنة، وقد عبر عنه القرآن في قوله تعالى:﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ**﴾[6] وكذلك ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾[7]

فهناك في الجنان عيون تجري ويسيل ماؤها متدفقاً على أرض الجنة ومنهــا مــا يفــور فوراناً ولكن لا يصل إلى الجري والسيح في الأرض .

---

(1) تفسير ابن كثير 4 / 518 .

(2) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي 719 – 720 .

(3) سورة الإنسان: آية / 6

(4) تفسير ابن كثير 4 / 455 .

(5) انظر ابن جرير الطبري 29 / 207 والتفسير المنير / الزحيلي والكلام له 29 / 286 وانظــر تفــسير الرازي 30 / 241 .

(6) سورة الرحمن: آية / 50

(7) سورة الرحمن: آية / 66

وقد سبق تفسير هاتين الآيتين في مطلب العيون ودرجة جريانها في الفصل السابق .

3- ﴿ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾[1]

فيه وجوه **الأول:** مسكوب من فوق؛ وذلك لأن العرب أكثر ما يكون عندهم الآبار والبرك فلا سكب للماء عندهم، بخلاف المواضع التي فيها العيون النابعة من الجبال الحاكمة على الأرض تسكب عليها .

الثاني: جار في غير أخدود، لأن الماء المسكوب يكون جارياً في الهواء والأنهر هناك كذلك الماء في الجنة .

الثالث: كثير وذلك الماء عند العرب عزيز لا يسكب، بل يحفظ ويشرب، فإذا ذكروا النعم يعدون كثرة الماء ويعبرون عن كثرتها بإراقتها وسكبها، والأول أصح ."[2]

ويؤيد ذلك أنه قال في الآية التي قبلها ﴿ **وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾[3] والظل يكون للشيء المرتفع من أشجار وجبال وغيرها فإن العيون في الجنة التي تنبع من جبالها وتسكب الماء بين الأشجار في الجنة من النعيم .

" وهذا من مراتع البدوي ومناعمه، كما يطمح إليها خياله وتهتف بها أشواقه!"[4]

4-من أسماء العيون في الجنة

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾[5]

" عين في الجنة تسمى سلسبيل، قال عكرمة: اسم عين في الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدّة جريها، وقال قتادة: عين سلسة مستقيد ماؤها، وهي تعم ذلك كله."[6] " وسميت سلسبيلا لسلاستها ولذتها وحسنها."[7]

ثالثاً: اقتران العيون والأنهار بالجنات

لقد قرن الله في كتابه الكريم، بين الجنات وتفجير العيون وذكرها، وبين جري الأنهار فيها، فكل الآيات التي ذكرت الأنهار في الجنة، تصف هذه الأنهار بأنها تجري من تحت الجنان. وكذلك عند ذكر العيون يعطف العيون على الجنان بقوله: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي**

---

(1) سورة الواقعة: آية / 31

(2) تفسير الرازي 29 / 165 .

(3) سورة الواقعة: آية / 30

(4) في ظلال القرآن / سيد قطب 7 / 697 .

(5) سورة الإنسان: آية / 18

(6) تفسير ابن كثير 4 / 457 .

(7) تيسير الكريم الرحمن / عبد الرحمن بن ناصر السعدي 8 / 201 .

جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[1] وقوله تعالى:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51)فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾**[2]
وقوله:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾**[3]
في سورة الحجر ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾**
" الذين اتقوا طاعة الشيطان وما يدعوهم إليه من جميع الذنوب والعصيان. هؤلاء ﴿ **فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾** قد احتوت على جميع الأشجار، وأينعت فيها جميع الثمار اللذيذة، في جميع الأوقات."[4]

" فإن قيل: أتقولون إن كل واحد من المتقين يختص بعيون، أو تجري تلك العيون من بعض إلى بعض قيل: لا يمتنع كل واحد من الوجهين، فيجوز أن يختص كل أحد بعين، وينتفع به كل من في خدمته من الحور والولدان ."[5]

قرن الله بين الجنات عندما قال:﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾**[6] قال: في المقابل لهاتين الجنتين ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾** وقال: عين جارية حتى لا تخلوا جنة من عين فقال: فيهما عينان تجريان وكذلك في قوله:﴿ **وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾**[7] قال: ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾**
حتى تكتمل النعمة ويتم فضل ربك على المتقين .
وكذلك قرن الله تعالى في سورة الذاريات فقال:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾** عندما ذكر الجنان بالجمع ذكر العيون بالجمع، حتى يتناسب لكل جنة عين تجري فيها .
يقول الرازي: " الجنة تارة وحدها كما قال تعالى:﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾**[8] وأخرى جمعها كما في هذا المقام قال:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾** وتارة ثناها فقال: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾** فما الحكمة فيه ؟
نقول: أما الجنة عند التوحيد فلأنها لاتصال المنازل والأشجار والأنهار كجنة واحدة، وأما الحكمة في الجمع فلأنها بالنسبة إلى الدنيا، والإضافة إلى جنانها جنات لا يحصرها عدد، وأما التثنية ... تقول ههنا الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشراء حيث قال:﴿ **إِنَّ**

---

(1) سورة الحجر: آية / 45 ، وسورة الذاريات: آية / 15
(2) سورة الدخان: آية / 51 – 52
(3) سورة المرسلات: آية / 41
(4) تيسير الكريم الرحمن / عبد الرحيم تامر السعدي 4 / 82 .
(5) تفسير الرازي 19 / 192 .
(6) سورة الرحمن: آية / 46
(7) سورة الرحمن: آية / 62
(8) سورة محمد: آية / 15

اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[1] وعند الإعطاء جمعها؛ إشارة إلى أن الزيادة في الوعد موجودة، والخلاف ما لو وعد بجنات، ثم كان يقول إنه في جنة لأن ذلك دون الموعود .

قوله تعالى:﴿**وعيون**﴾ تقول معناه في خلال العيون، وذلك بين الأنهار بدليل قوله تعالى:﴿في جنات﴾ ليس معناه إلا بين جنات وفي خلالها لأن الجنة هي الأشجار وإنما يكون بينها كذلك القول في العيون والتنكير، مع أنها معرفة للتعظيم "[2]

وقوله:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**﴾ أناب عن الجنات بصفتها وهي الظلال، وهل هناك أجمل من ظلال الجنان، والعيون بمائها يترقرق بين يدي الراءى، وعيون المشاهد للخضرة والماء، والحور العين، وكما قرن الله بين العيون والجنات قرن بين الأنهار والجنات، فقال في يونس:﴿ **تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾[3]

" المراد منه أنهم يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين، والأنهار تجري من بين أيديهم "[4] لقد أضيف النعيم إلى الجنات؛ لما فيها هذه الأنهار تجري أمام أعينهم ومشاهد يتمتعون بالنظر إليها .

وقال تعالى:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ**﴾[5]

" أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر، والسحب في النار على وجوههم، مع التوبيخ والتفريع والتهديد ."[6] لا شك أن كمال اللذة بالبستان أن يكون الإنسان فيه، وليس من اللذة بالنهر أن يكون الإنسان فيه، بل لذته أن يكون في الجنة عند النهر... وإذا كانت الجنة هي الأشجار السائرة، فالإنسان لا يكون في الأشجار وإنما بينهما أو خلالها، فكذلك النهر، والمراد في جنات وعند نهر لكون المجاورة تحسن إطلاق اللفظ الذي لا يحسن إطلاقه عند عدم المجاورة .

ووحّد النهر مع جمع الجنات، وجمع الأنهار في كثير من المواضع كما في قوله تعالى: ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَار**﴾ وذلك لحكمة أرادها الله تعالى .

---

(1) سورة التوبة: آية / 111

(2) تفسير الرازي 18 / 200 .

(3) سورة يونس: آية / 9

(4) تفسير الرازي 17 / 43 .

(5) سورة القمر: آية / 54

(6) تفسير ابن كثير 4 / 270 .

فإن السامع يعلم أنه لن يكون أهل الجنة خلال النهر، بل بين الأنهار بـالجمع وأمـا الجمع حتى لا يظن السامع أن الجنات فيها نهر واحد، بل أنهار كثيرة، وجمع الجنات إشـارة إلى سعتها وكثرة أشجارها وتنوعها .

وذكر هنا أيضاً نهر بالتوحيد والتنكير؛ للتعظيم، أي في الجنة نهر وهو أعظم الأنهـر وأحسنها ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ54 في مقعد صدق عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾[1] وهذا النهـر عنده مقعد المؤمنين .

وكذلك النهر الواحد يقوم مقام عيون كثيرة لذا ذكرت العيون بـالجمع دائمـاً فـي اقترانهـا بالجنات.[2]

رابعاً: الكوثر وحوض رسول الله ﷺ

لقد شرف الله رسولنا ﷺ ، وخصه في الجنة بالكوثر، فما هو الكوثر يا تري؟ ومـا وصفه ؟

قال تعالى:﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾[3]

" كثر: الكاف والثاء والراء أصل صحيح يدل على خلاف القلة. مـن ذلـك الـشيء الكثير ... ثم يزاد فيه للزيادة في النعت فيقال: الكوثر: الرجل المعطاء وهو فَوْعَل من الكثرة ... والكوثر نهر من الجنة ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ قالوا هذا، وقالوا الخير الكثير "[4]

جاء ذكر الكوثر في السنة المطهرة في عدة روايات عن أنس بن مالك وعبد الله بـن عمـر وعائشة وابن عباس وهذه الروايات كلها صحيحة وردت مع تفاوت قريب في الألفاظ وفيهـا ما جمع بين بعضها البعض .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ قَـالَ أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا فَقُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ[5]

---

(1) سورة القمر: آية / 54 – 55

(2) انظر تفسير الرازي 19 / 78 – 79 .

(3) سورة الكوثر: آية / 1

(4) معجم مقاييس اللغة 919 ، وانظر معجم مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني 443 .

(5) أخرجه البخاري 6 / 112 كتاب التفسير باب سورة إنا أعطيناك الكوثر رقـم 4964 ، والترمـذي 4 / 449 – 450 كتاب التفسير باب سورة الكوثر رقم 3359 و 3360 عن أنس ورقم 3361 عن ابن عمـر وقال أبو عيسى: حسن صحيح. وأخرجه مسلم 1 / 300 كتاب الصلاة باب حجة من قال: البسملة آية ... رقم 400 وزاد مسلم "هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم. فيختلج العبد منهم. فأقول رب أنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك" وأبو داوود 4 / 237 رقم 4747 و 4748 كلاهمـا

﴿ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قَالَتْ نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ ﴾[1]

﴿ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ قَالَ أَبُو بِشْرٍ قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ سَعِيدٌ النَّهَرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنْ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاه ﴾[2]

" هذه الأحاديث تصف الكوثر الذي أوتيه النبي ﷺ بما فيه من النعيم، حافتاه قباب من اللؤلؤ المجوف وهو الدر في حديث عائشة وشاطئاه حافتاه .

وأما حديث ابن عباس عندما قال هو الخير الكثير لا يخالف قول غيره بأنه النهر وجمع سعيد بن جبير بين حديث عائشة وحديث ابن عباس، ففي حديث ابن عباس عموم خصص بالأحاديث الأخرى بالنهر وهذا لا يتعارض "[3]

" وأحاديث الحوض صحيحة مشتهرة رواها جمع غفير من الصحابة الكرام؛ أكثر من خمسين صحابياً وهي بمجموعها تصل إلى حد التواتر المعنوي . صرح بذلك عدد كبير من العلماء[4] "[5]

﴿ عَنْ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ﴾[6]

وفي حديث آخر يصف الحوض

عن أنس والنسائي 2 / 133 – 134 رقم 904 عن أنس أيضاً ، وابن ماجة عن ابن عمر 2 / 1450 كتاب الزهد رقم 4334 .

(1) البخاري 6 / 112 نفس الكتاب والباب رقم 4965 عن عائشة .

(2) البخاري 6 / 112 نفس الكتاب والباب رقم 4966 عن ابن عباس .

(3) انظر فتح الباري / ابن حجر 8 / 732 .

(4) من هؤلاء العلماء ابن عبد البر في التمهيد 2 / 309 والإمام النووي في شرح صحيح مسلم 15 / 53 الحافظ ابن حجر في فتح الباري 11 / 394 والبيضاوي والقرطبي ذكر أقوالهما الكناني في نظم المتناثرة في الحديث المتواتر 152 والإمام السيوطي في قطف الإزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة 297 – 300

(5) مرويات الصحابة في الحوض والكوثر / عبد القادر بن محمد عطا صوفي 18 ، ط1 1413 هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

(6) صحيح البخاري 4 / 312 ، كتاب الفتن، باب ما جاء في قوله تعالى:" واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، وأخرجه مسلم 4 / 1793 كتاب الفضائل، باب إثبات الحوض من طريق قتيبة بن سعيد عن يعقوب عن حازم بنحوه .

﴿عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلا يَظْمَأُ أَبَدًا﴾[1]

نكتفي بهذين الحديثين عن الحوض .

ونخلص من هذين الحديثين وأحاديث أخرى أن صفات الحوض هي:

" 1- **شكله ومساحته:** مربع الشكل طوله كعرضه وكل منهما مسيرة شهر .

2- **لون ماءه:** الماء في الحوض أبيض من اللبن .

3- **ريحه:** ريحه أطيب من ريح المسك .

4- طعمه: طعمه أحلى من العسل .

5- آنيته: كيزانه كنجوم السماء في الإشراق والكثرة "[2]

وقوله تعالى:﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ ـ قول البخاري في ترجمة الباب ـ أشار إلى أن المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو مادته .

وجاء إطلاق الكوثر على الحوض في حديث أنس في ذكر الكوثر ﴿**هو حوض ترد عليه أمتي**﴾ "[3]

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾

قال القرطبي:اختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ على ستة عشر قولاً أصح. هذه الأقوال: الأول والثاني وهي: الأول: أنه نهر في الجنة والثاني: أنه حوض النبي في الموقف وقد جمع حديث مسلم بين القولين .

﴿ **هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم. فيختلج العبد منهم. فأقول رب إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك**﴾ [4] وباقي الأقوال مرجوحة "[5]

وقال: ابن جرير الطبري:" وقال: آخرون: هو حوض أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة ... وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذي أعطيه رسول

---

(1) صحيح البخاري 4 / 205 كتاب الرقاق، باب في الحوض .

(2) مرويات الصحابة في الحوض والكوثر / عبد القادر محمد عطا صوفي ص 22 .

(3) فتح الباري / ابن حجر 11 / 467 .

(4) انظر تخريجه في الحاشية رقم 5 ص 181 من هذا البحث .

(5) تفسير القرطبي 20 / 218 .

الله ﷺ في الجنة وصفه الله بالكثرة لعظم قدره. وهو أولى الأقوال لتتابع الأخبار به وصحتها "[1] وساق الإمام الرازي لطائف كثيرة في هذه السورة نذكر من بعضها .

﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ يفيد تعظيم حال محمد ﷺ من وجوه:

أحدها: يعني هذا الحوض كالشيء القليل الحقير بالنسبة إلى ما هو مدخر لك من الدرجات العالية والمراتب الشريفة، فهو يتضمن البشارة بأشياء هي أعظم من هذا المذكور .

ثانياً: أن الكوثر إشارة إلى الماء كأنه تعالى يقول: الماء في الدنيا دون الطعام فإذا كان نعيم الماء في الدنيا كوثراً فكيف سائر النعم .

ثالثاً: أن نعيم الماء إعطاء ونعيم الجنة ايتاء .

رابعاً: كأنه تعالى يقول: هذا الذي أعطيتك، وإن كان كوثراً لكنه في حقك إعطاء لا إيتاء لأنه دون حقك وفي العادة أن المهدي إذا كان عظيماً فالهدية وإن كانت عظيمة. إلا أنه يقال إنها حقيرة أي هي حقيرة بالنسبة إلى عظمة المُهدى له فكذا هاهنا .

خامساً: أن تقول إنما قال فيما أعطاه من الكوثر أعطيناك لأنه دنيا والقرآن إيتاء لأنه دين"[2]

خامساً: شراب أهل الجنة وطهوريته

قال تعالى:﴿ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** ﴾[3]

قال تعالى:﴿ **يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ** ﴾[4]

" أي وسقى هؤلاء الأبرار ربهم شراباً طهوراً، ومن طهره أنه لا يصير بولاً نجساً، ولكنه يصير رشحاً من أبدانهم كرشح المسك.

وعن مجاهد ﴿ **شَرَابًا طَهُورًا** ﴾ قال: ما ذكر من الأشربة [5]

أخرج عبد الرزاق الصنعاني عن أبي قلابة في قوله: ﴿ **شَرَابًا طَهُورًا** ﴾ قال: إذا أكلوا وشربوا ما شاء الله من الشراب ومن الطعام دعوا بالشراب والطهور فيشربون فيطهرهم فيكون ما أكلوا وشربوا جشاء ورشح مسك يفتض من جلودهم وتضمر لذلك بطونهم ."[6]

---

(1) انظر تفسير ابن جرير الطبري 30 / 323 .

(2) تفسير الرازي 32 / 123 .

(3) سورة الإنسان: آية / 21

(4) سورة ص: آية / 51

(5) تفسير ابن جرير الطبري 29 / 222 – 223 .

(6) تفسير القرآن / عبد الرزاق بن همام الضعاني تحقيق مصطفى مسلم محمد 2 / 338 ، . ــ ط1 . ـــ الرياض ، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع 1410هـ – 1989 مـ. ، وانظر الدر المنثور / السيوطي 8 / 377 .

إذن فإن كل شراب أهل الجنة طاهراً مطهراً لهم مما يأكلون ويشربون فــلا يبولــون وإنما يرشحون ذلك كله عرقاً ريحه كالمسك .وتطهير ذلك الشراب من النعيم الذي يلقونه من ربهم في الجنة .

سادساً: الشرب في الجنة وآنيته

ذكر القرآن شرب أهل الجنة بآنيه: مختلفة قال تعالى:

أ- ﴿ **وَكَأْسًا دِهَاقًا**﴾[1]

ب- ﴿ **بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ**﴾[2] وقال ﴿ **بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ**﴾[3]

ج- ﴿ **كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا ولا تَأْثِيمٌ**﴾[4]

د- ﴿ **كَانَتْ قَوَارِيرَ(15)قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ**﴾[5]

هذه الآيات الكريمات، تحدثت عن الآنية الخاصة بالــشرب فــي الجنــة، فــذكرت الكــأس، الأكواب، والأباريق، والقوارير ﴿ **وَكَأْسًا دِهَاقًا**﴾ عن قتادة الممتلئة.[6] و(مفعمة)[7]

وذكر ابن جرير عدة معان منها الممتلئة والمتتابعة والصافية ودراكاً أي يتبع بعضه بعضاً [8]

﴿ **بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ**﴾

" الكوب قدح لا عروة له وجمعه أكواب "[9] وزاد القرطبي ولا خراطيم، والأباريق التي لهــا عرى وخراطيم وأحدها إبريق، وسُميّ بذلك لأنه يرق لونه من صفاته ."[10]

والمعين سبق بيانه في الفصل السابق .

سابعاً: مزّاج شراب أهل الجنة

أ- بالكافور ﴿ **كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا**﴾[11]

ب- بالزنجبيل ﴿ **كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا**﴾[1]

---

(1) سورة النبأ: آية / 34

(2) سورة الواقعة: آية / 18

(3) سورة الصافات: آية / 45

(4) سورة الطور: آية / 23

(5) سورة الإنسان: آية / 15 – 16

(6) تفسير القرآن / عبد الرزاق الصنعاني 2 / 342 .

(7) المفردات / الراغب الأصفهاني 175 .

(8) تفسير ابن جرير الطبري 30 / 19 – 20 .

(9) المفردات / الراغب الأصفهاني ص 460 .

(10) تفسير القرطبي 17 / 203 ، وانظر تفسير الرازي 29 / 151 ، وابن جرير الطبري 27 / 174 .

(11) سورة الإنسان: آية / 5

ج- ﴿ **رَحِيقٍ مَخْتُومٍ(25)خِتَامُهُ مِسْكٌ** ﴾[2]

د- من تسنيم ﴿ **وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ**﴾[3]

أ- ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾

" والكافور الذي هو من الطيب، قال تعالى:﴿ **كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا**﴾ "[4]

سُمي الكافور لسترة الأشياء بطيبه ورائحته [5]

" والكافور أصناف. ينبت في نواحي الصين، فهو خشب هش خفيف جداً، يمنع الأورام الحارة، يمنع من الرعاف مع الخل، أو مع عصير البسر (البلح) ، أو ماء الآس (الريحان) ويسهر ويقوى الحواس ."[6]

﴿ **كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا**﴾

" كان مزاج ما فيها من الشراب ﴿ **كَافُورًا**﴾ يعني في طيب رائحتها كالكافور ....

" ﴿ **كَافُورًا**﴾ قال ابن عباس: هو اسم عين ماء في الجنة، يقال له عين الكافور . أي بمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافوراً وعن قتادة تمزج لهم؛ بالكافور وتختم بالمسك وعن عكرمة: مزاجها طعمها وقيل إن الكافور في ريحها لا في طعمها وقيل: أراد كالكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده؛ لأن الكافور لا يشرب "[7]

ب- ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا﴾

" مزج الشراب خلطه والمِزاجُ ما يُمْزَجُ به، قال تعالى:﴿ **كَان مِزَاجُهَا كَافُورًا**﴾.ومزاجه من تسنيم. ومزاجها زنجبيلاً "[8] وأصل المزج الخلط ومنه مزجت الماء بالعسل واللبن بالماء .[9]

الزنجبيل: " معروف عند العطارين، يجلو الرطوبة عن نواحي الرأس والحلق، يجلو ظلمة الغيث للرطوبة؛ كحلاً وشرباً يهضم ويوافق برد الكبد والمعدة وينشف بلة المعدة .[1]

---

(1) سورة الإنسان: آية / 17

(2) سورة المطففين: آية / 25 – 26

(3) سورة المطففين: آية / 27

(4) المفردات / الراغب الأصفهاني ص 453 .

(5) عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 3 / 479 .

(6) القانون في الطب / ابن سينا ص 144 .

(7) تفسير القرطبي 19 / 125 .

(8) المفردات / الراغب الأصفهاني 487 .

(9) عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 4 / 99 .

" يقول: كان مزاج الشراب في الكأس التي يسقون منها زنجبيلاً ... وعن قتادة تمزج بالزنجبيل. وعن مجاهد قال: يأثُرُ لهم ما كانوا يشربون في الدنيا ... فيحببه إليهم. وقال بعضهم: الزنجبيل: أي العين التي فيها مِزاج شراب الأبرار "[2] وكانت العرب تستلذ من الشراب ما يمزج بالزنجبيل لطيب رائحته "[3]

ج- ﴿ رَحِيقٍ مَخْتُوم ، خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾

" الرحيق من أسماء الخمر. وقيل: الرحيق: كلُّ شراب لا غش فيه ولا كدر "[4]

﴿ **خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ أي يوجد في آخره طعم المسك ورائحته.[5]

" ذكر الإمام ابن جرير الطبري في ذلك أقوال:

الأول: ممزوج مخلوط، مِزاجه وخلطه مسك .

الثاني: آخر شرابهم يختم بمسك يجعل فيه .

الثالث: مختوم أي مطيّن ... طينه مسك .

ورجح القول الثاني وذلك لأنه لا وجه للختم في كلام العرب إلا الطبع والفراغ، لقولهم ختم فلان القرآن: إذا أتى على آخره، وإذا كان لا وجه للطبع على شراب أهل الجنة، بفهم إذا كان شرابهم جارياً جرى الماء في الأنهار، ولم يكن معتقاً في الدنان فيطين عليها ويختم، تعين أن الصحيح من ذلك الوجه الآخر، وهو العاقبة والمشروب آخراً، وهو الذي ختم به الشراب وأما الختم بمعنى المزج، فلا نعلمه مسموعاً من كلام العرب ."[6]

" آخر طعمه مسك. لأن سبيل الأشربة أن يكون الكدر في آخرها، فوصف شراب أهل الجنة بأن رائحته المسك "[7]

د- ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾

" قيل: هو عين في الجنة رفيعة القدر ... وقيل: معناه من ماء متسنم، أي عيناً تأتيهم من علو تتسنم عليهم من الغرف. والتسنيم: العلوّ "[8]

---

(1) القانون في الطب / ابن سينا 77 ،. ــ ط1 . ــ بيروت ، مكتبة المعارف ، 1413 هــ - 1993 مــ

(2) تفسير ابن جرير الطبري / 29 / 218 .

(3) تفسير القرطبي 19 / 143 ، وانظر البحر المحيط / أبو حبان 8 / 390 .

(4) عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 2 / 85 .

(5) نفس المصدر 1 / 564 .

(6) تفسير ابن جرير الطبري 30 / 106 -107 .

(7) تفسير القرطبي 19 / 265 .

(8) عمدة الحفاظ / السمين الحلبي 2 / 259 و المفردات / الراغب الأصفهاني ص 251 .

" هو أشرف شراب الجنة، وهو اسم مذكر لماء عين في الجنة "[1]

" ﴿ تَسْنِيمٍ﴾ علم لعين بعينها: في الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق، وقيل: هي للمقربين، يشربونها صرفاً. وتمزج لسائر أهل الجنة ."[2]

وفي ختام هذا المطلب، يتضح أن النعيم الذي فيه أهل الجنة، نعيم لا يضاهى، ولا يخطر على قلب بشر، وخاصة أن نعمة الماء والشراب من النعم التي أكثر القرآن الحديث عنها، فهذه الأنهار تتخلل الأشجار والجنان، وهذه العيون تنحدر عليهم، وبين أيديهم يشربون منها، وقد سماها الله إما سلسبيلاً أو كافورًا أو زنجبيلاً أو تسنيم على قول من قال أنها أسماء العيون في الجنة وهذا الشراب الذي يتناوله أهل الجنة بالكؤوس والأكواب والأباريق وممزوجاً بأنواع من الطيب من الزنجبيل والكافور والمسك يختمه، كل ذلك يقدمه لهم السقاة من الغلمان والولدان. المخلدون أشباه اللؤلؤ المكنون؛ لجمالهم .

ثامناً: طواف الغلمان والولدان بالشراب على أهل الجنة

إن من النعيم في الجنة، هؤلاء الغلمان والولدان، الذين يطوفون على أهل الجنة، بالشراب يقدمونه لهم في الكؤوس، وصحاف الذهب والأكواب، والآنية من الفضة، فإن النظر إليهم متعة، فهم مثل اللؤلؤ المكنون، يقول تعالى:

أ-**﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ(15)قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾**[3]

ب- **﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وَتَلَذُّ الأعينُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[4]

ج- **﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ(17)بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾**[5]

د- **﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾**[6]

هـ - **﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾**[7]

تدبر معنى هذه الآيات كيف أضمر ولم يذكر الغلمان في بعضها وذكر الغلمان والولدان في بعضها مناصفةً. مع وصف ما يحملون من آنية، ووصفهم بما هو في قمة الجمال والبريق

---

(1) البحر المحيط / أبو حيان 8 / 434 .

(2) انظر تفسير الكشاف / الزمخشري 4 / 723 .

(3) سورة الإنسان: آية / 15 – 16

(4) سورة الزخرف: آية / 71

(5) سورة الواقعة: آية / 17 – 18

(6) سورة الإنسان: آية / 19

(7) سورة الطور: آية / 24

وهو اللؤلؤ المكنون. هذا حقاً من كمال النعمة، وتمام الفضل الرباني على الذين آمنوا وتركوا المعاصي، والفتن في الدنيا من نساء وخمر ومال وغيره من وسائل الفتنة. يعوضهم الله ذلك في الآخرة بهذا النعيم .

أ- وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ...... الآية

" أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة، وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم ... وبياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من الفضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا "[1]

" وزيادة في المتاع فإن الذين يطوفون بهذه الآنية والأكواب بالشراب هم غلمان صباح الوجوه، لا يفعل فيهم الزمن، ولا يدركهم السن؛ فهم مخلدون في سن الصباحة والصبا والوضاءة. وهم هنا وهناك كاللؤلؤ المنثور "[2]

ب- يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ ...... الآية

" أي تدور عليهم خدامهم من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب، وشرابهم بألطف الأواني وهي الأكواب وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير "[3]

" في هذا لفت للأنظار إلى هذا النعيم الذي يساق إلى عباد الله المتقين، الذين استضافهم سبحانه وتعالى في رحاب كرمه، وأنزلهم منازل رضوانه، وفي هذا ما يبعث في قلوب المكذبين والضالين، من حسرات، إلى ما هم فيه من آلام، وأحزان، كما أنه يضاعف من نعيم أهل هذا النعيم، حيث ينظرون إلى أنفسهم وإلى ما هم فيه من العافية، وحيث يلقى غيرهم صنوف البلاء والهوان ."[4]

ج- ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾

" والولدان جمع الوليد، وهو في الأصل فعيل بمعنى مفعول وهو المولود لكن غلب على الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودون ... هو كقوله تعالى:﴿ **وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ**﴾ وفي قوله تعالى:﴿ **مُخَلَّدُونَ**﴾ وجهان:

---

(1) تفسير ابن كثير / 4 / 457 .

(2) في ظلال القرآن / سيد قطب 8 / 399 .

(3) تيسير الكريم الرحمن / عبد الرحمن ناصر السعدي 7 / 128 .

(4) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 25 / 161 .

أحدهما: أنه من الخلود والدوام، وعلى هذا الوجه وجهان آخران أحدها أنهـم مخلـدون ولا موت لهم ولا فناء .

ثانيهما: لا يتغيرون عن حالهم ويبقون صغاراً دائماً لا يكبرون ولا يلتحون .

والوجه الثاني: أنه من الخلدة وهو القرط بمعنى في آذانهم حلق والأول أظهر وأليق "[1]

د- ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾

وفي قوله تعالى:﴿ **إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا**﴾ " أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، ولا يكون في التشبية أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن ."[2]

" يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه، وصفائه، واللؤلؤ إذا انتثر على البساط كان أصفى منه منظوماً وقيل إنما شبهوا بالمنثور لإنتشارهم في الخدمة "[3]

هـ -﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾

" الغلمان الخدم واللؤلؤ الجوهر، والمكنون المصون، وذلك لحسنة، وقيل هو الذي لم يخرج من الصدف.[4]

وهكذا من خلال استعراض هذه الآيات يتضح مدى النعيم، الذي فيه أهل الجنة، وتمتعهم بالنظر إلى الخدم، الذين يطوفون عليهم، وهذا من كمال النعمة وعظيم الفضل، الذي وهبهم الله تعالى في الجنة .

المطلب الثاني:الماء عقاب في الآخرة

لما تبين في المطلب السابق، ما فيه أهل الجنة من النعيم، كان حرياً أن نتبين في المقابل، ما فيه أهل النار، وقد قسمت ذلك إلى ستة أقسام، مع ما بينها من تداخل في الألفاظ والأوصاف، وهي كالأتي:

أولاً: أودية جهنم

ثانياً: الماء الحميم

ثالثاً: ماء كالمهل

---

(1) تفسير الرازي 29 / 149 – 150 .

(2) تفسير ابن كثير 4 / 457 .

(3) تفسير الخازن 7 / 193 ، وانظر تفسير الرازي 30 / 251 .

(4) التسهيل لعلوم التنزيل / ابن جزي الكلبي 4 / 73 .

رابعاً: عين آنية

خامساً: ماء صديد

سادساً: الغساق

كل هذه الأصناف من العذاب يلقاه أهل النار، بدلاً من الماء البارد الممزوج بالزنجبيل والكافور والمسك، المقدم بأيدي الغلمان والولدان المخلدون والذين هم كاللؤلؤ المنثور. يطوف على هؤلاء زبانية جهنم﴿ **سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**﴾[1]

أولاً: أودية جهنم

لقد جعل رب العزة لأهل النار أودية، مقابل أنهار وعيون أهل الجنة، وذكر منها في القرآن ثلاثة: الويل وغيّا وموبقا، على خلاف في المراد منها عند أهل التأويل. وسوف أعرض لكل منها على حدة .

1- **ويل:** قال تعالى:﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾[2]

وقد جاء لفظ ويل في القرآن سبع وعشرين مرة في خمسة عشر سورة من القرآن.[3] وسأمثل بمثال واحد منها ألا وهو ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ

أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ[4]

" ﴿ **وَيْلٌ**﴾ أي قَبُح وقيل هي جهنم ."[5] وقيل: خزي أو عذاب أو هلكة أو واد في جهنم لكل همزة لمزة .[6] والجملة أخبرت بأن هذا الوادي لكل همزة أي ثابت ومعد له وويل على هذا علم فهو معرفة.[7]

---

(1) سورة العلق: آية / 18

(2) سورة الهمزة: آية / 1

(3) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / محمحد فؤاد عبد الباقي 768 – 769 .

(4) المستدرك / أبو عبد الله الحاكم 2 / 583 كتاب التفسير باب تفسير سورة الهمزة رقم 3972 / 1110 وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي قال في التلخيص: صحيح في هامش المستدرك. والبهيقي في كتاب البعث والنشور باب ما جاء في أودية جهنم 258 من طريق الحاكم .

(5) تفسير الخازن 4 / 288 .

(6) تفسير القرطبي 20 / 181 وفتح القدير / الشوكاني 5 / 492 .

(7) الفتوحات الإلهية أو حاشية الجمل على الجلالين / اسماعيل بن عمر العجلي الشهيد بالجمل 4 / 584 .

قوله:﴿ وَيْلٌ﴾ اختلف في الويل ما هو: قيل جبل من نار أو وادٍ في جهنم بين جبلين يهوي الهاوي فيه أربعين خريفاً، أو وادٍ يجري بفناء جهنم من صديد أهل النار، وقيل صهريج في جهنم. وقيل أنه باب من أبواب جهنم وقيل الويل المشقة من العذاب. وقيل شدة الشر. وقيل التفجع وأقوال أخرى .[1]

وخلاصة الأقوال أن معنى الويل في اللغة هو "قبح ويستعمل على التحسّر"[2] " والويل الهلاك يدعى به لمن وقع في هلكة يستحقها"[3]

وأما ما أخبر عنه بأنه واد في جهنم فهو ليس على قياس اللغة بل هو من السماعات الصحيحة بالنقل كما جاء عن أبي سعيد الخدري .

وأولى التفاسير هو ما فسر بالمأثور والمقبول خاصّة .

2-غياً

قال تعالى:﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[4]

عن عبد الله بن مسعود في قوله عز وجل:﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: " نهر في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم."[5]

" وعن ابن عباس ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي خسراناً، وقال قتادة شراً وعن ابن مسعود – (الحديث السابق) – وقيل واد في جهنم من قيح ودم "[6]

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾

وذكروا في الغي وجوهاً **أحدها:** أن كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد .

وثانيها: أي يلقون جزاء الغي كقوله: (يلقون آثاماً) أي مجازاة الآثام .

وثالثها: الغي واد في جهنم يستعيذ منه أوديتها .

والوجهان الأولان أقرب فإن كان في جهنم موضع يسمى بذلك جاز، ولا يخرج من أن يكون المراد ما قد منا لأنه المنقول في اللغة."[7]

---

(1) انظر تفسير القرطبي 2 / 7 – 8 .

(2) المفردات / الراغب الأصفهاني ص 573 .

(3) لسان العرب /ا بن منظور 11 / 738 .

(4) سورة مريم: آية / 59

(5) أخرجه البيهقي من طريق الحاكم في البعث والنشور 260 رقم 518 ، المستدرك / الحاكم 2 / 406 كتاب التفسير باب سورة مريم رقم 3418 / 555 ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال في التلخيص صحيح. هامش المستدمك. أي وافقة الذهبي .

(6) انظر تفسير ابن كثير 3 / 129 .

(7) وتفسير الرازي 21 / 235 – 236 .

يرى الباحث: ولا تعارض بين ما ذكره الإمام الرازي مع ما هو مأثور عن أنه يوجد واد في جهنم أسمه غياً. فالغي من الشر وكذلك مجازاته على الغي لا يمنع أن يكون في الآخرة في هذا المكان المسمى غياً ولا نرجح اللغة على الخبر الصحيح .

﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ ... والتقدير عند أهل اللغة فسوف يلقون هذا الغي؛ كما قال جل ذكره:" ﴿ **ومن يفعل ذلك يلق آثاماً**﴾ " والأظهر أن الغي اسم للوادي سمي به لأنه للغاوين يصيرون إليه ... وقال ابن عباس: غي وادٍ في جهنم، وأن أودية جهنم لتتعوذ من حرة، أعد الله تعالى ذلك الوادي للزاني المصر على الزنى، ولشارب الخمر المدمن عليه،... "[1]

3-موبقاً

قال تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا**﴾[2]

" هو اسم واد في جهنم ... وادٍ عميق فصل به بين أهل الضلالة وأهل الهدى وأهل الجنة وأهل النار "[3]

" وذكر أنه واد من قيح في جهنم وفي رواية: نهر في جهنم من قيح ودم "[4]

" ﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا**﴾ قال أنس بن مالك: هو واد في جهنم من قيح ودم وقال ابن عباس: أي وجعلنا بين المؤمنين والكافرين حاجزاً وقيل بين الأوثان وعبدتها وعن مجاهد قال: ﴿**مَوْبِقًا**﴾ قال واد في جهنم يقال له موبق وعن عكرمة: هو نهر في جهنم يسيل ناراً على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا فيها بالاقتحام في النار "[5]

ثانياً: الحميم

في القرآن آيات عديدة وعلى صور كثيرة مثل:

﴿ **مَاءً حَمِيمًا**﴾[6]و﴿ **شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ**﴾[1]و﴿ **لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ**﴾[2]و﴿ **فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ**﴾[3]

---

(1) انظر تفسير القرطبي / 11 / 125 .

(2) سورة الكهف: آية / 52

(3) انظر تفسير ابن جرير الطبري 15 / 172. والإمام أحمد في الزهد ص 311 / دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع بدون طبعة وبدون سنة ، والدر المنثور / السيوطي 4 / 228 عن ابن أبي حلتم والبهيقي في البعث والنشور في الأحاديث 472 ، 473 ، 475 ، 476 ، 477 ، ص 274 – 275 أنه واد: يوم القيامة يفصل أهل النار عن أهل الحنة .

(4) التخويف من النار / عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي متوفي 736 – 795 هـ ص 121 ؛ مراجعة وتعليق محمد حسن الحمصي ، ط3 . – بيروت ، دار الرشيد دمشق، 1409 هـ – 1989 م

(5) تفسير القرطبي 11 / 2 – 3 .

(6) سورة محمد: آية / 15

و﴿ سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[4]و﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾[5]
و﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[6] .

هذه الآيات الكريمات من منطوقها يتبين أن حال أهل الكفار وعذابهم بالحميم يختلف بين آية وأخرى ووصف القرآن لهذه الكلمة مع إضافتها إلى أشياء من شرب وصب فوق الرؤوس وظل وسموم ونزل وشراب مخلوط بالحميم وماء حميم. هكذا جاءت هذا اللفظة بكل هذه العناية في وصفها أو فنون العذاب الذي فيها. ينتظر الكفار والجاحدين من الملحدين والعصاة.

قال تعالى:﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[7]

" أي حاراً شديد الحر لا يستطاع ﴿ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ أي قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء "[8]

" وهي صورة حسية عنيفة من العذاب، تناسب سورة القتال، وتتناسب مع غلظ طبيعة القوم. وهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام. فالجو متاع غليظ وأكل غليظ. والجزاء ماء حميم ساخن وتقطيع للأمعاء، التي كانت تحش وتلتهم الأكل كالأنعام !." [9]

ويقول الإمام الرازي: الماء الحار يقطع أمعاءهم لأمر آخر غير الحرارة، وهي الحدة التي تكون في السموم، وإلا فمجرد الحرارة لا يقطع، فإن قيل قوله تعالى: ﴿ فَقَطَّعَ﴾ بالفاء يقتضي أن يكون القطع بما ذكر، تقول نعم، لكنه لا يقتضي أن يقال: يقطع، لأنه ماء حميم فحسب، بل ماء حميم مخصوص يقطع ."[10]

يرى الباحث: إن الماء حار، وحرارته من حرارة جهنم، فإنه ليس في الدنيا، فكم من آلاف السنين أوقد عليها فإنه يذيبها وليس يقطعها فقط وليس شرطاً أن يكون هذا الماء مخصوص للقطع. فليس ما في الآخرة كما في الدنيا .

---

(1) سورة الأنعام: آية / 70 ، وسورة يونس: آية / 4
(2) سورة الصافات: آية / 67
(3) سورة الواقعة: آية / 93
(4) سورة الواقعة: آية / 42
(5) سورة الواقعة: آية / 43
(6) سورة الحج: آية / 19
(7) سورة محمد: آية / 15
(8) تفسير ابن كثير 4 / 177 .
(9) في ظلال القرآن / سيد قطب 7 / 458 .
(10) تفسير الرازي 28 / 57 .

وقال تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾[1]

" الحميم: الذي سخن بالنار حتى انتهى حره. يقال حمت الماء أي سخنته، فهو حميم. ومنه الحمام ."[2]

" أي إن الكافرين لهم من الجزاء شراب من حميم يقطع أمعاءهم، وعذاب شديد أليم بسبب ما كانوا يعملون، من أعمال الكفر المستمرة إلى الموت، كدعاء غير الله من الأوثان والأصنام."[3]

وقال تعالى:﴿ **ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ**﴾[4]

" قال ابن عباس: ﷺ يعنى شرب الحميم على الزقزم، وقال في رواية عنه ﴿ **لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ**﴾ ، مزجاً من حيمم، وقال غيره يعني يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل"[5] من أجسادهم المنصهرة المتجددة .

وقال تعالى:﴿ **فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ(93)وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**﴾[6]

" أي وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ﴿ **فَنُزُلٌ**﴾ أي فضيافة ﴿**مِنْ حَمِيمٍ**﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود."[7]

" وما أسوأه نزلاً ومثوى ذلك الحميم الساخن. وما أشده عذاباً ذلك الجحيم، يتراءى له ويعلم أنه ملاقيه عن يقين ! "[8] " والنزل أول ما يقدم للضيف "[9]

" أي ضيافهم يوم قدومهم على ربهم تصلية الجحيم، التي تحيط بهم وتصل إلى أفئدتهم، وإذا استغاثوا من شدة العطش والظمأ، ﴿ **يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[10] "[11]

---

(1) سورة يونس:آية / 4

(2) تفسير الرازي 17 / 32 .

(3) تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي 4 / 66 .

(4) سورة الصافات: آية / 67

(5) تفسير ابن كثير 4 / 12 .

(6) سورة الواقعة: آية 93 – 94

(7) تفسير ابن كثير 4 / 302 .

(8) في ظلال القرآن / سيد قطب

(9) التسهيل لعلوم التنزيل / ابن جزي الكلبي 4 / 94 .

(10) سورة الكهف: آية / 29

(11) تيسير الكريم الرحمن / عبد الرجمن ناصر السعدي 8 / 75 .

وقال تعالى:﴿ **وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ(41)فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ(42)وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43)لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ**﴾[1]

" السموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن، والمراد حر النار وفيحها ﴿ **وَحَمِيمٍ**﴾ أي ماء حار قد انتهى حره، إذا أحرقت النار أكبادهم وأجسادهم فزعوا إلى الحميم، كالذي يفزع من النار إلى الماء ليطفئ به الحر، فيجده حميماً حاراً في نهاية الحرارة والغليان .

و﴿ **وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ أي من دخان جهنم الأسود شديد السواد"[2] " طبق أهويتهم المردية، وعقائدهم الفاسدة، وهيئات نفوسهم المسودة، بالصفات المظلمة "[3]

ثالثاً: الغساق

" غسق: الغين والسين والقاف أصل صحيح يدل على ظلمة، فالغسق الظلمة والغاسق الليل ... وأما الغسّاق الذي في القرآن، فقال المفسرون: ما تقطر من جلود أهل النار ."[4]

قال تعالى:﴿ **جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ(56)هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ(57)وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ**﴾[5]

وقال تعالى:﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا(24)إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا**﴾[6]

﴿ **فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ**﴾ ماء حار قد اشتد حره يشربونه فيقطع أمعائهم ﴿ **وَغَسَّاقٌ**﴾ وهو أكره ما يكون من الشراب، من قيح وصديد مر المذاق كريه الرائحة، و ﴿ **وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِ**﴾ أي من نوعه ﴿ **أَزْوَاجٌ**﴾ أي عدة أصناف من أصناف العذاب؛ يعذبون بها ويخزون بها "[7]

" الغساق بالتخفيف والتشديد فيه وجوه:

الأول: أنه الذي يغسق من صديد أهل النار، يقال غسقت العين إذا سال ماؤها. وقال ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم فيجتمع فيسقونه .

الثاني: قيل الحميم يحرق بحرّه والغساق يحرق ببرده ...

الثالث: الغساق المنتن ... لو قطرت منه قطرة في الشرق لأنتنت أهل الغرب، ولو قطرت منه قطرة في المغرب لأنتنت أهل المشرق .

---

(1) سورة الواقعة: آية 41 – 44

(2) تفسير القرطبي 17 / 213 .

(3) تفسير القاسمي 16 / 13

(4) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس / 848 ، وانظر المفردات / الراغب الأصفهاني ص 373 .

(5) سورة ص: آية / 56 – 58

(6) سورة النبأ: آية / 24 – 25

(7) تيسير الكريم الرحمن / عبد الرحمن ناصر السعدي 7 / 5 .

الرابع: الغساق عين في جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمةٍ من عقرب وحية."[1]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا [2]

قلت: فإن هذا الغساق هو من السوائل التي تسيل من أجساد أهل النار، سوداء منتنة ريحها، أعاذنا الله وإياكم منها .

رابعاً: عين آنية

قال تعالى:﴿ **تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً(4)تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ**﴾[3]

وقال تعالى:﴿ **يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ**﴾[4]

" ﴿ **تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ**﴾ أي قد انتهى حرها وغليانها ."[5]

" الآني الذي قد انتهى حره من الإيناء بمعنى التأخير. وتطهيره قوله:﴿ **يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ**﴾ قال المفسرون أن حرها بلغ إلى حيث لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت.[6]

خامساً: ماء صديد

وقال تعالى:﴿ **وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ**﴾[7]

" يسأل الرازي: علام عطف ﴿ **وَيُسْقَى**﴾ الجواب: على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى من ماء صديد. لم خص هذه الحالة بالذكر مع أن وجوه عذاب أهل النار كثيرة؟ فأجاب: يشبه أن تكون هذه الحالة أشد أنواع العذاب فخصص بالذكر مع قوله: ﴿ **وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ**﴾ [8] وما وجه قوله: ﴿ **مَاءٍ صَدِيدٍ**﴾ ؟ أجاب أنه عطف بيان والتقدير: أنه لما قال:﴿ **وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ**﴾ فكأنه قيل: وما ذلك الماء فقال ﴿**صَدِيد**﴾ والصديد ما يسيل من جلود أهل النار. وقيل التقدير ويسقى من ماء كالصديد.

---

(1) تفسير الرازي 26 / 221 .

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك 4 / 644 رقم 8779 / 104 كتاب الأهوال قال الحاكم هذا حديث صحيح الإستاذ ولم يخرجاه وقال في التلخيص في هامش المستدرك صحيح .

(3) سورة الغاشية: آية / 4 – 5

(4) سورة الرحمن: آية / 44

(5) تفسير ابن كثير 4 / 503 وانظر تفسير القرطبي 20 / 29 .

(6) تفسير الرازي 31 / 152 ، والقرطبي 20 / 29 واللفظ للرازي .

(7) سورة إبراهيم: الآية / 16

(8) سورة إبراهيم آية / 17

وذلك بأن يخلق الله تعالى في جهنم ما يشبه الصديد، في النتن والغلظ والقذارة وهو أيضاً في نفسه صديدٌ، لأن كراهته تصد عن تناوله ."[1]

وعن جابر ﷺ ... **فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمُسْكِرٌ هُوَ قَالَ نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَهِدَ لِمَنْ شَرِبَ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ قَالَ عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ قَالَ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ** ﷺ[2]

وفي حديث الترمذي من عبد الله بن عمر ﷺ... **وما نهر الخبال ؟ قال نهر من صديد أهل النار** ﷺ[3]

سادساً: ماء كالمهل

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[4]

" المهل: مثل عكر الزيت أسود إذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه. وعن ابن عباس: غليط كدردي الزيت أسود .

أذاب ابن مسعود فضة في بيت المال، ثم أرسل إلى أهل المسجد، فقال: من أحب أن ينظر إلى المهل، فلينظر إلى هذا .

وقال مجاهد: بماء كالمهل: مثل القيح والدم، أسود كعكر الزيت "[5]

" ماء جهنم أسود وهي سوداء وأهلها سود، ... المهل الماء الغليظ، وهو كالدم والقيح والشيء الذي انتهي حره، وهو كل شيء مذاب، وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود منتن غليظ حار "[6]

" ﴿ **بِئْسَ الشَّرَابُ**﴾ أي أن الماء الذي هو كالمهل بئس الشراب لأن المقصود بشرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ في احتراق الأجسام مبلغاً عظيماً ﴿ **وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ قال قائلون

---

(1) انظر تفسير الرازي 19 / 103 .

(2) أخرجه مسلم 3 / 1587 كتاب الأشربة رقم 72 / 2002 .

(3) سنن الترمذي 4 / 290 كتاب الأشربة باب ما جاء في شارب الخمر رقم 1862 قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن .

(4) سورة الكهف: آية / 29

(5) انظر التخويف من النار / ابن رجب الحنبلي 156 .

(6) تفسير ابن كثير بتصرف 3 / 82 - 83 .

ساءت النار منزلاً ومجتمعاً للرفقة، لآن أهل النار يجتمعون رفقاء كأهـل الجنـة ... بـئس الرفقاء وبئس موضع الترافق ."[1]

سابعاً: استجداء أصحاب النار الماء

قال تعالى:﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[2]

" اعلم أنه تعالى لما بين ما يقوله أصحاب الأعراف لأهل النار، أتبعه بذكر ما يقولـه أهـل النار لأهل الجنة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنـة. طمع أهل النار بفرج بعد اليأس. فقالوا: يا رب لنا قرابات من أهل الجنة فإذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فأمر الله الجنة فتزحزحت، ثم نظر أهل جهنم إلى قراباتهم في الجنة. وما هـم فيـه من النعيم فعرفوهم، ونظر أهل قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم. وقد اسـودت وجـوههم وصاروا خلقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وقالوا:﴿ **أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ**﴾ وإنما طلبوا الماء خاصة لشدة ما في بواطنهم من الاحتراق واللهيب بسبب شـدة حر جهنم وقوله:﴿ **أَفِيضُوا**﴾ كالدلالة على أن أهل الجنة أعلى مكاناً من أهل النار."[3]

وهكذا يسدل الستار على آخر مشهد من مشاهد هذا الفصل مع أحـوال المـاء بـين النعـيم والجزاء في الدنيا والآخرة .

---

(1) تفسير الرازي 21 / 120 .

(2) سورة الأعراف: آية / 50

(3) تفسير الرازي 13 / 92 ، وانظر تفسير القرطبي 7 / 214 .

الفصل الرابع: الإعجاز العلمي في آيات الماء

المبحث الأول: علم الأحياء

المبحث الثاني: علم الطب

المبحث الثالث: علم الزراعة

المبحث الرابع: علم الأرض

المبحث الخامس: علم الجغرافيا

التمهيد: كلمة في الإعجاز

رأيت أن أضع كلمة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، تكون مدخلاً لهذا الفصل الذي سوف أدرس فيه ــ بإذن الله تعالى وعونه ــ الإعجاز العلمي في آيات الماء، وذلك تقديماً بين يدي الفصل أبيّن فيه تعريف الإعجاز والمعجزة لغةً واصطلاحاً، ثم أذكر فيه وجوه الإعجاز القرآني، موضحاً جانب الإعجاز العلمي باختصار، ذاكراً شروط التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم مستعيناً بالله .

أولاً: تعريف الإعجاز والمعجزة

أ- التعريف لغةً

عجز: العين والجيم والزاي أصلان صحيحان يدل أحدهما على ضعف، والآخر على مؤخر الشيء .

يقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، والأصل الثاني فالعَجُز: مؤخر الشيء [1] والعَجْزُ أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر، أي مؤخرِه كما ذكر في الدُبُر، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة .[2]

الإعجاز: الفوت والسبق.[3]

الإعجاز –لغةً– إثبات العَجْز، والعَجْزُ هو القصور عن فعل الشيء، والإعجاز مصدر أعْجَزَ يقال: عجز فلان عن الأمر، إذا حاوله فلم يستطعه، ولم تتسع له مقدرته وجهده. فالإعجاز ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز، ظهرت قدرة المعجز، ووضحت المعجزة.[4]

ب- المعجزة اصطلاحاً

" أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة، على وفق مراده، تصديقاً له في دعواه مقروناً بالتحدي مع عدم معارضته، وذلك كله في زمن التكليف "[5]، وإعجاز القرآن

---

(1) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 738 .

(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني ص 334 .

(3) لسان العرب / ابن منظور 5 / 370 .

(4) مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري / أحمد جمال العمري ، ص 29 .– ط1 – . القاهرة ، دار المعارف 1984 مـ .

(5) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / عبد السلام حمدان اللوح ص6 .–ط1–. فلسطين ،غزة ، آفاق للنشر والتوزيع 1419 هـ – 1999 م .

"إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به "(1)

ثانياً: ذكر وجوه الإعجاز القرآني

اختلف العلماء في وجوه الإعجاز القرآني، فمنهم من توسع في ذلك حتى بالغ في المسألة، ومنهم من اقتصرها على أنواع معدودة في اللغة والبيان وبعض الوجوه، الأخرى.

ومن هذه الوجوه:

أ- الإعجاز البياني ... .

ب- الإعجاز التاريخي (الإخبار عن الأمم السابقة) .

ج- الإعجاز التشريعي ... .

د- الإعجاز العلمي .

هـ الإعجاز الروحي والنفسي .

و- الإعجاز العددي .

ولا مجال للتفصيل والتوضيح إلا مع الإعجاز العلمي في القرآن، أما الوجوه الأخرى فلها كتب الإعجاز والمقام هنا لا يتسع .

ثالثاً: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

"هو ورود بعض الإشارات أو الحقائق العلمية في آيات القرآن الكريم،التي لم تكن معروفة في زمن النبوة وعلماء الأمة السابقين، اكتشف أمرها في عصرنا الحاضر، بالتقدم العلمي وما يمتلك من وسائل علمية متاحة "

" أي أن المقصود بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، توسيع مدلول الآيات القرآنية، وتعميق معانيها في الوجدان والفكر الإنساني، بالانتفاع بالكشوف العلمية المعاصرة، في توسع هذا المدلول، وتعميق هذه المعاني عن طريق الاستئناس بالموافقات الدقيقة، والمقارنات العميقة الملحوظة للعلماء المتخصصين، والخبراء الباحثين في مجالات الكون والحياة في شتى علومها ومعارفها ."(2)

والذي دفع العلماء لهذا العلم ما في القرآن من إشارات كثيرة جداً في كل العلوم، واضحة جلية وأضرب مثالاً في آية واحدة من كتاب الله ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ**

---

(1) المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم / سعد الدين السيد صالح ص 10 -ـ ط3 -. القاهرة، دار المعارف، 1993 مـ ، وانظر إعجاز القرآن الكريم / فضل حسن عباس وابنته سناء، ص 28 -ـ ط1 - . عمان، دار الفرقان، 1991 م .

(2) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 24 .

مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]

فالمتأمل في هذه الآية يجدها قد أشارت إلى علوم كثيرة منها: الفلك والجغرافيا وعلم البحار والأحياء والأرصاد الجوية وعلم الزراعة، كل هذه الإشارات موجودة في آية واحدة فأي إعجاز علمي في هذا القرآن العظيم .

رابعاً: شروط التفسير العلمي للقرآن .

1- إن النظريات والحقائق العلمية يمكن الاستئناس بها في فهم آيات الله، دون الجزم بأن هذا هو مراد الله بها، فقد تعني الآية ذلك وقد تعني سواه .

2- إذا توافقت حقيقة علمية ثابتة مع حقيقة يمكن اعتبار ذلك إعجازاً علمياً للقرآن كشف عنه العلم الحديث .

3- إذا تطورت هذه الحقائق لتتوافق مع حقائق قرآنية، فهذا دليل على أن للقرآن في كل عصر آية، تدل على إعجازه المتجدد في كل عصر وزمن، بما يتناسب مع علوم ذلك العصر وثقافته .

4- لا يجوز لَيُّ عنق الآية وإرغامها لتوافق حقيقة علمية، وإلا فقد حمّلنا القرآن ما لا تحتمل آياته من معاني؛ مما قد يسبب ردة فعل معاكسة للإعجاز العلمي .

5- إذا أثبت العلم بطلان نظرية علمية، سبق أن استأنسنا بها في فهم آية قرآنية، فذلك لا يضير القرآن في شيء، ولا يقلل من قيمة حقائقه، فهو أصل ثابت، وكل العلوم توابع.

6- ليس شرطاً أن يكون لكل حقيقة علمية ما يوافقها من آيات القرآن، ومع ذلك فليس في القرآن ما يتناقض مع ما ثبت من العلوم ثبوتاً قطعياً .

7- إذا حدث تعارض في الظاهر بين القرآن والعلم، فلا بد أننا قد أخطأنا في فهم مراد الله، أو أخطأ العلم طريقه، وهذا مدعاة لأن نعيد النظر في فهم مراد الله بكلامه، أو نتحقق فيما يثبت لنا من علم .

8- لا يجوز لنا أن نستطرد في علم التفسير ببحث مسائل العلوم وتفصيلاتها، إذ ليس هذا هو مجال البحث فيها، وإنما تؤخذ مسلمة من هذا العلم .

9- الإعجاز العلمي يثبت للقرآن بمجموعه، إذ ليس في كل آية أو في كل سورة هذا من الإعجاز .

---

(1) سورة البقرة: آية / 164

10- ليس القرآن كتاب طب أو هندسة أو فلسفة، أو فلك أو كيمياء أو غير ذلك من العلوم، فهو إن كان يشير إلى أصل هذه العلوم. إلا أنه لا يتطرق إلى التفصيل في مسائلها والخوض في جزيئاتها، وإنما ترك ذلك لجهود البشر، وهذا لا ينفي إشارة القرآن إلى حقائق علمية تؤكد إعجازه العلمي على مر العصور .

11- إن لغة العلم هي اللغة المتداولة المتعارف عليها في هذا العصر، وعلى ذلك يكون الإعجاز العلمي هو لغة التخاطب وسبيل الدعوة خاصة مع الذين لا يتكلمون العربية ولا يدركون الإعجاز البياني في القرآن، مع أنه لا يجرؤ أي مكابر أو ملحد أن يجد موضعاً للتشكيك في هذا النوع من الإعجاز "[1]

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / عبد السلام اللوح ص 163 – 165 .

المبحث الأول: علم الأحياء

المطلب الأول: الماء في بناء الكائن الحي

المطلب الثاني: التوازن الدقيق في الجسم الحي

المطلب الثالث: الكائنات البحرية

المطلب الأول:الماء في بناء الكائن الحي

قال تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾[1]

"يقرر العلم الحديث في تفسير هذه الآية، أن الماء يدخل في بناء أي جسم حي؛ إذ هو في الحقيقة قوام حياته، فالماء في نظر العلم هو المكون الأصلي في تركيب مادة الخلية الحية.

والخلية هي وحدة البناء في كل شيء حي، نباتاً كان أو حيواناً، كما أن علم الكيمياء في أبحاثه الحديثة، أثبت أن الماء عنصر لازم وفعال في كل ما يحدث من التحولات والتفاعلات التي تتم داخل الأجسام، فهو إما وسط، أو عامل مساعد، أو داخل في هذا التفاعل، أو ناتج عنه، إذن الماء هو السائل الوحيد الذي لا غنى عنه لأي كائن حي، مهما كان شكله، أو حجمه، تضاءل أم تضخم ... ابتداءً من الميكروبات الدقيقة – التي لا يمكن للعين المجردة أن تراها – وانتهاء بالفيلة والحيتان أضخم الكائنات الحية الموجودة على الأرض وفي البحار.

فالماء هو سر الحياة الذي أودعه الله في كوكبنا الأرض، وبدونه لا تقوم قائمة لكائن حي طيراً كان أو حيواناً أو دابة تزحف على الأرض أو قوقعة في قاع بحر لجي "[2]

" وترجع أهمية الماء إلى دوره الكبير في المحافظة على إتزان حرارة أجسام الكائنات الحية، وبناء الخلايا، وتكوين الدم، وتنظيم التفاعلات الكيميائية وهضم الطعام."[3]

" ومن الأهمية القصوى للماء أن خلايا الجسم تطلبه بشدة، ولا يمكن لها أن تستمر في أداء وظائفها أو نموها، أو حتى تواجدها بدونه؛ حيث تستمد حاجتها من الماء، من خلال الدم الذي تبلغ نسبته فيه حوالي 83 % ولذلك فحينما تقل كمية الماء بالجسم، وتحتاج الخلايا إلى المزيد نجد أن الجسم يرسل إشارتين على الأقل إلى جهتين **الأولى:** عندما تقل نسبة الماء في الدم يزداد تركيز الأملاح فيه، ولكي يعوض الدم ذلك نراه يستخرج الماء من غدد اللعاب الموجودة في الفم، وتكون النتيجة جفاف الفم والشعور بالحاجة إلى شرب الماء

و**الثانية:** يرسل الدم إشارة إلى الدماغ يبلغه فيها بنقص الماء وعندئذ يوجد الأساس بالرغبة في شرب الماء"[4]

---

(1) سورة الأنبياء: آية / 30

(2) خواطر علمية بين الدين والعلم / محمد عبد القادر الفقي " من مقال منشور بمجلة منار الإسلام عدد فبراير سنة 85 "

(3) الإعجاز العلمي في الإسلام القرآن الكريم / محمد كامل عبد الصمد الدار المصرية اللبنانية ص 182 . ـ ط4 ـ . القاهرة،1417هـ – 1997م .

(4) خواطر علمية / محمد عبد القادر الفقي المرجع السابق .

" وإذا كانت هذه هي أهمية الماء للإنسان، فإن أهميته للنبـــات لا تقــل عــن ذلــك، فالنباتات تمتص الماء من التربة، وبه الغذاء اللازم لنموه من الأمـــلاح المعدنيـــة الموجـــودة بالتربة، ويكون انتقال هذه الأملاح الضرورية لنمو النبات في صورة محاليل مائيـــة أيـــضاً، تمتصها الجذور من الأرض ومن هنا كان الإعجاز العلمي في قوله:﴿ **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِـدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[1] وقوله تعـالى:﴿ **وَمِـنْ ءَايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى**﴾[2] "[3] " ومن الطريف أن النباتات والأشجار إذا أحست بالعطش، أو بنقص المـــاء، طلبته وألحت في النداء عليه، كما يصنع الأطفال من بني البشر،فقد فقام فريق من العلماء في جامعة إنجليز بولاية ويلز الأسترالية بإجراء تجربة على النباتات التي تعاني مـــن العطـــش، وسجلوا الذبذبات الصغيرة التي تصدر من أوراقها وسيقانها آنئذ، ولشد مـــا كانـــت دهـــشتهم حينما وجدوا أن هذه النباتات، تصدر أصواتاً بالمعنى العلمي للكلمة، وقد استخدمت في هـــذه التجارب أجهزة دقيقة جداً، لتسجيل ذبذبات الصوت وقارنوها بالذبذبات الناتجة عن النبات في حال توافر الماء، فوجدوا أن الذبذبات في الحالة الأولى أشد وأقوى، وكـــأن النبـــات يـــصيح ويصرخ؛ لكي يحصل على احتياجاته من الماء"[4]

" والماء كونه أساس الحياة حقيقة علمية، لا مراء فيها ولا سبيل لمناقـــشتها، فـــنمط الحياة على الأرض يسمى علمياً النمط المائي، حتى سفن الفضاء تحاول الحـــصول علـــى أي إثبات بوجود الماء على أي جرم سماوي آخر، لأن الماء إنما هو الحياة بنمطهـــا المعـــروف عندنا، ومجرد إثبات وجود الماء يعني بطريقة غير مباشرة إثبات وجود الحيـــاة علـــى تلـــك الأجرام "[5]

" ثم إذا نظرنا إلى قصة خلق آدم وسلالته، وجدنا أن الله تعالى خلقه من الطين كمـــا جاء في الآية الكريمة ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾[6] والطين كما هـــو مقـــرر علمياً هو خليط من الماء والتراب أي أن الماء عنصر أساس في تكوين أي شيء حي، ومـــن ذلك يتبين لنا مدى الإعجاز العلمي في قوله:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ "[7]

---

(1) سورة الحج: آية / 5

(2) سورة فصلت: آية / 39

(3) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 183 .

(4) المرجع السابق ص 184 .

(5) الجديد في المنظور العلمي للقرآن المجيد / إسلام الشعراوي ص 174 .

(6) سورة المؤمنون: آية / 12

(7) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 184 .

رأى أهل التفسير في الآية:

﴿ **وَجَعَلْنَا** ﴾ لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين، فإن تعدى إلى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله:﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ** ﴾[1] أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه، وحبه له وقلة صبره عنه، وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى صيّرنا كل شيء حياً بسبب من الماء لا بدّ له منه "[2]

المطلب الثاني:التوازن الدقيق في الجسم الحي

تدل الأبحاث العلمية أن البدن يقوم على توازن دقيق محكم، سواء على مستوى الإفراز أو الامتصاص ... فالماء الداخل يدخل بقدر، والماء الخارج يخرج بقدر، والمقدار الداخل يعادل المقدار الخارج، كذلك الحال بالنسبة للأملاح المعدنية، وأما الأغذية فإنها تستهلك وتحول طاقة .

وهذا يسمى بالتوازن المائي في الجسم، وهو الشيء الأول الذي يقرره القرآن من أنه حيثما وجد الماء وجدت الحياة مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[3]

فالجسم البشري لا يمكن أن يعيش بدون ماء سوى أيام معدودة،هو وغيره من الكائنات الحية، حيث حاجة البدن اليومية تتراوح بين اثنين أو ثلاث لترات من الماء، كما قد تزيد بفرط العرق وفقد السوائل إلى عشرة لترات من الماء .

وفي أعماق البدن حيث تستقر التفاعلات وتتراكم، فإن الجسم يوجد أيضاً مقداراً لا بأس به من الماء .

أما عن كيفية محافظة البدن على المقدار الملائم بشكل لايزيد ولا ينقص، فذلك يرجع بصورة كبيرة إلى الكُلْية؛ لأنها تنظم مقدار الامتصاص والاحتفاظ ، وبالتالي يبقى الجسم في الوضع السوي .

ويعمل البدن بآلية ذكية، فعندما يزيد الماء في البدن، تصل الأخبار إلى غدة من غدد الجسم، مظهرها بسيط، ولكن فعلها مدهش، وزنها قليل ولكن تأثيرها عظيم ... تلك هي الغدة الكظرية التي تستقر على رأس الكلية تماماً كالقبعة ... ووجودها في هذا المكان مقدر تقديراً حكيماً؛ لأن نزع هذه الغدة يفضي إلى الموت مع العلم أن وزنها لا يزيد عن 7 : 8 جرام فقط .

---

(1) سورة النور: آية / 45

(2) الكشاف / الزمخشري 3 / 113 .

(3) سورة الأنبياء: آية / 30

ولننظر أيضاً إلى حكمة الله وتقديره البالغ؛ حيث إن نقص جرامات قليلة يفضي أيضاً إلى الموت حقاً .

ومن هنا تلتقي النظرة والحقيقة العلمية بالإيمان بقوله: ﴿ **أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾[1] "[2] ونجد علماء المسلمين القدماء حاموا حول الحمى في تفسيرهم لهذه الآية عندما قال الرازي:" المعنى أحدث كل شيء إحداثاً يراعي فيه التقدير والتسوية، فقدره تقديراً أو هيأه لما يصلح له."[3]

المطلب الثالث:الكائنات البحرية

قال تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾[4]

سبحان الله الخالق الذي خلق الكائنات من الماء، وجعل جزءًا كبيراً منها لا يحيى إلا في الماء، وهي الكائنات البحرية، والذي خلق هو الذي يرعى ويحفظ، ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[5] ومن لطف اللطيف بهذه الكائنات، أن جعل لسائل الحياة خواصّ وصفاتٍ خاصةً به عن سائر المائعات وكذلك المواد الأخرى .

" من المعروف أن الماء إذا زادت درجة حرارته زاد حجمه، وقلت كثافته، فيرتفع الماء الساخن إلى أعلى وينزل الماء البارد إلى أسفل .

وكذلك الحال في جميع السوائل .

حرارة + ماء ← زيادة حجم الماء وارتفاعه إلى أعلى والعكس صحيح .

برودة + ماء ← نقص في الحجم وهبوط إلى أسفل .

إن هذه السنة الإلهية تعمل كما تعمل باقي السنن الأخرى: مقدمة معينة تعطي نتيجة معينة أو مقدمة واحدة تعطي نتيجة واحدة .

---

(1) سورة الفرقان: آية / 2

(2) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص187 – 188 ، وانظر من كل شيء موزون / عبد الحسن صالح ص 120 – 123 وكتاب الأسودان التمر والماء بين القرآن والسنة والطب الحديث / حسان شمس باشا ص 98 – 102 . ــ ط1 . ــ جدة ، دار المنارة للتوزيع 1992 م ، وانظر الماء أصل الحياة وسرها / أحمد الأمين محمد على ، مقال في الوعي الإسلامي عدد 363 ذو القعدة 1416 هـ أبريل 1996 مـ .

(3) تفسير الرازي 24 / 47 .

(4) سورة الأنبياء: آية / 30

(5) سورة الملك: آية / 14

وعلى هذه السنة الإلهية: التي قضى الله بها أن يرتفع الماء الحار وينخفض الماء البارد على هذه السنة كان لا بد أن ينزل الثلج الموجود في البحار المتجمدة إلى القاع، ويتراكم حتى السطح، وعندئذ يصبح البحر قطعة واحدة من الثلج وبهذا تتجمد الأسماك وكل حيوانات البحر وتموت .

ولكن شيئاً من ذلك لا يحدث، فالأسماك وكافة الحيوانات البحرية في المحيط المتجمد الشمالى حية ترزق وتسير وتجيء؛ ذلك لأن الخالق الرحيم قد عكس القاعدة عند نقطة فجعلها: **برودة + ماء**← زيادة في الحجم وصعود إلى أعلى **!**

ولا تعجب كيف كانت المقدمات واحدة .

برودة + ماء

فأعطت نتيجتين مختلفتين :-

1- **برودة + ماء**← نقص في حجم الماء وهبوط إلى أسفل .

2- برودة + ماء← زيادة في الحجم وصعود إلى أعلى .

ولا عجب من ذلك أبداً لأن هذا التغيير في النتيجة، كان لا بد أن يحدث لصالح حياة كل حي يعيش في البحار المتجمدة، ومع ذلك فالذي سنّ السنّة الأولى، هو سنّ السنّة الثانية لصالح كل حي يعيش في الماء، وجعل لكل من السنّتين السابقتين مجالاً تعمل فيه، فتعمل السنّة الأولى ابتداء من درجة حرارة (**4ْم**) أربع درجات مئوية وهذا المجال ليس فيه حذر على حيوانات البحر، كما تعمل السنّة الثانية ابتداء من درجة حرارة الصفر المئوي (0ْ م) إلى درجة حرارة (4ْ م) أربع درجات مئوية، وذلك مجال له أثر كبير على أحياء الماء، لأنه يجعل الثلج من أعلى والماء الرائق الدافئ عند درجة حرارة (4ْ م) من أسفل فتتحرك فيه الأحياء، وتستمر لها الحياة مهما كانت طبقات الثلج من أعلى "[1]

(1) توحيد الخالق / عبد المجيد عزيز الزنداني 2 / 37 – 39 .

المبحث الثاني: علم الطب

المطلب الأول: الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب

المطلب الثاني: علاج سيدنا أيوب

المطلب الثالث: الوضوء والوقاية من الأمراض

المطلب الرابع :النظافة والوقاية من الأمراض

المبحث الثاني: علم الطب

المطلب الأول:الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب

قال تعالى:﴿ **فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ(6)يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ(8)يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾[1]

وقال تعالى:﴿**أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(21)إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ(22)فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**﴾[2]

الآيات الكريمة تحث على النظر في الإنسان الذي خلق من ماء مهين، أطلقت عليه صفة الدافق... .

والنظرة العلمية تتطابق مع القرآن في تلك التسمية؛ حيث إن سبب تدفقه كما أوضح العلم الحديث هو تقلصات جدار الحويصلة المنوية والقناة القاذفة للمني مع تقلصات(عضلات العجان)[3] ... فتدفع بالسائل المنوي بمحتوياته من ملايين الحيوانات المنوية عبر الإحليل إلى المهبل ... .

أما الانتشار والانتصاب فسببه أيضاً أعصاب خاصة من الجهاز العصبي اللاإرادي وتدعى بنظير التعاطفي، وبواسطتها تمتلئ الأوردة الدموية الكثيفة في القضيب فتسبب الانتشار ... وهذه الأعصاب تأتي من منطقة الصلب والترائب .

ثم إن الخصية والمبيض يتكونان في هذه المنطقة بالضبط ... أي بين الصلب والترائب ثم تنزل الخصية تدريجياً حتى تصل إلى كيس الصفن (خارج الجسم). في أواخر الشهر السابع من الحمل في حين ينزل المبيض إلى الحوض في المرأة، ولا ينزل أسفل من ذلك، ومع هذا فإن تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث الأصل أي من بين الصلب والترائب، فشريان الخصية أو المبيضين يأتي من الشريان الأبهر (الأورطي البطني) من بين الصلب والترائب .

---

(1) سورة الطارق: آية / 5 – 9

(2) سورة المرسلات: 20 – 23

(3) أي عضلات أسفل الحوض ما بين فتحة الشرج والخصيتين وقيل الإست وقيل الضيب الممتد بين الخصيتين والدبر وقيل هو آخر الذكر ممدود في الجلد. ولا أرى أن هناك اختلافاً في المكان والموقع المسمى بالعِجان، انظر لسان العرب 13 / 278 ، والإفصاح في فقه اللغة / حسين موسى وعبد الفتاح الصعيدي 1 / 90 .

كما أن وريد الخصية يصب في نفس المنطقة، وكذلك أوردة المبيض وشريانها تصب في نفس المنطقة ... أي بين الصلب والترائب كما أن الأعصاب المغذية للخصية أو المبيض تأتي من المجموعة العصبية الموجودة تحت المعدة .

والأوعية اللمفاوية تصب في نفس المنطقة ... أي بين الصلب والترائب فضلاً عن ذلك كله إن الحيوانات المنوية لدى الرجل... أو البويضة لدى المرأة إنما تستقى مواد تكوينها من بين الصلب والترائب، كما أن منشأها ومبدأها هما من بين الصلب والترائب .

فالآيات اتسمت بإعجاز علمي كامل، ولا سيما حين قالت:﴿ **مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**﴾ ولم تقل من الصلب والترائب فالكلمة ﴿ **بَيْنِ**﴾ ليست بلاغية فحسب وإنما تعطي الدقة العلمية المتناهية ."[1]

وقد أخطأ الأرناؤوط عندما قال:" فلقد خلق الإنسان من ماء الرجل (السائل المنوي) المدفوع بشدة من الرجل(الذي يخرج من صلب الرجل وهي عظام الفقار في الظهر) إلى رحم المرأة (إلى البويضة التي تسبح في ماء المرأة النازل من بين عظام الصدر) (الترائب) حتى تستقر في الرحم "[2]

وقد سبقه سيد قطب بنفس القول عند تفسير الآية ونسب هذا التفسير للعلم الحديث بقوله: "ولقد كان هذا سراً مكنوناً في علم الله لا يعلمه البشر حتى كان نصف القرن الأخير حيث أطلع العلم الحديث على هذه الحقيقة بطريقته، وعرف أنه في عظام الظهر الفقارية يتكون ماء الرجل، وعظام الصدر العلوية يتكون ماء المرأة حيث يلتقيان في قرار مكين فينشأ منهما الإنسان "[3] وإني لأعجب من ذلك وقد سبق سيد الشيخ المراغي في تفسيره " تفسير المراغي"حيث يقول:"إذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا هذه الآيات التي حيرت الألباب، وذهب فيها المفسرون مذاهب شتى على قدر ما أوتي كل منهم من علم، وإن كان بعيداً عن الفهم الصحيح والرأي السديد .

ذاك أنه في الأسبوعين السادس والسابع من حياة الجنين في الرحم ينشأ ما يسمى (جسم وولف وقناته) على كل جانب من جانبي العمود الفقري، ومن جزء من هذا تنشأ الكلى وبعض الجهاز البولي، ومن جزء آخر تنشأ الخصية في الرجل والمبيض في المرأة .

---

(1) خلق الإنسان بين الطب والقرآن / محمد على البار ص 51 – 52 . ـ ط1 . ـ جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع،1400هـ – 1980 مـ، والإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 201 – 203 ، وانظر الأسودان التمر والماء / حسان شمس باشا ص 94 – 95 .

(2) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد سيد الأرناؤوط ص 275 . ـ ط1 . ـ القاهرة ، مكتبة مدبولي .

(3) في ظلال القرآن / سيد قطب 8 / 535 .

فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريباً ومقابل أسفل الضلوع ... "[1] ويسوق المراغي تفصيلاً وتوضيحاً مماثلاً لما ذكرنا سابقاً فلا حاجة للتكرار .

المطلب الثاني: علاج سيدنا أيوب

قال تعالى:﴿ **ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾[2]

توصل العلم الحديث للتفسير الاكلينيكي لكيفية شفاء النبي أيوب-عليه السلام - مما ابتلي به من أمراض، وذلك بعد دراسات مستفيضة، أجراها العلماء الغربيون في محاولة معرفة أسرار العلاج الذي ذكره القرآن الكريم في تلك الآية الكريمة .

فتوصلوا إلى أن علاجه من جميع الأمراض التي ابتلي بها، يكمن في مجرد الركض، ثم المغتسل والشراب الباردين .

ومن المعلوم أن الركض رياضة انتشرت مؤخراً في الدول المتقدمة، وينصح الأطباء المختصون هناك بممارستها؛ لأنها تنشط الأعضاء ،وتكسب الجسد المرونة؛ مما يعني أنه في أثناء أي مجهود للإنسان، تفرز كرات الدم البيضاء بمعدل أكبر، وهي التي تمثل جهاز الوقاية في جسم الإنسان مما علق به من شوائب أو ميكروبات .

وتستمر تلك الكرات البيضاء في الإفراز طوال تعرض الجسم لأي تغير في درجة حرارته، ثم تأتي للشق الثاني من العلاج القرآني وهو الاغتسال بالماء البارد، فعندما يغتسل الإنسان فإن جميع خلايا الجسد بما فيها من شرايين تعاود الانكماش بعد التمدد، وفي ذلك استجابة لما تحتاج إليه من مرونة تقيها الكثير من أمراض القلب والدورة الدموية .

أما الشق الثالث فهو شرب الماء البارد، وهو يحقق تلطيفاً لدرجة حرارة البلعوم، كما أن هذه الشربة الباردة تغسل الكليتين وتنظفها مما صب فيها من شوائب الدم، وبذلك يفرغ الجسد تماماً من الميكروبات، وترده تلك الشربة معافى قد برىء مما أصابه من مرض كما حدث لنبي الله أيوب – عليه السلام – .

ومن هنا نرى أن تلك الآية قد تضمنت إعجازاً علمياً كشف العلم الحديث عنه مؤخراً"[3]

---

(1) تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي 30 / 113 .

(2) سورة ص: آية / 42

(3) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 283 – 284 .

" 1- حكمة السعي بطلب الدواء والأخذ بالأسباب ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ فإن الله قادر على شفاء سيدنا أيوب دون الضرب برجله الأرض .

2- والحكمة البالغة التي تعتبر قاعدة للعلاج المثالي للأمراض الجلدية والتي أشارت إليها الآية الكريمة، هي إشراك العلاج الموضعي، مع العلاج عن الطريق العام، فقوله تعالى: ﴿مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾ إشارة إلى العلاج الموضعي "مثل المحاليل والكريمات" بينما قوله وشراب إشارة للعلاج بالطريق العام."[1]

أما أقوال المفسرين في الآية فسبق ذكرها في استخدام الماء في مبحث الطب.

المطلب الثالث: الوضوء والوقاية من الأمراض

قال تعالى:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ...**﴾[2]

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[3]

أثبت العلم الحديث أن الوضوء يقلل من حدوث الأورام السرطانية، التي تسببها المواد الكيميائية لأن الوضوء يكفل إزالتها قبل أن تتراكم بكميات تمكنها من النفاذ والتسرب في الجلد إلى الجسم ... فعلى سبيل المثال العاملون في صناعة البترول والكيماويات، يكونون أكثر عرضة للإصابة بسرطان الجلد، والوقاية منه تكون بإزالة تراكم الكيماويات من فوق سطح الجلد، ولا سيما الأجزاء الظاهرة من جسم الإنسان والتي تتعرض للتلوث ."[4]

ومن هنا تظهر الحكمة في آية الوضوء، وهذا هو العمل الذي يقوم به المسلم خمس مرات في الأغلب يومياً .

" فالوضوء يكفل إزالة الكيماويات من فوق سطح الجلد ويمنع من تراكمها، مما يقلل تأثيرها على خلايا الجلد الذي يؤدي على المدى البعيد إلى حدوث تغيرات سرطانية .

" وكذلك ثبت علمياً أن تأثير أشعة الشمس، ولا سيما الأشعة فوق البنفسجية، في إحداث سرطان الجلد، لا يصيب إلا الأماكن الظاهرة المعرضة لهذه الأشعة، ومن هنا كانت فائدة الوضوء وتكراره الذي يكفل ترطيب سطح الجلد بالماء، وخاصة الجزء المعرض

---

(1) مع الطب في القرآن الكريم / عبد الجميد ذياب وأحمد قرقوز ص 37 – 38 . ـ ط2 ـ . دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، 1402 هـ – 1982 مـ .

(2) سورة المائدة: آية / 6

(3) سورة البقرة: آية / 222

(4) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 93 .

للأشعة، مما يتيح لخلايا الطبقة الداخلية للجلد أن تحتمي من الآثار الضارة للتعرض لأشعة الشمس ."[1]

" هذا، وتدل الإحصائيات على أن السرطان الجلدي هو أكثر أنواع السرطان شيوعاً بين الرجال في المجتمع الغربي والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا، في حين لا يشيع ذلك في البلاد التي تدين بالإسلام برغم قوة الأشعة الشمسية فيها "[2]

وهذا ما يؤكد فضل الوضوء، كسلاح يحتمي به المسلم من موبقات هذا المرض اللعين وغيره من الأمراض ... يقول أحد الخبراء في مجال الطب الوقائي:

إن الجلد يؤدي للجسم وظيفة هامة جداً، وهي إفراز العرق الذي يحتوي على مواد دهنية وأملاح، فإذا تبخر الماء بقيت الأملاح وتراكمت على الجلد، وانسدت مسام الغدد العرقية، مما يسبب عدم أداء عملية العرق كما يجب، ووجود القذارة على الجلد مما يؤدي إلى أمراض جلدية، ولذا كانت أهمية الوضوء من غسل الوجه واليدين عدة مرات في اليوم، ونظافة الفم وغير ذلك من الأعضاء الظاهرة للجسم والمعرضة للأتربة .

يضاف إلى ذلك ما كشف عنه الطب الحديث من أن للوضوء آثاراً طبية في الوقاية من أمراض الأسنان واللثة ... فنظافة الفم والمضمضة والغرغرة بالماء أهم ما يوحي به الأطباء لتجنب العدوى من الأمراض، التي تنتشر عن طريق الجهاز التنفسي ... كالالتهاب السحائي وأمراض الشعب التنفسية .

هذه هي بعض حكم الوضوء التي أثبتها العلم الحديث "[3]

المطلب الرابع: النظافة والوقاية من الأمراض

" يغلف الجسم ستار محكم بديع يحجب الأسرار التي تجري بداخله، هذا الستار هو الجلد، وهو من أدق وأروع الآيات المحكمات الدالة على جليل صنع الله، فالجلد لا ينفذ الماء منه ولا الغازات رغم مسامه التي تساعد على إخراج الماء من داخل الجسم، فهو يخرج الماء ولا يسمح بدخوله، والجلد معرض لهجمات الميكروبات والجراثيم التي تسبح في الجو، لذلك

---

(1) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 294 .

(2) الإسلام والوقاية من بعض أمراض السرطان / حلمي حبيب الحولي (المجلة العربية يناير سنة 1985) بتصرف .

(3) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 264 ، وانظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد السيد أرناؤوط ص 273 .

يسلح بإفرازات قادرة على قتل تلك الميكروبات، أما إذا تفلتت الجراثيم واجتازت منطقة الجلد فهنا تبدأ عملية حربية منظمة يعجز الإنسان عن إدراك عضبتها "[1]

ولذلك كان لزاماً على الإنسان نظافة هذا الجلد، وكذلك ما يضع عليه من ثياب فهي التي تتعرض للقاذورات، وتمتص العرق من الجسم، ولذلك أمر القرآن الرسول ﷺ وأمته معه بقوله:﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾[2]

﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ....** ﴾[3]

﴿ **وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا** ﴾[4]

﴿**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ** ﴾[5]

إن المتأمل في آيات القرآن يجد أن أول سورة نزلت كانت تنادي بالعلم، والثانية نزلت تنادي بالنظافة، فقد جاء في السورة الأولى قوله تعالى:﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾[6] وجاءت في السورة الثانية ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ والتاريخ يثبت أن الإسلام هو أول نظام علمي عرفته الإنسانية، يأمر بالتعقيم، ويحارب التلوث؛ ألم يطلق الإسلام على كلمة تعقيم اصطلاح الطهارة[7] ؟؟ والمقصود بها خلو الشيء من الميكروبات، كما أطلق على الشيء الملوث، أو الحامل للميكروبات كلمة نجاسة، ثم لم يترك الإسلام كلمة النجاسة مطلقة دون تعريف أو تحديد، بل لقد اتبع الأسلوب العلمي فحددها بثلاث عشرة مادة: وهي ما يعرف في عصرنا الحديث بالمواد الوسيطة أو الناقلة للميكروب، ومن هذه المواد: القيح أو الصديد، البراز، والدم المسفوح، والبول، والقيء، ولعاب الكلب، ولحم الخنزير، وكل شيء عفن كبقايا الحيوان الميت.

---

(1) معجزة القرآن / نعمت صدقي ، ص 179 . ــ ط2 ــ . القاهرة، دار الإعتصام 1398 هـ - 1978 مـ ، وانظر إعجاز القرآن في خلق الإنسان / محمد كامل عبد العزيز ، ص 218 . ــ بدون طبعة ــ . القاهرة ، مكتبة القرآن ، دون سنة نشر .

(2) سورة المدثر: آية / 4

(3) سورة المائدة: آية / 6

(4) سورة النساء: آية / 43

(5) سورة الأنفال: آية / 11

(6) سورة العلق: آية / 1

(7) هذا الكلام على سبيل المجاز وليس المقصود الإصطلاح الشرعي الفقهي ولعله ويقصد التطهير من الميكروبات " وهو المقصود بالتعقيم أي قتل الميكروبات والجراثيم الموجودة في الشيء المعقم وأي كائن حي." انظر الموسوعة العربية الميسرة / مجموعة من العلماء، دار الشعب ص 533 .

وقد أثبت العلم الحديث أن جميع هذه المواد هي وسط صالح لنمو الميكروبات وتكاثرها .

ومن حكمة التشريع الإسلامي، أن يقرر أنّ أي مادة من هذه المواد إذا أصابت أي شيء: مثل ثوب الإنسان، أو جسمه، أو طعامه، أو شرابه، أو المكان الذي يجلس فيه أو يسير عليه، يكون هذا الشيء قد تنجس، (*أي تلوث بهذه المواد الناقلة للأمراض*) ولا بد من أن يتطهر بإزالة النجاسة ... ويشترط الإسلام للتأكد من إزالة هذه النجاسة أن تزيل لون النجاسة ورائحتها أيضاً، وبذلك يكون الإسلام أول من نبه إلى أن تغير لون الطعام أو رائحته أو طعمه، دليل على وجود الميكروبات الحية الفعالة فيه. وبهذا يكون نجساً في نظر الدين أي ملوثاً في نظر الطب الحديث. وكثيراً ما يشير القرآن إلى النجاسة والميكروب بكلمة الرجس ﴿**قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ**﴾[1]

ويشير إلى الطهارة أي التخلص من الميكروبات (الأوساخ والجنابة) بالغسيل بالماء الجاري بقوله:﴿ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ....**﴾[2]ومن هنا كان الإسلام هو أول نظام عرفته الإنسانية، يشير بإشارة واضحة وصريحة إلى الطهارة من هذه النجاسات، والتخلص منها بالغسل والوضوء وطهارة الثياب كما مر في الآيات السابقة."[3]

ومن الفوائد الصحية للطهارة لا سيما بعد الجماع ما يأتي:

1- تنشيط الجسم وبث الحيوية فيه بعد الخمولة .
2- تخفيف الاحتقان الدموي في الجلد والأعضاء التناسلية .
3- عملية الاغتسال جهد عضلي تنشط القلب والدورة الدموية، كما تنشط العضلات الإرادية بشكل عام .
4- تخليص الجسم من الأدران العالقة به .
5- الاغتسال يؤمن وظائف الجلد العديدة والتي أهمها نقل الإحساسات وتنظيم الحرارة وحماية الجسم .[4]

---

(1) سورة الأنعام: آية / 145

(2) سورة الأنفال: آية / 11

(3) انظر الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 287 – 288 .

(4) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / عبد السلام حمدان اللوح ص 219 ، وانظر مع الطب في القرآن الكريم / عبد الحميد ذياب وأحمد قرقوز ص 121 – 123 بإختصار ، وانظر روح الدين الإسلامي / عفيف عبد الفتاح طبارة ص 432 . ـ ط12 . ـ بيروت ، دار العلم للملايين، 1394 هـ – 1974 مـ .

المبحث الثالث: علم الزراعة

المطلب الأول: الزراعة في الأرض المرتفعة

المطلب الثاني: الري الطبيعي الصناعي

المطلب الثالث: حقيقتان علميتان

المطلب الرابع: سنة الله في الإنبات

المطلب الخامس: التلقيح والتزاوج

المطلب الأول: الزراعة في الأرض المرتفعة

النبات عالم قائم بذاته، ما زال العلماء مجتهدين في دراسته وفي كل يوم يقطعون في كشف خصائصه أشواطاً شاسعة ... وينبت النبات عموماً من بذرة تتوافر فيها خصائص وتتوافر لها ظروف خاصة. مثل توفر الماء الضروري للإنبات، والحرارة المناسبة والإضاءة المناسبة، والهواء أيضاً ضروري للنبات.[1]

ومن الحقائق العلمية في عالم النبات وزراعته وريه ما توصل إليه العلم الحديث بعد أبحاث واستقراء وتجارب عديدة أخضعت فيها أراضٍ متنوعة الارتفاع للدراسة وتوصل العلم إلى ما أَقرَّه القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان منزلاً على نبي ليس بعالم نبات ولا زراعة بل يوحى إليه من الحكيم العليم. قال تعالى:﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[2]

تفسير الآية:

والمثل المضروب فيها سيتناوله الباحث إن شاء الله في الفصل القادم**(الماء في المثل القرآني)** أما ما قاله العلماء في الإعجاز العلمي لهذه الآية فهو الذي أبينه هنا.

" إن لفظ ﴿**رَبْوَةٍ**﴾ في الآية الكريمة ما وضع إلا لحكمة سامية، ذلك أن الجنّات التي تنشأ في تربة تعلو بنسبة كافية عن مستوى الماء والأرض، يجد المجموع الجذري لأشجارها، متسعاً للنمو والتعمق، والامتداد في الأرض، خاصة أن جذور أشجار الفاكهة تنزل إلى الأعماق أكثر من التي تنزل إليها جذور نباتات الحاصلات، وبذلك يتضاعف عدد شعيراتها الماصة، فتقوى على امتصاص أكبر كمية لازمة لتغذية سيقانها ومجموعها الجذري، على وجه عام وبذلك يتضاعف محصولها ويبارك الله في ثمارها .

وهذا بخلاف البساتين، التي تتزرع في تربة مستوى الماء الأرضي فيها قريب من سطح الأرض؛ إذ إنه في هذه الحالة تنعدم التهوية الكافية في منطقة الجذور، فيختنق الكثير منها ويموت، فتضعف الأشجار، ويزيدها ضعفاً عدم استطاعة هذه الجذور أن تمتد امتداداً

---

(1) الله والعلم الحديث / عبد الرازق نوفل ص 76 . ــ ط1 . ــ القاهرة وبيروت ، دار الشرق، 1410 هــ – 1990 مــ ، بتصرف ، وانظر من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية / موسى الخطيب ص 230 . ــ ط1 ــ . القاهرة ، مؤسسة الخليج العربي ، 1994 مــ .

(2) سورة البقرة: آية / 265 .

حراً في التربة من أجل هذا كان من الواجب على من أراد أن ينشىء بستاناً، أن يلاحظ ارتفاع الماء الأرضي نحو متر ونصف المتر دون سطح الأرض"[1]

وخلاصة القول هنا أن النبات المزروع على أرض مرتفعة بحيث يكون مجموعه الجذري بعيد عن مستوى الماء الأرضي، يثمر أكثر ويتضاعف انتاجه خاصة البساتين . وأما إن كان الماء الأرضي قريباً من الجذر، فإنه يمنع عنه التهوية الأرضية، الموجودة في التربة ويتضرر النبات، ويصيبه الأمراض وكذلك قد يموت .

ومن هنا يظهر الإعجاز القرآني في كلمة ﴿ **بِرَبْوَةٍ**﴾ في إشارة قرآنية إلى الزراعة في الأرض المرتفعة. كي يكون الإنتاج أوفر وأحسن .

أما الإعجاز العلمي في الوابل والطل فهو في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: الري الطبيعي والري الصناعي

ذكر القرآن الأسلوب البدائي في السقي وهو بالبقر والسواقي حيث قال في سورة البقرة﴿ **إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ**﴾[2]

" أي أنها ليست مذللة بالحراثة ولا معدة للسقي في الساقية "[3] وهذه إشارة إلى طريقة استخراج الماء من النهر والسقي، وهذا يحتاج إلى طاقة أكبر وكذلك إلى جهد آدمي وحيواني كبير، ثم يأتي الزمان وتتطور السواقي ليحل محلها الآلات الحديثة في الري، مع ظهور البترول وبعده الكهرباء، حتى أصبح من وسائل الري السقي بالرش، ثم جاء أسلوب آخر وهو التنقيط، وهذا مما يشبه في ريه الوابل والطل .[4]

هذا جانب يتحدث عن تطور الري، حتى وصل إلى ما جاء في القرآن من أسلوب للري. أما بيان الحقائق العلمية والفائدة المرجوة من هذا الأمر فهو" أن الأشجار التي تُروى بماء السماء، خاصة الوابل الضخم القطر، الذي ينزل إلى باطن الأرض، يحث الجذور على التعمق في التربة، بخلاف الأشجار التي تُرْوَى رياّ صناعياً خفيفاً متكرراً، وكما هو الحال في مصر- فيصبح أكثر جذورها قريبة من سطح الأرض فتتزاحم وتتعرض للعطش إذا ما جفت الطبقة السطحية من التربة، مما قد يؤثر تأثيراً كبيراً على مجموعها الخضري .[5]

---

(1) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 133 – 134 ، وانظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد السيد أرناؤوط ص 256 .

(2) سورة البقرة: آية / 71 .

(3) تفسير ابن كثير 1 / 112 .

(4) نظرات في الكون والقرآن / عبد الهادي ناصر ص 310 .

(5) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 135 .

هذه حقيقة توصل إليها العلماء من خلال الري الطبيعي بالمطر والوابل خاصة، وكذلك بالري الصناعي القليل المنقطع، فالأول يعطي ثماراً أكثر والثاني أقل .

وهنالك حقيقة علمية تحتاج إلى المعمل والتحليل والدراسة العلمية المستيقظة " وهي أن الوابل أثناء نزوله من السماء، ومروره في الغلاف الجوي للأرض، يذيب في طريقه مواد هامة صالحة لتغذية النبات والأشجار، مزيدة في درجة خصوبتها إلى درجة محسوسة جداً، وتقدر المادة الجافة منها في اللتر الواحد بنحو عشرين إلى خمسين ملليجراماً نصفها بالتقريب مواد عضوية، والنصف الآخر مواد غير عضوية ."(1)

ويمكنك أن تحسب مقدار ما يصل إلى الأشجار من هذه المواد إذا علمت أن شجرة التفاح البالغة الناضجة تحتاج في السنة الواحدة إلى نحو 17.5 طناً من الماء وأن الفدان الذي يحتوي على نحو أربعين شجرة يحتاج إلى 700 طن من الماء ... "(2)

" ومن المواد التي يذيبها الوابل في الهواء في طريقه إلى الأرض، ويمد بها البستان جزيئات دقيقة من الحديد الذي لا غنى عنه، لتكوين الكلوروفيل، والمساعدة على إجراء عمليتي الأكسدة والاختزال داخل خلايا النبات، ومحتويات نشادرية، وأحماض النيتريك والنيتروز والفسفوريك، والفسفوروز، ومحتويات أخرى "(3)

وهذا الخير الكثير الموجود في المطر الوابل النازل من السماء، لا نجده في الري الصناعي بالرش أو أي وسائل أخرى؛ لما في ماء السماء من بركة تزيد الأرض خصوبة .

المطلب الثالث: حقيقتان علميتان

الأولى: " إن الوابل فضلاً عن أنه يمد الأشجار بالماء الكافي لازدهارها، فإنه كذلك يغسلها وينظفها، ويزيل ما قد تراكم عليها من غبار كما يزيل من على أوراقها كل ما قد يكون، كذلك من شأنه أن يعطل " النتح الأديمي " من أوراقها. أو يسد فوهات هذه الأوراق، فيعوق المورقة عن أداء وظائفها الأخرى من " نتح فوهي" وتمثيل ضوئي وتنفس وغيره .

وبهذا يتآزر عاملا زراعة البستان بربوة، وسقيه بالوابل، في مضاعفة ثمارها وزيادة حجمها وحلاوتها بالنسبة إلى البستان الآخر، الذي لم يتوافر له هذان العاملان "(4)

---

(1) أسلوب الزراعة العلمية في القرآن الكريم / محمد عيسى مراد عن المرجع السابق ص 135 .

(2) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 135 .

(3) إسلوب الزراعة العلمية في القرآن الكريم / محمد عيسى مراد عن المرجع السابق ص 135 .

(4) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 136 .

وهكذا يبين الله تعالى لنا من الحقائق العلمية القرآنية، ما يزيد في ثقافتنا النباتية والزراعية، ويدعونا للدراسة والتأمل من خلال ما يدلنا عليه من إشارات في آياته الكريمة، حتى يستغل الإنسان أرضه أحسن استغلال، وبمواصفات علمية تتناسب مع متطلبات النبات، والذي يعود على الإنسان بالخير .

الثانية: قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ ...**﴾[1] " أنظر في قوله تعالى:﴿ **فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ**﴾

وبالنظر إلى سر هذا النظم، الذي جعل اختلاط نبات الأرض بالماء، ولم يجعل اختلاط الماء بالنبات ... هكذا :﴿ **فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ**﴾ على ما يقتضيه مفهوم النظر الإنساني لهذه الظاهرة ... فالماء هو الذي يختلط بنبات الأرض، ويسري في كيانه، فيبعث فيه الحياة، ويخرجه من عالم الموات، هكذا نرى، وهكذا نقدر !

ولكن عين المقدرة ترى مالا نرى، وتعلم مالا نعلم !

وهنا ينشأ سؤال أيهما المختلط وأيهما المختلط به ؟

وبالنظر إلى كلمات الآية الكريمة نجد أن المراد بالنبات هنا، هو نبات الأرض، أي بذرة النبات التي تُغرس في الأرض، لا النبات حين يكون نباتاً، فإنه في تلك الحال، لا يكون مجرد نبات، بل هو الماء والنبات معاً، وأن لقاءً قد كان بين الماء وبذرة النبات حتى أصبح نباتاً، وإلا فهو بذرة، أو حبة، وليس نباتاً .

وإذا تقرر هذا فلنجب على هذا السؤال: ماذا يحدث من التقاء الماء بالبذرة أو الحبة ؟ البذرة أو الحبة التي تقلبها بين يديك، ليست شيئاً ميتاً –كما يبدو لنا– بل هي كائن حي، يحتفظ في كيانه بكل عناصر الحياة، التي تنتظر من يثيرها، ويدفع بها إلى الظهور وذلك لا يكون إلا بأمرين:

الأول: غرسها في الأرض .

ثانيها: وصول الماء إليها، وتحول شراب الأرض إلى طين بهذا الماء هنا تبدأ الحياة الكامنة في البذرة، أو الحبة فتتحرك، وتأخذ طريقها إلى الماء المختلط بالتراب، أعني الطين، فتجذبه إليها، وتفتح له الطريق إلى الحياة الكامنة فيها، وتأخذ منه ما يروي ظمأها إلى الحياة، وإلى الإعلان عن وجودها، وإظهار آيات الخالق التي ائتمنها عليها .

فالبذرة أو النبتة إذن هي الطالبة للحياة، والمهيئة لها، والمتشوقة إليها، وما الماء، والتراب، وما الطين إلا عناصر مساعدة .

---

(1) سورة يونس: آية / 24

فالحبة إذن هي الداعية لتلك العناصر، الطالبة للاختلاط بها ومن هنا جاء النظم القرآني ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ**﴾!!

وبعد هذا التوضيح نعرف سر هذا النظم، الذي أسند الاختلاط بالماء إلى البذرة أو الحبة، والذي لو جاء على عكس هذا، فأسند الاختلاط بالحبة إلى الماء، لكان خطأً علمياً، يناقض ما كشف عنه علم الأحياء اليوم "[1]

المطلب الرابع: سنة الله في الإنبات

إن لله سنة في الإنبات، وبث الحياة في الموات فهو سبحانه القائل ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾[2]

وجاء في القرآن آيات كثيرة تتحدث عن الإنبات، وخروج الزرع من الأرض، ووصف هذه الظاهرة بدقة لم يدرك البشر حقيقتها ومعرفة كنهها، إلا في زمن قريب، وسوف أتعرض إلى بعض هذه الآيات، وهذه الحقائق العلمية التي وراء هذه الآيات .

1- ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾

" قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**﴾ وخلق الحب والنوى ثلاث كلمات تعطي معاني علمية كثيرة جداً، فالفلق أولاً يوحي بالتفجير والتكسير والتحطيم، وقد أثبت علماء النبات أن الطاقة اللازمة لتكسير قشور البذور المختلفة أثناء الإنبات، طاقة ضخمة جداً توازي أحياناً الطاقة الانفجارية للمتفجرات، وذلك نتيجة الشراهة المخيفة للبذور لامتصاص الماء والزيادة الشديدة في حجم البذور، مما يؤدي لتشقق القصرة. وهناك تجربة عملية بسيطة يمكن أن تجريها بنفسك، وهي أن تملأ زجاجة صغيرة ببذور الفول الجافة مثلاً، ثم تضيف إليها الماء الكافي وتغلقها، فسوف تلاحظ غالباً تكسر الزجاجة وتحطمها، نتيجة لزيادة الضغط داخلها، زيادة هائلة؛ نتيجة لزيادة حجم البذور بشدة، إذن فكلمة الفلق هي الكلمة العلمية واللغوية الصحيحة والمناسبة، لوصف الطاقة المستخدمة في الانبات،وعنف تكسير قصرة البذور.

ونأتي (للحب والنوى) والله حين أوردهما كلفظين مختلفين في الآية، فهو ليس يكرر معنى واحد فقط مترادفات لكلمة بذور، إنما يعطي إعجازاً علمياً سابقاً لأوانه، بقرون طويلة

---

(1) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 11 / 990 .

(2) سورة الأنعام: آية / 95

جداً إن هناك اختلافات علمية فسيولوجية، وتشريحية، وتقسيمية بين الحب والنوى. ليس هذا فحسب بل إن هناك اختلافات علمية دقيقة، في ترتيب ميكانيكية الفلق والإنبات بين النوعين ومن ذلك نخلص إلى أنه عندما يورد القرآن لفظي الحب والنوى في سياق موضوع الفلق والإنبات، يكون قد سبق ما تعرف عليه أخيراً علم فسيولوجيا النبات بأكثر من ألف سنة .
وحتى لا يظن أن كلمة (يخرج) الأولى مثل (الإخراج) الثانية قال: فخرج حتى يدلل على أن هذه العملية غير تلك، فالأولى إنبات، والثانية ليس كذلك، بل هي إخراج الثمر أو الحبوب اليابسة من الشجر الأخضر، فكان اللفظ على بلاغته اللغوية معجزاً علمياً كذلك "[1]
وجاء ذلك مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(25)ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا(26)فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28)وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً(29)وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30)وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(31)مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ**﴾[2]

فجمع في الآية إنبات كل من الحب والنوى كالفاكهة والزيتون والنخل. وآيات القرآن تفسر بعضها بعضاً، وفي هذه الآية كذلك من الإعجاز العلمي كما في سابقتها من سنة الله في الإنبات، من صب الماء وشق الأرض وخروج الزرع من حب ونوى، وأسوق مثالاً آخر لتوضيح ما يحدث في عملية الإنبات علمياً .

2- قال تعالى:﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِله مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾[3]

" يبين الله سبحانه وتعالى للعباد أن من عظمته وقدرته، إنزال الماء من السماء، فينبت به الزرع، وهذا الزرع يعطي الشجر، والشجر يعطي الثمر، وقد بين الله سبحانه وتعالى في الآية العظيمة ﴿ **مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا**﴾ فعملية الإنبات هذه من عظائم قدرة الله في الكون، وقد ربطت الآية بين الماء والإنبات، فالماء شرط ضروري وأساس للإنبات، وقد تظل البذرة أو الحبة في التربة سنوات عدة لا تنبت، ولا تتحرك إلى أن ينزل عليها الماء، فتبدأ العملية العجيبة عملية الإنبات التي قد يجريها طفل بوضع بذور فوق القطن المبلل بالماء، وهو لا يدري أنه قام بعملية من أعقد العمليات وأعجبها إذا سقط الماء على البذرة أو الحبة تشربت الماء بفعل قوى التشرب ذات القوانين الرياضية الدقيقة، وهذه القوى وضعها الله سبحانه وتعالى في غلاف البذرة أو الحبة، فإذا كان الغلاف غير منفذ للماء لا يصل الماء الجنين ولا تنبت البذور، وبعض البذور فعلاً ذات قصرة صلبة غير منفذة للماء

---

(1) الجديد في المنظور العلمي للقرآن المجيد / إسلام الشبراوي ص 285 – 287 ، وانظر الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 142 ، ومعجزة القرآن / نعمت صدقي ص 61 .
(2) سورة عبس: آية / 25 – 32
(3) سورة النمل: آية / 60

تماماً (كالخروع)، ولكن الله سبحانه وتعالى الذي أحسن كل شيء خلقه، زود هذه البذرة بثقب في مقدمة الحبة، هذا الثقب محاط بتركيب إسفنجي يتشرب الماء بسرعة، فينفذ الماء من الثقب ويصل إلى الجنين، هل هذا التركيب الإسفنجي خلق بالصدفة وبدون خالق ؟!!! أو خلق بقوى لا تعقل ؟! ولا تعي ؟! ولا تفكر ؟! "[1]

إن الخالق هو الذي يعلم ما الذي يحدث تحت الأرض من إنبات وسر هذا الإنبات فالآية دليل على قدرة الله وصدق رسالة نبيه – عليه السلام – وما جاء من شرح لما يحدث مع البذرة أو الحبة من انتفاخ وانبات زيادة توضيح للمثال السابق .

3- اهتزت وربت

قال تعالى:﴿ **وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]

هذه الآية العظيمة الشأن، العالية القدر من آيات القرآن العظيم، ساقها الله سبحانه وتعالى إلى عباده المؤمنين، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم. ويسوق المولى عز وجل هذه الآية للمعاندين والعَلْمانيين والدهريين والشيوعيين والملاحدة حتى يعجزهم ويبهتهم ، فعندما أراد المولى عز وجل أن يظهر قدرته على إحياء الموتى ضرب لهم مثلاً يتم كل يوم ... وكل ساعة وكل لحظة هذا المثل هو إحياء الأرض بالماء، فالآية تقول إنك ترى الأرض يابسة قاحلة ساكنة، فكل ما فيها ساكن لا يتحرك، وكل سكانها وكائناتها محكوم عليها بالموت والهلاك، إذا لم ينزل عليها الماء ... البكتيريا، الفطريات، الطحالب، البذور، السيقان الأرضية، البصلات ... حويصلات الديدان، بويضات الحشرات، كل هذه التراكيب تعيش تحت الأرض في سباتٍ عميق ساكنة هاجعة لا تتحرك، وتأخذ أقل حجم لها، وأقل مساحة ممكنة، تنخفض العمليات الحيوية إلى أقل معدل، في حياة الكائنات الحية الموجودة بها، حتى جزيئات التربة نفسها ومكوناتها المعدنية والآيونية، وكل شيء في التربة يأخذ أقل حيز ممكن وتتشقق التربة، وتصبح الأرض هامدة ساكنة، سكوناً يشابه سكون الغيور .

انظر إلى هذه الأرض القاحلة المتماسكة الجزيئات، إذا لم ينزل عليها المطر فإنها تظل هكذا، إلى أن تأتي اللحظة الحاسمة إشارة البدء الإلهية العجيبة ﴿ **فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ تبدأ الحركات العجيبة، تهتز الأرض فعلاً، تبدأ الحويصلات الساكنة في

---

(1) إعجاز النبات في القرآن الكريم / نظمي خليل أبو العطا ص 61 – 62 . ـ ط1. ـ بيروت ، مكتبة النور القاهرة .

(2) سورة الحج: آية / 5 – 6

الإنبات والحركة. الجراثيم الموجودة تنبت وتتحرك، حويصلات الديدان وبويضاتها تنشط وتتحرك، البصلات والدرنات والسيقان الأرضية، الحبوب والبذور، ملايين الكائنات تسري فيها الحياة فتتحرك الأرض وتهتز، هذا المنظر البديع المعجز يصوره ربنا سبحانه وتعالى فيقول:﴿ **اهْتَزَّتْ**﴾ وتبدأ عمليات الانقسام وامتصاص الماء، وتحلل الغذاء المعقد إلى وحدات أقل ارتباطاً وأكثر عدداً وحجماً، وتبدأ عملية تأيّن عجيبة في جزيئات التربة، وتتجمع المياه حول جزيئات التربة، وتنشط الديدان الأرضية في شق الأنفاق الأرضية وابتلاع كميات من التربة المتلاصقة وإخراجها بعد ذلك مفككة، وبهذا تزداد التربة في الحجم وتربو أي تزداد وتنتفخ، وهذا المشهد طالما شاهدنا صورة مصغرة عنه عند وضع الخميرة في العجين، تبدأ الخميرة في نشاطها الحيوي، ويزداد حجم العجين حتى يفيض من الإناء، وهذه عملية واحدة من آلاف العمليات المشابهة التي تحدث في التربة عندما يسقط عليها الماء ﴿ **اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾

ولولا نزول الماء فيها واهتزازها والزيادة في الحجم، ما أصبحت هذه التربة حية، بل تظل ميتة غير صالحة للزراعة "[1]

وما كان ﷺ من علماء الأحياء والنبات ولكنه رسول الله الموحى إليه بهذا القرآن المعجز .

المطلب الخامس: التلقيح والتزاوج

إن القرآن تحدث عن التلقيح في النبات والتزاوج الذي يحدث بين هذه النباتات المذكرة منها والمؤنثة أو الخنثى، التي تحوي أعضاء التذكير والتأنيث معاً في زهرة واحدة، والزهور هي أعضاء التزاوج والتلقيح في النباتات .

قال تعالى:﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾[2] وقال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى**﴾[3] وقال عز وجل ﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾[4]

---

(1) إعجاز النبات في القرآن الكريم / نظمي خليل أبو العطا ص 49 – 50 ، وانظر معجزة القرآن / نعمت صدقي ص 59 والقرآن والكون / محمد عبد الله الشرقاوي . – ط3 – . بيروت ، دار الجيل 1411 هـ – 1991 مـ.

(2) سورة الحجر: آية / 22

(3) سورة طه: آية / 53

(4) سورة لقمان: آية / 10

من إعجاز القرآن أيضاً الإعلان عن نظرية التلقيح والتزاوج بين الذكورة والأنوثة في النباتات، كما هي سنة الحياة في البشر والحيوان والطير ... وإذا كانت الحياة في النبات تبدأ هي الأخرى كجنين صغير تحتضنه الحبة أو النواة، وتختزن له من الغذاء ما يكفيه أثناء النمو والإنبات .

وتبقى الأجنة ساكنة هادئة حتى تضمها الأرض، وتتهيأ لها الظروف المناسبة من حرارة وماء، فينطلق الحب والنوى وينمو الجنين .

وإذا اكتمل نمو النبات، ووصل به السن إلى البلوغ، تفتحت الأزهار، وأينعت ثماره .

ويقرر العلم الحديث أن أزهار النباتات على اختلاف أنواعها تنقسم ثلاثة أقسام: أزهار مذكرة، وأزهار مؤنثة، وأزهار خنثى تجمع الناحيتين من عضو التذكير والتأنيث معاً، ومن الأمثلة الموضحة لذلك النخيل، فمنه نوع مذكر وآخر مؤنث، ونبات الذرة يحمل في وقت واحد أزهاراً مذكرة وأخرى مؤنثة ."[1]

وهنالك صور غريبة ومثيرة للكيفية التي يتم فيها اللقاح بين الذكر والأنثى ومن هذه الصور:

" أن هنالك كثيراً من الأزهار التي تسجن الحشرات داخلها، ومن أمثلتها الزهرة المسماة (جاء في المقصورة) .

وبهذا النبات نوعان من المجموعات الزهرية، ذكور وإناث. وهي تتكون داخل مقصورات تضيق عند منتصفها. ويتم التلقيح بواسطة ذبابة دقيقة تدخل إلى المقصورة، ولا تكاد تجتاز المنطقة الضيقة الوسطى، حتى تجد نفسها سجينة، ليس بسبب الضيق فحسب، بل بسبب تغطية الجدران الداخلية بمادة شمعية منزلقة يتعذر معها على الحشرة أن تثبت أقدامها، وعندئذ تدور الحشرة بصورة جنونية داخل المكان، فتعلق هبوات اللقح بجسمها، وبعد قليل تتصلب جوانب المقصورة بعض الشيء فتستطيع الحشرة الخروج؛ بعد أن يكون جسمها قد تقطب بهبوات اللقح. فإذا زارت الحشرة مقصورة مذكرة أخرى، تكررت العملية السابقة، أما إذا دخلت مقصورة أنثى فإنها تسجن في داخلها سجناً دائماً حتى تموت هي، وعند محاولتها اليائسة للخروج، تقوم بتلقيح الأزهار الأنثى. إن النبات في هذه الحالة لا يهتم بخروج الحشرة لأنها تكون قد أدّت رسالتها ."[2]

---

(1) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد 138 – 139 .

(2) الله يتجلى في عصر العلم / مجموعة من الباحثين والعلماء الأمريكيين؛ ترجمة الدمرواش سرحان؛ تعليق محمد جمال الدين الفندي، ص 48 . ـ ط3 ـ . القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 1968م .

والزهرة هي عضو النبات المنوط بالتكاثر، ففيها أعضاء التذكير والتأنيث ... وللتلقيح في هذه الأزهار طرق عديدة منها:

ما يقوم به الإنسان كما في النخيل، ومنها ما تقوم به الحشرات، ومنها ما يقوم به الريح أو الهواء؛ لأن أعضاءها التناسلية معرضة للهواء، فتطول خيوط الأَسْدية وتستدق وتكبر المتك، وتتدلى خارج الزهرة، حتى يسهل حملها بالهواء إلى المياسم التي أعدتها هي الأخرى لهذا اللقاء .

فإذا ما قام الهواء بنصيبه وسقطت حبة اللقاح على الميسم، التصقت به، وبرزت منها أنبوبة تعرف بأنبوبة اللقاح التي لا تلبث أن تنمو وتخترق أنسجة الميسم والقلم، حتى تصل إلى المبيض حيث توجد البويضات، ويتم تلقيح البويضة... تلك هي التي أشار إليها القرآن في قوله:﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾ مما يعد إعجازاً علمياً يشهد لهذا الكتاب الحكيم ."[1]

وهكذا نجد القرآن نبه وأشار إلى التزاوج الحادث في النبات وكذلك عمل الرياح منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان. فسبحان منزل الكتاب العليم ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[2]

---

(1) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 140 ، وانظر القرآن والكون / محمد عبد الله الشرقاوي ص 108 – 110 ، وانظر الإعجاز العلمي في القرآن / السيد الجميلي ص77 . ـــ ط1 ــ . بيروت ، دار الفكر العربي 1990 م ، وانظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم / موريس بوكاي ص 189 – 190 . ــ ط1 ــ . دار الفتح للإعلام العربي 1417 هـ – 1997 م ، وانظر إعجاز النبات في القرآن الكريم / نظمي خليل أبو العطا ص 73 – 77 ، وانظر المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم / سعد الدين السيد صالح ص 214 – 215 . – ط2 – . القاهرة ، دار المعارف، 1993 م .

(2) سورة الملك: آية / 14

المبحث الرابع: علم الأرض

المطلب الأول: الحياة على الأرض دون الكواكب

المطلب الثاني: تكوين الماء على الأرض

المطلب الثالث: نفاذية الأرض

المطلب الرابع: تفجير المياه من الحجارة

المطلب الخامس: الصخور الرسوبية الطبقية

المبحث الرابع: علم الأرض

المطلب الأول:الحياة على الأرض دون الكواكب

" من المعروف أن الأرض هي الهدية الإلهية في المجموعة الشمسية؛ لما يوجد بها من مـــاء، وهذا الماء هو سبب الحياة على الأرض؛ لأنه لا حياة لنبات أو حيوان أو إنسان بدون المـــاء، مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾(1)

والغلاف المائي للأرض (ممثلاً *في كل ما* يوجد *على سطحها من ماء البحـــار والمحيطـــات والأنهار والبحيرات، وما يتخلل فجوات الأرض وشقوقها ومنخفضاتها*) يغطـــي 71% مـــن سطح كوكب الأرض، وبعمق يبلغ في المتوسط 3800 متر، وأما السطح 29% فتكونت عليه القارات.

ومساحة الغلاف المائي أكبر من مساحة اليابس لحكمة إلهية، حتى يتم تلطيف منـــاخ الأرض بتوزيع درجات الحرارة على الأرض توزيعاً عادلاً، ولولا هـــذا لأصـــبحت فـــروق درجات الحرارة على الأرض هائلة، لدرجة لا تسمح بقيام الحياة تماماً مثل حالة القمر الخالي من الماء، والذي تصل درجة حرارته إلى درجة الغليان نهاراً، وإلى ما تحت الصفر ليلاً !

وبهذا فإن مقدار الماء على سطح الأرض ليس مقداراً عشوائياً ولكنه محسوب ومقدر بالعناية الإلهية، وصدق الله العظيم إذ يقول تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**﴾(2) ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَـــا نُنَزِّلُـــهُ إِلَّـــا بِقَـــدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾(3)(4)

" ولكن ترى لماذا اختص الخالق جل شأنه –الأرض بميزة الحياة دون سائر الكواكب الموجودة في المجموعة الشمسية ؟ وهل الحياة ممكنة فوق كوكب آخر في نظامه الشمـــسي، أو حول شموس أخرى في مجرتنا، أو في المجرات الخارجية غيـــر مجرتنـــا، تتـــوافر فـــي بعضها أحوال ملائمة للحياة من حيث النشأة والاستمرارية والتطور ؟ والجواب العلمي الثابت على هذا السؤال أنه لم يكتشف حتى يومنا هذا مقومات الحياة الموجودة علـــى الأرض فـــي عوالم الكون الأخرى، وإذا حصرنا البحث في الكواكب السيارة التي تمثل نظامنا الشمـــسي،

---

(1) سورة الأنبياء: آية / 30

(2) سورة المؤمنون: آية / 18

(3) سورة الحجر: آية / 21

(4) الكون والإعجاز العلمي للقرآن / منصور محمد حسب النبي ص 175 . – ط2– . القاهرة، دار الفكر العربي 1991 .

فإننا سنجد أن مقومات الحياة على الكواكب غير موجودة ... وهذا مـا يجعلنـا نـستنتج أن الأرض وحدها هي الصالحة للحياة، دون سائر الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية، وقد أدى هذا الاكتشاف العلمي إلى الإقرار باستبعاد مقومات الحياة على هذه الكواكـب لطبيعـة تكونها، وما ينطوي عليه هذا التكوين من عدم ملاءمة للحياة. "[1]

ولقد قرن الله القرآن بين الحياة علـى الأرض ووجـود المـاء مـع فتـق الأرض والسماوات في الآية المعجزة ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَـرُوا أَنَّ الـسَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَـا رَتْقًـا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾[2]

وقد جعل الله الماء في الأرض بعد فتقها، أو انفصالها ووهبها هذا الـسائل العجيـب الذي حرم بقية الكواكب منه؛ لذا كانت الحياة على الأرض فقط. وهنا الإعجاز القرآنـي فـي الآية الكريمة .

المطلب الثاني: تكوين الماء على الأرض

إن الماء الموجود على الأرض ليس هو الماء الأصلي الذي وجد قديما على الأرض ونقـصد بذلك أن هناك ماءً هو الأصل، أما ما يتجدد من ماء من السماء أو من باطن الأرض كالعيون وغيرها إنما هو ماء جديد والقرآن أشار إلى أصل الماء بدايةً في آية واحـدة أشـارت إلـى المصدر الأول للماء .

قال تعالى:﴿ **أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا**﴾[3] .

المعنى العلمي للآية الكريمة في ضوء العلم الحديث: وردت الآية الكريمـة ضـمن آيات سابقة لها، وآيات لاحقة، نستطيع بواسطة تلك الآيات فهم ما ترمـي إليـه هـذه الآيـة الكريمة، لقد وردت ضمن آيات تتحدث عن قضايا رئيسة كبرى، ومواضيع عن بداية خلـق ظواهر كونية كبرى وتكوينها .

نقرأ الآية ضمن الآيات السابقة واللاحقة، لنرى كيف يكون معناهـا أبعـد مـن المعنـى القريب للذهن، يقول الله تعالى:﴿ **ءَأَنْتُمْ أَشَـدُّ خَلْقًـا أَمِ الـسَّمَاءُ بَنَاهَـا(27)رَفَـعَ سَـمْكَهَا**

---

(1) مظاهر كونية في معاني قرآنية / محمد محمود عبد الله .– ط1 –. بيروت ، دار الرشيد دمشق، 1417 هـ – 1996 م ، وانظر النظرية القرآنية الكونية / سليم الجابي . – ط1 – . دمشق ، الناشر المؤلف، 1995 م .

(2) سورة الأنبياء: آية / 30

(3) سورة النازعات: آية / 31

فَسَوَّاهَا(28)وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا(29)وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(30)أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا(31)وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا(32)مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾[1]

الله تبارك وتعالى يحدثنا عن قضايا كبرى، هي بداية خلق الظواهر الكونية والأرضية الكبرى، كيف كان ذلك وكيف بدأ ؟ وليس الموضوع عن أنهار تتفجر، وعيون تنبع، بل عن الماء كيف تكون ومن أين جاء أصلاً ؟ يدلنا على ذلك أن الكلام يأتي في سياق خلق السماء، وتكوين الليل والنهار بعد خلق الأرض ودحيها، أو دحو الأرض من بعد ذلك . وكيف أرسى الله الجبال لتستقر الأرض، وتثبت من اضطرابها وزلازلها، وتفجر براكينها هنا وهناك بشكل مستمر آنذاك. في هذا السياق لا يتناسب الحديث عن الأنهار والعيون، بينما الأرض لا زالت غير مستقرة بجبالها وغير مدحوة أو ممهدة. ثم إن تفجّر الأنهار والعيون بالماء أمر – على عظم هذه الآية وأهميتها – أقل شأناً من تكوين البحار والمحيطات التي تلف الكرة الأرضية، وهي جزء من تكوينها الكبير للكوكب. فما هي الأنهار والعيون مع هذا الموضوع الكبير والقضية الكبرى، التي هي من قضايا الخلق والتكوين والتمهيد الأولى للحياة، قبل أن يتفجر أي نهر أو تنبع أي عين بالماء ؟"[2]

بعد هذا الفهم من خلال ما سبق الآية الكريمة وما لحق بها من آيات يتضح لنا ما هو المقصود بهذا الماء، ولكن لا بد من بيان الوجه العلمي والحقيقة العلمية لهذه الآية، التي توصل لها العلماء.

" الواقع الذي بينه لنا العلم الحديث عن أصل ماء الكرة الأرضية ومصدره وكيفية تكوين المحيطات والبحار،... يجعلنا نطمئن إلى القول بأن ما ورد في قوله تعالى:﴿ **أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا**﴾ إنما يراد به –والله أعلم بمراده– أصل الماء ومصدره بكل صوره وأشكاله على سطح الكرة الأرضية وهو باطن الأرض المنصهر، وسواء كان تكوّنها عن طريق انبعاث البخار، الذي خرج من باطن الأرض مع المقذوفات البركانية، ثم تكثف بعد برودة جو الأرض وسطحها، أو عن طريق تسرب البخار من باطن الأرض، عبر مسام القشرة الأرضية كما تقول أحدث النظريات العلمية .

وبعد، فهذه الدراسة لم تسهم بأكثر من إبراز ما تعنيه تلك الآية، فيما يتعلق بأصل الماء على الكرة الأرضية. وتوجيه الانتباه إلى المعجزة الإلهية في هذه الآية الكريمة ."[3]

---

(1) سورة النازعات: آية / 27 – 33

(2) أصل مياه المحيطات في القرآن الكريم / صقر علي العمري (مقال في مجلة المنهل) شوال – ذو القعدة – 1417 هـ– فبراير – مارس 1997 مـ .

(3) المصدر السابق .

وكان الماء ممزوجاً بكل المواد الأخرى عند خلق الأرض، التي نستطيع أن نمثلها بإسفنج مملوء ماءً، ولما تكورت الأرض على نفسها بسبب القوى الجاذبية، ودحاها الله سبحانه وتعالى وانهارت المادة المكونة للأرض بعضها على بعض- مثلما تنضغط الإسفنجة بأيدينا وهي مملوءة بالماء – خرج الماء منها وبقي على سطح الأرض ... فتكونت البحار والمحيطات وما زال الماء يخرج منها على شكل ماء معدني، وهو الماء الذي تكون منذ خلق الأرض أي منذ 4.5 مليار من السنوات .

" ولفظ معدني تدل على أنه ماء عتيق، مثل المعادن الأخرى التي تكونت عند خلق الأرض..."[1]

المطلب الثالث: نفاذية الأرض

قال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** ﴾[2]

إن هذه الآية الكريمة تشير إلى معاني علمية عظيمة، تعد في حد ذاتها إعجازاً علمياً وسبقاً قرآنياً يتجلى في عدة كلمات في الآية.﴿ **فَأَسْكَنَّاهُ** ﴾ وقوله:﴿ **وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** ﴾ ومن هذه الدلائل العلمية:

أولاً: إن إسكان الماء يعني استقرارهُ في اتزانه، سواء أكان هذا الماء على ظهر الأرض، في البحار والمحيطات والأنهار، أم غير ذلك من مسطحات مائية، وسواء تسرب هذا الماء إلى باطن الأرض ليكوّن المياه الجوفية، أو استقرّ في أحواض شاسعة تحت سطح الأرض، كالتي توجد تحت الصحراء الغربية الليبية، والتي كشفت البحوث الحديثة عن أصلها القديم، وقد تعتري مثل التراكيب الجيولوجية فتذهب بها وبما بها من ماء إلى أمكنة أخرى، فتحيي أرض الصحراء الميتة إذا سيق الماء إليها ... ومن ذلك يتجلى لنا الإعجاز العلمي في قوله تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ**

---

(1) وجعلنا من الماء كل شيء حي / محمد عبد الله الشرقاوي (عن مجلة هذه سبيلي مجلة علمية تصدر عن معهد الدعوة الإسلامية العدد الرابع – 1402 هـ – 1982 م ، والقرآن والكون / محمد عبد الله الشرقاوي ص 85 – 86 أيضاً ، وانظر تأملات في خلق السموات والأرض / أشرف فوزي البارودي -– ط1 –. القاهرة ، دار الكتاب الحديث 1420 هـ – 2000 م.

(2) سورة المؤمنون: آية / 18

أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾[1] [2]

وذلك من خلال الثورات الجيولوجية التي تحدث إزاحة في الصخور، فتختلف مستويات الأرض، مما يرحل الماء الجوفي من مناطق إلى أخرى، وهذا قمة الإعجاز في هذه الآية في سورة السجدة .

ثانياً: إن لفظة (الإسكان) تعني أنه لا بد من وجود الفراغ الذي يمكن أن تستغله المياه، وفي حالة المياه الجوفية، فإن هذا الفراغ ما هو إلا المسام الموجودة بين الصخور .

ثالثاً: إنه لا بد من وجود مسارات بين الصخور، يمكن أن ينساب خلالها الماء، وإمكان حدوث الثورات الجيولوجية، أو حدوث صدوع والتواءات في قشرة الأرض، مما يؤدي إلى هجرة المياه الجوفية في الطبقات الصخرية الرسوبية إلى مسافات طويلة بحيث تصبح هذه المياه غائرة في الأرض، فلا يمكن للإنسان أن يصل إليها بأدواته أو آلته ومن ذلك يتجلى لنا الإعجاز العلمي في قوله تعالى:﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾[3] وقوله تعالى:﴿ **أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا**﴾[4]"[5]

المطلب الرابع: تفجير المياه من الحجارة

قال تعالى:﴿ **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ**﴾[6]

" أثبتت البحوث الجيولوجية أن الحجارة قد تتأثر وتتفاعل تحت ظروف خاصة، تقوم بعمليات من التفاعل بينها في باطن الأرض الحار جداً، ينتج عن هذا التفاعل تفجر الماء منها كنتيجة للتفاعل حيث يدخل في تركيبها عنصرا الأيدروجين والأكسجين، ومن حرارة التفاعل الهائل ينتج هذا الماء الذي يخرج من طبقات الأرض ومن بين الصخور كذلك. فتنشق الأرض عنه ... أو يخزن في تجاويف الأرض مع المياه الجوفية فإذا كثر الماء ولم تتسع له

---

(1) سورة السجدة: آية / 27

(2) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 84 .

(3) سورة الملك: آية / 30

(4) سورة الكهف: آية / 41

(5) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 85 ، وانظر من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية / موسى الخطيب ص 191 .

(6) سورة البقرة: آية / 74

هذه المحاضن الجوفية بحث له عن مكان يخرج منه إما بانفجار من بين الصخور أو بالتشقق وتسيل المياه بشكل أضعف من الانفجار. بحيث يمكنها أن تكون الأنهار أو الينابيع "[1]

ولقد اكتشف أحد علماء جامعة كلورادو سنة 1997 وهو جوزيف سميث الذي درس معدن وودزبليت، وهو مكون من السليكون والماغنيسوم والأكسجين، أن هذا المعدن بـالرغم من تواجده في درجة حرارة عالية أعلى من ألف درجة مئوية، إلا أنه ما زال يحتفظ بـبعض الماء به، وكذلك توجد معادن أخرى في هذا العمق تحمل الماء أيضاً، ولكن كم تقـدر كميـة الماء الموجود في هذا المعدن ؟

قدر الباحثون أن المعدن وودزبليت يستطيع أن يحمل ماء ما مقداره 3.3% من وزنه وقد تحقق سميث 1997 من ذلك وأكثر. إن هذا المعدن يتواجد بنـسبة 0.5 – 0.75 (أقـل من1%) من الوشاح وحيث إنه يحتوي على ماء يقدر بـ 3.3 من وزنه، فإن هذا الماء يقـدر بحوالي 10 محيطات من محيطات الأرض .

وهناك بعض العلماء ومنهم (دان مزويف) من مختبر واشنطن الجيوفيزيائي يعتقد أن الغلاف الصخري يحتوي على أكثر من تلك الكمية من الماء، وقد حـسب فروسـت المـاء الموجود في الحمم البركانية، ووجد أن بين 100 – 500 جزء من المليـون لكـل الغـلاف الصخري، فإن هذا يساوي 30 محيطاً من الماء ."[2]

وجاء هذا مصدقاً إلى ما جاء في القرآن المعجز ﴿ **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ**﴾ إن هذه الدراسات آخر ما توصل إليه العلم الحـديث اليوم .

وهناك حقائق علمية أخرى حول هذه الآية الكريمة، يتناولها إسلام الشبراوي من خـلال علاقة الأنهار بالحجارة فيقول:" وتلاحظ أن لفظ التفجير في الآيتين " ﴿ **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ**﴾ وقوله تعالى:﴿ **أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا**﴾[3] والتفسير العلمي من إشارة الآية الثانية أقرب – يأتي منسوباً للأنهار ولتحفظ ذلـك في الذاكرة ثم لتستعرض الحقائق العلمية التالية :

1- ليست الأنهار كما يعتقد الكثيرون، مياهها سطحية تجري في الأودية، فـوق سـطح الأرض فقط، بل إن هناك الكثير من الأنهار أو جداولها تجري تحت سـطح الأرض فقط، بل وتحفر الكهوف، أو تكون صدوعاً في الـصخور حيـث تنـدفع الـشلالات

---

(1) القرآن والمعادن / محمد عبد القادر الفقي، (مقال مشور بالوعي الإسلامي عدد يوليو 1982 (بتصرف)) .

(2) تأملات في خلق السماوات والأرض / أشرف فوزي البارودي ص 127 – 128 .

(3) سورة الإسراء: آية / 91

هابطة، وربما في بعض المناطق يجري الماء في بـاطن الأرض، لمئـات الأميـال بطريقة أفقية فوق طبقات الصخور الحمراء قبل أن يظهر رأسياً على السطح ثانيـاً، إذن فانبثاق النهر من باطن الأرض، وتفجّره من الصخر هو حقيقة لا مراء فيها .

2- رأينا من التجارب القريبة أثناء بناء السدود، أنه يتحول جزء صغير من مجرى النهر إلى مسار آخر، لذا فإننا نحتاج إلى آلاف الأطنان مـن الـديناميت لحفـر المجـرى البديل، مما يظهر قوة نحت الماء للصخور والتي هي بحق (تفجير للصخر) .

3- هناك ظاهرة نهرية أخرى لم نشاهدها في مناطقنا الدافئة وهي خاصية تفجيـر لـيس للكتل الصخرية فحسب بل للجبال الشاهقة بواسطة الأنهار الجليديـة فـي الأصـقاع الباردة، فالماء المتسرب بين طبقات الصخور، حين يتجمد فإنه يزيد حجمه ويتمـدد بقوة هائلة، تصدع الجبال، وتحطم الصخور، ثم يسيل النهر ويجرف ما تحطم معـه في مجراه النهري وقد فجّر الجبال .

وإن اختيار لفظ (تفجير) منسوباً للأنهار، ليس فقط اختياراً بلاغياً، بل هـو اختيـار لفظي علمي دقيق يفيد ما أثبته العلم من المياه في مجاريها المختلفة مثل التحطيم والتدمير الهائل الذي تقوم المياه ومجاريها المختلفة به مثل الأنهار."[1]

المطلب الخامس: الصخور الرسوبية والطبقية

قال تعالى:﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا** ﴾[2]
لكي تدرك الإعجاز العلمي في هذه الآية العظيمة من القرآن؛ لا بد أن تعرف هذه الأمور الجيولوجية، وخاصة في عمل الأنهار، ألا وهي عملية الترسيب. فـإنّ للنهـر عمليتـان إحداهما النحت والأخرى الترسيب .

" فالنحت يقوم بعملية إزالة الفتات الصخرية، بنقلها خلال مياه النهر أو الوادي وهـي بدورها تقوم بنحت الصخور الموجودة في قاع النهر وكذلك في حوافه وجوانبه. فيحمـل النهر معه ، والرمل والحصى الصغير والكبير وبعض جلاميد الصخر الكبيرة في بدايـة جريانه وانفجاره الطويلة ويبدأ بالترسيب حسب سرعته ودرجة انحـداره وكميـة الميـاه

---

(1) الجديد في المنظور العلمي للقرآن المجيد / إسلام الشبراوي 122 .

(2) سورة الرعد: آية / 17

الجارية فيه .﴿ **فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾ ويستمر النهر على هذا الحال حتى نهايته في البحر فيترسب ما كان عالقاً به من عوالق ."[1]

" وإذا علمت أن ذرات الطمي والغرين العالقة في النهر، تحمل شحنة سالبة، وقاع النهر يحمل نفس الشحنة، فيتنافران ويطفو الطين والغرين والعوالق علاوة على قوة الماء، فيظل هذا طافياً على وجه الماء ﴿ **زَبَدًا رَابِيًا** ﴾ وعندما تتلامس مع الماء المالح الموجب الشحنة بسبب كلوريد الصوديم تتعادل الشحنات ويترسب الطين والعوالق في النهر "[2]

" وإذا تأملت كلمة ﴿ **رَابِيًا** ﴾ في الآية الكريمة أدركت أنها تعني هنا تراكم الزبد،وتراكبه طبقة فوق طبقة في نهاية المطاف، حينما يلقي السيل بحمله، ونهاية المطاف قد تكون مصبات الأنهار، أو تكون على طول الطريق، حيث يعجز السيل عن حمل ما علق به؛ إذ إن هذه القدرة تتناسب مع سرعة المياه، والسرعة تتعلق بالمَيْل أو الانحدار وكلما ازدادت سرعة المياه ازداد ما تحمله معها، وكلما قلت السرعة، زاد معدل ترسيب المواد العالقة بالمياه، ولذلك فإنه حينما تصطدم مياه الأنهار – عند المصبات– بمياه البحر فإن كل المواد التي تحملها المياه معها تترسب في القاع، ومع مرور آلاف السنين تتراكم طبقة الرسوبيات ويظهر، ما يعرف باسم دلتا النهر، حيث تزحف الشواطئ على البحر .

كل هذا نستشفه من قوله تعالى:﴿ **فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا** ﴾[3]

---

(1) أساسيات علم الجيولوجيا / محمد يوسف حسن وعمر حسين الشريف وعدنان باقر النقاش ص 317 – 320 بتصرف .

(2) انظر نظرات في الكون والقرآن / عبد الهادي ناصر ص 314 بتصرف .

(3) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 92 نقلاً عن القرآن والمعادن محمد عبد القادر الفقي(مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي يوليو سنة 1982 م ، وانظر المنظور العلمي للقرآن المجيد / اسلام الشبراوي ص 121 – 122 ، وانظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد السيد أرناؤوط ص 182 – 183 .

المبحث الخامس: علم الجغرافيا

المطلب الأول: تلازم السحب والمطر والرياح

المطلب الثاني: البرد وعواصف البرق والرعد

المطلب الثالث: دورة المطر في الطبيعة

المطلب الرابع: المياه الجوفية

المطلب الخامس: البرزخ الكائن بين البحار

المطلب السادس: الظواهر البحرية (أنواع الموج والتيارات البحرية)

المطلب السابع: تسجير البحار وتفجيرها

المبحث الخامس: علم الجغرافيا

المطلب الأول: تلازم السحب والمطر والرياح

لقد لفت القرآن أنظار البشرية، إلى ظاهرة من أكثر الظواهر شيوعاً، وتكراراً في النهار والليل، ألا وهي ارتباط الرياح بالسحب والمطر، ارتباط السبب والمسبب؛ لما للرياح من علاقة تلازم بالسحب والمطر، الذي جعل العلماء ينظرون إلى هذه الظاهرة، نظرة الدارس المتفحص، الباحث عن سر هذه العلاقة، خاصة وأن القرآن أكثر من ذكرها، في آيات عديدة. وصور مختلفة يجمعها جامع واحد وهو العلاقة الرابطة بين هذه الظواهر الكونية برباط قوي متين، كقوله تعالى في محكم كتابه العزيز:﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[1]

وقوله تعالى:﴿ **وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾[2]

وقوله تعالى:﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾[3] وقوله تعالى:﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾[4]

وقوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(48)لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا**﴾[5]

هذه الآيات الشريفة تقرر بجلاء: أن الرياح تقلُّ السحب التي تبشر برحمة الله وهي المطر. ويقرر العلم الحديث مدى تلازم السحب والمطر والرياح، كما سبق أن أشار إلى ذلك القرآن الكريم.

ولقد كان الرأي السائد أن مياه المطر إنما تأتي هكذا من السماء، ولم يكن يخطر ببال أحد أن الرياح هي التي تثير السحاب، الذي يجود بالمطر، حتى أثبت علم الأرصاد الجوية أخيراً في عصر النهضة العلمية، أن الأصل في إثارة السحب ونزول المطر، هو إرسال

---

(1) سورة الأعراف: آية / 57

(2) سورة الروم: آية / 46

(3) سورة الروم: آية / 48

(4) سورة فاطر: آية / 9

(5) سورة الفرقان: آية / 48 – 49

الرياح لتتجمع في مكان معين، بل إن آخر تقسيم علمي أجري لأنواع السحب والأمطار، عمل بحيث تطابق أوصافها طبيعة انسياب الرياح التي تثيرها، فكانت السحب الركامية التي تصاحب التيارات الهوائية الرأسية .

والسحب الطبقية التي تصاحب انسياب طبقة من الهواء بأكملها في اتجاه صاعد، ومن الأولى تنزل الزخات ومن الثانية يهطل المطر .

ولقد أمن العلماء بأنه عندما تتوافر أبخرة المياه في الرياح، فإن السحاب يمطر طبيعياً، ولا تكون هناك حاجة إلى المطر الصناعي (الذي يلجأ إليه العلماء باستمطار السحب بتلقيحها بنوى التكاثف بطريقة صناعية، بواسطة الطائرات أو المولدات الأرضية.

أما إذا كانت الرياح عقيماً فلا سبيل إلى إنجاح المطر الصناعي، وسبحان الذي قال:﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(68)ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ**﴾[1] ومهما ازداد الإنسان علماً، فلن يستطيع بصفة مستمرة بغير دورات الرياح العامة، أو تصريفها على الدوام حسب هواه، حتى باستخدام الطاقة النووية، إلا في حدود ضيقة محلية، والسر في ذلك أن الشمس تمد الأرض كل يوم بطاقة تعادل مئات آلاف الطاقة النووية، في حين أن الطاقة النووية نفسها تلوث الهواء .

والسحاب هو الجسم المسخر لكي يجود بالمطر الذي هو أصل كل الماء العذب الذي تشربه، وتروى به الأرض .

ومن الحقائق العلمية أن الرياح لا تغذي السحب ببخار الماء فحسب، بل إنها تمدها وتلقحها كذلك بجسيمات صغيرة مجهرية من مساحيق تمتصها مثل مسحوق ملح الطعام الذي يتطاير مع الرياح من البحار والمحيطات .

وتسمى تلك الجسيمات باسم (نوى التكاثف) وهي المراد من كلمة (لواقح) التي جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوه وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾[2]

---

(1) سورة الواقعة: آية 68 – 69

(2) سورة الحجر: آية / 22

فما أروع القرآن في إعجازه العلمي في الطبيعة الجوية !![1]

المطلب الثاني: البرد وعواصف البرق والرعد

قال تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ** ﴾[2]

يقرر القرآن الكريم في بساطة علمية معجزة، أن البرد هو المسئول عن تلك الشحنات الكهربائية التي تسبب عواصف البرق والرعد، التي كانت في أهم ميادين البحث والتنقيب خلال عشرات السنين، وظهر في هذا السبيل العديد من النظريات، حتى انتهى العلماء إلى تلك الحقيقة التي قررها الحكيم الخبير، في كتابه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، ويقف الإعجاز العلمي للآية السابقة عند هذا الحد، بل نجدها تربط بين البرد والبرق .[3]

وعندما يَقْوَى الهواء على عزل الشحنة السالبة العليا، عن الشحنة الموجبة في أسفل، يحدث التفريغ الكهربائي على هيئة برق، وينجم عن التسخين الشديد المفاجيء، الذي يحدثه البرق في منطقة انبعاثه أن يتمدد الهواء فجأة ويتمزق محدثاً الرعد ...

وما جلجلة الرعد! إلا عملية طبيعية؛ بسبب سلسلة الانعكاسات التي تحدث من قواعد السحب، لصوت الرعد الأصلي، وقد يحدث في بعض العواصف، أن يتكرر حدوث البرق داخل السحابة أربعين مرة في الدقيقة الواحدة، أما إذا حدث التفريغ الكهربائي بين السحابة وأي جسم مرتفع عن سطح الأرض فإنه يسمى صاعقة .

وعندما صورت بالرادار وجد أن السحابة الركامية الواحدة تبدأ بنتف صغيرة تظهر في السماء، ثم تتحد كل خليتين أو أكثر مع بعضها البعض؛ لتكون الخلية الكبيرة التي سرعان ما

---

(1)انظر الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 108 – 111 ، وانظر المنظور العلمي للقرآن المجيد / إسلام الشبراوي ص 99 ، ونظرات في الكون والقرآن / عبد الهادي ناصر ص 412 ، ومعجزة القرآن / نعمت صدقي ص48 ، والإعجاز العلمي في القرآن / السيد الجميلي ص45 ، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد السيد أرناؤوط ص260 ، والكون والتكوين في آيات الكتاب المبين / محمد محمود عبد الله ص66 ، ومن دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية / موسى الخطيب ص 192 – 193 ،كتاب توحيد الخالق / عبد المجيد عزيز الزنداني 1 / 94 . ـــ ط1 ـــ . مصر دار السلام، ودار المجتمع جدة، 1405هـ – 1985 مـ. تحدث هؤلاء جميعاً في الموضوع ولكن بين مختصر ومتوسع حسب تخصصاتهم العلمية فهناك تفاوت بينهم .

(2) سورة النور: آية / 43

(3) البرق علمياً: هو انفصال الشحنات الكهربائية داخل السحب، القرآن والعلم / جمال الدين الفندي، عن الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 111 .

تصبح كالجبل الشامخ، وينزل منها المطر، ومن روائع إعجاز القرآن في هذا الشأن تلك الآية التي نحن بصددها .

وقد دلت التجارب العلمية الحديثة، على أن المكونات الثلجية عندما تنمو أو تنصهر، تكتسب شحنات كهربائية، كما تشير الآية السابقة في إيجاز رائع إلى ما يعانيه الطيار من أخطار في حالات عواصف الرعد، لا سيما في المناطق الحارة الرطبة، حيث تبلغ ومضات البرق في الدقيقة الواحدة أربعين ومضة أو شرارة هائلة، فيصيبه فقد البصر. ولا يقوى على الاستمرار في قيادة طائرته.[1] ولم يكن الرسول ﷺ يملك التلسكوب ومحطات الأرصاد الجوية لكنه الوحي الصادق من عند الله خالق الكون ومدبره فسبحان الله العظيم .

المطلب الثالث:دورة المطر في الطبيعة

قال تبارك وتعالى:﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(11)وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾[2]

الله سبحانه وتعالى يريد أن يذكرنا هنا بحقيقة علمية هامة، اكتشفها العلم الحديث، بعد نزول القرآن بعدة قرون، وهي أن مياه البحار تتبخر، ثم بعد ذلك تصعد إلى السماء، فتصبح سحاباً، ثم تعود إلى الأرض مرة أخرى على شكل مطر؛ أي أن السماء ترجع الماء إلى الأرض، ومرة أخرى تتم الدورة، وتتبخر مياه البحار والمحيطات وينشأ السحاب، ثم يعود الماء؛ أي أن الماء الذي يترك الأرض يعود مرةً أخرى، وانظر إلى دقة الأداء القرآني في قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾ أي السماء ذات المطر، هكذا تفهم لمن لا يعلم عملية البخر التي تتم، فإذا عرفنا الحقيقة العلمية، تكون الآية أدق في المعنى وأشمل، ثم يقول سبحانه:﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾ أي الأرض التي تتشقق ليخرج منها الزرع، وهذه أيضاً تتكرر في كل دورة زراعية، كل شيء يأتي ويعود، هذه هي قوانين الله في الأرض .

---

(1) انظر الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 111 – 112 ، وانظر نظرات في الكون والقرآن / عبد الهادي ناصر ص 413 ، وانظر من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية / موسى الخطيب ص 167 ، وانظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد السيد أرناؤوط ص 261 ، وانظر تأملات في خلق السموات والأرض / أشرف فوزي البارودي ص 138، وانظر وجعلنا من الماء كل شيء حي / محمد عبد الله الشرقاوي 180 – 183 (مقال منشور في مجلة هذه سبيلي العدد الرابع – 1404 هـ – 1982 مـ وزارة التعليم العالي السعودية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وانظر إشارات علمية في القرآن الكريم محمد التائب ص 265 (مقال منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية (محكمة) العدد العاشر 1412 هـ – 1993مـ الجماهيرية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى . طرابلس ص 63 .

(2) سورة الطارق: آية / 11 – 12

ويقرر العلم الحديث أن الإشعاع الحراري للشمس يثير تبخر الماء في المحيطات وجميع المسطحات المائية، فيتصاعد منها بخار الماء نحو الجو، ويشكل سحباً عن طريق تكاثفه، عندئذ تتدخل الرياح لتؤدي دورها في نقل السحب، بعد تشكيلها إلى مسافات متنوعة، وقد تختفي السحب دون أن تعطي مطراً، كما يمكن أن تلتقي كتل السحاب مع كتل أخرى لتعطي بذلك سحباً ذات كثافة كبرى، وقد تتجزأ لتعطي مطراً في مرحلة من تطورها، وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر إلى البحار .

أما المطر الذي يصل إلى الأرض، فقد يمتص جزئياً بواسطة النباتات مسهماً بذلك في نموها، وهذه بدورها تقوم من خلال ترشحها بإعطاء جزء من الماء إلى الجو، أما الجزء الآخر فإنه يتسلل بمقدار قد يقل أو يكثر إلى التربة ليتجه نحو المحيطات عبر مجاري الماء، أو قد يتسرب في التربة ليعود عن طريق الينابيع، أو الأماكن الأخرى التي يخرج منها الماء إلى السطح."[1]

" وبمقارنة معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث ، بتلك التي نجدها في كثير من الآيات القرآنية المذكورة في هذا الصدد، نلاحظ توافقاً رائعاً بين الاثنين ."[2]

---

(1) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 121 – 122 ، انظر الآيات الكونية والعلوم الحديثة / عبد المنعم محمد الشرقاوي ص 100. ـ ط1 ـ . القاهرة ، دار الزهراء للنشر ، 1418 هـ – 1997 م ، وانظر الجديد في المنظور العلمي للقرآن المجيد / إسلام الشبراوي ص 115 ، ومعجزة القرآن / نعمت صدقي ص 46 ، وانظر وجعلنا من الماء كل شيء حي / محمد رشاد الطوبي ص 21 – 24 . – ط2–. دار المعارف سلسلة اقرأ رقم 507 ، 1992م ، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية / موسى الخطيب ص191 ، والكون والإعجاز العلمي للقرآن / منصور محمد حسب النبي ص 177 –178 ، ومن آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / زغلول راغب النجّار (مقال في مجلة القافلة رمضان 1412 هـ مارس إبريل 1992 مـ ، العدد التاسع – المجلد الأربعون . تصدر عن شركة أرامكو السعودية .

(2) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم / موريس بوكاي ص 178 .

المطلب الرابع:المياه الجوفية

قال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** ﴾[1]

تفيد العلوم الحديثة والكشوفات العلمية أن المياه الجوفية ناشئة من المياه السطحية الآتية من المطر، وأنها تتسرب إلى باطن الأرض فتحفظ هناك. ودليل ذلك أنه كلما كانت نسبة الأمطار أكثر، كلما زاد هذا الماء في مكامن تحت سطح الأرض، يسكن فيها هذا الماء ﴿**فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ**﴾ومن هنا يتضح للذين كانوا يظنون أن الماء الجوفي – وإلى وقت قريب– لا علاقة له بماء المطر، والمياه السطحية ولكن هذا هو القرآن يقرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرناً من الزمن"[2] وقد سبق التوسع في هذا الموضوع في هذا الفصل مبحث علم الجيولوجيا، المطلب الثالث: النفاذية. تعليقاً على نفس الآية .

المطلب الخامس: البرزخ الكائن بين البحار

لم يخلُ كتاب تحدث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إلا تطرق إلى هذا الموضوع إما بالتفصيل أو بالاختصار، أو حتى بالإشارة لما لهذه الظاهرة من شهرة في الأوساط العلمية والقرآنية، بعد أن اكتشف العلماء الكثير حول هذه الظاهرة، بين الأنهار والبحار أو بين البحار المالحة بعضها مع بعض، حيث ورد ذلك في القرآن في آيتين كريمتين: الأولى تحدثت عن الماء العذب والملح الأجاج، والثانية عن البحرين المالحين .

قال تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا** ﴾[3]

وقال تعالى:﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(19)بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ** ﴾[4]

وقال تعالى:﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ** ﴾[5]

إن اليد التي تدبر هذا الكون، مرجت البحرين، وجعلت بينهما برزخاً وحاجزاً من طبيعتهما، ومن طبيعة هذا التناسق، الذي تجري مقاديره بيد الصانع الحكيم، الذي ترك البحرين، الفرات العذب، والملح الأجاج يجريان ويلتقيان، فلا يختلطان ولا يمتزجان، إنما

---

(1) سورة المؤمنون: آية / 18

(2) انظر الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 122 .

(3) سورة الفرقان: آية / 53

(4) سورة الرحمن: آية / 19 – 20

(5) سورة فاطر: آية / 12

يكون بينهما برزخ،فمجاري الأنهار غالبا أعلى من سطح البحر ،ولا يقع العكس إلا شذوذاً، حيث ثبت علمياً أن مياه الأنهار التي تصب في المحيطات، كثافتها أقل من كثافة المياه الملحية فتظل سابحة فوق المياه المالحة، فلا تختلط بها، وبهذا التقدير الدقيق لا يطغى البحر وهو أضخم وأغزر على النهر الذي منه الحياة للناس ولجميع الكائنات الحية .

من عجائب قدرة الله تعالى أنه جعل ماء النهر، لا يؤثر في ماء البحر، فيغير ملوحته، كما لا يؤثر ماء البحر في ماء النهر .

وتدل المشاهدات الواقعية على أن مياه نهر الأمزون، الذي يصب في المحيط الأطلنطي تتدفع مسافة 200 ميل في المحيط، حافظة لعذوبتها طول هذه المسافة، وفي الخليج العربي نجد عيوناً من الماء العذب، تفيض داخل مياه الخليج الملح بماء عذب .

وقد روعي في نواميس هذا الكون، ألا تطغى مياه المحيطات المالحة على الأنهار، ولا على اليابسة، حتى في حالات المد والجزر التي تحدث من جاذبية القمر، للماء الذي على سطح الأرض، ويرتفع بها الماء ارتفاعاً عظيماً، قد يصل إلى ستين قدماً في بعض الأماكن، بل إن قشرة الأرض تنحني مرتين نحو الخارج، مسافة عدة بوصات بسبب جاذبية القمر، ويبدو لنا كل شيء منتظماً، لدرجة أننا لا ندرك القوة الهائلة، التي ترفع مساحة المحيط كلها عدة أقدام، وتنحني أمامها قشرة الأرض، التي تبدو لنا صلبة للغاية."(1)

" وجاء في تقرير لبعثة علمية مشتركة بين الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) وجامعة أونبرة الإنجليزية، لدراسة أعماق البحر والمحيط الهندي جنوب عدن .

وجدت البعثة أن المياه في خليج العقبة، تختلف خواصها وتراكيبها الطبيعية والكيماوية عن المياه في البحر الأحمر (كلاهما ماء ملح) .

واستطاعت البعثة بواسطة قياس الأعماق، إيجاد حاجز مغمور عند مجمع البحرين، يبلغ ارتفاعه أكثر من ألف متر، ويماثل ذلك ما وصلت إليه السفينة (مباحث) في رحلتها الأولى في المحيط الهندي والبحر الأحمر، إذ حققت وجود حاجز مغمور بين البحرين،

---

(1) الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد ص 123 – 124 ، وانظر الإسلام يتحدى / وحيد الدين خان ؛ تعريب ظفر الإسلام خان؛ مراجعة وتحقيق عبد الصبور شاهين .– ط2 – . بيروت ، دار البحوث العلمية 1393 هـ 1973 م، وانظر مظاهر كونية في معالم قرآنية / محمد محمود عبد الله ص 138 ، وانظر الإعجاز العلمي في القرآن / السيد الجميلي ص 26 ، والجديد في المنظور العلمي للقرآن المجيد / إسلام الشبراوي ص 124 ، وانظر الكون والإعجاز العلمي للقرآن / منصور محمد حسب= =النبي ص 177 ، وانظر من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية / موسى الخطيب ص 219 ، وانظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد السيد أرناؤوط ص 273 .

وأثبتت بالمشاهدة والتحليل الكيماوي والطبيعي أن مياه المحيط الهندي تختلف في خواصها الطبيعية والكيماوية عن مياه البحر الأحمر "[1]

إن هذا السبق العلمي القرآني يزيد المسلم إيماناً بالله وبكتابه الكريم وبصدق نبوة رسولنا العظيمﷺ. وبالمناسبة والحديث عن البحار فإن هناك معجزتان قرآنيتان يجدر بنا أن نذكرهما هنا: في قوله تعالى:﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ**﴾[2]

الأولى: تظهر من خلال وصف السفن بالجبال ولا يظهر التشبيه على جماله وتمامه إلا من خلال رؤية السفن في العصور المتأخرة، وإلا فالسفن القديمة – وخاصة المعروفة للعرب – لم تكن بهذا الحجم الذي تشبه فيه الجبال .

والمعجزة **الثانية:** أنه في عصرنا عرف أن للجبال جذراً وتدياً يعدل ضعفي ما يظهر من الجبال فوق سطح الأرض، ومن المعروف أن غاطس السفينة يعدل ضعفي ما يظهر على سطح البحر من مجموع جسمها، فتشبيه السفن بالأعلام ما كان بمثل هذه الدقة لولا أن القرآن من عند الله "[3]

المطلب السادس:من الظواهر البحرية (أنواع الموج والتيارات البحرية)

قال تعالى:﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾[4]

" تجمع هذه الآية أهم ظواهر عواصف البحر وأمواجه، فمن المعروف أن العاصفة تخرج منها أمواج مختلفة الارتفاع أو السعة أو الصفات عموماً، يلاحق بعضها بعضاً، فيبدو الموج منطلقاً بعضه فوق بعض، فيحجب ضياء الشمس، أو أية إضاءة أخرى؛ لما تثيره هذه العواصف من سحب ركامية سميكة يخيم معها الظلام، في سلسلة من عمليات الإعتام التي تصل إلى حد انعدام رؤية الأجسام .

وجدير بالذكر أن الرسول ﷺ كانت نشأته في البادية حيث قضي طول حياته في الصحراء بعيداً عن البيئة البحرية، فضلاً عن أنه لم يكن قد سافر قط عبر تلك المحيطات،

---

(1) وجعلنا من الماء كل شيء حي / محمد عبد اللع الشرقاوي ص 177 (مقال عن مجلة هذه سبيلي – العدد الرابع –1402 هـ – 1982 مـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(2) سورة الرحمن: آية / 24

(3) الأساس في التفسير / سعيد حوى 10 / 5665 .

(4) سورة النور: آية / 40

حتى يذكر مثل هذا الوصف الدقيق، مما يثبت قطعاً أنه من وحي الخالق العظيم، الذي يتجلى فيه الإعجاز العلمي الدقيق .

ونخلص من ذلك كله إلى أن هذه الآيات الكريمة تشير لبعض الحقائق العلمية التي لم يكتشفها العلم إلا مؤخراً، وهي بذلك تضيف معجزة أخرى لمعجزات القرآن الكريم وما أكثرها، فقال عن البحار والأمواج أنه توجد ثلاثة أنواع من الأمواج:

- سطحية وتنشأ بدفع الرياح والأمواج .
- أمواج المد والجزر نتيجة جاذبية القمر .
- أمواج تحدث في الأعماق السحيقة من المحيطات، وهي أمواج عاتية وتسير بسرعة

كسرعة الطائرات، وتنتج من حركة زلزالية في قاع المحيطات أو انهيار كتل من جوانب المحيط، وقد لا يحس بها راكب السفينة في عرض البحر، ولكنها تكون مدمرة قرب الساحل، وهذا ما حدث في بعض البلاد وما أثبته العلم الحديث، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم، ومهما وصل العلم من اكتشاف أسرارٍ من أسرار البحار وأعاجيبه وغوامضه، يظل قليلاً ونزراً. ويبقى البحر عالم يعج بالأسرار والعلوم، التي تحتاج من الإنسان إلى السنين كي يتعرف على بعضها .

والأغرب من الأنهار العذبة التي تجري في عرض البحر لا تختلط به أن هناك أنهاراً في عمق البحار تجري بشكل يعاكس التيارات التي تسير فوقها، وهذا ما وجد بالقرب من جبل طارق بالتقاء البحر المتوسط مع المحيط الأطلنطي، ففي أيام الشتاء ونتيجة لزيادة معدل تبخر الماء من المتوسط نسبة إلى ما يتبخر من الأطلنطي، فإن المياه البحرية ذات الملوحة العالية تفور إلى أعماق البحر، وتؤلف تياراً يندفع باتجاه المحيط، ويشاهد أثر هذا النهر العميق وسط المحيط الأطلنطي إلى البحر المتوسط، مؤلفّاً تياراً علوياً فوق التيار السابق، ومعاكساً له في الاتجاه، هكذا أكدت المشاهدات العلمية ما سبق أن أشار إليه القرآن الكريم."[1]

---

(1) انظر الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد عبد الصمد 124 – 126 ، وانظر جغرافية البحار والمحيطات / مهدي محمد علي – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بدون سنة وبدون طبعة 166 ، وانظر توحيد الخالق / عبد المجيد عزيز الزنداني 3 / 47 – 48 .

المطلب السابع: تسجير البحار وتفجيرها

قال تعالى:﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴾[1]

وقال تعالى:﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾[2]

" وأما تسجير البحار فقد يكون معناه ملؤها بالمياه، وإما أن تجيئها هذه المياه مع فيضانات، كالتي يقال إنها صاحبت مولد الأرض وبرودتها ... وإما بالزلازل والبراكين التي تزيل الحواجز بين البحار فيتدفق بعضها على بعض، وإما أن يكون معناه التهابها وانفجارها كما قال في موضع آخر ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴾ فتفجير عناصرها وانفصال الأيدروجين عن الأكسوجين فيها. أو تفجير ذراتها على نحو ما يقع في تفجير الذرة، وهو أشد هولاً.. أو على نحو آخر، وحين يقع هذا فإن نيرانها هائلة، لا يتصور مداها، تنطلق من البحار فإن تفجير قدر محدود من الذرات في القنبلة الذرية أو الهيدروجينية يحدث هذا الهول الذي عرفته الدنيا ؛فإذا انفجرت ذرات البحار على هذا النحو أو نحو آخر، فإن الإدراك البشري يعجز عن تصور هذا الهول؛ وتصور جهنم الهائلة التي تنطلق من هذه البحار الواسعة !!! "[3]

ومتى يتضح هذا الأمر أكثر وبصورة جلية، فلا بد أن نعرف هذه النظرة العلمية، لمعنى الآيتين العظيمتين .

" وماذا يحدث لو أن هذا المسطح المائي الرهيب، والذي يلطف مناخ الكرة الأرضية الآن قد أوقد ناراً ؟ وماذا سيحدث لمناخ الأرض ؟ ولا زلت أذكر أيضاً أن ماء البحر يحتوي على 96.5% من حجمه ماء، وهو خليط من غازين شديدي الاشتعال رهيبين هما: الأكسوجين والأيدروجين في صورة اتحاد كيماوي، ماذا لو تفكك هذا الاتحاد وأي تسجير وأي تفجير سينشأ عنه ؟

وبخلاف الفكرة الرهيبة عن تفجير البحر يوم القيامة، الذي قد يحدث بنفس الطريقة، التي أوردناها في التسجير (أي فك الاتحاد الكيماوي) فما رأيكم بأن أفظع الانفجارات البركانية، إنما تحدث تحت سطح البحر وما رأيكم في اختيار الكثير من الدول لقاع البحر لإجراء تفجيراتهم النووية .

وهنا خاطرة تأملية أخرى تجرني إليها الآيتان السابقتان في وصفهما لكيفية إشعال البحر ومائه،وأعني التسجير والتفجير، وأعود فأذكر أن الماء هو خليط من غازي الأكسجين

---

(1) سورة الإنفطار: آية / 3

(2) سورة التكوير: آية / 6

(3) في ظلال القرآن / سيد قطب 8 / 478 ، وانظر الأساس في التفسير / سعيد حوى 11 / 6398 .

والأيدروجين في صورةٍ متحدةٍ كيماوياً، والأكسجين غاز يساعد على الاشتعال، ولا ينفجر، أو يشتعل هو ذاته، إذن فهو غاز مسجرٌ (أي مساعد على الاشتعال) وليس متفجراً على العكس من الأيدروجين الذي هو غاز متفجر بذاته لكنه لا يساعد على الاشتعال مثل الأكسجين، أي هو غاز متفجر غير مسجر .

فالوصفان اللذان أتى بهما القرآن لوصف التفجير بماء البحر عن طريق فك الاتحاد الكيماوي للماء يوم القيامة، هما الوصف الكيماوي الدقيق لخواص الغازين المكونين للماء، فأحدهما مسجر وهو الأكسجين، والآخر مفجر وهو الأيدروجين، فهي حقاً ألفاظ دقيقة وجميلة تستدعي التأمل ."(1)

إنه لمن دواعي الإجلال والإكبار، والتعظيم لهذا الإعجاز القرآني، في هذه الآيات التي كشف مكنونها العلمي الحديث، بعد ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان، بعدما وهب الله العلم لهذه البشرية، بفضله ومنّه عليهم، حتى توصلوا للذي لم يتوصل إليه السلف الصالح، من المفسرين والعلماء المسلمين؛ لإمكانياتهم المحدودة، وإنه والله ليس بقصور في عقولهم، وإبداعاتهم العلمية، في ذلك الزمان، أقول: ذلك وفاءً لحقهم علينا، في هذا الزمان، ولخدمتهم لكتاب الله، وحتى لا يظن أحدٌ أن ذلك كان قصوراً فيهم .

---

(1) الجديد في المنظور العلمي للقرآن المجيد / إسلام الشبراوي 129 .

الفصل الخامس: الماء في المثل القرآني

المبحث الأول: لا حد لكمات الله ولا نهاية

المبحث الثاني: حال المنافقين

المبحث الثالث: الحق والباطل

المبحث الرابع: قسوة قلوب بني إسرائيل

المبحث الخامس: أعمال الكفار كسراب

المبحث السادس: دعوة الحق ودعوة الباطل

المبحث السابع: المرائي المانّ بصدقته

المبحث الثامن: المؤمن المنفق في سبيل الله

المبحث التاسع: مثل الحياة الدنيا

المبحث العاشر: أمثال من السنة في الماء

المدخل:

أولاً: التعريف بالمثل لغةً واصطلاحاً و قرآناً

ثانياً: أغراض المثل المائي في القرآن

ثالثاً: خصائص المثل المائي في القرآن

أولاً: التعريف بالمثل

أ-**لغةً:**المثْلُ:"الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره... والمثل: المثل أيضاً، كشبه وشبه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا لأنه يذكر مورّىً به عن مثله في المعنى."[1]

"ومَثَل: بفتح الميم والمثلثة: لها أربعة معان الشبيه والنظير ومن المثل المضروب وأصله من التشبيه، ومثل الشيء حاله وصفته، والمثل الكلام الذي يتمثل به، ومثل الشيء بكسر الميم شبه."[2]

والمثل:"ما يضرب به من الأمثال ومثل الشيء أيضاً صفته والجمع أمثلة ومثل."[3]

"ومثل أصل المثول الانتصاب، والمُمَثَّل المصور على مثال غيره ... والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيءٍ آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره."[4]

وأفاد الراغب أيضاً أن المثل يقال على وجهين أحدهما الوصف والثاني المشابهة لغيره في معنى من المعاني.[5]

ونخلص من هذا إلى أن المثل في اللغة على وجوه منها المناظرة والشخوص والانتصاب والوصف والمشابهة. وكلها متقاربة في معناها فبينها عموم وخصوص ...

---

(1) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 974 ، وانظر المفردات / للراغب الأصفهاني ص 482 ، وانظر أيضاً / التوقيف على مهمات التعاريف / المنادي ص 636 .

(2) التسهيل / لابن جزي الكلبي 1 / 27 .

(3) الصحاح/ للجوهري 1816/5 ، وانظر أيضاً تاج العروس للزبيدي 8 / 110 .

(4) المفردات/ الراغب الأصفهاني ص 482 .

(5) انظر المصدر نفسه ص 484 .

ب- المثل في الاصطلاح

يقول صاحب الأكسير في علم التفسير[1] ":الأمثال هي جمع مثل وهو:قــول وجيــز ينطق به عند وقوع سبب أو حادثة، فيصير كالعلاقة، أو الشاهد على ما في معناه"[2]

"المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصــل فيــه التشبيه وحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول."[3]

وقال الرازي:" المثل: هو تشبيه سائر[4]

" المثل جملة من القول، مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول وتــشتهر بالتداول، فتنتقل عمن وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها" [5]

ج- معنى المثل في القرآن

يطلق المثل في القرآن ويراد به عدة وجوه نلخصها فيما يلي:

أحدهما: يرد المثل في القرآن لتشبيه شيء بشيء آخر لوجود عنصر تشابه أو تماثل بينهمــا أو أكثر.

مثال ذلك قوله تعالى:﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...** ﴾[6]

ثانيهما:كلمة المثل يراد بها النموذج من أفراد متعددة. مثال ذلك قوله تعالى:﴿ **ضَــرَبَ اللَّــهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ ...وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ** ﴾[7]

ثالثها: إطلاق كلمة المثل بمعنى الوصف.مثال: ﴿**مثل الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْــرِي مِــنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**...﴾[8] [9]

---

(1) الطوفي/ هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، ولد سنة 657هـــ بقريــة طوفي من أعمال صرصر بالعراق. كان فقيهاً، شاعراً، أديباً، فاضلاً ، مشاركاً في الأصول وقراءة الحديث. بغية الوعاة للسيوطي 599/1 .

(2) الأكسير في علم التفسير/ للطوفي ص 86 .

(3) مجمع الأمثال / للميداني 6/1 – 5 .

(4) نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز / للرازي ص160 .

(5) المزهر في علوم الغة وأنواعها / السيوطي 286/1 .

(6) سورة البقرة: آية / 17–20

(7) سورة التحريم: آية / 10–11

(8) سورة الرعد: آية / 35

(9) أمثال القرآن / لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص 19– 42 باختصار شديد .

وقال الإمام الدامغاني: في"قاموس القرآن" "مثل على أربعة أوجه: السنن – العبرة – الصفة –العذاب "ومثل لها [1]. وهذا لا يسلم له لأنه من قبيل التجوز في تحميل ألفاظ القرآن المعاني الكثيرة فهي ليست من قبيل الجزم بها. وذكر السيوطي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:"ولكن القرآن حمّال ذو وجوه."[2]

ثانياً: أغراض المثل بالماء في القرآن خاصة

إن الآيات التي ذكر الماء فيها على سبيل المثل لا تخرج عن كونها آيات ولها أغراض المثل القرآني عامة. ولكن هناك خصوصيّة لهذه الأمثال، وذلك من خلال ذكر الماء بصوره المتعددة في ثنايا هذه الأمثال. نذكر منها.

1-جاءت للدلالة على عظمة الله و قدسيته وعلمه وسعة دلالة كلماته.

2-قربت صورة الغائب بالمشاهدة الحسية من خلال التصوير التمثيلي الرائع.

3-الدعوة لا تباع الحق ومحاربة الباطل واضمحلاله.

4-نفّرت من الانكباب على الدنيا وصوّرتها باللعب واللهو والتفاهة والتحقق من مقامها.

5-جسدت الأجر والثواب من خلال مضاعفة الأجر على أعمال البر والإحسان والإنفاق في سبيل الله.

6-حاربت الدعوات الهدامة والضالة.

7-بيّنت حقيقة أعمال الكفار في الآخرة.

8-استخدام الظواهر الطبيعية في المثل للفت النظر إليها من برق وسحاب ورعد وأنهار وبحار وأودية.

ثالثاً: خصائص المثل المائي في القرآن خاصة

لا تنفصل خصائص المثل المائي في القرآن عن الخصائص العامة للمثل القرآني فقد ذكر الميداني خمس خصائص في آية ضربت مثلاً كان الماء عنصراً رئيساً فيها وهي قوله تعالى:﴿**أو كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾[3]، وهذه الخصائص هي:

1. صدق المماثلة بين المثل والممثل له.
2. البناء على المثل والحكم عليه كأنه عين الممثل له.

---

(1) قاموس القرآن / للدمغاني ص 428 – 429 .

(2) الإتقان في علوم القرآن / للسيوطي 2 / 122 .

(3) سورة النور: آية / 40

3. دقة التصوير برفع العناصر المهمة من الصورة التمثيلية وإبرازها.
4. التصوير المتحرك الحي الذي يبرز فيه المشاعر النفسية.
5. حذف مقاطع يستطيع الذكي أن يستوعبها ويتخيلها بذكائه. إلى غير ذلك من أمور يكشفها المتأمل الباحث..."(1)

ونضيف إلى ما سبق ذكره الآتي:

* قد يأتي الماء جزءاً من الصورة في المثل، وقد يذكر فيكون هو محور المثل ،أو يكون سبباً في المثل.

* هناك مطابقة من خلال صفات الماء أو أي صورة من صوره لما يضرب به المثل وبدون ذكر الماء لا تتضح الصورة.

من خلال ما سبق نجد أن الماء في المثل القرآني كان له خصوصية مع مشاركته الأمثال القرآنية في الخصائص العامة.

وقد سميت هذا الفصل: الماء في المثل القرآني ولم أسمهِ المثل المائي في القرآن وذلك لحصر كل الأمثال التي يوجد فيها ذكر الماء بأي صورة كانت من باب الاستقصاء وعدم إهمال أي مثل ذكر الماء فيه أو كان جزءاً من صورته الممثل بها.

ومن خلال المثال يتضح المقال في المباحث التالية لهذا المدخل القصير لهذا الفصل .

---

(1) أمثال القرآن / الميداني ص 134 .

المبحث الأول: لا حد لكلمات الله ولا نهاية

"إنّ علم الله يحيط بكل شيء ولا تحده حدود ولا تبلغ نهايته، والبشر علمهم محدود ونهايته قريبة."[1]﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِمَا شَاءَ**﴾[2]

"ولقد يدرك البشر الغرور بما يكشفونه من أسرار في أنفسهم وفي الآفاق فتأخذهم نشوة الظفر العلمي فيحسبون أنهم علموا كل شيء أو أنهم في الطريق .

ولكن المجهول يواجههم بآفاقه المترامية التي لا حد لها ، فإذا هم ما يزالون على خطوات من الشاطىء، والخضم أمامهم أبعد من الأفق الذي تدركه الأبصار إن ما يطيق الإنسان تلقيه وتسجيله من علم الله ضئيل قليل ، لأنه يمثل نسبة المحدود إلى غير المحدود .

فليعلم الإنسان ما يعلم ، وليكشف من أسرار هذا الوجود ما يكشف ولكن ليطامن من غروره العلمي، فسيظل أقصى ما يبلغه علمه أن يكون البحر مداداً في يده وسينفد البحر وكلمات الله لاتنفد، ولو أمده الله ببحر مثله فسينتهي من بين يديه وكلمات الله ليست إلى نفاد."[3]

ويقرب الله تعالى للإنسان هذا التصور بمثال واضح جلي في آيتين من كتاب الله : الأولى:في سورة الكهف والثانية :في سورة لقمان؛ يضربهما الله مثلاً لسعة علمه وقصور علم الإنسان على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير.

"ويقرب إلى حسهم معانيه الكبرى بوضعها في صور ومشاهد ومحسوسات ذات مقومات وخصائص وأشكال على مثال هذا المثال."[4]

النص الكريم للآية:

قال تعالى:﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[5]

هذه الآية قبل الأخيرة يختم الله بها سورة الكهف المكية التى رد الله بها نهاية السورة لبدايتها وقد جعلها محوراً رئيساً من محاور هذه السورة المتعددة حيث ابتدأت السورة الحديث بذكر القرآن وما به من أفانين الإرشاد والهداية والإنذار والوعيد .

---

(1) في ظلال القرآن/ سيد قطب 418/5 .
(2) سورة البقرة: آية / 255
(3) في ظلال القرآن / سيد قطب 5 /418 .
(4) المصدر السابق 418/5 .
(5) سورة الكهف: آية / 109

وكأنه يقول: كل ما في هذه السورة من عبرٍ وعظات وقصص وأخبار عن الأمم السابقة وما خفي من أحوالها وما سألتم عنه من أمور تظنون أنكم معجزون بها رسولنا ﷺ فإن علم الله أعظم وأكبر من أن يُحَد أو ينتهي أو ينفد. واستأنف الله بهذه الآية منتقلاً بالتنويه إلى علمه الواسع .[1]

سبب النزول:

حيث إن كتب التفسير وعلوم القرآن تبين أن السورة مكية وأن هذه الآية مدنية ونزلت رداً على المشركين لما سألهم أهل الكتاب من اليهود أن يسألوا الرسول عن الروح وعن أهل الكهف وعن ذي القرنين فأجابهم الرسول ﷺ بآية الإسراء ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً**﴾[2] وكذلك جاء الرد عن أهل الكهف وعن ذي القرنين في سورة الكهف .

"وأخرج الإمام الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا، فقال: سلوه عن الروح. قال فسألوه عن الروح فأنزل الله ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾. قالوا أوتينا علماً كثيراً التوراة. ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، فأنزلت: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾."[3]..

يرى الباحث: والخطاب في هذا المثل موجه إلى رسولنا ﷺ معلماً إياه بالتلقين ﴿**قل**﴾،" وجاءت ﴿**لو**﴾ لتفيد أن الكلام من باب الافتراض، [4] و"البحر أوسع ما يعرفه البشر وأغزره، والبشر يكتبون بالمداد كل ما يكتبون وكل ما يسجلون به علمهم الذي يعتقدون أنه غزير والسياق يعرض لهم البحر بسعته وغزارته في صورة مداد يكتبون به كلمات الله الدالة على علمه، فإذا البحر ينفد وكلمات الله لا تنفد ثم إذا هو يمدهم ببحر آخر مثله،فإذا البحر الآخر ينفد كذلك وكلمات الله تنتظر المداد."[5] ،"وليس البحر مما يكتب به ولكن الكلام بني على المفروض بواسطة ﴿**لو**﴾"[6]

---

(1) التحرير والتنوير / ابن عاشور 16 / 51 .

(2) الإسراء: آية / 85

(3) سنن الترمذي 5 / 304 ، وعلق الأمام الترمذي على الحديث بقوله "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، قلت: والغرابة هنا تعني التفرد برواية الحديث ولاتـرده وأنظـر أسـباب النـزول للنيسابوري ت 465 هـ . ـ ط1 ـ . 1379هـ- 1959م، مصطفى البابي الحلبي ص 172

(4) انظر التحرير والتنوير / ابن عاشور 16 / 53 .

(5) في ظلال القرآن / سيد قطب 5 / 418 .

(6) التحرير والتنوير / ابن عاشور 16 / 53 .

"والبحر في هذا المثال يمثل علم الإنسان الذي يظنه واسعاً غزيرا وهو على سعته وغزارته محدود وكلمات الله تمثل العلم الإلهي الذي لا حدود له والذي لا يدرك البشر نهايته."[1] وفي هذا المثل المائي ذكر الله البحر لأنه أوسع ماءٍ تقع عليه عين البصر والإدراك عند الإنسان وبهذه اللفظة من الدلائل والإيحاءات في المثل،يجمل أن نطوف بها حول ظلال الآية*

شرح الآية:

المداد:" اسم لما يمد به الشيء كالحبر والزيت. للدواة والسراج."[2] "وغلب إطلاقه على الحبر وهو في هذه الآية يحتمل المعنيين فتتضمن الآية مكنيين على الاحتمالين."[3] وذكر ابن عاشور هذا على سبيل الجواز أن يكون تشبيه كلمات الله بالسراج المضيء لأنه يهدي إلى المطلوب مستشهداً بآية النور ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾[4] ويكون المداد تخييلاً بالزيت الذي يمد به السراج.[5]

ولكن أرجح أنه يراد به الحبر لأن آية لقمان ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[6] جاءت مفسرة

---

(1) في ظلال القرآن / سيد قطب 5 /418 .

***وجوه الشبه والعلاقة المستوحاة من ذكر البحر في المثل:**

أ– يقرب الله به سعة علمه بسعة البحر في الذهن الإنساني

ب– ما في البحر من نعم وحياة لا تكاد تحصى وهكذا علم الله ونفعه لا منتهى له ولا إحصاء له ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الانْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[1]

ج– ما في البحر من ألوان ومشاهد وجمال كذلك ما في كلام الله وعلمه ومعانيه وبلاغته من جمال وألوان شتى تناسب كل شيء.

د– البحر دائم الحركة والتجدد من خلال موجه وحركة هذه الأمواج وتتابعها وهكذا كتاب الله لا يخلق عن كثرة الرد فهو يتجدد بمعانيه كلما قرأناه وعلم الله أحاط بكل شيء مهما استجد من حوادث في الكون إلى ما شاء الله.

هـ ما في البحر من سيولة ولون وكذلك المداد بلونه وسيولته.

و– إن حركة تتابع الموجة تنسجم مع تتابع مد الإنسان بالبحر بعد البحر في حركة متتابعة كذلك مما يزيد صورة المثال تطابقاً وجمالاً .

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ للنيسابوري 3 / 2177 .

(3) التحرير والتنوير/ ابن عاشور 16 / 53 .

(4) سورة النور: آية / 35

(5) التحرير والتنوير / ابن عاشور 16 / 53

(6) سورة لقمان: آية / 27

وموضحة لآية الكهف ولايوضع في الأقلام إلا الحبر للكتابة فيكون قول العلاّمة ابن عاشور بعيداً بالجواز فقد اعتمد فيه على المعنى اللغوي لكلمة مداد مع أنه قال" فإن ذكر الكلام إنما يناسب المداد بمعنى الحبر."[1] وقد ناسب سيولة المداد المثل بالبحر ومائه.

"واللام في قوله ﴿**لِكَلِمَاتِ**﴾ لام العلة، أي لأجل كلمات ربيّ والكلام يؤذن بمضاف محذوف، تقديره: لكتابة كلمات ربيّ إن المداد يراد للكتابة وليس البحر مما يكتب به ولكن الكلام بنيَ على المفروض بواسطة ﴿**لَوْ**﴾"[2]

و﴿**كَلِمَاتُ رَبِّي**﴾ "والكلمات جمع كلمة وهي تقال لما يحصره العدد وهو إلى القليل أقرب والجمع كَلِم وكلام."[3]

يرى الباحث: وعندما أُضيفت إلى لفظ الربوبية صارت من صفاته التي لا يحدها حد ولا تنتهي بنهاية.

والكلمات في القرآن عامة ذكرها ابن الجوزي في سبعة وجوه وما يناسب ورودها في آيتنا وجه واحد هو:علم الله وعجائبه[4] وباقي الوجوه الذي ذكرها ابن الجوزي يرجع إليها هناك[5]

وذكر أهل التفسير من أئمة هذا الفن وجوهاً كثيرة فيها اختلاف تنوع مع تداخلها، ونختار منها ما قاله: الشيخ عبد الكريم الخطيب: هي التي تنفذ بها مشيئته في خلقه ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾[6] وهذا كلام طيب.

ومجمل ما سبق أن هذا الكلام كناية عن أن كلام البشر وعلمهم واكتشافاتهم ومابلغوه من التقدم المادي والعلمي ما هو إلا نقطة في بحر علم الله فالإنسان محدود العلم والعقل والقدرة أما علم الله فهو غير محدود ولا متناهي حتى لو تصورنا أن بحور الدنيا تتابع بعضها مدداً لكتابة كلمات الله لنفذت واضمحلت وفنيت وكلمات الله باقية لاتفنى.

وزيادةً للتأكيد وتفسير هذا المثل القرآني مده الله بمثلٍ آخر في سورة لقمان .

(1) التحرير والتنوير / ابن عاشور 16 / 53 .
(2) التحرير والتنوير/ ابن عاشور 16 / 83 .
(3) الأشباه والنظائر/ ابن الجوزي ص 522 .
(4) نفس المصدر/ ص 524 .
(5) نفس المصدر / ص 524- 525 .
(6) سورة النحل: آية / 40

النص الكريم للآية:

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]

سبب النزول:

هذه الآية وسابقتها في سورة الكهف مدنيتان في سورتين مكيتين، وهذا ما قاله علماء التفسير،فقد ذكر السيوطي في لباب النقول عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بمكة وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا ألم يبلغنا عنك أنك تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً إيانا تريد أم قومك، فقال: كلاً عنيت قالوا: فإنك تتلو: إنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال الرسول ﷺ :هي في علم الله قليل، فأنزل الله: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ** ﴾[2] ومن الذين ذكروا أن السورة مكية وهذه الآيات مدنية:(القرطبي والثعالبي والسيوطي والبيضاوي والنحاس والكرمي وأبو السعود)[3] وهذا من باب تعدد النازل والسبب واحد.

وهذه الآية لها مناسبة مع السورة، حيث ذكر الله في بداية السورة القرآن وآياته وما فيها من الحكمة والهداية والرحمة، وما جاء في قصة لقمان من الحكمة والعلم مما علمه الله.

ثم ختم السورة بالحديث عن بعض علم الله مثل: الساعة، والغيث، وما في الأرحام، وما تكسب النفوس من الرزق، وفي أي أرض تموت.

و﴿**لَوْ**﴾ هكذا بدأت الآية كما في آية الكهف لنفي نفس الغرض وهو الفرضية [4]، وأن هنا عاملة[5] وما موصولة، و﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ** ﴾[6] في محل رفع فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت.[7] "و ﴿**في**﴾ هنا مكانية"[8] ،وهذا يستوعب كل ما في الأرض من

---

(1) لباب النقول في أسباب النزول/ للسيوطي 1 / 169 .

(2) سورة لقمان: آية / 20

(3) تفسير القرطبي 14 / 50 ، تفسير الثعالبي 3 / 206 ، تفسير البيضاوي 4 / 344 ، والسيوطي في الدر المنثور 6 / 503 والنحاس في معاني القرآن 5 / 277 ، والكرمي في الناسخ والمنسوخ 1 / 165، وأبو السعود 7 / 68 .

(4) انظر التحرير والتنوير / ابن عاشور 16 ،21 ، 53 / 182 .

(5) معجم حروف المعاني / محمد الشريف 1 / 403 . ــ ط1 ــ . مؤسسة الرسالة ، 1417هـ – 1996م

(6) سورة لقمان: آية / 20

(7) الجدول / محمود صافي 21 / 92 .

(8) معجم حروف المعاني / محمد الشريف 2 / 775 .

أشجار ولو نظرنا لهذه الأرض، فما هي في ميزان الله وملكوته إلا كالذرة في هذا الكون الفسيح المترامي الأطراف، وقد وسعه علم الله، وهذه الأرض تحوي الأشجار التي مهما بلغت لن تتجاوز حجم الأرض، ولو بُرِيَت أقلاماً فلا قياس للمحدود مع غير المحدود في هذا المثل، الذي جاء ليبين بوضوح معنى المداد في آية الكهف السابقة، وكذلك بينت أن الكلمات تعود إلى ما يكتب من علم الله وكتبه وقرآنه، وما في هذا العلم من سعة لا نهاية لها ولاحد.

وذكر الزمخشري " أن الله ذكر ﴿**شَجَرَةٍ**﴾على التوحيد دون ذكر اسم الجنس الذي هو شجر حتى تفيد تفصيل الشجروتقصيها شجرة شجرة حتى لاتبقى شجرة ولا غصن منها إلاّ بريت أقلاماً.

وجعل الزمخشري البحر وعاءً والبحور السبعة تمده بالمداد مشبهاً البحر بالدواة التى يصب فيها البحر " [1]

"والسبعة: تستعمل في الكناية عن الكثرة كثيراً، كقول النبي ﷺ **والكافر يأكل في سبعة أمعاء** [2] فليس لهذا العدد مفهوم، أي والبحر يمده أبحر كثيرة."[3] وذكر السبعة هنا زيادة عن آية الكهف لبيان الكثرة في كلمة ﴿**مِثْلِهِ**﴾ في آية الكهف .

وكذلك إضافة الكلمات هنا إلى لفظ الجلالة للإيحاء بالألوهية والتعبد بهذه الكلمات وإضافتها في آية الكهف إلى الربوبية لتوحي بالقدرة والعلم والتربية الربانية لرسله بالوحي وتكون الآيتان قد جمعتا بين الربوبية والألوهية في إضافة الكلمات للربوبية تارة والألوهية تارة أخرى .

ثم ختم الله هذا المثل باسمين من أسمائه الحسنى، الأول: "العزيز" الذي لايغلب، وهذا يتناسب مع إيحاء التحدي لأهل الكتاب والمشركين بكلماته وعلمه، وكذلك: "الحكيم" الذي لانهاية لحكمته، والعلم من متطلبات حكمته، فلا حكمة بغير علم محيط بكل شيء.

---

(1) الكشاف / للزمخشري 3 / 501 .

(2) البخاري 6 / 246 ، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معي واحد رقم 5393 و (94 ، 95 ، 96 ، 97)، ومسلم 3 / 1631 كتاب الأشربة ، باب المؤمن يأكل في معي واحد رقم 3060 و (61 ، 62) .

(3) التحرير والتنوير / ابن عاشور 21 / 182 .

المبحث الثاني: حال المنافقين

"النفاق:**هو الدخول في الشرع من باب والخروج من باب،** وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله:﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[1] أي الخارجون من الشرع، وجعل الله المنافقين شراً من الكفار، فقال: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾[2] "[3] وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة قال: " نعت المنافق عند كثير: خنع الأخلاق يصدق بلسانه وينكر بقلبه ويخالف بعمله، ويصبح على حال ويمسي على غيره، ويمسي على حال ويصبح على غيره، يتكفأ تكفؤ السفينة كلما هبت ريح هبت معها"[4] .

"وإنّ ضخامة الدور الذي كان وما يزال المنافقون يقومون به لإيذاء الجماعة المسلمة ومدى التعب والقلق والاضطراب الذي يحدثونه في كل وقت داخل صفوف الجماعة المؤمنة..."[5]؛ لذا كشف الله أستارهم، ووضح صفاتهم، وجلّى حقيقتهم، وفضح مؤامراتهم وكيدهم، وجعل لهم مساحة ليست بالقليلة من آيات القرآن حتى سميت سورة قرآنية بـــ **(المنافقون)**، وسورة التوبة التي سميت بالفاضحة لأنها فضحتهم وأظهرت حقيقتهم وأما سورة البقرة فقد ذكرت في أولها من الآية الثامنة حتى الآية العشرين آيات مفصلات عن صفات المنافقين وأحوالهم، والتي نحن بصدد دراسة مثلين من هذه الآيات في حال المنافقين بعد هذا التعريف بالمنافقين.

إنّ حركة النِّفاق تقوم على بعدين هامين في تكوينها هما البعد النفسي والبعد الاجتماعي .

أولاً:البعد النفسي

وهو حصيلة المؤثرات البيئية والوراثية التي تشكل هذه النفس المريضة والتي تجعلها تقف أمام المواقف والقضايا بحالين إزاء القضية الواحدة ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ**

---

(1) سورة التوبة: آية / 67

(2) سورة النساء: آية / 145

(3) المفردات / للراغب الأصفهاني ص 524 .

(4) تفسيرا بن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم 1 / 47 .

(5) الأمثال في القرآن / سميح عاطف الزين ص 338 .

مَرَضًا﴾[1] فهم لايستقر لهم رأي في أي قضية أو موقف واضح ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾ [2]

ثانياً: البعد الإجتماعي

ويرجع ذلك إلى تكوين المجتمع الذي فيه هؤلاء من التفكك وتقطيع الأوصال و انعدام النظام، وتصارع القوى وعدم وجود سلطة واحدة تملك القانون والعدل، فهم متأرجحون يتملقون هؤلاء مرة وهؤلاء مرة وهذا التذبذب وعدم الاستقرار وموات الانتماء في القلوب، وغياب الولاء للحق، وعدم تمسكهم بالقيم التي جاءت لتحد من الفوضى والتسيب السلوكي والأخلاقي، والرغبات والأهواء، وجاء الإسلام وقويت شوكته في المدينة مع وجود اليهود كقوة في المدينة معادية للإسلام. وقد صدق فيهم رسول الله ﷺ عندما قال **مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتردد بينهما مرة إلى هذه ومرة إلى هذه**[3]

وبعدما بين الله في أول سورة البقرة صفات المنافقين من قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ .... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[4] ختم الله هذه الآيات بمثلين أحدهما ناري والآخر مائي ولكون المثلين في حال المنافقين فلم نستطع الفصل بينهما فنتعرض للمائي ونترك الناري، فآثرنا أن نعرض لهما معاً وتباعاً حسب ورودهما في السورة .

النص الكريم للآيات:

قال تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ(17)صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ(18)أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ(19)يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[5].

---

(1) سورة البقرة: آية / 10

(2) سورة النساء: آية / 143

(3) صحيح مسلم 4 / 2146 ، كتاب صفات المنافقين رقم 17 .

(4) سورة البقرة: آية / 8 – 20

(5) سورة البقرة: آية / 18– 20

المناسبة:

"يريد الحق سبحانه وتعالى أن يقرب صفات التمزق في المنافقين إلى فهمنا ولذلك فهو يضرب لنا الأمثال"[1]

"والقرآن يضع حداً واضحاً بين الإيمان والنفاق، ويعمل على أن ينأى بالمؤمنين عن جميع صور النفاق وأشكاله، فيزري بالمنافقين ويوهن أعمالهم، ويعمد إلى المثل ليصور حالتهم العجيبة بما يخفون وما يبدون، ويصور ما هم عليه من الحيرة والخبث والجبن والغباوة، وينزع هذه الصورة من مشاهد الكون."[2]

فيجعلها شاخصةً رأي العين، تنطق من فرط ما بها من جمال وحركة، وحياة تنطق بالاضطراب والقلق والتردد والخوف، في صورة مثل مركب وتمثيل متعدد الحدود والأفراد، ومقابلة دقيقة حتى كأنه قال:"إن مثلتموهم بالمستوقد فذلك مثلهم، وإن مثلتموهم بالصيّب فهو لهم مثل، أو مثلتموهم بهما جميعاً فهما مثالهم، فالتمثيل مباح لكم فيهم."[3]

شرح الآيات:

" وصورت الآيات الكريمة حال المنافقين في صورتين متتاليتين فشبهت في الأولى حالهم في حيرتهم واضطراب أمرهم، بحال الساري قد أوقد ناراً تضيء طريقه، فعرف أين يمشي، ثم لم يلبث أن ذهب الضوء، وشمل المكان ظلام دامس لا يدري السائر فيه أين يضع قدمه ولا كيف أخذ سبيله فهو يتخبط ولا يمشي خطوة حتى يرتد خطوات."[4]

ونقتصر في شرح الآيات على الجانب الذي يختص بالماء، حتى لا نطيل البحث في مباحث ثانوية بعيدة عن صلب البحث .

وقوله تعالى:﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ** ﴾ قالوا أنَّ ﴿**أَوْ**﴾ هنا تفيد التخيير،[5] وبمعنى

---

(1) تفسير الشعراوي 1 / 65 .

(2) المشاهد في القرآن/ حامد صادق قنيبي ص328 .

(3) الجمان في متشابهات القرآن /ابن ناقيا البغدادي تحقيق مصطفى الصاوي الجويني الناشر منشأة المعارف / الإسكندرية ص69 .

(4) من بلاغة القرآن / أحمد أحمد بدوي ص 202 .

(5) انظر بحر العلوم / للسمرقندي 1 / 99 .

الواو[1] وتفيد التقسيم [2] والإباحة [3] وكل هذه الوجوه لا تخرج عن معنى الآية حيث التخيير بين أن تختار المثل الناري أو المائي أو الاثنين معاً فكله جائز، كما قــال ابــن ناقيــا البغدادي والسمرقندي، أو بعنى العطف أي أن هذين المثلين معاً لحال المنــافقين أو التقــسيم تقسم المثل الأول عن الآخر حتى لا يظن بالعطف أنها مثل واحد، والإباحة لا تختلــف عــن التخيير في المعنى.

والصيب هو المطر الغزير، ومن دعاء النبي ﷺ عند نزول المطر عَــنْ عَائِــشَةَ **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا**[4]

وقوله: ﴿**مِنَ السَّمَاءِ**﴾ والسماء مصدر الخير فينزل منها المطر وينزل منها الــوحي بالقرآن والهدى. وكل ما علا الإنسان سماء.

وقوله: ﴿**فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ**﴾ والظلمات موحشة فهي ظلمــة الليــل والــسحاب والمطر المتراكمة " فمثلهم كمثل جماعة في مغارة مظلمة بليل دامس، جاءهم سحاب ممطر، فأمطرهم مطراً غزيراً."[5] والرعد اصطكاك أجرام السحاب[6] ، وقال ابن فــارس:"رعــد: الراء والعين والدال أصل يدل على حركةٍ واضطراب ومن الباب الرعد."[7] وقال الراغب:" الرعد: صوت السحاب"[8] وقال القرطبي:" قال الفلاسفة:الرعد صــوت اصــطكاك أجــرام السحاب، والبرق ما ينقدح من اصطكاكها. وهذا مردود لايصح به نقل والله أعلــم، ويقــال: أصل الرعد من الحركة."[9] ا.هــ، وعلماء هذا العصر يقولون: **الرعد:** الــصوت القاصــف يسمع حال تراكم السحاب ونزول المطر، وهذه الظاهرة يفسرها علماء الطبيعة بأنــه نتيجــة اتحاد كهرباء السحاب الموجبة بالسالبة.[10]

قلت: وقد أصبح هذا الأمر حقيقة علمية ثابتة، وإني لأعجب من إنكار القرطبــي ــ رحمه الله ــ هذا التفسير العلمي للرعد .

---

(1) التسهيل / لابن جزي الكلبي 1 / 36 .
(2) أمثال القرآن / حبنكة الميداني ص 357 .
(3) تفسير الطبرسي. 16 / 1 .
(4) البخاري 1 / 349 كتاب الجمعة ، باب ما يقال إذا مطرت ،رقم 1032 .
(5) أمثال القرآن / الميداني ص 355 ، وانظر الجمل على الجلالين 23/1 .
(6) زاد المسير /ابن الجوزي 1/ 43 .
(7) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ص 410 .
(8)المفردات / للراغب الأصفهاني ص 202 .
(9) تفسير القرطبي 1 / 217
(10) انظر أيسر التفاسير/ أبو بكر الجزائري 29/1 .

وقوله:﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ لقد قرع الرعد أسماعهم وأخذ البرق أبصارهم وبدأت الصواعق تتساقط عليهم فدفعوا أصابعهم في آذانهم من أثر قعقعة الصواعق وقرعها الشديد، فدافع الخوف والوجل قد ملأ قلوبهم واستحوذ عليهم حتى شخص الموت أمام أبصارهم من خوفهم وقلقهم.

"وجاء التعبير بالأصابع بدل الأنامل؛ لأن مشاعرهم تتدفع لو استطاعوا أن يدخلوا كل أصابعهم في آذانهم، ليسدوا عنهم وقع الصوت ... وهذا من الصدق الفني.[1] وهو مجاز مرسل من باب إطلاق الكل وإرادة البعض، ﴿**وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ "هذا النص يدل على أن هذا الصنف أيضاً يحكم عليه بالكفر."[2] فقد ختم الله الآية بهذه الفاصلة المطابقة لحقيقة إيمانهم وقلوبهم "بالكافرين."

﴿**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ**﴾ والمتأمل هذه الصورة وحركة أقدامهم تتقدم مع وميض البرق وتقف كلما خبا إن هذه الحركة المملوءة بالحرص على الحياة والخوف من الموت بالصواعق المحرقة الساقطة مع البرق والرعد كيان حي شاخص أمامنا بألوانه في وميض البرق والعتمة والحركة الخاطفة والسكون المميت، ما أبدع وما أجمل هذه الصورة التي صدقت أصدق تعبير عن المشاعر والأحاسيس التي يترجمها فعل هؤلاء وأصابعهم في آذانهم والسير والوقوف في هذه اللوحة البديعة.

وقوله: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾ ولكن الإرادة الإلهية لم تشأ أن تزيد من الصواعق والرعد والبرق ليصم سمعهم ويخطف أبصارهم بل تركهم في هذه الحالة من القلق والتوتر والتردد، وهذا زيادة في تعذيبهم، ودوام حال الخوف من الموت والهلاك وسوء العاقبة، ثم يختم الله سبحانه بالتأكيد على قدرته التي تشمل كل شيء بعد أن تحدث عن هذه الظواهر الكونية العظيمة، فلا يعجزه الذهاب بسمعهم وأبصارهم، فقال تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾

ويعلق الإمام الشعراوي على حال المنافقين في هذا المثل بقوله:"إن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يعطينا مثل المنافقين بأنهم لا يلتفتون إلى القيم الحقيقية في الحياة، ولكنهم يأخذون ظاهرها فقط، يريدون النفع العاجل، وظلمات قلوبهم لا تجعلهم يرون نورالإيمان، وإنما يبهرهم بريق الدنيا مع أنه زائل ووقتي فيخطف أبصارهم،ولأنه لا نور في قلوبهم فإذا ذهبت عنهم الدنيا تحيط بهم الظلمات من كل مكان؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، مع أن الله سبحانه وتعالى لو شاء لذهب بسمعهم وأبصارهم بأنهم لا يستخدمونها الإستخدام الإيماني

---

(1) أمثال القرآن / الميداني ص 358 .

(2) أمثال القرآن / الميداني ص 358 .

المطلوب والمفروض. إن وسائل الإدراك هذه تزيدنا إيماناً، ولكن هؤلاء لا يريدون إلا متـاع الدنيا، ولايسمعون إلا وسوسة الشيطان، فالمهمة الإيمانية ووسائل الإدراك توقفت وكأن هـذه الوسائل غير موجودة.[1]

وقفات تأملية مع المثلين:

هؤلاء القوم وهم قبل الإسلام في ظلام ليل دامس، لم تذكره الآيات صراحةً بل لمّحـت لـه بقوله:﴿**اسْتَوْقَدَ نَارًا**﴾ وقوله: ﴿**فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ** ﴾ وقوله:﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَـرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ**﴾ فإظهارهم الإسلام نور لهم ولما رجعوا للكفر ذهب النور.

"وتأمل قوله:﴿ **أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ** ﴾ كيف جعل الله ضوءها خارجاً عنه منفصلاً...

فكان ضوء مجاورة لا ضوء ملابسة ومخالطة، فكان الضوء عارضاً والظلمة أصيلة.

وتأمل قوله:﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾ ولم يقل بنارهم؛ ليطابق أول الآية، فإن النار فيهـا إشراق وإحراق فذهب بالإشراق وهو النور وأبقى الإحراق.

وتأمل كيف قال:﴿ **بِنُورِهِمْ**﴾ ولم يقل بضوئهم، مع قوله:﴿ **فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَـهُ**﴾؛ لأن الضوء هو الزيادة في النور فقط دون الأصل فما كان النور أصلاً كان الذهاب به ذهاب بالشيء والزيادة.

وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله تعالى:﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْـتَرَوُا الـضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[2] فاستبدالهم الضلال بالهداية مثل اختيارهم الظلمة على النور، فيالها من تجارة ما أخسرها وصفقة ما أشد غبنها.[3]

وتأمل كيف أنه وحد النور وجمع الظلمات﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾ و﴿**وَتَـرَكَهُمْ فِـي ظُلُمَـاتٍ**﴾ فسبيل الحق واحد وسبل الشيطان متعددة وكثيرة. ونظيره في القرآن ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَـى الظُّلُمَاتِ**﴾[4] وقال:﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَبِيلِهِ**﴾.[5]

---

(1) تفسير الشعراوي 1 / 182 .

(2) سورة البقرة: آية / 16

(3) انظر التفسير القيم / الإمام ابن القيم ص 116 .

(4) سورة البقرة: آية / 257

(5) سورة الأنعام: آية / 153

وفي المثل الثاني المائي نجد علاقة قوية بين المطر وبين معنى المثل" فالمطر هو القرآن لأن في المطر حياة الخلق وإصلاح الأرض وكذلك حياة القلوب فيه هدى للناس وبيان من الضلالة، وإصلاح فلهذا شبه القرآن بالمطر."[1]

وفي المثل الأول مثّلهم بالذين ذهب نورهم ولكن في المثل الثاني جعل هناك أملاً وفرصة للعودة ﴿**كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا**﴾[2] فهم يسيرون خطوة ويقفون أخرى أو أُخريات، وهذا أصدق في التعبير عن التردد.

والآيات مترابطة أشد ما يكون الترابط حيث النور في النار والإحراق وكذلك النور في البرق والإحراق في الصواعق.

وحيث الخير في النار بالنور والضرر بالإحراق والخير في المطر والضرر بالإغراق والإحراق بالصواعق وما يصاحبها من أعاصير.

والنار بنورها ليست ملاصقة ولا ذاتية وكذلك المطر من السماء أي كذلك خارجاً عنهم.

وكذلك التدرج من الأهون إلى الأشد في الحيرة والأفظع في التأثير والأغلظ على النفس.

قلت: والعلاقة بين الماء وبين المنافقين واضحة جلية تتمثل فيما يلي:

أولها: أن الماء لا يستقر على حالٍ فهو يتشكل بأشكالٍ مختلفة حسب الوعاء الذي يوضع فيه، وكذلك المنافق يتلون ويتقلب حسب المصلحة التي يريدها بعيداً عن الثبات والمبدأ والقيمْ .

ثانيها: أن الماء ينحدر ويميل دائماً في مجراه وحركته إلى السفل وكذلك المنافق لا يتورع عن الانحطاط والسير إلى الحضيض .

ثالثها: أن الماء إذا قبضت عليه لم تجد منه شيئاً وكذلك المنافق إذا تمسكت به وتشبثت به ينفلت منك ولا تستطيع الاعتماد عليه .

رابعها: أن الماء إذا سرت معه أو فيه إما أن تبتل أو تغرق وكذلك المنافق السير معه لا يأتي بخير فإنه إما أن يغدر بك أو تصيبك من رفقته الشبهة.

"والصورة الكلية التي ترسمها الآيات الكريمة يعجز المصور البارع أن يصورها بريشته وأدهانه، وإن أجهد نفسه في دقة التصوير، لما توحيه إلى الذهن من أشكال، ومعانٍ وحالات وشئون، وحركات وسكنات، وتحيّر وتخبّط، وغباوة، وسوء فهم، وجبن، وتعشّق للحياة ونحو ذلك مما انطوت عليه نفوس المنافقين، وجبلت أخلاقهم."[3]

---

(1) بحر العلوم / السمرقندي 1 / 99 – 100 .

(2) سورة البقرة: آية / 20

(3) المشاهد في القرآن الكريم / حامد قنيبي ص 329 .

المبحث الثالث: مثل الحق والباطل

لما كان المثل السابق مائياً وناريا فإن هذا المثل أيضاً مائيٌ وناريٌ وإن اختلف حال الممثل له بين المنافقين في السابق وأهل الحق والباطل.

ومدار هذين المثلين في هذا المبحث هو الحق والباطل فلنتعرف بداية في كلمة عاجلة على الحق ثم الباطل.

الحق في اللغة: نقيض الباطل وهو واحد الحقوق، وحق الله الأمر حقاً أثبته وأوجبه، وحققت الأمر وأحققته كنت على يقين منه، وحققت الخبر وقفت على حقيقته، وتحقق عنده الخبر أي صحَّ.(1)

والباطل لغةً: تبطل الشيء يبطل بطلاً وبطولاً وبطلاناً والباطل الشيطان وأبطلت الشيء جعلته باطلاً وأبطل فلان جاء بالباطل وبالأضاليل والأباطيل، وبطل الشيء ذهب ضياعاً وخسراً والباطل نقيض الحق والجمع أباطيل على غير قياس.(2)

الحق عرفاً: الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال والعقائد والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل.(3)

والباطل اصطلاحاً:" ضد الصحيح، وضد الحق، وهو ما لا ثبات له من المقال والفعال عند الفحص عنه."(4)

وقال أهل التفسير: إن الحق على ثمانية عشر وجهاً ذكرها ابن الجوزي بتفصيلها وشواهدها.(5)

وقال ابن الجوزي: في الباطل أن له عند أهل التفسير أربعة وجوه نذكرها مختصرة وهي الكذب والإحباط والظلم والشرك.(6)

---

(1) انظر مجمل اللغة / ابن فارس 1 / 215، وتهذيب اللغة للأزهري 3 / 374 ، وأساس البلاغة للزمخشري ص 135 ، والصحاح للجوهري 1460/4 .

(2) مجمل اللغة / ابن فارس 1 / 128 ، تهذيب اللغة 13 / 355 ، لسان العرب 11 / 56 .

(3) التعريفات / للجرجاني ص 94 ، لسان العرب 49/10 ، وانظر التوقيف على مهمات التعاريف / للمناوي ص 287 .

(4) نفس المصدر السابق ص 111 .

(5) نزهة الأعين النواظر / ابن الجوزي ص 266 – 269 .

(6) نفس المصدر السابق ص 195 .

النص الكريم للآية:

قال تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**﴾(1)

قال ابن جرير الطبري: هذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد الماء ونفعه والزبد واضمحلاله والذهب والفضة في الحلية للناس وخبثه يطرح أو المتاع من حديد ونحاس وغيره من منافع وخبثه يطرح.(2)

المناسبة:

بعد أن ضرب الله مثل الأعمى والبصير للمؤمنين والكافرين ومثل النور و الظلمات للإيمان والكفر ضرب هنا مثلاً للحق وأهله والباطل وحزبه.(3)

شرح الآية:

﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾ من السماء يقصد بها الجهة "وتنكير الماء هنا للتكثير أو النوعية وقوله: ﴿**فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ**﴾ توسع أي هي مجاز أي سال ماؤها."(4)

ويراد بالمجاز المكانية أي جريان الماء في الوادي ويقول الزمخشري:"فإن قلت لِمَ نكرّر الأودية؟ قلت:لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون البعض فإن قلت :فما معنى قوله بقدرها ؟

يرى الباحث: بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى إلى قوله: ﴿**وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾ لأنه ضرب المطر مثلاً للحق فوجب أن يكون مطراً خاصاً للنفع خالياً من المضرة."(5)

وقوله تعالى﴿**فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا**﴾ الزبد: "ما يحمله السيل من غثاء ونحوه والرابي المنتفخ الذي ربا ومنه الربوة وهو ما كان عالياً مرتفعاً ومنتفخاً على وجه السيل "(6)

---

(1) سورة الرعد: آية / 17

(2) انظر تفسير ابن جرير الطبري 134/13 .

(3) انظر الكشاف / الزمخشري 356/2 ، والتفسير الواضح/ للحجازي 13/ 474 .

(4) فتح القدير/ للشوكاني 3 / 74 .

(5) الكشاف / الزمخشري 2 / 356 .

(6) التسهيل/ ابن جزي الكلبي 2 / 132 ، وانظر تفسير ابن جرير الطبري 13 / 134 ، وتفسير القرطبي 9 / 305 ، وتفسير البحر المحيط / أبو حيان 5 / 372 .

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾

قال الزمخشري:"عبارة جامعة لأنواع الفلز."[1]

وذكر ابن جرير الطبري من أنواع الفلز:"الذهب والفضة للحلية، والمتاع:النحاس والحديد."[2] ويقول ابن عاشور:"وعدل عن تسمية الذهب والفضة إلى الموصولية بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾؛ لأنها أخصر وأجمع ولأن الغرض من ذكر الجملة المجعولة صلة فلو ذكرت بكيفية غير صلة كالوصفية مثلاً لكانت بمنزلة الفضلة في الكلام ولطال الكلام بذكر اسم المعدنين مع ذكر الصلة، إذ لا محيد عن ذكر الوقود لأنه سبب الزبد، فكان الإتيان بالموصول قضاء لحق ذكر الجملة مع اختصار البديع.

ولأن في العدول عن ذكر اسم الذهب والفضة إعراضاً يؤذن بقلة الاكتراث بهما؛ ترفعاً عن ولع الناس بهما فإن اسميهما قد اقترنا بالتعظيم في عرف الناس."[3]

يرى الباحث: إن الأمر ليس تهاوناً، ولكنه من باب التربية للنفوس، بالترفع عن ذكرهما وكما قال ابن عاشور: فهو أخصر وأجمع وأكثر إبداعاً وبلاغة والله أعلم.

﴿**زَبَدٌ مِثْلُهُ**﴾ أي بمعنى مثل زبد السيل لا ينتفع به ويذهب باطلاً.[4] ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**﴾ أي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله مثل الحق ومثل الباطل[5] ويقول صاحب التسهيل أي يضرب أمثال الحق والباطل وقوله: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً**﴾ "فجملة ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ**﴾ معطوفة على جملة ﴿**فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا**﴾ مفرعةَ على التمثيل وافتتحت بـ ﴿**أَمَّا**﴾ للتوكيد وصرف ذهن السامع إلى الكلام مما فيه من خفي البشارة والنذارة،ولأنه تمام التمثيل."[6]

و﴿**جُفَاءً**﴾ " الجفاء ما أجفاه الوادي أي رمى به"[7]

و﴿**وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾ أي: من الماء الخالص من الغثاء، ومن الجوهر المعدني الخالص من الخبث"[8] والمكوث في الأرض لكمال المنفعة والبقاء والنماء على الحق. وقوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**﴾ ولا يكون هنا تكرار مع ما سبق من ضرب

---

(1) الكشاف / الزمخشري 2 / 523 .

(2) تفسير ابن جرير الطبري 13 / 135 ، وتفسير القرطبي 9 / 305

(3) التحرير والتنوير/ 13 / 119

(4) ابن جرير الطبري 13 / 134 .

(5) فتح القدير / للشوكاني 75/3 ، وانظر كتاب التسهيل / للكلبي 2 / 133 .

(6) التحرير والتنوير/ 13/ 121 –122 .

(7) تفسير القرطبي 9 / 305 .

(8) البحر المحيط / ابن حيان 5 / 373 .

الحق والباطل حيث فصل بين الجملتين بكلام و طال الكلام فأعاد فقال: ﴿**كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**﴾[1] وهكذا يضرب الله الأمثال عامة بعد ضربه المثل بالحق والباطل للعبرة والموعظة وتوضيح الصورة بكل أبعادها.

تحليل المثل وبيان بلاغته:

ومن خلال ما سقناه من أقوال المفسرين، نوضح بعبارة جامعة شاملة، كي نسبر غور هذه الأمثال ونجلي ما بها من بديع بيان القرآن الكريم للحق والباطل، من خلال المثل المضروب. وهذا التمثيل المركب بصورته الغنية بعبارة سهلة سَلِسَةً، ولما كان كل شيء حي من الماء ونال هذا الشرف الرفيع بين خلق الله، أسند الله فعل إنزاله إليه ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾ فهو مسبب الأسباب ومجري السحاب الذي يحمل هذا الماء المبارك، ولما كان المنزل من السماء أنواع شتى قال تعالى: ﴿**مَاءً**﴾ وقوله: ﴿**فَسَالَتْ**﴾ يوحي بالكثرة وغزارة هذا الماء الذي جعل الأرض تتشبع قشرتها وتسيل أوديتها وتمتلئ بالماء حتى يعلو حافتي الوادي.

وهذا كله يملأ القلب إيماناً بتفرد الله بالربوبية بإنزال الماء، ومَلْؤُ الأودية دليل على قدرته سبحانه، وكيف تسيل الأودية إلا بعد أن ينزل الماء على الجبال فينحدر في خلجانها وشقوق صخورها حتى يستقر جريانه وسيله في قاع الوادي الذي يمثل الانفراج بين الجبلين والمرتفعات من الأرض ﴿**فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾.

إنها اللوحة الأولى التي ترسمها الآية تنطق بالحركة، وقد حمل السيل على ظهره هذا الزبد الذي يعلو برغوته وخفته، وكأن السيل لا يلقي له بالاً ولا يكترث لحاله، وهو يضمحل ويتلاشى على ضفاف الوادي فيذهب مع الريح ويعلق بالحجارة والأشجار فلا نفع فيه ولا فائدة،﴿**فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا**﴾ ويجري الماء في الوادي إلى حيث يقدر له صاحب القدرة والحكمة ومقسم الأرزاق جل شأنه فحمل كل وادٍ حسب حجمه وسعته وما قدر الله له ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾ وبذلك يسدل الستار على اللوحة الأولى في هذا المثل البديع الذي كان الماء عنصره ومدار المثل عليه وهو يملؤ اللوحة وقد شغل أكبر مساحة فيها، وهو يتساقط من السماء ويسيل على الجبال ويستقر في الأودية ويلفظ ما على ظهره من زبد بعيداً فيذهب ويمكث الماء الخالص في الأرض، إنها تملأ فراغ اللوحة بمساحات مائية واسعة لتشكل الكتلة المركزية في اللوحة بألوانه المتعددة بزرقته وبياض سحابه وبياض الزبد وما خالطه من أغصان يابسة مصفرة أو تراب. وينتقل بنا سياق الآية

---

(1) انظر البرهان في توجيه متشابه القرآن / محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ت(505هـ) ص 105 .

إلى مثل آخر تكون السيولة عنصره الرئيس ولكنها سيولة بقوة النار والإيقاد عليها. فكان الشبه بين الماء السائل والصلب المنصهر بالنار فيسيل وما يرتفع على سطح الماء من زبد وغثاء وما يرتفع على سطح هذه المواد الصلبة عند إذابتها من خبث خفيف يطفو عليها شبه مطابق أشد المطابقة وإن اختلفت المادة والوسيلة والمنفعة والهدف منه. إنها لوحة تصور هؤلاء الصناع من صاغة للذهب والفضة أو صناع للحديد أو كل ما يذيب المعادن لهدف التصنيع والمنفعة منها. وقد أوقدوا ناراً عظيمة في لهيبها حتى تصهر هذه الفلزات، وتشعر بحرارتها تلفح الأبدان وفي المقابل ما يزين به من الحلية وما فيها من جمال وما شملته المعادن من منافع للناس كل هذا يتراءى لك بحركة نشيطة ملؤها الحياة والعمل والجد والاجتهاد وفي المقابل ما يلقى هؤلاء من خبث وزبد مثل زبد السيل لا فائدة فيه ﴿**وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ**﴾ وبهذه اللوحة الثانية البديعة يكتمل المشهد الكبير للمثل الذي يضربه الله للحق والباطل ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**﴾ بضرب لهم الأمثال فما كرر عندما قال: ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**﴾ فقد صرح في الثانية ما لم يصرح به في الأولى وكانت الثانية عامة والأولى خاصة.

وهذه الفاصلة تجعلنا نتصور أهل الحق وقد اعتبروا واستجابوا لربهم فكانت لهم الحسنى، وأما الباطل وحزبه ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[1] ثم يبين أن الذين صدقوا وآمنوا بهذه الأمثال ليسوا مثل العمي، وما هذه الأمثال إلا ذكرىلأولى الألباب ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوالأَلْبب**﴾[2] ومن بدائع هذا المثل أنه ضرب المثل بالماء الذي ينزل من السماء وبالفلز الذي يخرج من الأرض ولكنه قال: ﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا**﴾[3] فأصل الماء من الأرض أصالة وإن علا في السماء بقدرة الله فيرجعه إلى أصل وجوده ﴿**فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾، قال تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾[4]

وقال: ﴿**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾[5]فشمل مَثَلَ ما أنزل من السماء وما أخرج من الأرض وحقيقتها في مثل واحد شامل .

وجعل الله هناك وجهاً جامعاً يجمع بين الماء والفلز، وهو:﴿**وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾ فوجه الانتفاع قاسم مشترك بينهما، علاوة على وجه السيولة والذوبان

(1) سورة الرعد: آية / 18
(2) سورة الزمر: آية / 9
(3) سورة النازعات: آية / 31
(4) سورة الطارق: آية / 11 – 12
(5) سورة الحديد: آية / 25

الذي ذكرنا سابقاً، ومن بدائع هذا المثل أن أصل الماء طاهر نظيف صافٍ عذب ينزل من السماء، ولكن ما يلحق به من خبث ونجس أو زبد فهو من اختلاطه بالأرض، فإذا بقي الشرع المنزل من عند الله يؤخذ من منبعه الصافي وهو كتاب الله المنزل من السماء بالوحي على نبيه بقي طاهراً صافياً لا شبهة فيه، وإذا خالط هذا التشريع شرائع الأرض ونظمها دخله الفساد والخلل والشبهات والزيف، مثل الفلاسفة والملاحدة والغلاة من الشيعة والباطنية وغيرهم.

وفي المثل الآخر أن ما يلحق بالجوهر الثمين من خبث وشوائب لا يمكن أن يخـــرج منه إلا بالنار، وهذا يمثل القلوب المؤمنة التي تُبتلى حتى يعلم الله الصادقين من الكاذبين.

المبحث الرابع: قسوة قلوب بني إسرائيل

لقد أشرت في المدخل لهذا الفصل أن هناك أمثالاً لايكون الماء مضرب المثل أو العنصر الرئيس فيه، ولكنه جزء من صورة المثل وعنصر من مكونات اللوحة التمثيلية التي يتشكل منها المثل، ومثلنا هنا في هذا المبحث الرابع من هذا النوع."في هذه الآية ضرب الله القساوة المادية في الحجارة مثلاً للقسوة المعنوية في قلوب المخاطبين"[1]من بني إسرائيل،فقال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[2] إن هذه الآية توبخ بني إسرائيل وتقرعهم على ما شاهدوه من آيات بينات آخرها إحياء الموتى بعد أن ضربوا قتيلهم ببعض تلك البقرة المعهودة التي ذبحوها وما كادوا يفعلون، قال لهم:﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾ فهي كالحجارة التي لا تلين أبداً ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...**﴾[3] [4]

وقال الزمخشري:"وصفه القلوب بالقسوة والغلظ مثلٌ لنبوّها عن الاعتبار، وأن المواعظ لا تؤثر فيها."[5]

وجه ذكر الماء في المثل

لما شبه الله قلوب بني إسرائيل بقسوتها ودرجات هذه القسوة بالحجارة ودرجات صلابتها، بيّن الله تعالى وجه تفضيل الحجارة على قلوب هؤلاء، فذكر أوجه الخير البارزة والمنتفعة الخارجة من هذه الحجارة متمثلة بخروج الماء الذي يعم نفعه على كل الخلائق من إنسان أو حيوان أو نبات منها.

إن هذه الحجارة فيها نفع كثير يخرج منها الذهب والمعادن وكذلك تستخدم في البناء والعمارة بكل أشكالها وكذلك منها الملح بأنواعه حتى السماد للزراعة منها ومنافع كثيرة .

وهنا يبرز سؤال لماذا اختار الله الماء من دون هذه المنافع جمعاء ؟

---

(1) أمثال القرآن / حبنكة الميداني ص 174 .

(2) سورة البقرة: آية / 74

(3) سورة الحديد: آية / 16

(4) انظر في رحاب التفسير/ الشيخ كشك 190/1 .

(5) الكشاف/ للزمخشري 155/1 .

ولما كان الماء هو الحياة أراد أن يقول إن هذه الحجارة تنبعث منها الحياة بعنصرها الذي جعل سبباً للحياة وهو الماء، أما قلوب هؤلاء فلا حياة فيها فكان تفضيل الحجر الصلد عنها. ولما كان خروج الماء يمثل الحركة القوية بالتفجير وخروج الأنهار وبالتشقق وهو أضعف للعيون والآبار وكذلك حركة سقوط الحجارة نفسها وهبوطها من خشية الله تملأ اللوحة بالحياة، تقول: إن قلوب هؤلاء جامدة لا حراك فيها ولا خير ولا نفع لعباد الله، فلا خشية من الله ولا شفقة على خلق الله بعدم النفع.

وإن الماء يمثل الصفاء والنقاء واللين ــ فلا ألين من الماء ــ في المثل، ولكن قلوبهم تمثل الجفوة والقسوة وعدم اللين.

ومن صفات الماء أنه يتأثر ويتشكل حسب القالب الذي يوضع فيه، ولكن قلوب هؤلاء القوم لا تتأثر ولا تلين.

المبحث الخامس: أعمال الكفار

النص الكريم للآية:

قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**[39]**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾[1]

المناسبة:

ومن مناسبة هاتين الآيتين بما سبقهما من سياق السورة يذكر ابن عاشور فيقول:" لما جرى ذكر أعمال المتقين من المؤمنين وجزائهم عليها بقوله تعالى:﴿ **يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ ... لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[2] أعقب ذلك بضده من حال أعمال الكافرين التي يحسبونها قربات عند الله تعالى، وما هي بمغنية عنهم شيئاً على عادةً القرآن في إرداف البشارة بالنذارة [3] .

"فضد النور الظلمة ولهذا عقب ذكر النور وأعمال المؤمنين فيها بأعمال الكفار وأهل البدع والضلال ... وكذلك الظلم ظلمات يوم القيامة وظلم العبد نفسه من الظلم فإن للسيئة ظلمةً في القلب وسواداً في الوجه ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق كما روي ذلك عن ابن عباس."[4]

" إن أعمال الكفار باطلة ، وإنها لا شيء ، لأنه قال تعالى في السراب الذي مثلها به:﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا** ﴾ وقد دل على بطلان أعمال الكفار ما جاء في آيات أخرى ﴿**فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾ "هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في أول سورة البقرة مثلين نارياً ومائياً ، وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدي والعلم في سورة الرعد مثلين نارياً ومائياً .

فأما الأول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الأمر على شيء فمثلهم في ذلك كالسراب ....وهذا المثال مثال لأصحاب الجهل المركب، فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الأغشام

---

(1) سورة النور: آية 39 – 40

(2) سورة النور: آية / 36 – 38

(3) التحرير والتنوير / ابن عاشور 18 / 250 .

(4) مجموع الفتاوي / الإمام ابن تيّمية 15 / 282 .

المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم العمي الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَـــاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ**﴾[1]

شرح الآية:

" والسراب: الذي يكون نصف النهار بالأرض لاصقاً بها كأنه ماء جارٍ وسمي السراب سراباً ، لأنه يسرب سرباً أي يجري جرياً."[2]

والسراب علمياً يكون بسبب الحرارة العالية الموجودة في سطح الأرض المعرضـــة لأشـــعة الشمس فترتفع حرارتها أكثر من درجة حرارة الهواء فيحدث اختلاف يتكون منـــه انكـــسار للضوء وتظهر صوره للسماء في هذا الانكسار مثل الماء الجاري الذي يغطي الرؤية لـــسطح الأرض [3]

وقوله تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً**﴾ إشارة إلى خداع النفس بعد خداع البصر بهذا السراب فإن لهفة الظمآن ، وحرارة شوقه إلى الماء ، تغطي على عقله فيخال السراب ماءً[4]

فينطلق هذا الظمآن المخدوع نحو هذا السراب ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾ لاهثاً تحثه حرارة العطش على المسير نحوه حتى يصل إلى المكان الذي ظن أنه الماء فلم يجد هناك شيئاً فتزداد حسرته ويتضاعف عطشه .

" إن الضمير في قوله جاءه يدل على شيء موجود واقع المجيء لأن وقوع المجيء على العدم لا يعقل ومعلوم أن الصفة الإضافية لا تتقوّم إلا بين متضائفين ، فلا تدرك إلا بإدراكهما فلا يعقل وقوع المجيء بالفعل ، إلا بإدراك فاعل واقع منه المجيء ومفعول به واقع عليه المجيء، وقوله تعالى ﴿**لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾ يدل على عدم وجود شيء يقع عليه المجيء."[5]

---

(1) تفسير ابن كثير 297/3 .

(2) لسان العرب 465/1 .

(3) انظر حديقة المعرفة / مجدي سيد عبد العزيز ص 24 . ــ ط1 . ــ القاهرة ، دار الأمين للنـــشر، 1996 م ، والموسوعة العربية الميسرة / بإشراف محمد شفيق غربال ص976 . ــ دون طبعة . ــ القاهرة ، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

(4) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب 1293/5 .

(5) أضواء البيان/ للشنقيطي 243/6 .

وقد أجاب الإمام ابن جرير الطبري على هذا في تفسيره جامع البيان فقال: " فإن قال قائل: وكيف؟ قيل ﴿**حَتَى إِذَا جَاءَه لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾ فإن لم يكن السراب شيئاً فعلام دخلت الهاء في قوله: ﴿**جَاءَه**﴾

1–قيل: أنه شيء يرى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفاً من بعيد ، فإذا قرب منه رق وصار كالهواء .

2–وقد يحتمل أن يكون معناه حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئاً فاكتفى بذكر السراب عن ذكر موضعه.(1)

وقد رجح الإمام الطبري والشنقيطي (2)الرأي الأول وعندي كذلك وأقول أيضاً: إن الله قد بين حتى لا يتوهم أنه بوجود الضمير يوجد هناك شيء، فقال تعالى: ﴿**لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾ رفعاً للوهم المتوقع أن يخالج السامع أو القارئ للآية .

وقوله تعالى: ﴿**وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ " يصل فلا يجد ما يرويه إنما يجد المفاجئة المذهلة التي لم تخطر له ببال المرعبة التي تقطع الأوصال وتورث الخبال ﴿**وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ** ﴾ الله الذي كفر به وجحده وخاصمه وعاداه وجده هنالك ينتظره ! ولو وجد في هذه المفاجئة خصماً من بني البشر لروعه وهو ذاهل غافل على غير استعداد فكيف وهو يجد الله القوي المنتقم الجبار " (3) .

﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ**﴾

والظلمات جمع في لغة القرآن لم ترد مفردةً على الإطلاق وذكر الإمام الرازي قول الحسن البصري في هذه الآية فقال :إن الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة العمل وظلمة القول .

وقيل عن ابن عباس: قلبه وبصره وسمعه."(4)

"وشبهها ثانيةً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة ، وفي خلوها من نور الحق بظلمات متراكمة من لجة البحر والأمواج والسحاب."(5)

---

(1) تفسير ابن جرير الطبري 18 / 148 .

(2) أضواء البيان / 6 / 243 .

(3) في ظلال القرآن / سيد قطب 107/6 .

(4) تفسير الرازي 8/24 .

(5) الكشاف / الزمخشري 244/3 .

" فيجتمع خوف الموج وخوف الريح وخوف السحاب ... وتتابع الموج وتلاحقه هو أخوف ما يكون إذا توالى وتقارب ... ومن فوق هذا الموج سحاب. وهو أعظم للخوف من وجهين:

أحدهما: أنه غطى النجوم التي تهتدي بها .

والثاني: الريح التي تنشأ مع السحاب والمطر الذي ينزل فيه."[1] أ.هـ

"وهذا من التوسع في ترادف الصفات ، فإنه لو أراد اختصاره لكان :﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ**﴾ مظلماً."[2]

وجمهور المفسرين على أن الظلمات الثانية مفسرة وشارحة للظلمات الأولى، إلا أن ابن عاشور يقول:" والمراد بالظلمات التي هنا غير المراد بقوله: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ** ﴾ لأن الجمع هنا جمع أنواع وهنالك جمع أفراد من نوع واحد."[3] وقد اعتبر أن ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ**﴾الأولى خاصة بالبحر وأما﴿**ظُلُمَاتٌ**﴾ الثانية تشمل ظلمة البحر والسحاب .

يرى الباحث: ونسأل أليست الأمواج وظلماتها من البحر وجزء منه؟ وكلها في الحقيقة ظلمات سوداء وإن اختلفت درجات سوادها حسب عمق لجة البحر وعظم الموج وصغره وكذلك كثافة السحاب ورقته، والقرآن يجمل ثم يفصل فكانت الأولى مجملة، وكما ذكر الزركشي فإنه نوع من التوسع في ترادف الصفات كما سبق ذكره . ففصّل القرآن وبيّن هذه الظلمات ببيان أنواعها في الثانية .

ويقول حبنّكة الميداني:" كل هذا بيان لحال الظلمات في عمق البحر اللجي."[4]

﴿**إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ﴾ إن قوله لم يكد يراها أبلغ من قوله لم يرها لأن من لم ير قد يقارب الرؤية؛ لأنه إذا انتفت مقاربة الفعل اقتضى عقلاً عدم حصوله."[5]

" وأصح الأقوال في هذا المعنى لم يقارب رؤيتها، وإذا لم يقارب رؤيتها فلم يرها رؤيةً بعيدة ولا قريبة."[6]

﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ هكذا يختم الله هذين المثلين بهذه الفاصلة المطابقة والمعبرة أصدق تعبير، عن حال هؤلاء الذين أعرضوا عن نور الهداية باتباع سبيل

---

(1) تفسير القرطبي 284/12 .

(2) البرهان/ للزركشي 413/3 .

(3) التحرير والتنوير / ابن عاشور 18/ 256 .

(4) أمثال القرآن/ لحبنّكة الميداني ص 544 .

(5) البرهان/ للزركشي 136/4 .

(6) معاني القرآن/ للنحاسي 542/4 .

الظلام بكفرهم وحربهم لله ورسوله والمؤمنين فكانت أعمالهم ظلمة فوق ظلمة فوق ظلمة ظلمات بعضها فوق بعض، فمن أين يأتيهم النور ؟ ولم يجعل الله لهم من نوره نصيباً في الدنيا والآخرة .

" ويظهر لنا في هذا المثل الرائع من خصائص الأمثال القرآنية ما يلي :

أولاً: صدق المماثلة بين الممثل به والممثل له .

ثانياً: التصوير المتحرك (حركة الموج في العمق– حركة الموج في السطح– حركة السحاب المتراكم– حركة رفع المتخبط يده إلى جهة عينيه) .

ثالثاً: البناء على المثل ، والحكم عليه كأنه عين الممثل له ... وهذا البناء قد جاء هنا في قوله عقب ذكر المثل مباشرةً :﴿ **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾[1] .

(1) أمثال القرآن/ حبنكة الميداني /545 .

المبحث السادس: دعوة الحق ودعوة الباطل

في المبحث السابق كانت أعمال الكفار سراباً يلهث خلفه العطشان من الكفار فلا يجد إلا الحسرة والخيبة والجفاف في حلقه، وكذلك كانت أعمالهم ظلمات متراكمة مدلهمّة تشتد ظلمةً بتتابعها وتواليها بعضها فوق بعض .

وفي هذا المبحث ومن خلال المثل القرآني المضروب نجد دعاء الكافرين في ضلال، نجد صورة حية لعطشان لاهث متلهف يريد أن يبل حلقه بشربة ماء، ولكنه يبسط يده فلا يستقر في كفه شيء، فلا يشرب ولا ينتفع من دعائه إلا الحسرة والعطش للاستجابة، ولكن هيهات هيهات وما دعاؤه إلا في ضلال .

وفي المقابل كعادة القرآن في المقابلة بين الصور والتمثيل الحي الناطق المتحرك، نجد دعوة الحق والاستجابة وتلبية الرغبات من الحق سبحانه:﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾[1]

وقال تعالى: ﴿**بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾[2]

وهاهو الإنسان عندما يقهره موج البحر ويتعالى عليه يتوجه إلى الله فلا معين له وكاشف لها إلا هو ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلا إِيَّاهُ**﴾[3]

ومثلنا هذا يعبر بصدق وصورة جلية كفلق الصبح عن هذا الأمر الذي لا ينفك الإنسان أن يتوجه به إلى ربه الذي يدين له، ومن خلال إلقاء الضوء على هذا المثل تتضح الصورة بإذن الله .

قال تعالى:﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إلا فِي ضَلالٍ**﴾[4]

قوله: ﴿**لَهُ**﴾ أي الله سبحانه وتعالى إن دعاه أحد سمعه فأجابه إن شاء وبما شاء [5] .

وقوله: ﴿**دَعْوَةُ الْحَقِّ**﴾ ذكر الزمخشري أن فيها وجهان:

أحدهما: أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل .

---

(1) سورة النمل: آية / 62

(2) سورة الأنعام: آية / 41

(3) سورة الإسراء: آية / 67

(4) سورة الرعد: آية / 14

(5) نظم الدرر / للبقاعي 134/4، وانظر تفسير الرازي 29/19 .

والثاني: أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وجل [1] .
والحق ضد الباطل قاله سعيد حوى في تفسيره [2] .
وقال ابن الجوزي له دعوة الحق فيه قولان:
أحدهما: أنها كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، قاله علي وابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ والجمهور والمعنى له من خلقه الدعوة الحق، فأضيفت الدعوة إلى الحق لاختلاف اللفظين .
والثاني: أن الله عز وجل هو الحق فمن دعاه دعا الحق، قاله الحسن البصري[3].
وقال العلامة ابن عاشور:" إضافة الشيء إلى منشئه كقولهم : برود اليمن، أي الدعوة الصادرة عن الحق وهو ضد الباطل، وعبادة الأصنام تصدر عن اعتقاد الشرك وهو الباطل . واللام للملك المجازي وهو الاستحقاق." **(يرى الباحث:** وهذا من باب التأويل الذي يتنافى مع عقيدة السلف والملكية هنا حقيقة فإن الله يملك البشر ودعاءهم وله هذا كله بدون تأويل كما له الحمد في قوله: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ [4] فإن هذه اللام فيها الاختصاص والملكية والقصر ولما كان ذلك من كمال توحيد الألوهية وهو الدعاء لله وحده) .
"وتقديم الجار والمجرور على المبتدأ لإفادة التخصيص أي دعوة الحق ملكه لا ملك غيره وهو قصر إضافي."[5]

وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ**﴾ تستوعب كل ما يعبد من دون الله من آلهة إن كانت بشراً أو فكراً أو حيواناً أو صنماً أو شمساً أو قمراً أو ناراً فهي شاملةً كل ما يعبدونه من معبودات غير الحق .

قال القرطبي والألوسي وابن الجوزي وابن جزي الكلبي والزمخشري والماوردي والرازي وابن كثير وغيرهم من جمهور المفسرين: إنها الأصنام والآلهة التي يعبدونها[6] .

وهذه الآلهة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعمل لا تملك الإجابة فلا تستجيب لهم بل لا ترجع لهم صدى، ويبقون بحسرتهم ولهفتهم للمجيب والمجير ولا مجيب ولامجير لهم من أصنامهم بشيء، وكلمة ﴿**بِشَيْءٍ**﴾ جاءت للتحقير والتصغير حتى جنس ما يطلق عليه شيء فلا ينتفعون .

---

(1) انظر الكشاف/ للزمخشري 520/2 .
(2) الأساس في التفسير / 2735/5 .
(3) زاد المسير / ابن الجوزي 317/4 ، وانظر التسهيل للكلبي 2/ 132 ، وتفسير الرازي 29/19-30 .
(4) سورة الفاتحة: آية / 1
(5) التحرير والتنوير / ابن عاشور 108/13 .
(6) القرطبي 300/9 ، والألوسي 124/13 ، وابن الجوزي 317/4 ، وابن جــزي الكلبــي 132/2 ، والكشاف 521/2 ، والماوردي 103/3 ، والرازي 30/19 ، وابن كثير 508/2 كلهم في تفاسيرهم .

كما قال ابن جرير الطبري:" لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من نفعٍ أو دفع ضر."[1]

وكذلك قال القرطبي" أي لا يستجيبون لهم دعاء ولا يسمعون لهم نداء."[2]

"وبيّن سفول رتبتهم بقوله: ﴿**مِنْ دُونِه**﴾."[3]

وقوله تعالى: ﴿**إلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِه**﴾قال ابن جرير الطبري:" لا ينفع داعي الآلهة دعاءه إياها إلا كما ينفع باسط كفيه إلا الماء بسطه إياها إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقبضه عليه والعرب تضرب (المثل) لمن سعى فيما لا يدركه بالقابض على الماء."[4]

"شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشرب، فبسطها ناشراً أصابعه ،فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه."[5]

" وزعم الفرّاء [6] أن المراد بالماء البئر ، لأنها معدن للماء وأن المثل كمن مد يده إلى البئر بغير رشاء."[7]

وذكر ابن الجوزي خمسة أقوال في تشبيه حال هؤلاء، قال: "فيه خمسة أقوال :

أحدها: أنه العطشان يمد يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه.

الثاني: أنه الرجل العطشان قد وضع كفيه في الماء وهو لا يرفعهما.

الثالث: أنه الرجل العطشان يرى خياله في الماء من بعيد ، فهو يريد أن يتناوله فلا يقدر عليه ، **يرى الباحث:** ما دخل الخيال في الشرب وكذلك ما في الآية ما يدل عليه.

الرابع: أنه الرجل يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً.

الخامس: أنه الباسط كفيه ليقبض حتى يؤديه إلى فيه ولا يتم له ذلك، والعرب تقول: من طلب ما لا يجد فهو القابض على الماء.

---

(1) ابن جرير الطبري 129/13 .

(2) القرطبي 300/9 .

(3) نظم الدرر / للبقاعي 135/4 .

(4) ابن جرير الطبري 129/13 .

(5) الزمخشري 521/2 وانظر التحرير والتنوير 109/13 .

(6) الفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور الأسدي الكوفي النحوي وهو صاحب الكسائي بحر في اللغة والنحو وفي الفقه والطب والتفسير ومن كتبه(معاني القرآن) ت 207 هـ وله ثلاث وستون سنة، انظر تهذيب سير أعلام النبلاء / محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ هذبه أحمد فايز الحمصي . ـ ط1 ـ . بيروت، مؤسسة الرسالة، 1412 هـ ـ 1991 م .

(7) تفسير القرطبي / 301/9 .

يرى الباحث: وهذا هو أصح الأقوال؛ وذلك لأنه أقربها لمنطوق الآية."[1] وسبق ذكره عن الزمخشري وابن عاشور كذلك .

وهذه هي الصورة الشاهدة في المثل حيث التصوير الدقيق للماء يتخلل منفلتاً من بين الأصابع لا يستقر في كف هذا العطشان اللهفان للماء، فلا يجد في كفه من هذا الماء شيئاً يبل ريقه ويطفيء نار عطشه، وهو في أصعب المواقف وأحرجها يستجير بما يعبد، فلا مجيب ولا غوث إلا الحسرة واللهفة .

ومن خلال هذا المثل القرآني البديع البليغ المملوء بالحركة والعاطفة الجياشة والمطابقة بين المثل والممثل له الذي يصدق عليه أصدق الصدق، ويجلي الصورة في أجمل تعبير وأخصره، فها هو العطشان يرفع كفيه إلى فيه ظاناً أنها تحمل الماء ولكن هيهات هيهات .

ويأتي قوله تعالى: ﴿**وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ**﴾ يبيّن ما كَنّاه من خيبة أمل الداعي في عدم الاستجابة لدعوته بالتصريح بعد التلميح وباختلاف الغرض والأسلوب حسَن العطف على ما قبله من جمل ﴿**وَالَّذِينَ يَدْعونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ**﴾ وبالمآل حصل توكيد الجملة الأولى، وتقريرها بالأخيرة، فكان دعاء الكافرين في ضلال.[2]

"﴿**إِلاّ فِي ضَلاّلٍ**﴾ إلا في ضياع لا منفعة فيه؛ لأنهم إن دعوا الله لا يجيبهم، وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم."[3]

وفي ختام هذا المثل نبيّن وجوه ذكر الماء كعنصر من عناصر هذا المثل البليغ:

أحدها: أن الماء فيه حياة الإنسان وتظهر شدة الحاجة إليه أكثر بالعطش .

ثانيها: أن الماء المشروب بسيولته لا يستقر في الكف فهو يتسرب من بين الأصابع وهذا مطابق جداً للمثل .

ثالثها: إن العرب جرى على لسانهم المثل مضروباً لمن سعى فيما لا يدركه بالقابض على الماء باليد فقيل :

فأصبحت فيما كان بيني وبينه *** من الوُدّ مثلَ القابض الماءَ باليدِ[4]

---

(1) زاد المسير / ابن الجوزي 317/4 –318 .

(2) التحرير والتنوير / ابن عاشور 11/13 .

(3) الكشاف / الزمخشري 521/2 .

(4) البحر المحيط / لأبي حيان 368/5 ، نسبه إلى سيبويه وقال ابن جرير الطبري 128/13: إنه من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن .

المبحث السابع: المرائي المّان بصدقته

بين يدي المثل:

جاء هذا المثل ضمن مجموعة أمثال ضربها الله في سورة البقرة، تبدأ من قوله تعالى﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ...**﴾ ــ حتى قوله تعالى ــ ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[1] عرض الله فيها قضية الإنفاق في سبيل الله مع الإخلاص، وحذر فيها من المن والأذى لخلق الله الفقراء وضعفاء المسلمين، وعندما نتعرض لهذا المثل فإننا نعرض له لذكر عنصر الماء فيه، ثم لبيان بلاغة القرآن وحكمه في تشريعاته وتعاليمه، وقبل أن ندخل نتعرف على جوهر الموضوع وهو الإنفاق .

تعريف الإنفاق في اللغة:

" نفق: النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدل أحدهما على انقطاع شئ وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه، ومتى حُصل الكلام فيهما تقارب."[2]

وقال الراغب الأصفهاني:" نفق الشيء مضى ونفد، ينفق إما في البيع نحو نفق البيع نفاقاً ....، وإما بالموت نحو نفقت الدابة، والإنفاق قد يكون في المال وفي غيره، وقد يكون واجباً، وتطوعاً .[3]

وفي الاصطلاح: "الإنفاق: صرف المال في الحاجة."[4]

النص الكريم للآية:

قال تعالى:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لايَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[5]

مناسبة الآية وارتباطها بالسياق:

بعد أن بيّن الله فضل الإنفاق في الآيتين السابقتين لهذه الآية، وجلى الدستور الربّاني الإنفاق، ومضاعفة الأجر إلى سبعمائة ضعف،ويزيد من سعته وفضله " وعندما يصل التأثير الوجداني غايته ... بعد استعراض مشهد الحياة النامية الواهية مثلاً للذين ينفقون أموالهم في

---

(1) سورة البقرة: آية / 261 – 267

(2) معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس ص 1038

(3) المفردات / للراغب الأصفهاني ص 423 .

(4) التعريفات/ للجرجاني ص 30 ، والتوقيف على مهمات التعاريف/ للمناوي ص 100 .

(5) سورة البقرة: آية / 264

سبيل الله، دون أن يتبعوا ما أنفقوا مناً ولا أذى، وبعد التلويح بأن الله غني عن ذلــك النــوع المؤذي من الصدقة، وإنه هو الواهب الرازق لا يعجل بالغــضب والأذى ... عنــدما يــصل التأثير الوجداني غايته بهذا وذاك، يتوجه الخطاب إلى الذين آمنوا ألا يبطلوا صدقاتهم بــالمن والأذى .

ويرسم لهم مشهداً عجيباً أو مشهدين عجيبين يتسقان مع المشهد الأول، مشهد الزرع والنماء، ويصوران طبيعة الإنفاق الخالص لله، والإنفاق المشوب بالمن والأذى على طريقــة التصوير الفني بالقرآن التي تعرض المعنى صورة، والأثر حركة، والحالة مــشهداً شاخــصاً للخيال."[(1)]

وقال ابن عاشور: " فلما وصف الإنفاق في سبيل الله بصفة الإخلاص لله فيه بقوله: ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ انتقل بمناسبة ذلك إلى طرد ذلــك الوصــف فــي الإنفاق على المحتاجين؛ فإن المن والأذى في الصدقة أكثر حصولاً لكون الــصدقة متعلقــةً بأشخاص معينين بخلاف الإنفاق في سبيل الله فإن أكثر من نالهم النفقة لا يعلمهم المنفق ."[(2)]

شرح الآية:

﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى**﴾

يخاطب الله الفئة المؤمنة التي مس الإيمان شغاف قلوبهم محذراً، وقارعــاً آذانهــم بــــ (لا) الناهية لنفوسهم وعقولهم عن إبطال صدقاتهم بالمن على المحتاجين، وإيذائهم بأي شكل مــن أشكال الإيذاء. قال القرطبي:" قال جمهور العلماء في هذه الآية إن الصدقة التي يعلم الله مــن صاحبها أنه يمنّ أو يؤذي بها فإنها لا تقبل. وقيل: بل قد جعل الله للمَلَكِ عليها أمارة فهــو لا يكتبها، وهذا حسن."[(3)]

﴿**كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ " أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليُشْكَر بين الناس، أو يقال له: كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه؛ ولهذا قال:﴿ **وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾[(4)]، فالموصول من قوله: ﴿**كَالَّذِي**

---

(1) في ظلال القرآن / سيد قطب 1 / 451 .

(2) التحرير والتنوير / ابن عاشور 3 / 43 – 44 .

(3) تفسير القرطبي / 3 / 311 ، وروح المعاني / للألوسي 3 / 34 .

(4) تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير 1 / 319 .

يُنْفِقُ مَالَهُ ﴾ مراد به جنس، وليس مراداً به معيناً ولا واحداً أو الفريق الذي ينفق كما قاله الزمخشري[1] .

والغرض من هذا التشبيه تفظيع المشبه به وليس المراد المماثلة[2] ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا**﴾ ،﴿**فَمَثَلُهُ**﴾ أي المرائي في الإنفاق ، والفاء لربط ما بعدها بما قبلها ﴿**كَمَثَلِ صَفْوَانٍ**﴾ أي حجر كبير أملس وهو جمع صفوانة أو صفاء ...و﴿**عَلَيْهِ تُرَابٌ**﴾ أي شئ يسير منه .

و﴿**فَأَصَابَهُ وَابِلٌ**﴾ أي مطر شديد الوقع، وكبير القطر .

و ﴿**فَتَرَكَهُ صَلْدًا**﴾ أي أملس ليس عليه شيء من التراب والغبار أصلاً [3] .

و ﴿**لايَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**﴾ " أوقع موقعاً بديعاً من نظم الكلام تنهال به معاني كثيرة، فهو بموقعه كان صالحاً؛ لأنه يكون حالاً من الذي ينفق ماله رئاء الناس فيكون متدرجاً في الحالة المتشبهة، وإجراء ضمير كسبوا ضمير جمع؛ لتأويل الذي ينفق بالجماعة."[4]

ثم ذكر ابن عاشور وجوهاً صالحة كثيرة نرجع لها هناك في تفسيره للآية، فهم في الآخرة لن يستطيعوا استرجاع ما أنفقوا ولم يتحصلوا على الثواب مما أنفقوا، فلم يَتَبقَّ لهم منه شيء .

و ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ تذليل مسوق لتحذير المؤمنين من تسرب أحوال الكافرين إلى أعمالهم، فإن في أحوالهم المن والأذى للمحتاجين والفقراء[5]

تحليل المثل:

يقول ابن قيم الجوزية: "وتأمل أجزاء هذا المثل البليغ، وانطباقها على أجزاء الممثل به، تعرف عظمة القرآن وجلالته .

فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي المان والمؤذي، فقلبه في قسوة عن الإيمان والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر، والعمل الذي عمله لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر، فقسوة ما تحته وصلابته تمنعه من النبات والثبات عند نزول الوابل، فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلأ، وكذلك المرائي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي ،والقضاء والقدر، فإذا نزل عليه وابل الوحي تكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي

---

(1) انظر الكشاف / الزمخشري 1 / 312 .

(2) التحرير والتنوير / ابن عاشور 3 / 48 .

(3) انظر روح المعاني / للألوسي 3 / 35 .

(4) التحرير والتنوير / ابن عاشور 3 / 49 – 50 .

(5) انظر التحرير والتنوير / ابن عاشور 50/3 ، وروح المعاني / للألوسي 35/3 .

كان عليه، فبرز ما تحته حجراً صلداً، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرائي ونفقته ، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه ،أحوج ما كان إليه."[1]

وهذا المثل من الأمثال الصريحة في القرآن التي ذكر فيها لفظ المثل ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ**...﴾ وجاء ذكر الماء في المثل في صورة المطر الشديد، وهو المؤثر الكاشف لزيف عمل هذا المرائي، حيث أزال التراب عن الصفوان وتركه مكشوفاً عارياً مما كسا نفسه به من خداع زائف، فهو إن لم يكن مضرب المثل كان عنصراً هاماً في المثل، أراد به الله أن يكون بمثابة الحق القوي ﴿**فَأَصَابَهُ وَابِلٌ**﴾ مقابل تراب الرياء والسمعة والنفاق والمن والأذى، ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾ [2] .

لذلك نجد الصورة جلية واضحة مطابقة في هذا المثل بين الممثل به والممثل له ووجه الشبه الذي هو عدم النفع ﴿**لايَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**﴾، وكذلك قسوة هذه القلوب﴿**فَتَرَكَهُ صَلْدًا**﴾ في حقيقتها، كصلابة هذا الصفوان .

---

(1) التفسير القيم / ص 152 ـ 153 ، وإعلام الموقعين / ابن قيم الجوزية . ـــ دون طبعة ـ . القاهرة، دار الحديث 1/ 160 – 161

(2) سورة الإسراء: آية / 81

المبحث الثامن: المؤمن المنفق في سبيل الله

بعدما تعرضنا في المبحث السابق لمثل المرائي المان بصدقته نجد أنفسنا أمـــام مثـــل آخر يبين الوجه المشرق للإنفاق وذلك من خلال عرضنا لهذا المبحث " المؤمن المنفـــق فـــي سبيل الله."

النص الكريم للمثل:

قال تعالى:﴿ **وَمَثَلُ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّـــةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[1]

مناسبة الآية وارتباطها بالسياق:

" من أساليب فصاحة القرآن أن يأتي فيه ذكر نقيض ما تقدم ذكره لتبيين حال التضاد بعرضها على الذهن، فلما ذكر الله صدقات القوم الذين لا ثواب لصدقاتهم، ونهـــى المـــؤمنين عن عمل ما يشبه ذلك بوجه ما؛ وعقب في هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين تزكوا صدقاتهم وهي على وجهها في الشرع فضرب لها مثلاً "[2] " لزيادة بيان ما بين المرتبتين من البـــون، وتأكيداً للثناء بإخلاص، وتفنّناً في التمثيل . فإنه قد مثّله فيما سلف كحبة أنبتت ســـبع ســـنابل، ومثله فيما سلف تمثيلاً غير كثير التركيب لتحصل السرعة بتخيل مضاعفة الثواب، فلما مثـــل حال المنفق رياءً بالتمثيل الذي قضى، أعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضـــاة الله بمـــا هـــو أعجب في حسن التخيل"[3]

شرح الآية:

﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**﴾

وهكذا يمثل الله تعالى في المقابل للسابق مثلاً للذين غمر قلوبهم الإيمان بنداه وبشاشته، فينفق ماله عن طيب نفس ورضاً بالله، وطمعاً في مرضاة الله مخلصاً محتسباً ما أنفـــق عنـــد الله، وهذا هو غرضه الأول، أما غرضه الثاني فهو تثبيتاً لهذه النفس على الإيمان، وحفظـــاً لهـــا على الطاعة وترك ما يفسدها من منّ وأذى، واتقاءً لشح النفس وتزكية المال، مع اليقـــين أن الله لن يضيع أجورهم، ولن يخيب رجاءهم، حيث قال:﴿ **وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾.[4]

---

(1) سورة البقرة: آية / 265 .

(2) المحرر الوجيز / ابن عطية 2 / 316 .

(3) التحرير والتنوير / ابن عاشور 3 / 50 .

(4) انظر تفسير الفخر الرازي 7 / 58 – 59 .

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾

"يشبه الله هؤلاء المنفقين مرضاةً لله بالجنة وهي البستان المثمر، وكذلك المرتفع حيث تكون الجنة فيه نصب الشمس والرياح فتتربى الأشجار هناك أتمّ تربية."(1)

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾

" فإنه يعني جل ثناؤه: أصاب الجنة التي بالربوة من الأرض وابل من المطر وهو الشديد العظيم القطر منه، ﴿**فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ**﴾ فإنه يعني الجنة أنها أُضْعِفَ ثمرها ضعفين حين أصابها الوابل من المطر، والأُكل: هو الشئ المأكول."(2)

أي أن هذه الجنة قد أعطت من الثمر والخير أضعافاً كثيرة بفضل الله الذي رزقها وأمطرها بهذا الوابل من الماء الغزير، وقد بارك الله فيه .

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾

" أيْ أن هذه الجنة، إن لم تمطر بالمطر الكثير الغامر فإنه يكفيها المطر القليل أو اللين أو الندى أو الرذاذ، أي أن هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً، فهي مثمرة في كلا الحالين الوابل والطل، وأياً كان فهو كفايتها."(3)

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

" أي: يرى أعمالكم على إكثار وإقلال، ويعلم نيّاتكم وما فيها من رياء وإخلاص"(4) ويقول سيد قطب: "ولما كان المشهد مجالاً للبصر والبصيرة من جانب، ومرد الأمر فيه كذلك إلى رؤية الله ومعرفته بما وراء الظواهر، جاء التعقيب لمسة للقلوب ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾(5) فجاءت الفاصلة مطابقة للآية في أجمل طباق وأحكمه" .

تحليل المثل:

" إذا كان القلب الصلد وعليه ستار من رياء يمثله صفوان صلد عليه غشاء من تراب فالقلب المؤمن تمثله جنة، جنة خصبة عميقة التربة في مقابل حفنة التراب على الصفوان، جنة تقوم على ربوة في مقابل الحجر الذي تقوم عليه حفنة التراب ليكون التراب متناسق الأشكال !

---

(1) الأمثال في القرآن / ابن القيم ص 51 .

(2) جامع البيان / ابن جرير الطبري 3 / 72 .

(3) انظر تفسير ابن كثير 1 / 320

(4) الأساس في التفسير / سعيد حوى 1 / 618

(5) في ظلال القرآن / سيد قطب 1 / 452

فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك، بل أحياها وأخصبها ونماها."[1] وبعد هذه المقارنة بين المثل السابق وهذا المثل نفصل هذا المثل ونبين أركانه وصورته .

إن تمثيل قلب المؤمن المخلص بالجنة العالية فوق مرتفع من الأرض نصب الشمس والرياح واللواقح، فكما هو قلب المؤمن دائم العطاء والبذل في سبيل الله كذلك هذه الجنة التي تؤتي أكلها ضعفين مثمرة في كل الأحوال إذا جاءها وابل أو طلّ .

إن هذا المثل الصريح الجلي صُرّح به بلفظ المثل ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ**﴾ ومع وضوح التمثيل بركنيه، فقد اختلف المفسرون فيما مثل في الجنة، إن كان المنفقون أو نفقاتهم أو هم ونفقاتهم .

فذهب ابن جرير الطبري [2] و ابن كثير [3] وصاحب المنار [4] إلى أن المراد هو المنفقون أنفسهم .

وذهب الزمخشري [5] والرازي [6] والنيسابوري [7] وأبو السعود [8] والألوسي [9] إلى أن الممثل هو النفقة والمال الذي ينفقونه .

وذهب أبو حيان [10] منفرداً إلى أن الممثل هو المنفق والنفقة معاً أو المنفق أو النفقة. وهكذا يجوز التقادير الثلاثة، والرأي الأول هو الأرجح، وذلك من خلال مقابلة المثل السابق بهذا المثل كما ذكرت سابقاً، فلماذا نعدل عن اللفظ إلى التأويل؟ ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ**﴾ وما قال: مثل نفقتهم أو أنفاقهم، وقال في المثل السابق ﴿ **كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ ... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ**﴾ والله أعلم .

ومن خلال هذا المثل نجد حالين من الإنفاق: حال شبه بالوابل، وحال شبه بالطّلّ، وذلك حسب سعة هذا المنفق وأحواله، فإن تيسرت أحواله كان الإنفاق غزيراً وإن تعسرت

---

(1) في ظلال القرآن / سيد قطب 1 / 451 – 452 .
(2) جامع البيان / القرطبي 3 / 68 .
(3) تفسير ابن كثير 1 / 319 .
(4) تفسير المنار / محمد رضا 3 / 67 .
(5) الكشاف / للزمخشري 1 / 313 .
(6) تفسير الرازي 7 / 58 .
(7) غرائب الفرقان/ للنيسابوري 3 / 52 .
(8) تفسير أبي السعود 2 / 506 .
(9) روح المعاني / للألوسي 3 / 36 .
(10) البحر المحيط / لأبي حيان 2 / 323 .

كان الإنفاق قليلاً، لكن في كل الأحوال هو معطاء، والمثل صورة حية كلها حركة من خـلال سقوط المطر من السماء، وهي حركة من أعلى للأسفل، وحركة أخرى مقابلـةً لهـا، وهـي حركة نماء أشجار الجنة، وهي حركة من الأسفل إلى الأعلى، وفي هذه الصورة جمال بـديع ومقابلة فنية رائعة .

ونجد في هذا المثل الخير والنماء والعطاء في الممثل والممثل له، فقـد شـبه هـذه النفوس المخلصة المؤمنة بالجنة التي تعطي أكلها ضعفين، وقد شـبه الرسـول ﷺ المـسلم بالنخلة﴿ **عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ من الشَّجَرِ شَـجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ، قال: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّه، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَـالَ: هِيَ النَّخْلَةُ**﴾[1]

والماء في هذا المثل عنصر هام جداً، حيث هو الحياة، فلا جنة ولا نماء ولا ثمار إلا بالماء .

وكذلك ضرب به المثل في حالين من العطاء بالوابل والطل، فكـان المـاء عنـصراً رئيساً في حركة اللوحة الفنية في المثل، وكذلك أخذ مساحة واسعة من حجم وهـذه اللوحـة الفنية التي رسمها المثل وكتلتها .

والمثل هنا مضروب بمحسوس حسب الرأي الأول، وكذلك الثاني في التشبيه بالجنـة إن كان المنفق أو النفقة .

---

(1) البخاري 1 / 26 كتاب العلم ، باب طرح الإمام على أصحابه حديث رقم 62 .

المبحث التاسع: مثل الحياة الدنيا

بين يدي المثل:

إن أكثر الناس في أيامنا هذه يركنون إلى الدنيا، ويسلّمون زمامهم لها ... لظنهم أنهم قادرون عليها، متحكّمون فيها، بما لديهم من وسائل العلم الحديث وأنواع المخترعات والمكتشفات ... وماحازوا من مال واقتصاد جعلهم يتمادون في غرورهم وخُيَلائِهم، متصورين أنهم في نعيم مقيم ولا فناء لما هم فيه من زينة هذه الحياة الدنيا .

والقرآن الكريم يحذر من هذه العاقبة في أكثر من موضع، وينعي على أهل الدنيا استكانتهم إليها وخدمتهم، فقال في محكم التنزيل:

﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[1] ويقول جل وعلا :﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[3]

وهذه الحياة الدنيا ليست مذمومة لذاتها، بل هي خلق الله، أُمِرَ المسلم أن يأخذ منها ما يبلغه مرضاة، الله فإن الله لم يحرم الدنيا على البشرية، فقال:﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾[4]، وقال تعالى:﴿ **وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[5] فهذه الدنيا تغر الكافر وتهوي به إلى النار ــ والعياذ بالله ــ وأما المؤمن فالدنيا له متاع بلاغ إلى الجنة فيأخذ منها ما طاب ليرضي الله به .

والقرآن الكريم ذكر الحياة الدنيا في الأغلب بالتحذير منها، وعدم الركون إليها حتى يُؤْثر الآخرة عليها، وعندما علّم الإنسان أن يأخذ بحظه منها جعلها في مقام المنسي ، فقال:﴿ **وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ**﴾ وكأن الأصل نسيان حبها والرغبة فيها. وإفراغ القلب منها، فما هي إلا دار ممر، والآخرة دار القرار والحيوان والخلود .

ومن أجل ذلك نجد القرآن ــ مع كثرة ذكره للحياة الدنيا ــ يقدم لنا ثلاثة آيات ضربها على سبيل المثل؛ حتى يجلي حقيقة هذه الحياة الدنيا في عقولنا وقلوبنا، وهذه الأمثال هي موضوع هذا المبحث ونبدأ بالمثل الأول .

النص الكريم للآية:

---

(1) سورة الأنعام: آية / 32

(2) سورة العنكبوت: آية / 64

(3) سورة آل عمران: آية / 185

(4) سورة الأعراف: آية / 32

(5) سورة القصص: آية / 77

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

مناسبة الآية لما سبقها :

"هذه الآية تتنزل منزلة البيان لجملة ﴿**مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[2] ــ في الآية التي سبقتها في السورة ــ المؤذنة بأن تمتعهم بالدنيا ما هو إلا لمدة قصيرة."[3]

"و لما كان سبب ما ذكر من البغي في الأرض وإفساد العمران هو الإفراط في حب التمتع بما في الحياة الدنيا من الزينة واللذات ضرب لها مثلاً بليغاً يصرف العاقل عن الغرور بها ويهديه إلى القصد والاعتدال فيها ...."[4]

"ولما كان السياق لإثبات البعث وتخويفهم به – كفار قريش – وكانوا ينكرونه ويعتقدون بقاء الدنيا وأنها إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع وكانت الأمثال أجلى لمحال الأشكال قال تعالى ممثلاً لمتاعها قاصراً أمرها على الفناء رداً عليهم في اعتقاد دوامها من غير بعث."[5]

شرح النص الكريم:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾

جاءت الآية بأسلوب القصر ﴿**إِنَّمَا**﴾ لقصر حالة الحياة الدنيا التي انكب عليها الناس بحال الماء الذي أنزل من السماء ليكون سبباً في نبات الأرض وازدهارها، فالقَصْر قَصْرُ قلب، بُنِي على تنزيل المخاطبين من كفار قريش خاصة والناس عامة منزلة من يعتقد عكس تلك الحالة .[6]

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾

وذلك بتخلل الماء في الأرض والتربة المزروعة فيمتصه النبات لسيولته ولطافته فأصبح كلاً متداخلاً في الآخر مختلطاً به .

﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ﴾

---

(1) سورة يونس: آية / 24

(2) سورة يونس: آية / 23 .

(3) التحرير والتنوير / ابن عاشور 11 / 141 .

(4) تفسير المنار / محمد رضا 11 / 348 .

(5) نظم الدرر/ للبقاعي 3 / 432 .

(6) انظر بحر العلوم/ للسمرقندي 2 / 92 ، وجامع البيان/ للطبري 11 / 101 ، والتحرير والتنوير/ ابن عاشور 11 / 141 .

" مما يأكل الناس من الحبوب والثمار ومما تأكل الأنعام والدواب مـن العـشب والكـلأ "[1]، وبذلك قد جمع أصناف النبات كلها .

﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ**﴾

" حتى ابتدائية غير عاملة ."[2] " وهي تفيد الغاية وهو ما يؤذن بأن بين مبدأ ظهـور لـذات الحياة وبين منتهاها مراتب جمة وأطوار كثيرة فذلك طُوي في معنى حتى."[3] " وفي ذلك مـا يشعرك بالحياة التي تدب في الأرض حين تأخذ زخرفها وتتزين."[4] " وفيـه تـشبيه الأرض بالعروس التي تتزين بالحمرة والبياض ونحوها."[5]

" وهذا من بديع الاستعارة المكنية حيث شبه الأرض حيثما تتزين بالنبات والأزهار بالعروس تتزين بالحلي والثياب، واستعير لتلك البهجة والنضارة لفظ الزخرف."[6]

﴿**وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا**﴾

قال صاحب المنار: " متمكنون من التمتع بثمراتها وادخار غلاّتها."[7]

﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا**﴾

" يعني عذابنا "[8] " إشارة لإرادة الاستئصال، فهو ينذر بالتهديد للكـافرين، ويجعـل التمثيـل أعلق بحياتهم ... ويزيد تلك الإشارة وضوحاً قوله:﴿ **وَظَنَّ أَهْلُهَـا أَنَّهُـمْ قَـادِرُونَ عَلَيْهَـا**﴾ المؤذن بأن أهلها مقصودون بتلك الإصابة."[9] " وتقسيمه ليلاً أو نهاراً تنبيهـاً إلـى الخـوف وارتفاع الأمن في كل وقت."[10]

﴿**فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ**﴾

---

(1) بحر العلوم / السمر قندي 2 / 94 .
(2) معجم حروف المعاني / محمد حسن الشريف 2 / 627 .
(3) التحرير والتنوير / ابن عاشور 11 / 143 .
(4) من بلاغة القرآن / أحمد أحمد بدوي 221 .
(5) من رغائب الفرقان وغرائب القرآن/ للنيسابوري 1 / 2 .
(6) انظر تفسير الرازي 17 / 77 ، والبحر المحيط / ابن حيان 5 / 145 ، والتحرير والتنوير 11 / 143
(7) تفسير المنار / محمد رضا 11 / 348 .
(8) بحر العلوم / السمرقندي 2 / 94 .
(9) التحرير والتنوير / ابن عاشور 11 / 143 .
(10) المحرر الوجيز / ابن عطية 9 / 30 .

أي جعلها الله خالية لا شئ فيها، قد حصد زرعها، وقلع من جذوره حتى إذا نظر إليها الناظر لم يقل: كان بالأمس هنا نبات أو زرع، وذلك مما يوحي بقوة والانتقام والإهلاك لهذا الزرع وشدتهما .[1]

﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾

" كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا، وعرفناكم حكمها وأمرها، كذلك نبين لكم حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر، وخص به أهل الفكر؛ لأنهم أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشُبَه في الصدور."[2]

تحليل المثل:

لو نظرنا إلى هذا المثل البديع الذي ضربه الله للحياة الدنيا وما فيها من متاع وزخرف وزمن وحركة وآمال وتطلعات، هذا الركن الممثل في هذا التشبيه المركب أو التشبيه التمثيلي.

وفي المقابل الممثل به وهو الماء المنزل من السماء والذي هو سبب في اخضرار الأرض بالزرع وألوانه وأحجامه المختلفة يمثل الركن الآخر من التشبيه .

وأما وجه الارتباط بينهما فهو سرعة الانقضاء والفناء وعدم الدوام فكل من الاثنين إلى هلاك وزوال، واستخدم الكاف كأداة للتشبيه مع التصريح بالمثل في بداية الآية ﴿**مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ " ومن بديع هذا التشبيه تضمنه لتشبيهات مفرقة في أطوار الحالين المتشابهين بحيث يصلح كل جزء من هذا التشبيه المركب لتشبيه جزء من الحالين المتشابهين؛ ولذلك أطنب ووصف الحالين من ابتدائه."[3]

" إن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يجعل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى أن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقلياً "ممعناً" كانت الحاجة للجملة أكثر .

ألا ترى إلى نحو قوله عز وجل "الآية" كيف كثرت الجمل فيه، حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فُصِلت، وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صورة الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة، ثم

(1) انظر تفسير الرازي 17 / 77 – 78 .

(2) جامع البيان / للطبري 11 / 101 .

(3) التحرير والتنوير / ابن عاشور 11 / 141 .

إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض وإفراد شطر من شطر."[1]

وغرض هذا المثل وأخويه اللذين سيأتيان لاحقاً هو التحقير والذم، حيث يقول الميداني في أمثال القرآن:" ومن الشواهد التي يلاحظ أن الغرض من ضرب المثل فيها التحقير، ما تكرر في القرآن من ضرب المثل لتحقير الحياة الدنيا وتهوين شأنها وشأن لذاتها ومتاعها."[2]

ولو نظرنا لمن ضُرِب هذا المثل؟ نجد سياق الآيات في السورة سابقة المثل تتحدث عن المشركين، وعن البغي، وكذلك الآيات اللاحقة للمثل تتحدث عن المشركين وشركهم، وعن وانكارهم للبعث فجاء المثل مضروباً لهؤلاء الكفار والمشركين، ليبين لهم أن اليوم الآخر آتٍ ولا مناص، والحياة الدنيا إلى فناء وهباء .

وجاء المثل طويلاً يصف الحياة من بدايتها، منذ اللحظة الأولى من سقوط الماء على الأرض والإنبات والاخضرار والزينة والثمار، وقرب موسم الحصاد؛ حتى جاء أمر الله بغتةً في ليل أو نهار وهم لاعبون أو لاهون أو نائمون وانتهى كل شيء فجأة .

وجاء الماء في هذا المثل كأساس لهذا المثل، وسبب من أسباب مطابقة هذا المثل لما مثل له، حيث إن المثل للحياة الدنيا والماء هو الحياة ﴿**وجعلنا من الماءِ كلَّ شَئٍ حَي**﴾ فكيف بلا ماء يمكن مقابلة الحياة الدنيا في المثل بالأرض ونباتها وزخرفها والحياة فيها وزينتها كأنها العروس بلا نزول الماء عليها ؟

ولذا طابق ذكر الماء في المثل ما ذكر له، ولولاه لما كان هناك مثل قائماً .

ومن الخصائص التي نجدها في هذا المثل:

* دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة من الصورة التمثيلية .
* التصوير المتحرك الحي الناطق، ذو الأبعاد المكانية والزمانية .
* صدق المماثلة بين المثل والممثل له .[3]

ولا تنس أن المثل جاء من الأمثال الصريحة التي ذكر فيها لفظ المثل .

---

(1) أسرار البلاغة/ عبد القاهر الجرجاني ص 91 . ــ دون طبعة . ــ القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، ودون سنة .

(2) أمثال القرآن / لعبد الرحمن حسن حبنّكه الميداني ص 102 .

(3) انظر أمثال القرآن / للميداني ص 115 .

المثل الثاني

النص الكريم للآية :

﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾[1]

مناسبة الآية لما قبلها :

" ضرب هذا المثل متصلاً بسابقه في نفس السورة قصة صاحب الجنة المشرك المتكبر على الفقير المؤمن، وهكذا في هذا المثل المضروب للمشركين المتكبرين على الفقراء المؤمنين"[2]، ظانين أن هذه الحياة الدنيا دار بقاء، وأنها تدوم: ﴿ **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا(34)وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا(35)وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**...﴾[3] هذا جزء من الحوار الذي قام بين هذا المشرك المتكبر وبين المؤمن الفقير، فساق الله هذا المثل مبيناً أن هذه الدنيا قصيرة وإلى زوال .

شرح النص الكريم:

﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ " واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي إذا نحن جئناك."[4]

﴿**كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾ أي المطر ﴿**فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ**﴾ امتزج وتداخل هذا الماء بالأرض حتى وصل جذور النبات فاختلط به ليكون سبباً للحياة والإنبات .[5]

﴿**فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**﴾ " أي ذرته الرياح كالرماد ولم يبق منه شيء، فكذلك الدنيا في زوالها وفنائها تهلك إذا جاءت الآخرة وما فيها من الزهرة."[6]

﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾ " للتذكير بقدرة الله تعالى: على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مُفْضيةً إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك

---

(1) سورة الكهف: آية / 45

(2) تفسير الرازي 21 / 131 .

(3) سورة الكهف: آية / 34 – 36

(4) جامع البيان للطبري 15 / 252 .

(5)انظر بحر العلوم / للسمرقندي 2 / 301 بتصرف .

(6) المرجع نفسه 2 / 301 .

اقتدارعجيب، وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله: ﴿ **عَلَى كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ وهو بذلك العموم أشبه التذييل. والمقتدر: القوي القدرة"[1]

تحليل المثل:

" شبهت حالة هذا العالم بما فيه بحالة الروضة تبقى زماناً بهجة خَضِرَة ثم يصير نبتها بعد حين إلى اضمحلال، ووجه الشبه المصير من حال حسن إلى حال سيئ .

وهذا تشبيه معقول بمحسوس لأن الحالة المشبهة معقولة إذ لم ير الناس بوادر تقلص بهجة الحياة .

وأيضاً شبهت هيئة إقبال نعيم الدنيا في الحياة مع الشباب والجدة وزخرف العيش لأهله، ثم تقلص ذلك وزوال نفعه ثم انقراضه أشتاتاً بهيئة إقبال الغيث منبت الزرع ونشأته عنه ونضارته ووفرته، ثم أخذه في الانتقاص وانعدام التمتع به ثم تطايره أشتاتاً في الهواء ، تشبيهاً لمركب محسوس بمركب محسوس، ووجه الشبه كما علمت"[2] في الصورة الأولى .

" هذا المشهد يعرض قصيراً خاطفاً ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال: فالماء ينزل من السماء، فلا يجري ولا يسيل ولكن يختلط به نبات الأرض والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح هشيماً تذروه الرياح، وما بين ثلاث جمل قصار بمنتهى شريط الحياة، ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء ﴿**كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**﴾ فما أقصرها حياة ! وما أهونها !."[3]

جاء المثل مصرحاً بلفظ المثل ﴿... **مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ...**﴾ وهو تشبيه مركب أو تمثيلي ضرب المثل للمتكبرين والمشركين المتعالين على فقراء المؤمنين .

المثل الثالث

النص الكريم للآية:

﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[4]

---

(1) التحرير والتنوير / ابن عاشور 15 / 332 .

(2) المرجع نفسه 15 / 331 – 332 .

(3) في ظلال القرآن / سيد قطب 15 / 387 .

(4) سورة الحديد: آية / 20 .

مناسبة الآية بما قبلها :

" ووجه الاتصال أن الإنسان قد يترك الجهاد خوفاً على نفسه من القتل وخوفاً من لزوم الموت، فبين أن الحياة الدنيا منقضية،فلا ينبغى أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبقى."[1]

وكذلك سياق السورة يحث على الإنفاق في سبيل الله بالأموال، وخاصة المؤمنين منهم بعد الفتح، و الذين ظلوا مشدودين للحياة الدنيا حتى يلحقوا بإخوانهم في الجهاد والسابقون منهم .

شرح النص:

﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ**﴾" هذه الآية وعظ وتبيين لأمر الدنيا وضِعَة منزلتها، والحياة الدنيا في هذه الآية عبارة عن الانشغال والتصرفات والفكر التي هي مختصة بالحياة الدنيا وأما ما كان في طاعة الله ورسوله وما كان من الضرورات التي تقيم الأود[2] وتعين على الطاعات فلا مدخل لها في هذه الآية."[3]

﴿**وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ**﴾ **والتفاخر هو**: الكلام الذي يفخر به، وهو حديث المرء عن نفسه ونسبه بصفات محمودة إن كانت موجودة فيه حقاً أو باطلاً .**والتكاثر هو:** المباهاة بالمال والجاه والسلطان والأولاد كعزٍّ للمرء المكاثر، وهكذا .[4]

﴿**كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾ الغيث: المطر، والكفار: الزراع. يشبه الله الحياة الدنيا بالمطر النازل من السماء مغيثاً به الزراع حتى أعجبهم نبات هذا المطر بنمائه وخصوبته وجماله .[5]

﴿**ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا**﴾ ثم بعد الاخضرار والخصوبة يهيج هذا النبات فييبس ويصفر لونه ثم يتساقط ويداس بالأقدام فيكون حطاماً مكسراً فلا يُلقى له بالٌ فتكون نهايته .

﴿**وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ**﴾ وفي يوم القيامة عذاب شديد من المنتقم الجبار للمتكبرين الكفار، وفي المقابل ــ وعلى طريقة القرآن في المقابلة ــ المغفرة للذنوب والرحمة والمرضاة من الله للذين آمنوا ولم تغرهم الدنيا بزخرفها وتزيفها .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي 17 / 254 .

(2) الأود:الاعوجاج/ لسان العرب 75/3

(3) المحرر الوجيز / ابن عطية 15 / 421 .

(4) انظر التحرير والتنوير / ابن عاشور 27 / 401 – 403 .

(5) انظر التفسير الوسيط / محمد السيد طنطاوي 14 / 282 .

﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ " وما أحوال الحياة الدنيا وما اشتملت عليه من شـــهوات إلا متاع زائل، لا يقدم عليه ولا يتشبع به إلا من خدع بزخرفه واغتر بمظهره ."[1]

تحليل المثل:

الممثل له في هذا المثل هو الحياة الدنيا، والممثل به هو الغيث الذي اختلف في معناه بـــالمطر أو بالزرع فإن كان بالماء النازل من السماء أو بالزرع فيكون الماء سبب هذا الزرع وبدونـــه لما كان زرعاً يعجب الزراع نباته. ولكنِّي أرجح أنه الماء فلو كان الزرع، أو النبـــات كيـــف يكون التقدير " لمثل نبات أعجب الزراع نباته" أما الماء فيكون الذي أعجـــب الـــزراع هـــو النبات الذي جاء من نزول المطر عليه .

وقال تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِـــنْ بَعْـدِ مَـــا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[3]

ووجه الشبه في هذا المثل المركب في صور كثيرة يؤخذ من هذا التعدد في التـــشبيه، ومحصله أنه كما هي الحياة الدنيا، فمهما طالت فهي في النهاية إلى زوال؛ لذلك مهما طالـــت حياة هذا الزرع النابت من المطر سوف يصفر ويصبح حطاماً هشيماً .

وجاء التشبيه صريحاُ بالكاف ولفظ المثل . ﴿**كَمَثَلِ غَيْثٍ**﴾ وكما هـــو الغـــرض فـــي المثلين السابقين التحقير والتهوين من شأن الدنيا، ونجد ما فيهما من خصائص هنا .

ولكن نرى هنا تفصيل وتوضيح لصفات الممثل له ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِـــبٌ وَلَهْـــوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ**﴾ وهذا يمثل تقسيم مراحـــل تطـــور حيـــاة الإنسان من طفولته حتى شيخوخته .

ويقابل ذلك تفصيل في الممثل به، غيث ينزل ونبات يخرج يعجب الزراع يهيج، ثـــم يصفر ثم يكون حطاماً .

والمثل يساق للذين آمنوا ولم يجاهدوا ولم ينفقوا مثل إخوانهم الذين أسلموا وآمنوا قبل فتح مكة، وهو من الأمثال المدنية، وقد لخص المثل في فاصلته ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَـــاعُ الْغُرُورِ** ﴾فهذه الجملة تكفي أن تكون مثلاً مرسلاً .

---

(1) نفس المصدر السابق 14 / 283 .

(2) سورة لقمان: آية / 34

(3) سورة الشورى: آية / 28

إجمال ومقارنة للأمثال الثلاثة:

1- المثل الأول أطولها، ثم الثالث، ثم الثاني أقصرها؛ وذلك لأن المثل السابق له في السورة ــ وهو مثل صاحب الجنتين ــ فصل فيه ما يغني عن التفصيل في المثل الثاني .

2- التوسع في بيان مظاهر الجمال والقوة في المثل الأول، حتى جاءها أمر الله فجأة، فدمرها حتى لم يبق منها شيئاً. أما الثاني فاختزل هذه المرحلة كلها، فكانت مجملة لما فصل في المثل الأول، مع أن الحياة الدنيا في المثلين الأول والثاني جاءت بدون تفصيل أو تعريف، وفصلت وعرفت في المثل الثالث بـ ﴿**لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ**﴾ خاصة وأن المثلين الأول والثاني من الأمثال المكية حسب سورهما، أما المثل الثالث فهو مدني .

3- المضروب لهم المثل الأول هم البغاة من المشركين والمنكرين للبعث.

والمثل الثاني ضرب للمشركين المتكبرين والمتعالين على فقراء المسلمين.

والمثل الثالث ضرب للمؤمنين بعد فتح مكة كما ذكرت سابقاً .

4- وحسب المضروب له كان العقاب في الأمثال الثلاثة مناسباً في كل منها لما ضرب له، فنجد العقاب في المثل الأول جاء قوياً شديداً ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا...**﴾ وفي الثاني قال بدون ذكر كيفية العقاب وطريقته، بل ذكر أثره بدون تحديد مكان أو زمان كما في المثل الأول. أما المثل الثالث فلم يذكر عقاباً، بل جعل الحياة تسير إلى منتهاها بصورة طبيعية سلسة كما هي نهاية الأحياء والمؤمنين بلا عقاب ولكن ليأخذوا منها العبرة والعظة .

5- فواصل ختم الأمثال الثلاثة تختلف حسب ما يلائم كل مثل، فنجد في الأول: ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ فهي دعوة للمشركين أن يفكروا، ففصل لهم وبيّن في المثل ما يدل على آيات الله الواضحة وأدلته المبينة .

وفي الثاني: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾ تشعر فيه بالتهديد والوعيد، وأن الله قادر على كل شيء فهو واهب الحياة وسالب هذه الحياة ممن وهبه إياها متى شاء وكيف شاء، وفي الثالث ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ فيه العبرة والعظة والتحذير من الخديعة بالحياة الدنيا.

6- " ومن خلال هذا نجد أن هذه الأمثال لا يغني بعضها عن بعض، وأنها وإن بدت متشابهة، فإن بينها من الخلاف ما هو أكثر مما بينها من تشابه .

7- نلاحظ أن المثل الأول بدأ بالقصر إنما في حين لم يقصر الثاني، وكذلك الثالث لما جــاءت أداة القصر فيه جاءت ظرفية الحياة الدنيا للعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر. على خلاف القصر في الأول، كان على ما مثل به هذه الحياة الدنيا وهو الماء ... .

8- كان التأكيد في الأول، أما الثاني فلا توكيد فيه ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ والثالث قال: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ فلم يكن التأكيد للمثل بل لصفة الحياة الدنيا فهــم المؤمنــون يصدقون ما جاء من عند الله، فهم غير منكرين .

9- ولما جاء الأمر بالعلم في المثل الثالث توجب حصر ما يجب علمه فكانا توضيح صــورة الحياة الدنيا باللعب واللهو ...."[1]

10- وأخيراً نذكر قولاً أورده القرطبي عن من سماهم بالحكماء وهو في وجه ذكــر الحيــاة الدنيا وتشبيهها بالماء، ووجه العلاقة بين الماء والحياة الدنيا نورده هنا .

" قالت الحكماء: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء:

أ - لأن الماء لا يستقر في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على واحد .

ب- لأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا .

ج- ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى .

د- ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلهــا مــن فتنتهــا وآفتها.

هـ - ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكــذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر"[2]

11- إن موضوع الأمثال الثلاثة واحد، وجاءت تؤكد بعضها بعضاً وليؤسس كل واحد منهــا معاني مستقلة ومنفردة عن الآخر، فهي ليست متكررة بل كل مثل منها مستقل في كــل مــا ذكرنا سابقاً من خلافات واضحة في شكل المثل ولفظه ومعناه ومضمونه كذلك .

---

(1) انظر الأمثال في القرآن الكريم / محمد جابر الفياض 306 – 315 باختصار وتصرف .

(2) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي 10 / 412 .

المبحث العاشر: أمثال من السنة في الماء

المثل الأول:

﴿عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ مَا بعثني اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الكلأ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كلأ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ . [1]

أجادب: صلابة الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعاً.[2]

قيعان: جمع قاع وهو المكان المستوي الواسع في وطأةٍ من الأرض.[3]

العلم: والعلم المراد به معرفة الأدلة الشرعية، والمقصود **بالنقية:** هي مستنقع الماء في الجبال والصخور، و**الكلأ:** يطلق على النبت الرطب واليابس معاً، والعشب للرطب فقط .

ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها. ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعلم بنوافله أو لم يتفقه في ما جمع لكنه أداةٌ لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر بها الماء فينتفع الناس به ... ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها.[4]

وهكذا يمثل رسول الله ﷺ العلم الذي بعث به والهدى في نفعه بالماء الذي ينزل من السماء، ويصنف الناس في قبولهم لهذا العلم والهدى بتمثيلهم وتشبيههم بقبول الأرض للماء حسب

---

(1) أخرجه البخاري 1 / 185 كتاب العلم ، باب فضل من علم علّم حديث رقم 79 ومسلم 4 / 1787 كتلب الفضائل باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم رقم 2282 وأحمد 4 / 399 .

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير؛ تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي . ـــ ط1 دار الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي. 242/1

(3) النهاية / ابن الأثير 4 / 132 .

(4) فتح الباري/ ابن حجر 1 / 177 .

طبيعة هذه الأرض وتكوينها، وهو تشبيه تمثيلي متعدد الأطراف، المشبه والمشبه به، وهنـــاك مطابقة كبيرة بين الطرفين وصادقة عليهما .
فهذا التمثيل النبوي البديع الجامع يعتبر تمثيلاً بليغاً وفصيحاً لما استخدم النبي ﷺ من ألفـــاظ متقابلة متطابقة

المثل الثاني:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(إِنَّ مَثَلَ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَـــرِ لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ).[1]

قوله : (مثل أمتي مثل المطر) أي في حكم إبهام أفـــراد الجـــنس **(لا يُـــدْرَى)** بـــصيغة المجهول **(أوله)** أي أوائل المطر أو المطر الأول **(خير)** أي أنفع **(أم آخره)** أي أواخره أو المطر الآخر، ولا يحمل هذا الحديث على التردد في فضل الأول على الآخر فإن القـــرن الأول هم المفضلون على سائر القرون من غير شبهة، ثم الذين يلونهم، وإنمـــا المـــراد بهـــم نفعهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة .
كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النشوء والنماء لا يمكنك إنكارها والحكم بعـــدم نفعها ، فإن الأولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات، وتلقوا دعوة الرسول صـــلى الله عليـــه وسلم بالإجابة والإيمان، والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا من قبلهم بالإحسان، وتمثيل الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم، كما أن تمثيله صلى الله عليه وســـلم الغيث بالهدى والعلم فتختص هذه الأمة المشبهة بالمطر بالعلماء الكـــاملين مـــنهم المكملـــين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير أن يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذا المساواة في الأفـــضلية ، ولو ذهب إلى الخيرية فالمراد وصف الأمة قاطبة سابقها ولاحقها وأولها وآخرها بالخير وأنها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة كالبنيان، مفرغة كالحلقة التي لا يدرى أين

---

(1) أخرجه الترمذي 5 / 152 كتاب الأمثال ، باب 6 برقم 2869، وقال حسن غريب وأحمـــد 3 / 130 ، وأبو داود الطيالسي ص 270 رقم 2023 وأبو يعلى 6 / 190 و 6 / 380 بـــرقم 3475 و رقـــم 3717 ، الطبراني في الأوسط 4 / 231 رقم 4058 ، وفي الكبير 19 / 460 وصحح ابن حبان الحديث من طريـــق عمار ، انظر فتح الباري 8 / 6 وفيض القدير / المناوي 5 / 517 والمقاصد الحـــسنة للـــسخاوي ص 374 وحديث رقم 69 من أمثال الرامهرمزي .

طرفاها.[1]

يشبه الرسول ﷺ الأمة بالمطر، وما فيهم من نفع بما في المطر من نفع؛ لما في ذلك من تفاوت في درجات النفع لدين الله وللناس سواء، ولما كان الماء أساس حياة الأرض ومن عليها كانت هذه الأمة هادية البشر إلى الخير ومنهج الله الذي جاء به الهادي البشير ﷺ .

المثل الثالث:

عن مُسْتَوْرِد أَخَا بَنِي فِهْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ.[2]

قوله صلى الله عليه وسلم : (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه...) ومعناه : لا يعلق بها كثير شيء من الماء.

ومعنى الحديث : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها ، وفناء لذاتها ، ودوام الآخرة ، ودوام لذاتها ونعيمها ، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر .[3]

المثل الرابع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا

---

(1)تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي / محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ص 8 / 172 رقم 3030 قوله : (هذا حديث حسن غريب) قال الحافظ في الفتح بعد ذكر هذا الحديث وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة، وصححه ابن حبان من حديث عمار . ـ ط3 . ـ بيروت ، دار الفكر ، 1399 هـ - 1979 م .

(2) أخرجه مسلم 4 / 2193 كتاب الجنة ، باب فناء الدنيا ، وأخرجه الترمذي 4 / 560 كتاب الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا رقم 2323 قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وابن ماجة 2 / 1376 كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا رقم 4108 وأخرجه أحمد 4 / 228 – 229 – 300 ، الطبراني في الصغير 1 / 198 وفي الكبير رقم 313 – 317 و 722 – 731 – 733 وأخرجه أبو الشيخ في الأمثال رقم 281 والرامهرمزي في الأمثال رقم 56 ، والحاكم 3 /592 و 4 / 319 ، وأبو نعيم في الحلية 7 / 229 و 8 / 138 .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم ص 17 / 317 . ـ ط1 . ـ بيروت ، دار الخير ، 1414 هـ – 1994 م .

قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا [1]

"قوله (**أرأيتم**) هو استفهام تقرير متعلق بالاستخبار ، أي أخبروني هل يبقى . قوله (**لو أن نهرا**)، والنهر بفتح الهاء وسكونها ما بين جنبي الوادي ، سمي بذلك لسعته ، وكذلك سمي النهار لسعة ضوئه. قوله (**من درنه**) زاد مسلم " شيئا " والدرن الوسخ ، وقد يطلق الدرن على الحب الصغار التي تحصل في بعض الأجساد والفاء في قوله " فذلك " جواب شيء محذوف ، أي إذا تقرر ذلك عندكم فهو مثل الصلوات ... إلخ . وفائدة التمثيل التأكيد ، وجعل المعقول كالمحسوس وفي هذا الحديث مبالغة في نفي الذنوب؛ لأنهم لم يقتصروا في الجواب على " لا " بل أعادوا اللفظ تأكيدًا.

ووجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه، ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقي له ذنباً إلا أسقطته ، انتهى" . [2]

---

(1) أخرجه البخاري 1 / 152 كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلوات الخمس كفارة رقم 528 ، ومسلم 1 / 462 كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة رقم 667 ، والترمذي 5 / 151 كتاب الأمثال ، باب مثل الصلوات الخمس رقم 2868 ، والنسائي 1 / 230 – 231 كتاب الصلاة باب فضل الصلوات الخمس رقم 462 ، والدارمي 1 / 283 كتاب الصلاة ، باب في فضل الصلوات رقم 1183 ، وأبو عوانة في مسنده 1 / 338 بيان إيجاب اجابة المؤذن .

(2) فتح الباري /ابن حجر 11/2 .

الفصل السادس: الصراع على الماء

وفيه مباحث ستة:

المبحث الأول: نظرة تاريخية

المبحث الثاني: آيات الصراع على الماء وأحاديثه

المبحث الثالث: المياه العربية عامة والفلسطينية خاصة

المبحث الرابع: الصراع على الماء وأبعاده الدينية والسياسية

المبحث الخامس: الشريعة الإسلامية والقانون الدولي في قضية المياه

المبحث السادس: حقيقة الصراع في المنطقة والذي من أسبابه المياه

مدخل

إنّ الصراع على المياه الدولية والعابرة للحدود شديد التعقيد،ذلك أن عناصر مثل هذه النزاعات هي بحد ذاتها عناصر معقدة، وإن كان أكثرها تعقيداً عنصران أساسيان موجــودان دائماً؛ وهما مسألتا الندرة والأمن .

الندرة هي الخيط الأول، والأمن هو الخيط الثاني، والاثنان معاً يشكلان حبلاً مجدولاً حلزوني الشكل، يلتف حوله باقي العناصر المكونة للــصراع المــائي الــسياسي، وإذا بــدأنا بالعنصر الأساسي الأول، يمكن القول إن الندرة الحقيقية تحدث عندما يزيد الطلب الفعلي (أي الاحتياج) الشديد للمياه، وخاصة عندما يكون الجفاف وتَرَدِّي نوعية الماء أو الاستهلاك الزائد عن كمية المخزون الجوفي .

والأمن والصراع على المياه ناتج من التشابك بين فكرة الأمن وبين أسباب الــصراع من الناحيتين التاريخية والنظرية، ومفهوم الأمن ومفهوم الصراع شأنهما شأن مفهوم الميــاه ذاته، فهو مفهوم مركب ومتعدد الأوجه، فإن تهديد الحياة بالجفاف وموت الزرع والحيــاة، لا يختلف عن مفهوم الحرب والموت المصاحب لها، ومن هنا كان الأمن والميــاه قــرينيْن ولا ينفصمان؛ فإن الذي يهدد الشعوب في مياهها يهددها في أمنها .[1]

والصراع على الماء قديم حديث، وما زالت مشكلة المياه في منطقة الشرق الأوســط من اعقد المشاكل؛ حيث الأطماع اليهودية في المياه العربية والأراضي العربيــة مــا زالــت مستمرة، وتقوم على التوسع والهيمنة بالقوة على مقدرات هذه الأمة .

ومن هنا كان لا بد أن أجعل لهذا الموضوع نصيباً في هذا البحث، وذلك من خــلال هذا الفصل (الصراع على الماء) .

---

(1) الصراع على المياه واستخدامها في الشرق الاوسط / توماس تاف (بحــث مقــدم لمركــز الإمــارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، المياه في العالم العربي 287 -– ط1 – . أبو ظبي ، الناشر المركــز ، 1997 م.

المبحث الأول: نظرة تاريخية

المطلب الأول:الاهتمام بالماء قديم

إن الماء عصب الحياة، ولذا بحث الإنسان القديم عن الماء، حتى إنه بدأ يتجمع حول الأنهار وأحواض المياه والعيون، يعيش ويقيم حضارة لا تقوم إلا بوجود الماء، حتى عرف الزراعة، وبدأت حياة الإنسان الاجتماعية تتغير لتتحول من حياة البداوة والترحال إلى حياة الإقامة والتمدن. وكذلك حالهم الاقتصادي تغير، ونشطت التجارة والصناعات اليدوية البدائية، وهكذا كان وجود المياه والأنهار منها خاصة، عامل ربط للإنسان بالأرض والوطن والحياة الكريمة.

إن الإنسان الذي بدأ يشيّد الحضارات لم يغفل الماء ضمن خططه ومشروعاته؛ حتى يستطيع أن يحافظ على هذا الماء .

" حتى إنه راود الفراعنة القدماء حلم تخزين الماء على مدار السنة، لأغراض الـري ووضع (إمنمحات الأول) أحد كبار الفراعنة القدماء فكرته حيز التنفيذ، حين بنى سد الفيـوم، ويعتبر سد إمنمحات أقدم سد مائي في العالم، وهو آية هندسية متقدمة، ودعى الإغريق خزان السد بحيرة موريس."(1)

هذا يظهر مدى العناية بالمياه والمحافظة عليها؛ نابعاً من شدة الحاجة إلى الماء حتـى إن العرب قديماً كانوا يتصارعون على الماء فيما بين القبائل العربية في الجزيـرة العربيـة قديماً، حيث الكلأ والعشب والمرعى ." وهم منذ فجر التاريخ القديم أقاموا السدود العظيمـة، كسد مأرب في اليمن.

وحفروا الأقنية الكبرى لأغراض الري على ضفاف النيل، وما بين النهـرين دجلـة والفرات. وكشفت الحفريات الأثرية عن أقدم شبكات أمنية لماء الشرب تحت مدينة دمشق....

وهندسة الري عربية الأصول، إسلامية التطبيق، فنهر بردى وتقسيماته إلـى سـبعة أنهر لغرض السقاية والشرب، بشكله الذي وجد عليه معجزة في ذلك الزمان وزمننـا هـذا، وليس ذلك إلا صورة ناصعة لهندسة الري في العهد الأموي، كما أن أقنية الري في أسـبانيا، وقاعة الأسود بقصر الحمراء خاصة، تعتبر معجزة هندسية صعبة التحقيق حتـى فـي هـذا الزمن على رأي كثير من المهندسين الأمريكيين، وما ذلك إلا شواهد ناصـعة علـى مـدى الخبرة العربية في علم هندسة الري في ذلك العصر العربي المجيد .

---

(1) حرب المياه من النيل إلى الفرات / نبيل السمان ص 3. – ط2– . الخليل – فلـسطين، دار المـستقبل للدراسات والنشر والأعلام، 1997 مـ.

وقد وضع العرب دراسة هندسية وافية لتنظيم جريان نهر النيل، وذلك في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، حيث درس العرب إمكانية إقامة سد أسوان وبنائه، وكذلك حفر قناة تصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر ."[1]

" وإن من أعظم ما خلفت المدن القديمة من آثار بعد اندثارها ودمارها، ولم تبق غير معالمها... أحجاراً صماء ترن في تجويفها الريح والأساطير، وأعظم هذه المعالم الباقية هي الأقنية والسدود، بمعنى أنه لم تبق غير اهتمامات الإنسان القديم بالمياه ... فمرفق المياه في تاريخ الإنسان القديم وتاريخه المعاصر رمز لازدهار شعب وتقدمه، ولا شيء يعادل هذه المرافق حيويةً إلا الحياة نفسها، وهو الحياة نفسها ."[2]

" إن المساحة الممتدة من شاطئ أفريقيا الغربي إلى جبال فارس كانت كلها منطقة متصلة من الحدائق والأراضي المعشبة، وذلك منذ العصر الحجري الأول."[3]

" وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد على نهر،أو بإزاءها عيون عذبة ثرة فإن وجود الماء قريباً من البلد، يسهل على الساكن حاجة الماء، وهي ضرورية فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة."[4] وبذلك يجعل ابن خلدون الماء شرطاً أساسياً لأي تجمع عمراني من مدن وغيرها.

المطلب الثاني: الماء وأيام العرب

منذ القدم والحروب تنشب بين الناس بسبب الماء، ولم يكن العرب أحسن حالاً، فكانت قبائلهم تتخاصم، وتصل الأمور للحرب بينهم على الماء، وذلك عندما يمنع بعضهم بعضاً الرعي أو سقي إبلهم وأغنامهم أو أن يردوا الماء للشرب، وغير ذلك من الأمور التي يكون الماء سببها. وذكر القرآن قتال العرب وخلافاتهم ونزاعاتهم وتفرقم في الجاهلية، فقال:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[5]

---

(1) المرجع السابق ص 3 – 4 .

(2) الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي / محمد بن عبد العزيز بنعبد الله 2 / 6 – 7 .

(3) فجر الحضارة في الشرق الأدنى / هنتري فرانكفورت؛ ترجمة ميخائيل خوري.– ط1– . بيروت ، الدار العربية للنشر، بدون سنة .

(4) مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ص 276 .

(5) سورة آل عمران: آية / 13

قال ابن كثير: وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج،فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وعداوة شديدة [1]، وكذلك قال القرطبي، وزاد: والآية تعم [2] .

قال محمد بن عبد الوهاب:" ومن الناس من يقول: أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل، والقتال العريض، ومنه حرب البسوس كما نقل عن الحسن رضي الله عنه ."[3]

وحرب البسوس كانت بسبب منع ناقة البسوس من الرعي والسقي من حوض كليب ابن وائل وقتل بها فثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب، وسميت الحرب نسبة إليها . [4]

وكان العرب إذا أرادوا الغزو أو القتال، نجدهم يستبقون إلى موارد الماء حتى يكون لهم ماء ولا ماء للخصم. وأمثلة ذلك من أيام العرب يوم جَدُود وهو بين بكر بن وائل وبني منقر بن تميم، وكان من حديثه أن الحوفزان واسمه الحارث بن شريك الشيباني كانت بينه وبين سليط بين يربوع موادعة، فهم بالغدر بهم وغزاهم طامعاً أن يصيب منهم غرّة . فانتبه القوم له وحالوا بينه وبين الماء، فاستسلموا لما منع منهم الماء، وصالحوا على ما معهم من التمر على ألاّ يعودوا ثانية "[5]

فقد سبق بنو يربوع إلى الماء وحالوا بينهم وبين الماء وحاصروهم عطشاً .

" وكذلك يوم الفرات، أغار المثنى بن حارثة الشيباني على بني تغلب وهم عند الفرات، وذلك قبل الإسلام فظفر بهم، فقتل منهم الكثير وغرق منهم الكثير في الفرات، وأخذ أموالهم وقسمها بين أصحابه ."[6]

هذا في الجاهلية، أما في الإسلام فقد هُذِّبت النفوس وملأها الإيمان،وأصبح دم المسلم وعرضه على المسلم حرام، وجاءت موقعة بدر ومنع المسلمون قريشاً ماء بدر، وهزموهم شر هزيمة، وكان الماء سلاحاً استخدمه المسلمون في الحرب. ثم جاءت الفتوحات الإسلامية (وكانت معركة ذات السلاسل، أول معركة حاسمة للمسلمين ضد الفرس، حسب فيها للماء ألف حساب؛ حيث مكّن الفرس أنفسهم بالماء مدخرين ما يكفيهم ... ولما وصل خالد بن

---

(1) تفسير ابن كثير 1 / 390 .

(2) تفسير القرطبي 4 / 164 .

(3) مسائل الجاهلية / محمد بن عبد الوهاب؛ تحقيق محمود شكري الألوسي، ص 6 ، . –ط1– . المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية –1396 هـ – 1976 مـ .

(4) انظر الكامل في التاريخ / على بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (المعروف بابن الأثير) .– ط3– ، 1400 هـ – 1980 مـ ، دار الكتاب العربي بيروت، وانظر طبائع النساء / أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي .– ط1– ، 1405 هـ – 1985 مـ ، مكتبة القرآن ص 224 .

(5) الكامل في التاريخ / ابن الأثير 1 / 371 .

(6) المرجع نفسه / 1 / 396 .

الوليد نزل على غير ماء .. ثم نادى في الناس "ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء ... فلعمري ليصير الماء لأجلد الفريقين وأكرم الجندين" واستطاع المسلمون أن يستخلصوا الماء منهم وواصلوا مسيرتهم)[1]

يتضح من ذلك أن الماء يستحق أن يبذل من أجله الدم، ولم لا وهو الحياة، لذلك قال ابن الوليد: (جالدوهم على الماء) .

المطلب الثالث: الماء في الفكر الصهيوني

1-حدود الدولة المائية في التوراة

"أخبر أحبار اليهود مؤلفو سفر يشوع في الإصحاح الأول أن "(يشوع بن نون) تولى قيادة بني إسرائيل بعد وفاة موسى -عليه السلام -، وأنه أخبرهم أن الرب أعطاهم الأرض المقدسة كلها ، فما هي حدود الأرض المقدسة التي أعطاها الرب لهم ؟[2]

قال لهم الرب على لسان يشوع:" كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته، كما كلمت موسى في البرية ولبنان هذا، إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحيثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس سيكون تخمكم، لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك "[3]

فما هي الحدود للأرض التي أعطاها الرب لبني إسرائيل على لسان موسى ويشوع بن نون ؟

حدودها الغربية هي البحر الكبير؛ أي البحر الأبيض المتوسط وحدودها الشمالية أرض"الحيثيين" فأين تقع هذه الأرض ؟ " أرض الحيثيين واقعة الآن في تركيا، في أواسط آسيا الصغرى، وتشمل شمال العراق وشمال سوريا وجبال طورس ومنطقة حرّان "[4]

وحدودها الجنوبية نهر النيل وهذا معروف عند العقلية اليهودية.

وحدودها الشرقية هي"البرية" -حسب نص السفر- والبرية هي الصحراء الشرقية، وهي الصحراء الواقعة بين الأردن والسعودية .

---

(1) انظر البداية والنهاية / ابن كثير 6 / 387 ، وانظر الماء / محمد بن عبد العزيز بنعبد الله ، 2 / 44 .

(2) سفر يشوع مدرسة الإرهاب اليهودي / صلاح الخالدي (مقال عن فلسطين المسلمة) عدد يناير 1418هـ - 1998 مـ .

(3) الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) المركز العالمي للكتاب المقدس .- ط1- . 1986 مـ ص337 سفر يشوع، الإصحاح الأول .

(4) قاموس الكتاب المقدس ص 289 – 291 .

والملاحظ أن النص لم يقيد الحدود الشرقية للدولة الإسرائيلية، وإنما أبقاها مفتوحة، تعبر الصحراء نحو الشرق، فأين تتوقف ؟ هل في الحجاز أم في نجد أم في الخليج العربي ؟ ويمكن تصور حدود هذه الدولة الواردة في نص سفر يشوع، بأنها تمتد من أواسط تركيا، وتتجه شرقاً مع نهر الفرات، ومن مصب نهر الفرات تتجه غرباً نحو البحر الأحمر، لتشمل معظم نجد والحجاز، ثم تتجه نحو نهر النيل، ومصبه في البحر المتوسط .

وعليه تبتلع هذه الدولة أربع دول عربية معاصرة بالكامل وهي: سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، كما تأخذ أجزاء كبيرة من أربع دول أخرى، وهي: مصر والسعودية والعراق وتركيا .

ولا يتخلى اليهود المعاصرون عن حدود هذه الدولة الموعودة، لأنها واردة في سفر يشوع – وغيره من أسفار العهد القديم – ويعتبرون تحقيق تلك النصوص ديناً ملزماً لهم . لكنهم غير متعجلين في ضم الأجزاء العربية لدولتهم، إنما يضمونها وفق خطة مرحلية مبرمجة مدروسة، وبمختلف الأساليب العسكرية والاقتصادية والسلمية وغيرها، ولنتأمل نص سفر يشوع الدال على هذا التدرج البطيء:" كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته"[(1)]
وعاد بعد ذلك مؤلفو التوراة في الإصحاح الثالث عشر يقسمون هذه الأرض على بعض أسباطهم ويحددون حدود كل سبط من هؤلاء داخل هذه الأرض المعطاة، على زعمهم لهم من الرب. وإنها لفرية من افتراءات اليهود على الله ومن زيفهم المعروف للتوراة، وتحريفهم لها على حسب مقاصدهم السياسية، وأطماعهم العدوانية.

2- الماء في الفكر الصهيوني

أ-رؤية مؤسس الحركة الصهيونية هرتزل

أدركت الحركة الصهيونية في وقت مبكر أهمية المياه، والقيام بما يسمى (إسرائيل الكبرى)، لذلك ليس غريباً تزامن الحروب التي يشنها العدو الصهيوني ضد الأمة العربية، مع تزايد أطماعه في الأرض والمياه، محاولاً استيعاب مستوطنين جدد وفق مخطط مدروس .

" وعن الحدود لدولة اليهود كما يتوقعها هرتزل في سياق رده على الامبراطور الألماني "لقد سألني الامبراطور الألماني، أيضاً عن الأرض التي نريد، وعن حدودها، وما إذا كانت ستمتد شمالاً حتى بيروت، أو أبعد من ذلك، ولكننا سنطلب ما نحتاجه . إن المساحة تزداد مع ازدياد عدد المهاجرين، علينا أن نطل على البحر، بسبب مستقبل تجارتنا العالمية،

---

(1) سفر يشوع مدرسة الإرهاب اليهودي / صلاح الخالدي (مقال في فلسطين المسلمة) سبق الرجوع إليه .

ولا بد لنا من مساحة كبيرة للقيام بزراعتنا الحديثة على نطاق واسع، إن إسرائيل التي نريـد هي إسرائيل سليمان وداود ".[1]

كان هذا تصور المؤسس الأول لفكرة الوطن القومي اليهـودي، حتـى إنـه سـعى لاستئجار سيناء واستغلال مياه النيل، هذه الفكرة القديمة الحديثة التي يطرحها اليـوم ساسـة اليهود، والتي يرفضها ساسة مصر وشعبها اليوم .

ب – رؤية الجيل الصهيوني الأول

رؤية الحاخام إيزاكسي نموذجاً

يعد صموئيل إيزاكسي أحد الدعاة الكبار من الجيل الأول للصهيونية، وهو يعبر عـن الجناح الديني المتشدد والمتجذر في الدولة العبرية، والذي وضع كتابه (الحدود الحقة للأرض المقدسة) .

وبداية فإن الحدود التي يختارها إيزاكسي للأرض المقدسة، هي تلك الحدود التي يرد وصفها في الإصحاح الرابع والثلاثين سفر العدد 1–12 من العهد القديم، وهل الغرض الـذي يرمي إليه من وراء بحثه في (الحدود الحقة) إلا الفصل في النظريات المتنوعـة والمتباينـة حول مواقع تلك الحدود، والوصول إلى تعيين ما يعتبره بمثابة الحدود التاريخيـة الـصحيحة لإسرائيل.

وقامت ابنته من بعد وفاته بنشر الطبعة الثانية للكتاب، والتأكيد على وصايا والـدها في حث اليهود على التمسك بالحدود التاريخية، التي منحهم الرب على حد قـولهم؛ وهـي لا تختلف عن ما ذكرنا من حدود سابقة، تصل هذه الحدود من تركيا إلى خيبر فـي الـسعودية، ومن الفرات إلى النيل لتبتلع الشرق الأوسط حتى يتحقق وعد الرب .[2]

ج :رؤية الجيل الصهيونى الثاني "جابوتنسكي " مثالاً

يعتبر جابوتنسكي مؤسس منظمة الأرجون وأبو الإرهاب في الحركة الصهيونية .

إن أكثر العناصر ثباتاً عنده هي حدود الدولة، فإنه يصر منذ البداية، على المطالبة بما سـماه فلسطين التاريخية " في كتاب (الصندوق التأسيسي لفلسطين) والصادر عام 1921 مـ وهـو من الوثائق الهامة التي حدد فيها مطامعه، " إن مياه اليرموك أغنى خزانـات فلـسطين قـد اقتطعت كلياً، وأبقي اليرموك خارج الوطن القومي اليهودي، فلا يمكن استغلال مياهه إلا إذا وجدت حكومة أجنبية حتى تعطي امتياز لذلك، ومنابع نهر الأردن العليا تعاني مـن الوضـع

(1) الصراع المائي بين العرب وإسرائيل / رفعت سيد أحمد ص 17 .– ط1– .1413 هـ – 1993 م.

(2) انظر المرجع السابق ص 20 – 31 بتلخيص شديد .

نفسه، ومن السخرية أن يرفض جزء جوهري من النهر المقدس، شرف الدخول من نطاق الأرض المقدسة"[1]

فإن أطماع جابوتنكسي في المياه العربية، وفكرة الحدود عنده التي تشكل الحدود التاريخية للدولة، يريد الأردن والأراضي التي تحت الانتداب الفرنسي، أي بلاد الشام كلها كمرحلة بعد فلسطين .

د- رؤية الجيل الصهيوني الثالث "بيجن" مثالاً

إن "منحيم بيجن" هو التلميذ المبدع " لجابوتنسكي " وهو قائد مذابح دير ياسين، ويافا، ولبنان، وغيرها .

يقول بيجن:" إن أرض يهودا والسامرا (الضفة الغربية وغزة) أراضي محررة ومياه الشمال مياهنا – نهر الليطاني- إن سيادة إسرائيل بين البحر والأردن، وبين الشمال ومصر أرض إسرائيل للشعب اليهودي ، وليس لمنظمة التحرير أو سواها "[2]

ولما كانت الأطماع الصهيونية لإقامة وطنهم القومي على أرض فلسطين فكان لابد من عنصرين هما: الأرض لإقامة الوطن عليها. ثم البشر الذين يسكنون هذا الوطن؛ وكلا العنصرين بحاجة إلى الماء، ولا حياة للأرض إلا بالماء، وكذلك البشر فعليه كانت حدود الوطن الذي يريده هؤلاء؛ هي حدود مائية تتناسب مع حجم الأرض والسكان كلما امتدت هذه الأرض وكلما كثر المستوطنون فيها .

---

(1) انظر نفس المرجع ص 32 – 33 بتصرف .

(2) انظر نفس المرجع ص 32 .

المبحث الثاني: آيات الصراع على الماء وأحاديثه

ولما كان الماء عصب الحياة، وكانت الحياة غالية، حرص الإنسان على حيازة الماء وامتلاكه لنفسه؛ للمحافظة على حياته، ومعاشه ومن هنا كان الصراع على الماء قديماً، ولذا أشار إليه القرآن إشارات مطوية في آيات قليلة، تحتاج معانيها للتدبر والتفكر، حتى تستشف وتظهر للنور، إن هذه اللطائف الخفية، التي حوتها آيات القرآن حول الصراع على الماء، تحتاج إلى سبر غور الآيات، والغوص في بحار معانيها وكشف خفاياها،

المطلب الأول:ناقة صالح ـ عليه السلام ـ

جاء ذكر ناقة صالح –عليه السلام –، في كتاب الله في ست سور هي : الأعراف [1] وهود [2] والإسراء [3] والشعراء [4] والقمر [5] والشمس [6] في هذه السور كلها ورد ذكر الناقة وعقرها، وما حل بقوم صالح من عذاب، من أجل عصيانهم ومخالفة أمر الله. ولكن الآيات التي تحدثت صراحة عن قسمة الماء بينهم، أو شرب الناقة وسقياها في سور الشعراء والقمر والشمس . ومن هنا أعرض هذه الآيات المباشرة في هذه القضية لذكرها السقيا والقسمة بلفظ صريح، وأيضاً لأن المقام لا يتسع لعرض قصة ناقة صالح –عليه السلام – في كلِّ السور .

قال تعالى:﴿ **قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ(155)وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ(156)فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ**﴾[7]

وقال تعالى:﴿ **إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ(27)وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ(28)فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ(29)فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾[8]

وقال جل شأنه في سورة الشمس ﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا(13)فَكَذَّبُوهُ**

---

(1) سورة الأعراف: آية / 73 – 77

(2) سورة هود: آية / 64 – 65

(3) سورة الإسراء: آية / 59

(4) سورة الشعراء: آية / 155 – 157

(5) سورة القمر: آية / 30

(6) سورة الشمس: آية / 13 – 14

(7) سورة الشعراء: آية 155 – 157

(8) سورة القمر: 27 – 30

فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا(14)وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[1]

كانت البشرية تتصور الرسول خَلقاً آخر غير البشر. أو هكذا ينبغي أن يكون؛ ما دام يأتي إليهم بخبر السماء وخبر الغيب، وخبر العالم المحجوب عن البشر ... وكانت البشرية جيلاً بعد جيل تطلب خارقةً معجزة من الرسول تدل على أنه حق مرسل من الله ﴿ **فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[2] وهكذا طلبت ثمود تلك الخارقة، فاستجاب الله لعبده صالح، وأعطاه هذه الخارقة "[3] التي طلبوها وبنفس المواصفات التي أشاروا إليها، وكذلك من الصخرة التي حددوها لتخرج الناقة منها.[4]

" وقالوا إن كنت صادقاً فادع الله أن يخرج لنا من هذه الصخرة ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننظر، وترد هذا الماء فتشرب وتغدوا علينا بمثله لبناً " ذكره القرطبي عن ابن عباس [5]

ولما أخرج الله الناقة من الصخرة آية ومعجزة، تؤيد نبوة نبيه صالح –عليه السلام– شرط عليهم شرطين :

الأول: أن الماء مقسوم بينهم يوم لهم ويوم لها .

والثاني: ألاّ يمسّوها بسوء فلا يزاحمونها "ولا يجورون عليها في يومها، ولا تجور عليهم في يومهم، ولا يختلط شربها بشربهم، كما لا يختلط يومها بيومهم "[6] ﴿ **قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ(155)وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ**﴾ وقال في سورة القمر﴿ **وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ**﴾ ولكن في سورة الشمس نبه القرآن وحذر أن يُمس بالشرطين: فقال: ﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ فجعل المس بالناقة ذاتها جريمة وكذلك المس بـ﴿**سُقْيَاهَا**﴾ جريمة لذلك كانوا ممنوعين من الورود على الماء يومها. ولهم فيها لبناً .

قال القرطبي: ﴿ **أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ** ﴾ أي بين آل ثمود وبين الناقة ... قال ابن عباس: كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئاً من الماء وتسقيه لبناً، وكانوا في نعيم وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم تبق لهم شيئاً "[7]

---

(1) سورة الشمس: آية / 13 – 15

(2) سورة الشعراء: آية / 154 .

(3) في ظلال القرآن / سيد قطب 6 / 232 .

(4) انظر تفسير ابن كثير 3 / 345 .

(5) تفسير القرطبي 13 / 130 ، وانظر ابن جرير الطبري 19 / 104 .

(6) في ظلال القرآن / سيد قطب 6 / 233 .

(7) تفسير القرطبي 14 / 140 .

وقال القاسمي:" الماء الذي كانوا يردونه لشرب مواشيهم مقسوم بينهم، لها شرب يوم ولهم شرب يوم، ويحضره صاحبه في نوبته "[1]

" أما الرازي فيقول إن القسمة وقعت بينهم؛ لأن الناقة عظيمة وكانت حيوانات القوم تنفر منها، ولا ترد الماء وهي على الماء فصعب عليهم ذلك، فجعل بينهم يوماً ترد الناقة فيه ويوماً لهم .

وذكر أيضاً أنه لقلة الماء ، فشربه يوماً للناقة، ويوماً لحيواناتهم، ويحتمل أن يكون الماء كان بينهم قسمة يوم لقوم ويوم لقوم ولما خلق الله الناقة كانت ترد الماء يوماً، فكان الذين لهم في غير يوم ورودها يقولون الماء كله لنا في هذا اليوم، ويومكم كان أمس والناقة ما أخرت شيئاً، فلا نمكنكم من الورود أيضاً في هذا اليوم، فيكون النقصان وارداً على الكل وكانت الناقة تشرب الماء بأسره، وهذا أيضاً ظاهر ومنقول والمشهور هنا الوجه الأوسط، ويقول الرازي أيضاً: إن قوماً كانوا يكتفون بلبنها يوم ورودها الماء والكل ممكن، ولم يرد في شيء خبر متواتر (والثالث) قطع وهو من القسمة؛ لأنها مثبتة بكتاب الله، أما كيفية القسمة والسبب فلا .

وقوله تعالى:﴿ **كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ** ﴾ مما يؤيد الوجه الثالث، أي كل شرب محتضر للقوم بأسرهم، ولو كان ذلك لبيان كون الشرب محتضراً للقوم أو الناقة فهو معلوم؛ لأن الماء ما كان يترك من غير حضور، وإن كان لبيان أنه تحضره الناقة يوماً والقوم يوماً، فلا دلالة في اللفظ عليه، وأما إذا كانت العادة قبل الناقة على أن يرد الماء قوم في يوم وآخرون في يوم آخر، ثم لما خُلقت الناقة كانت تنقص شرب البعض وتترك شرب الباقين من غير نقصان، فقال:﴿ **كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ**﴾ لكم أيها القوم فَرِدُوا كل يومٍ الماء، وكل شرب ناقص تقاسموه، وكل شرب كامل تقاسموه."[2]

﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا(13)فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا(14)ولا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾[3]

قال الإمام ابن كثير:" أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ﴿ **وَسُقْيَاهَا**﴾ أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، قال الله تعالى:﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا**﴾ أي كذبوه بما جاءهم به، فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم، وحجة عليهم "[4]

---

(1) تفسير القاسمي 15 / 269 .

(2) انظر تفسير الرازي 29 / 55 .

(3) سورة الشمس: آية / 13 – 15 .

(4) تفسير ابن كثير 4 / 518 .

ومن هنا كان الصراع بينهم لطمعهم في الماء أن يكون كله لهم لما جاءتهم الناقة تقاسمهم فيه، فهم لما طلبوا الآية كان ظنهم تعجيز صالح –عليه السلام–، وما ظنوا أن لخلق هذه الآية تبعات ولزوم شرط، بل جاءهم الامتحان، والاختبار في الماء الذي هو عصب حياتهم، لذلك لم تحتمل نفوسهم الظالمة أن تقاسمهم الناقة الماء، على الرغم من أنها كانت تعطيهم بدلاً منه لبناً، فزاحموها سقياها، وجاروا عليها، واعتدوا حتى بلغ بهم غاية الظلم عقرها وقتلها، فكان الماء علاوة على كفرهم سبباً في هذا الفعل الشنيع الذي قاموا به ... .

وكان عقاب الله لهم أن أهلكهم؛ وذلك سنة الله في الذين يرسل لهم الآيات والمعجزات فيشاهدونها بأعينهم ثم يكفرونها .

المطلب الثاني:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾

في هذا المطلب سوف يتبين أن الماء للأقوى، وهذا واضح جلي في قوله تعالى:﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(23)فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾[1]

إن محور الموضوع في هاتين الآيتين هو في قوله تعالى:﴿ **تَذُودَانِ**﴾ وفي قوله:﴿ **لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾

قال الألوسي:﴿ **تَذُودَانِ**﴾ كانتا تمنعان غنمهما عن الماء خوفاً من السقاة الأقوياء قاله ابن عباس وغيره ."[2]

والذي يرجحه ابن جرير الطبري "تحبسان غنمهما عن الناس، حتي يفرغوا من سقي مواشيهم "[3]وذلك ما صرح به القرآن ﴿ **لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ**﴾

ويقول الرازي:" والذود: الدفع والطرد، فقوله: تذودان أي تحبسان .

ثم فيه أقوال:

الأول: تحبسان أغنامهما، واختلفوا في علة ذلك الحبس على وجوه:

أحدها: قال الزجاج: لأن على الماء من كان أقوى منهما، فلا تتمكنان من السقي

وثانياً: كانتا تكرهان المزاحمة على الماء .

وثالثهما: لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم .

---

(1) سورة القصص: آية / 23 – 24 .

(2) تفسير روح المعاني / الألوسي 20 / 59 .

(3) تفسير ابن جرير الطبري 20 / 56 .

ورابعهما: لئلا تختلطا بالرجال."[1]

أما **الأقوال** الثلاثة الأخرى فلا تهمنا كثيراً ونكتفي بالأول .

والوجوه التي ذكرها هنا الرازي للقول الأول، كلها تتسع لها الآية، ولكن درجة قوتها متفاوتة، وأظن أن الإمام الرازي رتبها حسب قوتها تنازلياً، وأرى أن ذلك أولى في الترتيب. ويقول سيد قطب: والأولى عند ذوي المروءة والفطرة السليمة، أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولاً، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما "[2] وقوله تعالى:﴿ **لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ**﴾أي أنهما لضعفهما وغلبة الناس على الماء دونهما قالتا: لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم، لأنّا لا نطيق أن نسقي، وإنما نسقي مواشينا ما أفضلت مواشي الرعاة في الحوض وقوله: ﴿ **وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾ يقولان: لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقي ماشيته"[3]

" ﴿ **فَسَقَى لَهُمَا**﴾ مما يشهد بنبل هذه النفس التي صنعت على عين الله ، كما يشي بقوته التي ترهب حتى وهو في إعياء السفر الطويل، ولعلها قوة نفسه التي أوقعت في قلوب الرعاة رهبته، أكثر من قوة جسمه، فإنما يتأثر الناس بقوة الردع والقلوب أكثر .

يرى الباحث: والفاء هنا توحي بسرعة الفعل والأثر الذي تركته رؤية المرأتين، حتى إن موسى تأثر لذلك وأخذته الشهامة والحمية والغيرة الموجودة في أخلاق النبوة أن سارع لنجدتهما بالسقي لهما، وهو الغريب عن الديار والمسافر المنهك من السفر الشاق الطويل . لم ينتظر حتى يسقي الرعاء، بل لمجرد أن أخبر بخبرهما قام فسقى لهما ".[4]

كذلك هذا الفعل هو الذي جعل إحداهما تقول ﴿ **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾، فلولا قوته التي زاحمت الرعاة ومكنته من السقي وحده، فيما هم يسقون بجماعتهم يتعاونون على الدلو وملأ الحوض بالماء .

فقد رأت من موسى –عليه السلام –، قوة أولاً ، ثم أمانةً، وعفة نفسٍ وشهامة خلق، دعاها لهذا القول .

ومما سبق نخرج بهذه النتيجة:

أن القوي هو الذي يشرب أولاً، والضعيف ينتظر الفضل وما يتبقى في الحوض بعد أن يُصدر القوي، وقد لا يشرب مطلقاً .

---

(1) تفسير الرازي 24 / 239 .

(2) في ظلال القرآن 6 / 336 .

(3) تفسير ابن جرير الطبري 20 / 56 .

(4) انظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم / محمد السيد طنطاوي 20 / 36 .

وأن المرأتين كانتا تذودان لضعفهما، وعدم قدرتهما على مصارعة الرجال الأقوياء ومزاحمتهم على البئر؛ لسقي مواشيهما.

وأن الآية توحي بوجه من وجوه الصراع، وهو المزاحمة على الماء، وأناس تسقي، وأناس تقف بعيداً، حتى ينتهي القوي من سقيه .

المطلب الثالث: قصة حجر موسى ـ عليه السلام ـ

قال تعالى:﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[1]

لقد أشار القرآن إلى قضية الصراع على الماء، بشيء من الخفاء، منبهاً على ما جبلت عليه النفس البشرية، من حب التملك والأنانية؛ لذلك أنعم الله على بني إسرائيل، بأن قسم الماء بينهم، حتى لا يقع بينهم التنازع والتشاجر،ولا يتعدى بعضهم على نصيب بعض [2] قال الرازي: إن هذا كان في التيه، وذلك بإجماع المفسرين، وهو أحوج ما يكونوا إليه في هذه المرحلة من حياتهم، وأكد الرازي على ذلك واستدل عليه .[3]

ثم يتساءل الرازي: ما الحكمة في جعل الماء اثنتي عشرة عيناً ؟ والجواب أنه كان في قوم موسى كثرةٌ، والكثير من الناس إذا اشتدت بهم الحاجة إلى الماء، ثم وجدوه فإنه يقع بينهم تشاجر وتنازع، وربما أفضى ذلك إلى الفتن العظيمة، فأكمل الله تعالى هذه النعمة؛ بأن عين لكل سبط منهم ماءً معيناً لا يختلط بغيره، والعادة في الرهط الواحد أن لا يقع بينهم التنازع، مثل ما يقع بين المختلفين ."[4]

وعليه فقد حال الله بين القوم وبين الصراع على الماء والتنازع عليه؛ بقسمه الماء بينهم بهذه العيون، ولم يتركهم الله سبحانه بدون نهي عن الفساد لعلمه أن ذلك في طبعهم وخلقهم؛ لذلك قال لهم ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ " فقال لهم هذا على سبيل الإباحة والإنعام والتحذير من الاعتداء والإفساد "[5]

" العثي أشد الفساد، فقيل لهم: لا تتمادوا في الفساد في حالة إفسادكم؛ لأنهم كانوا متمادين فيه، والمقصود منه ما جرت العادة به بين الناس من التشاجر والتنازع في الماء عند

---

(1) سورة البقرة: آية / 60

(2) انظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم / محمد السيد طنطاوي 1 / 186 .

(3) انظر تفسير الرازي 3 / 97 – 98 .

(4) نفس المرجع 3 / 104 .

(5) في ظلال القرآن / سيد قطب 1 / 93 .

الحاجة الشديدة إليه، فكأنه تعالى قال: إن وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلا تبالغوا في التنازع والله أعلم "[1]

هكذا بيّنت هذه المطالب الثلاثة، ما جاء في القرآن من إشارات في موضوع الصراع على الماء، وكيف كانت في **المطلب الأول** نزاعاً بين كفار ثمود وآية الله لهم (الناقة)، بعد أن طلبوها هم من نبي الله صالح –عليه السلام– .

والمطلب الثاني: كان الصراع بين الرعاة على الماء، والمزاحمة على البئر، فهو مباشر بين الناس، فالقوي يسقي والضعيف يتأخر ويسقي الفضل وما بقي بعد الرعاة .

والأخير: فإنه جاء متضمناً في نعمة أنعمها الله على بني إسرائيل، فكان علم الله ببني إسرائيل وهم أصحاب القلوب الشتى ﴿ **بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾[2] حتى لا يطفو هذا البأس الشديد وتتنازع هذه القلوب قسّم الماء عيوناً على عدد أسباطهم، اتقاءً واحتياطاً أن يقع المحذور .

وبعد هذا العرض القرآني نذكر حديثاً كمثال على الصراع على الماء في عهد رسول الله وكان الرسول فيه قاضياً .

المطلب الرابع: (حديث اسق يا زبير)

لقد جاء في الحديث المتفق عليه **عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلا مِنْ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحْ الْمَاءَ، يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِمْ فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلْ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ يَا زُبَيْرُ اسْقِ ثُمَّ احْبِسْ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ وَاللَّهِ إِنِّي لأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾**[3] [4]
والحديث واضح كشاهد في هذا الأمر .

ونكتفي بهذا التأصيل للمسألة من الكتاب والسنة، وسبق ذلك العرض التاريخي لمسألة المياه والمطامع اليهودية الصهيونية .

---

(1) تفسير الرازي 3 / 105 .

(2) سورة الحشر: آية / 14

(3) سورة النساء: آية / 65

(4) صحيح البخاري 3 / 104 كتاب المساقاة باب سكر الأنهار رقم 2353 وصحيح مسلم 4 / 839 كتاب الفضائل باب وجوب اتباعه ﷺ .رقم 2357 .

المبحث الثالث: المياه العربية عامة والفلسطينية خاصة

المطلب الأول:المياه العربية عامة

" على الرغم من كثرة الموارد المائية على المستوى العالمي، إلا أن المتاح للاستخدام منها تكتنفه عدة مصاعب؛ تنبع من أن الموارد المائية تتسم بالتعقيد الشديد، والأهمية الشديدة أيضاً، وبصفة عامة فإن حجم الموارد المائية المتجددة سنوياً على المستوى العالمي، والتي يمكن إتاحتها للاستخدام – لو تحقق تعاون شامل- تكفي لأكثر من ثلاثة أضعاف سكان العالم الحاليين، ولكن الأمل لا يزال بعيداً لتحقيق التعاون المنشود "[1]

" وبداية تقول الأرقام المائية: إن نقطة الضعف الأساسي في حزام الأمن العربي؛ تتمثل في العامل الجغرافي / المائي للوطن العربي ذاته، فهو يقع في الحزام الجاف وشبه الجاف من العالم، ولذا فإن المياه المتجددة في الوطن العربي تقل عن 1% من المياه المتجددة في العالم، ونصيب الفرد العربي منها لا يزيد على 1744 م^3 في السنة، بينما المعدل العالمي 2900م^3 ، وتشير التقديرات المبدئية التي قدمتها المنظمة العربية للتنمية الزراعية عام 1980 مـ ، إلى أن مجمل الموارد المائية في الوطن العربي، تبلغ 164.885مليار متر مكعب في السنة، ومجمل الموارد المستخدمة يصل إلى 155.68مليار متر مكعب في السنة منها:

139 مليار م^3 من المياه السطحية .

12 مليار م^3 من المياه الجوفية .

4.5 مليار م^3 من مياه الصرف .

0.14 مليار م^3 من تحلية مياه البحر."[2]

ولا بد من التعرف على العوامل التي تؤثر في موارد المياه .

تعد دراسة العوامل التي تؤثر في موارد المياه أمراً ضرورياً للباحث المهتم بشئون المياه حيث إن هذه الموارد لم تخلق أو توجد عفوياً أو عشوائياً ، وإنما أوجدها الله سبحانه وتعالى. وذلك ينطبق على أي بقعة في العالم كما هو الحال في الوطن العربي .

1- **الموقع:** وذلك بالنسبة لدوائر العرض، والمسطحات المائية وكتل اليابسة التي تحدد خصائص الإقليم .

---

(1) نقص المياه والآثار المترتبة عليها / محمد عبد الهادي راضي (بحث مقدم للندوة الدولية لحوض النيل)، ص 4 معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة عدد مارس 1987مـ .

(2) الصراع المائي بين العرب وإسرائيل / رفعت سيد أحمد ص 190 .

2- **التركيب الجيولوجي:** فإن التكوين الجيولوجي وأنواع الصخور له دور في مخـــزون المياه الجوفية .

3- **مظاهر السطح:** حيث تقترن المياه بالجبال ولها الدور الهام في الأمطار وقد قرن الله بين ذلك في الكتاب العزيز بين الجبال ونـــزول الأمطـــار ﴿**وَجَعَـلَ فِيهَـا رَوَاسِـيَ وَأَنْهَارًا**﴾[1] وغيرها في القرآن .

4- **المناخ:** تشكل خصائص مناخ أي منطقة العامل الأساسي في تحديد مواردها المائية .

5- **العامل البشري:** تعد سياسة الإنسان في أي منطقة تجاه الموارد المائيـــة، مـــن أهـــم الزوايا المؤثرة في المياه "[2]

" **مصادر المياه العربية .**

إن الوطن العربي يعتمد في مصادرة المائية على مصدرين:

1-المياه السطحية .

2-المياه الجوفية .

أما المياه السطحية في العالم العربي فحوالي 292 بليون متر مكعب، وتأتي هذه الكميـــة من مياه الأنهار، مثل: النيل والفرات ودجلة والأردن وبعض الأنهار الصغيرة دائمة الجريان في العالم العربي، وكذلك بعض الأودية الموسمية، وبصفة عامة يفتقر العـــالم العربـــي إلـــى شبكات مياه كبيرة ومستديمة الجريان، حيث يعتبر نهر النيل فـــي إفريقيـــا، ونهـــري دجلـــة والفرات حالتين شاذتين عن هذه القاعدة، وتفسير هذا الشذوذ عن الوضع العام فـــي الـــوطن العربي يعود إلى أن كلاً من أنهار النيل ودجلة والفرات تستمد مياهها من مـــصادر خـــارج حدود الوطن العربي، وهي مناطق غزيرة الأمطار تصل إلى 1400 ملليميتـــر ســـنوياً عنـــد منابع النيل مع وجود بحيرتين تنظمان تصريف النهر طوال العام، كما تزيد غزارة الأمطـــار من نسبة المياه في منابع دجلة والفرات لأكثر من 1000 ملليميتر ســـنوياً، بالإضـــافة إلـــى هطول الثلج بصورة شبه دائمة عند منابعهما."[3]

" تؤكد تقارير مكاتب الدراسات المتخصصة المحلية والإقليميـــة والدوليـــة، أن الـــوطن العربي مهدد بأزمة مائية خانقة، وبالتالي بأزمة غذائية خطيرة، والأسباب كثيرة، سيبلغ عـــدد

---

(1) سورة الرعد: آية / 3

(2) أنظر موارد المياه في الضفة الغربية غزة، محمد عبد الهادي (مقال في مجلة صامد الإقتصادي، العـــدد 88 يونيو 1992 ص32 – 37 ، وانظر المياه العربية بين العجز ومخاطر التبيعـــة / عبـــد الله مـــريس العقالي ، ص 12 – 13 .– ط2-. مركز الحضارة العربية، الجيزة –مصر،1997م .

(3) المياه حرب المستقبل / عادل عبد الجليل بترجي ص38 .– ط1-. السعودية ، الناشر المؤلف ،1418 هـــ – 1997 مـــ .

السكان 323 مليون نسمة في عام 2000م ، وقد يتـضاعف فـي (2030)، و ستتـضاعف العواصم العربية مرات عديدة، وبناءً على ذلك ستزداد الاحتياجات إلى: (347.5) مليار متـر مكعب، أو على الأقل (318) مليار م^{3} في عام (2000 م)، وبالمقارنة مع الإمكانات المتوفرة التي لا تتجاوز (338) مليار م^{3}، فإن النقص المائي سيبلغ (127م^{3}) فـي عـام (2000م)، بينما لا تتجاوز قيمة الموارد المائية المستمرة حوالي (200) مليار متر مكعـب، أي نـصف الخزانات الجوفية التي تقدر بحوالي (42) مليار متر مكعب، وهذا العجـز المـائي يـستتبعه عجز غذائي حتماً، فمعدل النمو السكاني العربي (3%) يستلزم زيادة في الاستهلاك الغـذائي بمعدل (5%) ، غير أن الإنتاج الزراعي العربي لا يزداد إلا بمعـدل (2%) وبـذلك يبقـى العجز الغذائي متضاعفاً."[1]

ولما كانت المياه العربية وخاصة الأنهار الكبيرة، مثل: النيل ودجلـة والفـرات أنهـاراً دولية، منابعها ليست في الوطن العربي، جعلت قضية المياه العربية مياهـاً مـشتركة، ولمـا وجدت إسرائيل في وسط العالم العربي، أعطت للمسألة المائية أهتماماً كبيراً، حيث التحالفات التي تؤثر سلبياً على موارد العرب المائية، مثل: الحلف الإسرائيلي الأثيـوبي، والإسـرائيلي التركي. هذه السياسة التي تدعوا إلى خنق الموارد العربية؛ من خلال مشاريع مشتركة بـين اليهود وتركيا، وكذلك أثيوبيا؛ لقطع الموارد المائية العربية عن روافد النيل، وكـذلك دجلـة والفرات، وهذا يؤثر سلباً على نصيب الدول العربية من هذه المياه الدولية .

لذلك فإن العجز المائي العربي، قضية تحتاج إلى كثير عناية، ودراسة جادة تقـوم علـى العلم والعمل، ولا تكفي المؤتمرات والحديث في الصحف بلا مردود تطبيقي ينهض بالموارد المائية العربية، وحل أزمتها وإبعاد شبح العطش والموت عن الشعوب العربية .

المطلب الثاني:المياه الفلسطينية خاصّة

إن فلسطين أرض الله المباركة، التي بارك فيها وحولها، وتعاني اليوم ومنذ ما يقارب القرن من الزمان تحت الاحتلال البريطاني أولاً، ثم اليهودي تالياً، حتى لم يترك لهذا الـشعب المؤمن الحرية في الانتفاع بمائه، والتحكم في استغلاله، وحتى يمارس عليه التعتيم الإعلامي والإحصائي على موارده المائية، لوجود الاستيطان اللعين على صدر هـذه الأرض، يـستغل مواردها المائية، ويسرقها إلى مدنهم الكبرى .

---

(1) الأمن المائي العربي الحاجيات والمتطلبات / عبد القادر زريق المخادمي –ط1– 1420هـ – 1999مـ – دار الفكر، دمشق ص 162 – 163 .

ولكن رغم ذلك كله فسوف أعرض بعض الإحصائيات المتوفرة في الكتب التي تحدثت عن المياه والصراع العربي الإسرائيلي، والتي غالبها كان يتحدث عن الضفة والقطاع، ومصادرهما المائية لا عن فلسطين كل فلسطين من النهر إلى البحر .

والمياه الفلسطينية تأتي من عدة مصادر :

المصدر الأول: الأمطار .

المصدر الثاني: نهر الأردن وروافده والوديان الغير دائمة الجريان .

المصدر الثالث: العيون والمياه الجوفية .

أما **المصدر الأول** وهو الأمطار: فإن موقع فلسطين الجغرافي،يؤثر في كمية الأمطار التي تسقط عليها،وذلك كونها تقع في حوض البحر الأبيض المتوسط ومناخه، وهي عادةً متفاوتة من عام إلى عام، وكذلك من منطقة إلى منطقة، فإن الشمال في العادة يرُزق بأمطار متوسطة،ولكنها أكثر من منطقة الجنوب كالنقب وقطاع غزة، وتعتبر منطقة النقب من المناطق الجافة بالنسبة لباقي فلسطين، فتصل نسبة الأمطار ما بين 900 – 1000 مليمتر سنوياً في الشمال، وحتى 39 مليمتر سنوياً في منطقة الجنوب .[1]

وأعلى معدل للمياه في الضفة الغربية في منطقة طولكرم، حيث يبلغ في المتوسط 590 مليمتر، وأقل المناطق الغور وأريحا، حيث يبلغ في المتوسط حوالي 150 مليمتر .

أما منطقة قطاع غزة، فإن متوسط معدل الأمطار فيه 200 مليمتر.[2] وهذا مؤشر واضح، يبين مدى فقر هذه الأراضي بمياه الأمطار،والتي يعتمد عليها الفلاح الفلسطيني في زراعته مما يجعله لا يستطيع إنتاج النباتات والكروم والبساتين التي تحتاج إلى مياه سقي دائم طوال العام، والاعتماد على الإنتاج اليهودي .

المصدر الثاني: مياه نهر الأردن وروافده وكذلك الوديان .

"وأكبر هذه الأنهار نهر الأردن، وهو المصدر الرئيس؛ حيث تتجمع الأمطار التي تسقط على جبل الشيخ في جنوب لبنان، حيث المنابع العليا لنهر الأردن، وهي أربعة: نهر بانياس الذي ينبع من السفوح الجنوبية، كجبل الشيخ قرب بانياس الواقع من جبل الشيخ أيضاً إلى الشمال الشرقي من حاصبيا في جنوب لبنان، وإنتاج ينابيع الحاصباني بجنوب لبنان تتفاوت ، فبعض المصادر تقدره بـ (138) مليون م^3 سنوياً، ومصادر أخرى بين (153 – 162) مليون م^3 سنوياً "[3]

---

(1) انظر المياه حرب المستقبل / عادل عبد الجليل بترجي / 86 .

(2) فلسطين أرض وتاريخ / محمد سلامة نحال، ص 41 ، –ط1– منشورات فلسطين المحتلة، 1981 مـ .

(3) الموسوعة الفلسطينية ، بيروت 1990 الجزء الثاني، 1 / 220 .

وبصورة عامة تقدر كميات المياه الجارية في أجزاء نهر الأردن العليا حوالي (504) مليون م^3 سنوياً، أما الجزء الأدنى من النهر فتبلغ المياه الواردة إليه (1471) مليون م^3 سنوياً، ويدخل ضمنها كمية ما تستغله الأردن والكيان الصهيوني، من مياه النهر في هذا الجزء [1]

أما عند مصب النهر في البحر الميت فتقدر المياه المغذية للبحر ما بين (875 – 1250) مليون م^3 ، ويمكن القول أيضاً: أن كميات المياه السطحية في منطقة الضفة الغربية من كل الأودية تتراوح بين (40 – 50) مليون م^3 سنوياً، وأن مجموع تصريف روافد نهر الأردن الغربية تقدر بحوالي 200 مليون م^3 سنوياً ، أما الروافد الشرقية القادمة من مرتفعات الشرق فيقدر تصريفها (105) مليون م^3 ."[2]

المصدر الثالث: الينابيع والمياه الجوفية، تنتشر الينابيع في أرجاء الضفة الغربية؛ وتبلغ حوالى 300 نبع حتى عام 1985 ، معظمها ينابيع صغيرة لا يتجاوز الهام منها 60 نبعاً موزعة في أحواض الضفة الغربية، الشرقية منها والغربية وتتركز هذه الينابيع في شمال الضفة الغربية ،في حوضي المالح والفارعة، ويبلغ إنتاج الأحواض الشرقية من المياه (49753 م^3) وتساوي 93.3% من إنتاج عيون الضفة الغربية، أما الأحواض الغربية فيبلغ إنتاج عيونها (3572م^3) وتساوي 6.7% من إنتاج عيون الضفة الغربية، أما مياه الآبار فإن الضفة الغربية تعتمد في مجال الشرب والزراعة إلى حد كبير على الآبار الارتوازية، وتضم في حدود 345 بئراً ارتوازياً، منها 35 بئراً لأغراض الشرب علاوة على 30 بئراً صهيونياً، حفرت لخدمة المستعمرات، وهي موزعة حسب المناطق على النحو التالي:

الأغوار 96% بئراً .

وادي الفارعة 23 بئراً .

السفوح الغربية 185 بئراً .

المناطق الجنوبية 10 آبار .

وتقدر كمية المياه المستخرجة بـ (37938م^3) وتتميز هذه الآبار بأنها قليلة العمق 120–150 متر وهي قديمة وقد حفرت دون دراسة مسبقة .

ولكن هذا محكوم عليه بالسجن والسرقة من قبل الاحتلال الصهيوني وقطعان مستوطنيه، وعلى الرغم من قلته وندرته وعجزه إلا أنه واقع تحت دائرة الأطماع اليهودية،

---

(1) الأطماع الإسرائيلية في مياه الضفة الغربية / دائرة شئون الوطن المحتل ملف الجداول والخرائط جدول رقم (85) .

(2) الموسوعة الفلسطينية ، الجزء الثاني مجلد 1 / 223 .

فإن مياه الضفة الغربية ومياه قطاع غزة منهوبة للمستوطنين، من خلال الآبار التـــي تــضخ هذه المياه الجوفية إلى داخل الأراضي المحتلة منذ الثمانية والأربعين .

وفي نهاية هذا المبحث لعل الصورة أصبحت واضحة حول المياه العربية، وعجزهـــا والفلسطينية وسرقتها .

المبحث الرابع: الصراع على الماء وبُعديه: الديني والسياسي

المطلب الأول:البـــعـــد الديـــنـــي

لقد سبق أن ذكرت في المبحث الأول، بعض النصوص التوراتية، الدالة على نظـــرة اليهود لحدود دولتهم المائية والتي تصف حدود دولة الكيان الصهيوني من النيل إلى الفـــرات، وهذا الشعار هو الذي تضعه الكنيست الصهيونية فوق منصتها، كحلم تسعى إلى تحقيقه وهي اليوم جادة في خطىً خفيفة وسريعة نحو هذا الهدف، إن لم يكن ذلك متحقق المنال عـــسكرياً ،فإنه مطموع في تحقيقه سياسياً واقتصادياً، وللبعد الديني الأثر الكبير في الـــسياسة المائيـــة الصهيونية، حيث إنهم يعتبرون نهري الفرات والنيل نهرين يهوديين، وهبهمـــا الله أنبيـــاءهم وأجدادهم، ويعتبرون ما بينهما من أرضٍ يهودية يسمونها أرض الميعاد .

" فقد نادى هرتزل بفلسطين داود وسليمان من نهر مصر إلى نهر الفرات ،وكتب في يومياته"إن الحدود الشمالية جبال كبادوكيا في تركيا والحدود الجنوبية قناة السويس" مداها في روايته الشهيرة الأرض القديمة الجديدة تمتد إلى الفرات، وتـــشمل بيـــروت وسلـــسلة جبـــال لبنان."[1]

ولكن هذين النهرين إسلاميان، وذلك بصريح السنة، حيث جاء في صحيح مسلم عـــن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ من حديث الإسراء والمعراج الطويل أن رسول الله ﷺ حدث عمـــا رآه في ليلة المعراج، فقال: ﴿ **إِنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْـــرَانِ ظَـــاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الأَنْهَارُ قَالَ أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّـــةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا قَـــالَ هَـــذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ** ﴾[2] .

الأمر الذي يحتاج إلى بيان وتوضيح هو "النهران الظاهران" اللذان رآهمـــا الرســـول ﷺ في الجنة، وهما النيل والفرات !

لا ينبع النيل والفرات من الجنة حقيقة، كما يذهب إلى ذلك بعض يسيري الفقه، فكـــل ذي علم وثقافة يعلم أن نهر النيل ينبع من جبال أثيوبيا وهضابها ، في شرق أفريقيا، وكـــذلك نهر الفرات ينبع من جبال تركيا، فكيف رآهما رسول الله ﷺ وهو في الجنة ليلة المعـــراج ؟ وما دلالة ذلك ؟ ولماذا هذان النهران من باقي الأنهار التي تجري في بلاد المسلمين ؟

---

(1) الأمن المائي العربي / عبد القادر زريق المخادمي ص 31 .

(2) صحيح مسلم 1 / 150 ، كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله رقم 264 .

إن رؤية هذين النهرين – دون ما سواهما من أنهار بلاد المسلمين – ليلة المعراج في الجنة، يقدم آية باهرة للمسلمين، ويعطي أهمية خاصة لهذين النهرين وللأرض الواقعة بينهما، ويشير إلى حقيقة الصراع على هذين النهرين، وعلى الأرض الواقعة بينهما، إن هذا الحديث يدل على أن النيل والفرات نهران إسلاميان، وأنهما للمسلمين الذين سيملكونهما وما بينهما وما حولهما، كما يدل على أن الأرض الواقعة بين الفرات والنيل أرض إسلامية، وهي أرض مباركة مقدسة، وليست أرض ميعاد لليهود، ولا أرض مسيح للنصارى، ولا أرضاً لأي أقوام آخرين من غير المسلمين! إن هذه الأرض الإسلامية التي فتحها رسول الله ﷺ بداية،عندما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وقد أَمَّ في هذه الليلة المباركة بالأنبياء ، وكان بمثابة فتح لهذه البلاد، فتح إسلامي يخص بالنبي وبالإسلام قبل جيوش الإسلام، قال تعالى:﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[1]

وعلى ذلك، ومن خلال هذا التأصيل القرآني والنبوي بالسنة الصحيحة، يثبت أن هذه الأرض إسلامية، وما عليها من مياه، بارك الله فيها وحولها .

" والكفر على هذه الأرض طارئ شاذ غريب، قصير العمر، سريع الزوال، فالنيل والفرات نهران إسلاميان وما بينهما أرض إسلامية، إيمانية، مباركة، مقدسة، ونحن بحاجة إلى تأكيد هذه الحقيقة الإيمانية، وترسيخها في أذهان مسلمي هذا الزمان وعقولهم، لتكون بديهة لا شك فيها ولا نقاش حولها، فإن هذا العصر يشهد صراعاً حاداً عنيفاً بين أمتين على النهرين والأرض الواقعة بينهما، ومهما حققت الصهيونية من نجاح وهيمنة لليهود في هذا الإفساد على هذه الأرض، ولو استمر عشرات السنين إلا أنه موقوت، وسيزول ذلك الكيان، وينتهي هذا العصر اليهودي"[2]

المطلب الثاني:البعد السياسي

وقد تبين في المطلب السابق، كيف أن الصراع ذو طابع ديني، وفكر متأصل عند كل طرف من الأطراف ينبع من عقيدته، وعليه يريد كل طرف أن يحقق آماله وتطلعاته، ولكن شتان بين الحق والباطل، وبين الظالم والمظلوم، وبين السارق وصاحب البيت، فإن المسلمين يسعون لتخليص أراضيهم، والانتفاع بمياههم وتحريرها من أطماع الغاصب واستغلاله لها، وفي المقابل نجد اليهود بمكرهم ودهائهم واستنادهم إلى مساندة غيرهم من الحلفاء يحاولون

---

(1) سورة الإسراء: آية / 1

(2) انظر حقائق قرآنية / صلاح الخالدي ص 114 .

محاصرة الإسلام والمسلمين قال تعالى:﴿ **لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ(111)ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾[1] وقال تعالى:﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾[2]

إن قول الله سبحانه وتعالى:﴿ **لَنْ يَضُرُّوكُمْ**﴾ إنه وعد قرآني جازم، وحقيقة قرآنية قاطعة، صيغ بهذه الجملة المثقلة بحرف لن الذي يدل على التأبيد، أي لن ينجح اليهود في إيقاع الضرر بكم، ولن ينجحوا في تفريغ فلسطين منكم، ولن تكون فلسطين لهم، ولن تستقر لهم ويستريحوا فيها ويتمكنوا منها ،والواقع يشهد لصدق هذه الحقيقة القرآنية، فهم قد فشلوا مع حرصهم على تهويد فلسطين، التي احتلوها عام 1948 مـ ، لم ينجحوا في أهدافهم، ولم يلغوا الهوية الإسلامية لمسلمي فلسطين،وها هي الحركة الإسلامية في الجليل والمثلث والنقب، توجه الناس وتقودهم، وتعلن عن وجودها الإسلامي المتميز، وتثير قلق مخططي اليهود ومفكريهم .

وها هم بعد أكثر من ثلاثين سنة من الاحتلال للضفة والقطاع، يفشلون في القضاء على وجود أهل فلسطين، وفي تحقيق أهدافهم ضدهم رغم حرصهم الشديد على ذلك، ودليل ذلك هذه الانتفاضات المتتالية، منذ بداية الاحتلال البريطاني إلى لحظة كتابة هذه السطور -2001م- .

وما هذا الضرر ﴿ **إلا أَذًى**﴾ وهو استثناء من الجملة الأولى، يقرر حقيقة قاطعة وهي نجاح اليهود في إيذائنا، وما هذا الأذى إلا ظاهريٌ سطحيٌ خارجي، لن يصل إلى القلوب والفكر والدين، فهو أذى في البدن .[3]

وقوله تعالى:﴿ **إلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ حبل الله عهده، أما حبل الناس فهو العهد والذمة التي بينهم وبين الناس .[4]

وهذا استثناء من عموم الحكم في أول الآية، من الذلة والمسكنة المضروبة عليهم، ولعل ما فيه اليهود من كيان وسلطان، على أرض فلسطين يعيثون فيه فساداً ويعلون فيه علواً كبيراً، وذلك لحكم كثيرة ربانية باهرة، تقدم عبراً ودروساً ودلالات لنا إن الله الذي شاء

---

(1) سورة آل عمران: آية / 111 – 112

(2) سورة البقرة: آية / 217 .

(3) انظر حقائق قرآنية / صلاح الخالدي بتصرف شديد ص 118 – 120 .

(4) انظر تفسير الرازي 8 / 201 – 202 ، وانظر التحرير والتنوير 4 / 65 .

لليهود المجيء إلى فلسطين، وأراد أن يكون لهم دولة فيها، هو الذي أوقع بهم الذلة والمسكنة، وأحل بهم لعنته ونقمته وسخطه .[1]

وأما الحبل الذي من الناس، فإن اليهود قد مدوا لهم حبالاً كثيرة متفرقة، منها الحبل الأمريكي، والحبل الأوربي، والحبل السوفيتي، والحبل العربي، فأما الحبال الأولى فإنها لا تدين بدين الإسلام، ولكن العجب من الحبل العربي الذي يدين بالإسلام، فإن هناك فروعاً كثيرة لهذا الحبل اليهودي في أنظمة كثيرة متعددة، تظهر وتزعم أنها تعادي الكيان اليهودي، وتدعي الحرص على تحرير فلسطين ✐✐✐

ولما كان حبل اليهود وقوتهم ليس ذاتياً، بل يعتمد على الناس والتحالفات وسياسة المصالح المتشابكة، نجد هذا الكيان سياسياً يحاول حصار القوى الإسلامية، ومواردها المائية بالكثير من التحالفات:

لقد أراد اليهود الالتفاف على مصادر المياه في الشرق العربي، حيث دجلة والفرات، كي تؤثر مباشرة في العراق وسورية من خلال ما تقيمه من مشاريع مع تركيا، من سدود ومحطات لتوليد الكهرباء على نهر الفرات، مما يسبب الكثير من الضرر بحصة العراق وسوريا من نهر الفرات، ومن هذه المشاريع مشروع جنوب شرق الأناضول، ويقع هذا المشروع في الأجزاء الجنوبية الشرقية من تركيا، المحاذية لحدودها مع سوريا والعراق، ليغطي كل مقاطعات مدينتي أورفة، وما ردين ومقاطعات أخرى تشكل مساحتها 9.5% من إجمال مساحة تركيا، وهذا المشروع يتكون من ثلاثة عشر مشروعاً أساسياً للري وإنتاج الكهرباء، وعن طريق إنشاء اثنين وعشرين سداً على النهرين، منها ثمانية عشر سداً على الفرات ،وأربعة سدود على دجلة، وإقامة سبع عشرة محطة للطاقة الكهرومائية على النهرين، ومشروعات أخرى في قطاعات الزراعة والصناعة والمواصلات والاتصالات وغيرها،وتقدر كلفة المشروع بعشرين مليار دولار[2] وينبع من تركيا 90% من مياه الفرات البالغ طوله 2800 كم، تصب فيه من الأراضي التركية، ومن هذه النسبة نهر دجلة .[3]

والمياه بالنسبة لتركيا وسيلةٌ لتحقيق أهداف استراتيجيةٍ، أهمها الضغط على سورية والعراق، لتسيرا مع السياسة التركية في وسيلة ضغط على سورية لوقف دعم الأكراد،

---

(1) حقائق قرآنية / صلاح الخالدي ص 126 .

(2) إسرائيل ومشاريع المياه التركية / عوني عبد الرحمن السبعاوي .ـط1ـ. أبو ظبي ،1997 م ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد 10 ، وانظر الأمن المائي العربي / عبد القادر المخادمي 122 – 123 ، وانظر حرب المياه من النيل إلى الفرات / نبيل السمان ، ص29 .

(3) تركيا والشرق الأوسط / فليب روبانسي / ترجمة ميخائيل نجم خوري ص107 .ـط1ـ . القاهرة ، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، مكتبة مدبولي ، 1993م.

وكذلك لعدم الإصرار على المطالبة بالإسكندرونة وهي وسيلة للضغط على العراق، لسحب دعمه لبعض الفصائل الكردية في الشمال، ولمقايضة البترول، فكلاهما سلعة نادرة، ولتركيا هدف أكبر جعلها تخرج إلى العالم في تحالفها مع إسرائيل، فقد استعادت منطقة شمال العراق إليها بما فيها من بترول، فهي تريد الوصول إلى الموصل وكركوك .

إن تركيا دولة عسكرية، على الرغم من مظهرها الديموقراطي، فهي دولة ذات أهداف توسعية، وتدور في الفلك الغربي والتحالف الإسرائيلي، ومن أجل ذلك فإن تركيا لن تتورع عن استخدام المياه لتحقيق ما تريد .(1)

وكذلك الكيان الصهيوني يجني ثمار هذا التحالف من خلال اتجاهين:

الاتجاه الأول: شغل العرب في نزاعات مستمرة مع جيرانها بسبب المياه .

الاتجاه الثاني: عقد المعاهدات والاتفاقات بينها وبين تركيا، لمدهم بحاجتهم بالمياه، إما عن طريق مشروع قناة السلام، أو عن طريق نقل المياه في صهاريج كبيرة بحرياً .

التعاون الإسرائيلي الأثيوبي

فشل الكيان الصهيوني خلال العقدين الماضيين- السبعينات والثمانينات- في تحقيق حلمه التاريخي، بجر مياه النيل عبر صحراء سيناء إلى النقب، لتعمير صحاريه، ويحاول الكيان الصهيوني أن يضغط على مصر والسودان، للتضييق على مواردهما المائية ، عبر دول المصادر ومهابط الأنهار والبحيرات، وأحواض تجمع مياه النيل في أقصى الجنوب.

" ولما كانت أثيوبا هي الأهم بالنسبة لمصر والسودان، من حيث إمداد النيل بكميات ضخمة من مياهه عن طريق الأمطار المتساقطة على الهضبة الحبشية، فلذلك مد الكيان الصهيوني بصره مباشرة إلى أثيوبا، ليقدم لها خلاصة خبراته العلمية والتكنولوجية في استخدام المياه الاستخدام الأمثل، في إقامة السدود على روافد النيل، الأمر الذي سيؤثر بالضرر على نسبة المياه المتدفقة إلى كل من: مصر والسودان .. وفي هذا تهديد مباشر للأمن القومي للبلدين ."(2)

وكانت أثيوبا هي آخر دولة إفريقية، تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل تنفيذاً لقرارات الوحدة الإفريقية، وذلك في أكتوبر 1973 مـ، ثم ظلت محتفظة بعلاقات متنوعة معها، رغم عدم وجود تمثيل دبلوماسي بين البلدين، وفي 3 نوفمبر 1989 مـ، استعادت أثيوبا علاقاتها الدبلوماسية الكامنة مع إسرائيل ... وبعد أسابيع قليلة ذكرت صحيفة (إندبندنت) البريطانية في 6 / 1 / 1990 مـ، أن خبراء إسرائيليين يعملون لحساب الحكومة

---

(1) المياه حرب المستقبل / عادل عبد الجليل بترجي ص 188 .

(2) نحن وإسرائيل / صلاح الدين حافظ ، جريدة الأهرام، 10 / 1 / 1990م .

الأثيوبية، يجرون دراسات تمهيدية لبناء ثلاثة سدود بمنطقة بحيرة تانا، ونهـر آبـاي الـذي يصب في النيل الأزرق ."[1]

تم الإتفاق بين إسرائيل وأثيوبيا على قيام شركة إسرائيلية بإعداد الدراسات التنفيذيـة الخاصة بأحد المشروعات الزراعية في جنوب أثيوبا، والتي يمولها برنامج الأمـم المتحـدة للتنمية .

ويهدف المشروع إلى تحقيق التنمية الزراعية، على مساحة 3000 دونـم، ويـشتمل على إنشاء سد على نهر شبيلي ."[2]

" وتشترك أثيوبيا مع إسرائيل في الرغبة في تحجيم القوة العربية، وفي الحيلولة دون تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة عربية خاصة ."[3]

فإن الكيان اليهودي الصهيوني يسعى من وراء هذه التحالفات، والمشاريع المـشتركة مع جيران الدول العربية، وخاصة الذين يتحكمون في مـوارد الميـاه العربيـة المـشتركة ومصادرها، وهذا البعد السياسي في المصالح الصهيونية هو أحد المعاول التي تحاول بها هدم الأمن المائي العربي، وعلى قدر هذه القضية العربية وحجمها ، وخطورتهـا علـى مـستقبل الأمن المائي العربي والأمن الغذائي العربي، والأرض العربية المهددة بالكيان الصهيوني، لا بد أن يكون حجم وقدر العناية والدراسة الجادة، والعملية في سبيل الحفاظ على أمننا المـائي والغذائي والعسكري، أمام هذه الهجمة المسعورة، تمسكاً بقوله تعالى:﴿ **كَيْـفَ وَإِنْ يَظْهَـرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾[4]

وبعد هذا العرض يتضح مدى تأثير البعدين: الديني والسياسي، في مـسألة الـصراع على الماء في هذه الأرض المباركة المقدسة؛ وذلك في غياب القانون والنظام الدوليين؛ لكـي يفصلا في النزاع القائم في المنطقة، وغياب تطبيق شرع الله في خصومات الدول حول المياه المشتركة، إنه لإحدى الكُبَر:﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْـنَهُمْ ثُـمَّ لَـا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[5]

---

(1) المياه العربية بين خطر العجز ومخاطر التبعية / عبد الله مرسي العقالي ، ص 171 .

(2) التعاون الإسرائيلي الأثيوبي والأمن القومي المصري / عز الدين شكري (مقال) السياسة الدولية، العـدد (101) يوليو 1990م.

(3) المياه العربية / عبد الله مرسي العقالي ص 173 .

(4) سورة التوبة: آية / 8

(5) سورة النساء: آية / 65

المبحث الخامس: الشريعة الإسلامية والقانون الدولي في قضية المياه

المطلب الأول:الشريعة الإسلامية في قضية المياه

إن الشريعة الإسلامية الغراء التي وسعت كل قضايا الإنسانية، حيث قال تعالى: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾[1] وقال تعالى:﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً** ﴾[2] حيث جاء هذا القرآن ليعالج كل ما تحتاجه البشرية، من مسائل جديدة تطرأ في حياتنا. يقف الإنسان عاجزاً أمامها؛ يجد هذا الدين الحنيف قد أشار إليها، أو فصلها تفصيلاً و أصل لها إما في القرآن أو في السنة المطهرة أو في كليهما .

ولما كانت قضية المياه من القضايا التي عني بها القرآن، واهتمت بها سنة رسوله الكريم ﷺ. جعل الشارع الإسلامي لها أحكاماً خاصة، فقد أفرد الفقهاء أبواباً خاصة، في مؤلفاتهم الفقهية لمسألة المياه من حيث الطهارة والنجاسة وكذلك في أبواب الملكية العامة والخاصة، وحق الارتفاق من سقي وشفه وجري ومسيل وغيرها من الحقوق وقسموا المياه إلى أقسام وفصلوا ملكيتها وحقوق الانتفاع بها .

يقسم المسلمون المياه ثلاثة أقسام: مياه أنهار ، ومياه آبار ، ومياه عيون .

أما مياه الأنهار فهي ثلاثة أقسام:

الأول: ما أجراه الله تعالى من كبار الأنهار التي لم يحفرها الآدميون، كدجلة والفرات والنيل وغيرها. فماؤها يتسع للزرع والشاربة .

الثاني: ما أجراه الله من صغار الأنهار وهو على ضربين:

أحدهما: أن يعلو ماؤها وإن لم يحبس، ويكفي جميع أهله من غير تقصير .

الثاني: أن يستقل ماء النهر ولا يعلو للشرب إلا بحبسه فيكون الحق فيه للأعلى ثم للأسفل وهكذا فيكون آخرهم أرضاً آخرهم حبساً. وقدر ما يحبس منه إلى الكعبين. كما جاء في حديث: اسق يا زبير، سبق ذكره في مبحث الصراع .

وقد قيل: إن هذا القضاء ليس على العموم في الأزمان والبلدان، وإنما هو مقدر بالحاجة وقد يختلف من خمسة أوجه:

أحدها: باختلاف الأرضين: فمنها ما يرتوي باليسير، ومنها ما لا يرتوي إلا بالكثير .

والثاني: باختلاف ما فيها، فإن للزروع من الشرب قدراً، وللنخيل والأشجار قدراً .

والثالث: باختلاف الصيف والشتاء، فإن لكل واحد من الزمانين قدراً .

---

(1) سورة الأنعام: الآية / 38

(2) سورة المائدة: الآية / 48

والرابع: باختلافهما في وقت الزرع وقبله، فإن لكل واحد من الوقتين قدراً .
والخامس: باختلاف حال الماء في بقائه وانقطاعه، فإن المنقطع يأخذ منه يدخر، والدائم يأخذ منه ما يستعمل .

القسم الثالث: وهو ما احتفر الآدميون من الأرضين، فيكون النهر بينهم ملكاً مشتركاً، كالرزق المشترك بين أهله لا يختص أحدهم بملكه. إن حفره جماعة وإن كان شخصاً فهو له ولا يمنع منه حق الشفه والسقي، أما الشرب فيمنع .[1]

والذي يقوم عليه النزاع اليوم، بين الدول المشتركة في نهر واحد، هو ما يسمى بالنهر الدولي. وهو الذي نقصد بحث قضيته، فما هو النهر الدولي؟

"الحق أن الفقه التقليدي لم يتطرق إلى تصور للنهر الدولي؛ لأنه يعالج أحكام الأنهار التي تجري داخل إقليم دولة واحدة، وعذره في ذلك أمران:
أولهما: أنه كان يتابع منطقة في تقسيم العالم إلى دار سلام ودار حرب، فلم تشغله مشكلات جريان النهر في أقاليم دول إسلامية تستقل الواحدة منها عن الأخرى .
وثانيهما: أن معرفته بالأنهار كانت قاصرة على ما نما إلى علم الفقهاء من أنهار في ذلك الزمان، فإن الصورة التي عرضت له كانت صورة نهر يجري في إقليم غير مقسم[2]؛ لما كان للدولة الإسلامية من اتساع ويعد النهر في داخلها تابعاً للدولة أو الخلافة ، ولكن اليوم قسمت الخلافة، وجزئت الدولة إلى دول، ودب الخلاف وظهرت العرقيات والقوميات، وزاد الأمر تعقيداً وجود الأعداء للأمة المسلمة التي تثير النزاعات بين دول المسلمين .

إذن فالنهر الدولي:"هو النهر الذي يخدم أكثر من دولة، ويمكن أن يشبع ما جاءها كلياً أو جزئياً، وهو يمر في أراضي هذه الدول " .

وصورة أخرى "أن النهر الدولي في النظرية الإسلامية: هو النهر الذي تجري مياهه في أكثر من دولة ويتسع ماؤه لاهتمامات الدول المشاطئة له " وعليه فإن النوع الأول من الأنهار الذي قسمه الفقهاء سابقاً هو المقصود بالنهر الدولي في الشريعة الإسلامية وحكم الشرع في مثل هذه الأنهار حسب التصور الفقهي الأول هو أنها مشاع، وكل الناس شركاء فيها في شرب أو سقي أو شفه؛ لأنها كبيرة وتفي بحاجة الناس .

---

(1) انظر الأحكام السلطانية / محمد بن الحسين الفراء ص213 – 216 . ــ ط1 . ــ بيروت، دار الكتب العلمية 1403 هــ – 1983 م، وانظر الأحكام السلطانية للماوردي ص 181 . ــ ط3 . ـــ القاهرة ، مكتبة مصطفى الحلبي 1973 م، وانظر الفقه الإسلامي وأدلته / وهبة الزحيلي 0 / 593 – 597 ، وجعل ما يحرز في الآتية نوع: وقسم رابع .

(2) انظر قانون السلام في الإسلام / محمد طلعت الغنيمي ص 685 . ــ ط1 . ــ مصر، الاسكندرية منشأة المعارف .

ولكن اليوم فإن هذه الأنهار لما كثرت استخداماتها من زراعة وصناعة وملاحة وغيرها من الخدمات الاقتصادية. وعدم وجود عدل في التوزيع، وكذلك سوء استغلال مياه هذه الأنهار، وتلويثها، وهدرها جعلها لا تفي بالحاجيات، وكذلك نشأت بين الدول صاحبة الشراكة فيها النزاعات المنطلقة من المصالح الدولية لكل شريك من الشركاء .

والقرآن الكريم تجنباً للنزاع بين بني إسرائيل قسم الماء بينهم، وحرر لكل قوم عيناً يشربون منها، كإجراء وقائي حتى لا يقتتلوا على الماء ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[1] فإن الله بذلك يضع تأصيلاً لقضية المياه في حال النزاع. أن تقسّم بين الفرقاء ويعلم كل أناس قسمتهم فالآية أشارت إلى أكثر من أمر .

الأول: القسمة بينهم ﴿ **فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً**﴾ "على عدد أسباطهم فقد كانوا اثنى عشر على عدد أولاد يعقوب ــ عليه السلام ــ ."[2]

الثاني: معرفة حدود كل نصيب ﴿ **قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**﴾ وذلك بمعرفة كل قوم لنصيبهم وحدود هذا النصيب .

الثالث: عدم الإخلال والإفساد ﴿ **وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ فإن الإفساد هو الذي يخل بالقسمة وبالعدل وبالمحبة، وبالوفاق بين الأقوام حال الصراع، وكذلك الإفساد للماء نفسه بالهدر وتلويثه. وهذا الحل القرآني هو الأمثل في حال النزاع .

وما جاء في قصة قوم صالح والناقة. فقد فسر الرازي أن الماء كان قسمة بينهم يوم لقوم ويوم لآخرين فلما جاءت الناقة أخذت شرب يوم منهم فأصبح الماء قسمة بينهم جميعاً وبين الناقة. قال تعالى:﴿ **وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ**﴾[3]وقال تعالى:﴿ **قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾[4] "وهذه قسمة المهايأة بعينها"[5].

المهايأة فقهاً: هي عبارة عن قسمة المنافع ، وهي نوعان: مهايأة زماناً ، ومهايأة مكاناً .[6]

(1) سورة البقرة:الآية / 60

(2) انظر التفسير المنير / وهبة الزحيلي 1 / 168 .

(3) سورة القمر: الآية / 28

(4) سورة الشعراء: الآية / 155

(5) الفقه الإسلامي وأدلته / وهبة الزحيلي 5 / 695 .

(6) انظر رد المختار / ابن عابدين 5 / 189، وشرح المجلة / سليم رستم باز اللبناني ص 648 . ــ ط3 . ــ بيروت ، دار الكتب العلمية رقم 1174 و 1176 ، والفقه الإسلامي وأدلته / وهبة الزحيلي 5 / 694

قال تعالى: في سورة القمر ﴿ **وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ** ﴾ فالماء قسمة بينهم وأيضاً ﴿ **شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾ هذا الشرب في يوم معلوم محدد ومتعارف عليه، فلا يتعدى قوم على نصيب قوم .

هكذا إذن فإن الله قد وضع الحل في قرآنه الكريم، وكذلك السنة ، أن يسقي الأعلى ويحسر الماء إلى الجدر ثم يسقي الذي أسفل، وهكذا ... فإن هذا تأصيل من الكتاب والسنة لهذه القضية (1) .

ونحن نذكر هذه الآيات للاستئناس بها في أحكام هذه القضية الشائكة، فالشارع الحكيم لم يفصل كيفية القسمة في هاتين الآيتين، بل ترك الأمر مفتوحاً أمام علماء الأمة ومجتهديها، لينظروا في مصالح الأمة بما يناسب كل حال من أحوالهم، وحسب طبيعة الخلاف الموجود ولكن ضمن ضوابط الشرع وقواعده الحكيمة، فلا ضرر ولا ضرار ولا تعدي في الحق، والعدالة في التوزيع من خلال رضى الفرقاء في أي اتفاق خاص بينهم .

المطلب الثاني:القانون الدولي في قضية المياه

لما بدأت قضية المياه تطفو على السطح في الصراع الدولي، ذهب فقهاء القانون يبحثون هذه القضية بشكل منفرد، أي بمعنى أنهم لم يضعوا قواعد وقوانين تلزم بها الدول جميعها، بل كانت تحل النزاعات المحلية حسب معطيات الخلاف وحيثيات كل نزاع على حدة. ثم لما توسعت الخلافات بين الدول حول المياه الدولية؛ بسبب الملاحة أولاً، ثم بسبب الجوانب الاقتصادية ثانياً. بدأت الأمور تأخذ طابع القوانين وإقامة المعاهدات بين الدول، وأصبحت مشكلة المياه حقيقة أمام المجتمع الدولي ، وعليه بدأ فقهاء القانون بتقسيم الأنهار إلى قسمين هما: الأنهار الوطنية والأنهار الدولية .

1-**الأنهار الوطنية:**

الأنهار الوطنية: "هي التي تجري في إقليم دولة واحدة، وهذه الأنهار تدخل في ملكية الدولة صاحبة الإقليم وتخضع لسيادتها وحدها، حكمها في ذلك حكم أي جزء آخر من الإقليم .

ويتبع ذلك حق الدولة صاحبة النهر في أن تنظم استغلال موارده والقوى الطبيعية الموجودة في مجراه كما يتراءى لها، وحقها في أن تقصر الملاحة على مراكبها وحدها أو أن تبيح ذلك إذا شاءت لمراكب دول أخرى أو بعضها .

على أن التسليم للدولة صاحبة النهر بالحق المطلق في تحريم الملاحة فيه على السفن الأجنبية لاقى اعتراضاً من جانب بعض الفقهاء في القانون الدولي، وذلك على اعتبار أن في

---

(1) سبق التعرض لتفسير هاتين الآيتين وكذلك الحديث فلا داعي للتكرار

هذا التحريم إضراراً بمصالح الدول الأخرى، وإخلالاً بفكرة التعاون الدولي، ولكن واقع القانون الدولي بوضعه الحالي ليس فيه ما يلزم الدول على فتح أنهارها الوطنية للدول الأخرى ، إلا برضاها وشروطها الخاصة ."[1]

2- الأنهار الدولية:

" الأنهار الدولية: هي الأنهار التي تجري تباعاً في أقاليم دول مختلفة أو بين إقليمي دولتين أو أكثر ، مثل نهر النيل والفرات ودجلة والرين والدانوب والكونغو وغيرها .

وحكم هذه الأنهار من حيث ملكيتها أنها إذا كانت تجري في أقاليم عدة دول اختصت كل دولة بملكية الجزء من النهر الواقع بين حدودها ، وإذا كانت واقعة على حدود دولتين أو أكثر فتملك كل دولة الجزء المجاور لها من النهر حتى الخط الأوسط للتيار الرئيسي إن كان النهر قابلاً للملاحة، حتى الخط الأوسط لصفحة المياه إن لم يكن كذلك، ويتبع ملكية الدولة للجزء من النهر الواقع في إقليمها أو المجاور له حقها في أن تباشر فيه جميع أعمال السلطة العامة من قضاء وبوليس وتنظيم لشئون الملاحة وغيرها، وحقها في استغلاله في مختلف النواحي الزراعية والصناعية والمالية، كل ذلك يشرط مراعاة الحقوق المماثلة للدول الأخرى التي تشاركها في النهر، وعدم القيام بأعمال من شأنها عدم الإقرار بهذه الحقوق ."[2]

استغلال مياه الأنهار الدولية:

لكل من الدول التي يجري في أقاليمها نهر مشترك أن تأخذ من مياهه ما يلزم لحاجاتها المختلفة، وأن تستغل القوى الطبيعية الموجودة في المجرى الذي يقع ضمن حدودها، وتقيم فيه من الأعمال الهندسية ما يحقق لها هذا الاستغلال .

إنما على كل من هذه الدول أن تراعي في نفس الوقت ألا يؤدي استغلالها للجزء من النهر الداخل في ملكيتها إلى عدم الإضرار بغيرها من الدول المشتركة معها في ذات النهر .

وعلى ذلك يمتنع عليها:

1- أن تغير المنطقة التي يعبر فيها النهر حدودها إلى إقليم دولة مجاورة إلا بموافقة هذه الدولة .

2- أن تغير من طبيعة المياه تغييراً من شأنه أن يضر بغيرها .

3- أن يقوم على إقليمها بأعمال يمكن أن تؤدي إلى فيضان النهر في اقليم دولة أخرى.

---

(1) القانون الدولي العالمي / على صادق أبو هيف ص 260 . ــ ط11 . ــ الإسكندرية ، منشأة المعارف

(2) المرجع السابق ص 362 ، وانظر قانون السلام في الإسلام (دراسة مقارنة) / محمد طلعت ص 688 – 689 .

4- أن تصرف وتحجز من ماء النهر قدراً يتسبب عنه هبوط المستوى الطبيعي لمجـرى النهر في الدولة المجاورة .

5- أن تقوم بأي عمل يمكن أن يؤدي إلى تعطيل الملاحة في النهر أو إلى إيجاد عقبـات في سبيلها .[1]

ونجد في الفقه والشرع الإسلاميين :

"لكل أحد أن يسقي أراضيه من الأنهر التي ليست مملوكة، وله جدول لسقي الأراضي وإنشاء الطاحون، لكن عدم المضرة للعامة شرط، فإذا فاض الماء وأضر بـالخلق أو قطـع الماء بالكلية أو منع سير الفلك فإنه يمنع ."[2]

" وأما النهر العظيم مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها فإن حكم هذا النهر: يجوز فيه سبعة أشياء: ـ

أحدها: يجوز الانتفاع به لكافة المسلمين .

الثاني: القطع منه لجميع المسلمين .

الثالث: يجوز أن يعدو رجل إلى بعض ما يجري فيه الماء فيحوله عنه ويضرب عليه المسناة ويحييه، فإن كان ذلك لا يضر بالنهر فله ذلك .

الرابع: لو حول هذا النهر عن أرض فأحياها رجل وحصنها بالماء وذلك لا يضر بالنهر فلـه ذلك وإن كان يضر فإنه يمنع من ذلك .

الخامس: لو غرس عليه أحد جاز ما لم يضر به .

السادس: لو اتخذ قنطرة بإذن الإمام جاز، وإن اتخذها بغير إذن الإمام لم يجز، وما هلك بها من شيء فعليه الضمان .

السابع: أن إصلاح النهر على الإمام من بيت المال دون الناس جميعاً ."[3]

إن الفقه الإسلامي نبه إلى ما يشير إليه فقهاء القانون من شروط لاستخدام الحق فـي الأنهار الدولية ؟ والتي يسميها علماء المسلمين الأنهـار العامـة أو العظيمـة، وإن كـانوا يتعاملون معها على أنها تجري في دولة الإسلام، لكن لشراكة الناس جميعاً فيها وضعوا لهـا هذه المحاذير في استغلال الحق .

---

(1) القانون الدولي العالمي / أبو هيف ص 362 .

(2) مجلة الأحكام العدلية / جمعية المجلة ، كارخانة تجارت كتب تحقيق؛ نجيب هواويسني . ـ ط1 . ـــ ص 243 .

(3) النتف في الفتاوى / على بن الحسين بن محمد السغدي 2 / 623 . ـ ط2 . ـ بيـروت عمـان ، دار الفرقان ومؤسسة الرسالة.

"فإن القانون الدولي لم يسن هذه القوانين إلا قبل مالا يزيد عن نصف قرن من الزمان وعلماء المسلمين سبقوهم لأكثر من ألف عام "[1]

حتى إن علماء المسلمين وضعوا شروطاً لاستغلال الحق في الأنهار الخاصة " مالا يفعل الشركاء في النهر الخاص، ولا يجوز لأحد من الشركاء أن يفعل بهذا النهر عشرة أشياء إلا برضاء الآخرين، ولا أحد غيرهم : ـ

أحدها: أن يزيد في مائه .

الثاني: وأن ينقص من مائه .

الثالث: وأن يوسع النهر .

الرابع: وأن يجعله أضيق مما كان .

الخامس: وأن يجعله أعمق مما كان .

السادس: أن يجعله أرفع مما كان .

السابع: وأن يتخذ عليه قنطر .

الثامن: وأن يبني عليه بناء .

التاسع: وأن يغرس عليه أشجاراً .

والعاشر: وأن يقطع منه نهراً آخر ."[2]

هكذا يرى الشرع الحنيف المحافظة على حقوق الغير في الأنهار المشتركة التي تحفر من النهر العام؛ حتى لا ينقص شريك منهم حق أحد من الشركاء، أو يضر بهم لمصلحته الذاتية.

إن ما يحدث على أرض الواقع من معاهدات واتفاقات بين الدول حول النزاعات القائمة بينها في مياه الأنهار الدولية لا يمكن أن يكون نظاماً عادلاً إلا من خلال قوة تطبق ما يخط بالأقلام على الورق .

ولكن اتباع سياسة الغاب والبحار، الكبير يأكل الصغير، والقوي يستغل مياه الضعيف كما هو قائم في مياهنا العربية حيث يقوم الكيان الصهيوني بسرقة مياه الأردن ومياه الليطاني والوزاني وغيرها من أنهار وطنية حتى من داخل الأراضي اللبنانية، ونهر اليرموك وهو نهر عربي وغيرها، دون أدنى مراعاة لحقوق الآخرين .

فإن القانون وما به من عدل ومثاليات لا يمكن أن يحقق أي عدالة إلا بقوة تنفذه وتطبقه على أرض الواقع، ولكن النظام العالمي معكوس، فإن العقوبات تطبق على دول دون دول .

---

(1) انظر قانون السلام في الإسلام / محمد طلعت ص 686 .

(2) النتف في الفتاوى / علي السغدي 2 / 622 .

المبحث السادس: حقيقة الصراع في المنطقة والذي من أسبابه المياه

إن الصراع المحتدم في هذه البقعة من العالم، والذي ما زال مستمراً منذ أكثـر مـن عشرة عقود من الزمان، حتى عانت شعوب هذه البلاد منه أَمسَّ الـويلات والفواجع،فمنطقـة الشرق الأوسط التي قدر الله سبحانه وتعالى أن تكون مسرحاً للحروب ودمارهـا، ولأطمـاع اليهود وأعوانهم من المستعمرين والغرب الصليبي لم يأت من فراغ، بل جاء على أثر دوافـع وأطماع متعددة النوايا والأشكال.

أولاً: أبعاد الصراع وحقيقته في منطقة الشرق الإسلامي

إن الصراع العربي الإسرائيلي ذو طبيعة وأبعاد ومستويات مختلفة، وتنحـصر هـذه الأبعاد في خمس نقاط نجمل فيها هذه القضية .

1-**البعد الديني السياسي:**

إن الصراع القائم اليوم لا ينفصل عن أبعاده الدينية السياسية التي خطتها الحركة الـصهيونية لنفسها؛ كي تستوطن أرض فلسطين وذلك من خلال ما تسميه بأرض الميعاد، فهي قد جمعت يهود العالم بالأطماع تارة وبالعنف والتهديد تارة أخرى؛ حتى يقبلـوا المجـيء إلـى أرض يعقوب وداود وسليمان على حد تعبيرهم، واحتلوا هذه البلاد بالقوة ومساندة بريطانيا صـاحبة وعد بلفور .

إن حاجة اليهود سياسياً لوطن يتجمع فيه يهود العالم كان دافعاً للبحث عن رابط ديني يربط اليهود بتاريخهم في فلسطين؛ كي يأتوا إليها تحت تأثير العقيدة الدينية عندهم، وخاصـة في مدينة القدس التي تشكل للمسلمين جزءاً من عقيدتهم، ومحاولة تهويدها وجعلهـا يهوديـة خالصة.[1]

2-**البعد المصيري في الصراع:**

الصراع بين الجسد العربي الإسلامي والكيان الصهيوني صـراع حـول مفهـوم "البقـاء أو الوجود"، فالصراع لم يكن طيلة تاريخه صراعاً على قطعة أرض أو مدينة أو ضـفتي نهـر فقط، بل وفق رؤى طرفية: صراع حول "حق البقاء" فهو صراع مـصيري، صـراع بقـاء ووجود فإن كل طرف من أطراف الصراع يدافع عن وجوده علـى هـذه الأرض فالمـسلم

---

(1) انظر الصراع المائي بين العرب وإسرائيل / رفعت سيد أحمد ص 57 .

الفلسطيني متشبث بأرضه وهو يقتلع منها، واليهودي الصهيوني يثبت نفسه على الأرض بدلاً من المسلم الفلسطيني وهو دخيل مستوطن ظالم، فهو: إما بقاء أو فناء لأحد الطرفين .[1]

3-**البعد الاقتصادي:**

فإسرائيل في حقيقتها الداخلية وبنيانها الاقتصادي ليست سوى رأس الحربة للشركات الغربية متعددة الجنسية ، والأمة الإسلامية والعربية بثرواتها الطبيعية التي يحل النفط مقدمتها، تمثل التربة الخصبة لانتعاش هذه الشركات، وهذا من دوافع الصراع لهذا الوجود فإن الثروات الطبيعة العربية هي مطلب صهيوني قديم .

4-**البعد الشرعي:**

إن اليهود بكل ما أوتوا من قوة الحيلة والتزوير وتغيير المعالم يحاولون طمس المعالم الإسلامية وإيجاد معالم تثبت شرعية وجودهم على هذه الأرض، ويحاول اليهود جادين في تزوير التاريخ من خلال الإعلام العالمي الذي يمتلكون معظمه أن يثبتوا شرعيتهم المزورة على هذه الأرض المقدسة من خلال التلمود وكتبهم المقدسة وغيرها من الوسائل، ومهما قام الإعلام العربي ببيان الحقيقة فإن آذان الغرب الذي بيده القوة والسيطرة في المحافل الدولية مقفلة بصمم الدعاية الصهيونية، فلا تسمع نداءات العرب والمسلمين .

وللأسف نجد أبناء جلدتنا يعطون هؤلاء الشرعية في الوجود والبقاء على أرضنا على طبق من ذهب ...!!! [2]

5-**البعد المائي:**

إن الماء يشكل في الصراع العربي الإسرائيلي محوراً هاماً جداً، فإن حركة الاستيطان المتجددة والتوسع السكاني المتنامي عند اليهود يتطلب المزيد من المياه، وهذا يجعل هذا البعد من أقوى الأبعاد دافعاً لهم كي يتوسعوا بالاستيلاء على مصادر المياه في الأردن ولبنان وسوريا، وتتصل مطامعهم إلى النيل والفرات، وجعل قضية المياه شرطاً للتسوية .

وفي دراسة لوكالة الاستخبارات الأمريكية (سي، آي، إيه) قسمت مناطق الشرق الأوسط لتصبح ساحات حروب وصراع من أجل المياه إلى ثلاث مناطق :

أ- منطقة المشكلة الحرجة:

عرفت منطقة المشكلة الحرجة التي تنذر بحرب قريبة بين العرب وإسرائيل، وبصراعات تحتدم من أجل المياه بمنطقة "وادي نهر الأردن" التي تعتبر أكثر المناطق حساسية، وتضم إسرائيل (والأراضي المحتلة) والأردن وسوريا ولبنان .

---

(1) انظر المصدر السابق ص 58 .

(2) نفس المصدر السابق ص 59 .

ب- منطقة محفوفة بالمخاطر:

وتضم حوض دجلة والفرات ، وخاصة سوريا والعراق وتركيا وأيضاً بلدان الجزيرة العربية.

ج- حوض نهر النيل:

الذي قالت عنه الوكالة الأمريكية إنه منطقة توتر مائي قابلة للدخول في مستوى الخطر في غضون عشر سنوات وبحد أقصى عشرين عاماً، وتشمل مصر والسودان وأوغندة وأثيوبيا .

ورغم التحفظ على أهداف هذه الدراسة ومضمونها إلا أنها كانت صائبة عندما جعلت من بؤرة الصراع العربي الإسرائيلي أسخن مناطق الصراع على المياه في المنطقة .[1]

ثانياً: المياه حافز قوي وسبب الحروب في المنطقة

1- أقوال حول الموضوع:

" إن اليهود يخوضون مع العرب معركة المياه، وعلى نتائج هذه المعركة يتوقف كيان فلسطين. بن جريون 1955/5/14. إن إسرائيل العظمى لايمكن أن تقف مكتوفة الأيدي وهي ترى مياه نهر الليطاني تذهب هباءً إلى البحر، إن القوات أصبحت جاهزة في إسرائيل لاستيعاب نهر الليطاني، مناحم بيجن يونية 1982 .

إن على سوريا والعراق أن يفهما حقيقة أن مياه دجلة والفرات ليست مياهاً دولية ... ولدينا حقوق كاملة عليها، وأن مسائل المياه والاشكالات الناجمة عنها ستكون خلال السنوات المقبلة من أهم مشاكل العصر الحديث، سليمان دميريل ديسمبر 1991 .

إن إسرائيل والعرب سيواجهان نقصاً حاداً في المياه قبل نهاية هذا القرن، وسيضطران إما للتعاون (وهو دائماً تنفيذ رغبات إسرائيل) أو تشوب حرب سببها الاختلاف حول تقسيم المياه، لوس أنجلوس 1992/2/17 .[2]

أقدم هذه الأقوال كي أبين كيف أن قادة الكيان الصهيوني يفكرون دائماً في مياه العرب، وكذلك رئيس دولة تركيا أيضاً الذي يعتبر مياه الفرات ودجلة مياهاً وطنية خالصة لتركيا تتصرف فيها كما تشاء .

ثالثاً: حروب المنطقة والتي من أسبابها المياه

يعتبر الكيان الصهيوني أنه لابد من التوازن والتلازم بين الخريطة الأمنية والخريطة المائية، ويتضح ذلك من خلال ما شنتّه من حروب في الأربع عقود الأخيرة .

1- إن الحدود التي تفضل إسرائيل أن تحيط نفسها بها على الدوام حدود مائية سواء أكانت هي حدود "إسرائيل الصغرى" وهي الليطاني والحاصباني وطبرية والبحر الميت، أم حدود

---

(1) المياه حرب المستقبل / عادل عبد الجليل بترجي ص 6 3- 64 .

(2) المياه والحرب القادمة في الشرق الأوسط / فتحي شهاب الدين ص 4 .

"إسرائيل المتوسطة" وهي حدود نهر الأردن والبحر الأحمر وقناة السويس أم حدود "إسرائيل الكبرى" وهي حدودك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات كما هو مكتوب كشعار مرفوع فــوق الكنيست .[1]

"2- إن الحروب التي شنتها إسرائيل على العرب منذ قيامها كــان عامــل الميــاه محورهــا الرئيس، فقد استهدفت العمليات العسكرية التي قامت بها الجبهة الــسورية ــ فــي الــسنوات التالية لعام 1948 ــ الاستيلاء على كامل ضفاف بحيرة طبرية والحولة .

كما كان الوصول إلى قناة السويس هدفاً محدداً في حرب 1956 . وفي حرب 1967 وكان تحويل مجرى نهر الأردن العامل غير المباشر في شنّ تلك الحرب إلى جانب الوصول إلى نهر الأردن نفسه وإلى قناة السويس مرة أخرى لاتخاذهــا حــدين طبيعيــين لإســرائيل المتوسطة، كما كان الاستيلاء على أراضي جنوب لبنان ومنابع المياه فيهــا أحــد العوامــل المحددة لغزو إسرائيل للبنان 1982 ".[2]

"وإن ما كان يسمى بالحزام الأمني في جنوب لبنان ... ما هو إلا خزانٌ مائيٌ، فداخل هذا الحزام الأمني يقع حوض الحاصباني بكامله نبعاً ومجرى ... ويصب في بحيرة الحولــة بعد أن يلتقي بنهر بانياس، ويقدر تصريفه السنوي بــ 160 مليون م^3 ويبلغ معدل تــصريف النهرين عند نقطة الالتقاء بــ320 مليون م^3 ويقع ضمن هذا الحزام أيضاً نبع نهر الــوزاني ومجراه ..."[3]

وبعد هذا الملخص السريع في هذا المبحث يتبين لنا مدى أهمية المياه كبعد وعنــصر من عناصر الصراع في المنطقة، والذي كان محور المطــامع الــصهيونية فــي الأراضــي العربية ومياهها .

---

(1) انظر المياه العربية بين خطر العجز ومخاطر التبعية / عبد الله مرسي العقالي ص 77 .

(2) المصدر السابق ص 77 .

(3) حرب المياه من النيل إلى الفرات / نبيل السمّان ص 140 .

الـــخـــــاتــــــمـــــــة

وقد قسمت هذه الخاتمة إلى ثلاثة أقسام تتمثل في :

أولاً: ملخص البحث

ثانياً: النتائج

ثالثاً: التوصيات

أولاً: ملخص البحث

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة:

المقدمة: ذكرت فيها كلمة موجزة عن الماء وأهمية الموضوع وبواعث اختياره وبينت أهداف البحث وتحدثت عن الجهود السابقة في الموضوع ثم منهج الباحث وطبيعة عمله في البحث .

التمهيد: تحدثت فيه عن صفات الماء العلمية (الكيميائية والفيزيائية) وذلك لتكون تمهيداً علمياً لما سيرد من مباحث تتطلب فهم مسبق لهذه الصفات .

أما **الفصل الأول:** وقد سميته أهمية الماء والمحافظة عليه وقسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول: أهمية الماء وقسمته إلى ستة مطالب **المطلب الأول** الأهمية الشرعية و تناولت فيها ستة أغراض :

أولاً: أنواع المياه من ناحية شرعية وتحدثت فيه عن الماء الطهور.**ثانيًا:** الوضوء وتحدثت فيه عن آية الوضوء في سورة المائدة .

ثالثًا: الغسل وقد تناولت فيه فرض الغسل في سورة النساء وقارنت بينها وبين آية الوضوء في سورة المائدة. **رابعًا:** التيمم وتحدثت فيه عن آيتي التيمم في النساء والمائدة أيضاً .

خامسًا: طهارة الثوب وبينت فيه رأي العلماء في سورة المدثر (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) [1]

سادساً: صلاة الاستسقاء.

المطلب الثاني الأهمية الاقتصادية تحدثت فيه عن الأهمية الاقتصادية في الماء من خلال ثمانية أغراض وهي:

([1]) سورة المدثر:آية / 4

أولاً: التجارة **ثانيًا:** الزراعة **ثالثًا:** الثروة الحيوانية **رابعًا:** الثروة السمكية **خامسًا:** الحلية واللؤلؤ والمرجان **سادساً:** الملح **سابعاً:** المواصلات البحرية و**ثامناً:** الكهرباء والسدود.

ولقد ذكرت في هذه الأغراض شواهده من الآيات وفسرتها حسب ما يقتضيه البحث مع الاستعانة ببعض العلوم الأخرى حسب طبيعة كل غرض .

المطلب الثالث: الأهمية السياسية والحربية فقد تحدثت فيه عن:

أولاً: الماء من ضرورات المعركة وبينت فيه مدى أهمية الماء وحاجة الجند له في المعارك الحربية. **ثانيًا:** موانع حربية طبيعية وتحدثت فيه عن الماء وكيف يلعب دوراً هاماً كمانع طبيعي أمام الجيوش في التاريخ القديم والحديث .

المطلب الرابع: بالأهمية الاجتماعية تناولت فيه أهمية الماء في تكوين المجتمعات ونشأة الحضارات حوله ومدى حاجة المجتمع إليه من خلال غرضين:

الأول: حاجة المجتمع للماء. **الثاني** تجمع الحضارات حول الماء .

المطلب الخامس: بالأهمية الطبية بينت فيه أهمية الماء في مجالات الطب من علاج كدواء وكطب وقائي وأثره على صحة الإنسان إن كان بشربه أو الاغتسال به .

المطلب السادس: تحت عنوان **الشرب والسقاية** حيث أوضحت فيه مدى أهمية الماء في الشرب للإنسان وسقاية زرعه وبهائمه .

وبعد الحديث عن أهمية الماء ومجالات استخداماته بينت في **المبحث الثاني** الذي جعلت عنوانه **فساد الماء وطرق حمايته** ليدل العنوان على محتوى المبحث الذي قسمته إلى ثلاثة مطالب: **المطلب الأول:** وبينت فيه أسباب فساد الماء وطرق تلوثه المختلفة **المطلب الثاني:** فقد شرحت فيه المضار والمخاطر الناجمة عن تلوث الماء بصوره المختلفة ثم أنهيت المبحث **بمطلب ثالث:** ذكرت فيه طرق حماية الماء والمحافظة عليه .

الفصل الثاني: بعنوان **مصادر الماء وأقسامه في القرآن الكريم** وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: جعلته في مصادر الماء والذي قسمته إلى مطلبين تحدثت في **المطلب الأول:** عن تفجير الماء من الأرض من خلال ثلاثة أغراض: **الأول:** العيون **الثاني:** الأنهار **الثالث:** الآبار وأما **المطلب الثاني:** فقد تحدثت فيه عن المصدر الثاني للماء وهو إنزال الماء من السماء وذلك في الأغراض التالية: **الأول:** السحاب بأنواعه وأشكاله وأسمائه و**الثاني:** البرد و**الثالث:** الغيث و**الرابع:** تناولت فيه الحديث عن الوابل والطل ثم **خامساً:** ختمت فيه المبحث الأول بالحديث عن الأودية .

و**المبحث الثاني:** تحت عنوان **أقسام الماء في القرآن من حيث العذوبة والملوحة** ،وقسمته إلى مطلبين:**الأول:** جعلته في الماء العذب،من خلال مجموعة من الأوصاف التي وصفها القرآن للماء العذب وهي: **الأول:** العذب و**الثاني:** المعين و**الثالث:** الغدق و**الرابع:** الفرات

و**الخامس:** المبارك و**السادس:** الطهور. ثم ختمت **المبحث الثاني** بالحديث عن **المطلب الثاني:** الماء المالح ،بينت فيه الأغراض التي جاءت في البحار والمحيطات وفصلتها حسب معانيها الواردة في آياتها.

أما **الفصل الثالث:** المسمى **الماء بين النعيم والجزاء في الدنيا والآخرة** فقد قسمته إلى مبحثين: **المبحث الأول:** تحدثت فيه عن الماء نعيم وجزاء في الدنيا. و**المبحث الثاني** :الماء نعيم وجزاء في الآخرة بينت نعيم أهل الجنّة وماءها وعذاب أهل النار وماءها.

ولما كانت آيات الإعجاز العلمي في القرآن كثيرة فقد أفردت **الفصل الرابع:** من هذا البحث **للإعجاز العلمي في آيات الماء**، وقد قسمته إلى: **تمهيد** وخمسة مباحث: بينت فيه كلمة موجزة معنى الإعجاز العلمي ثم **المبحث الأول:** في علم الأحياء وفيه أربعة مطالب و**المبحث الثاني:** في علم الطب وفيه أربعة مطالب **والمبحث الثالث:** في علم الزراعة وفيه خمسة مطالب و**المبحث الرابع:** في علم الأرض وفيه خمسة مطالب و**المبحث الخامس:** والأخير في علم الجغرافيا وفيه سبعة مطالب وقد بينت في هذا الفصل مدى الإعجاز العلمي في آيات الماء والإشارات القرآنية وسبقها العلوم الحديثة في هذا المجال .

أما **الفصل الخامس:** أسميته **الماء في المثل القرآني** تحدثت فيه عن **مدخل** في المثل، ثم عشرة مباحث: **المبحث الأول:** بعنوان لا حد لكلمات الله ولا نهاية **والمبحث الثاني:** في حال المنافقين **والمبحث الثالث:** في الحق والباطل و**المبحث الرابع:** عن قسوة قلوب الكفار من بني إسرائيل و**المبحث الخامس:** في أعمال الكفار كسراب و**المبحث السادس:** في دعوة الحق ودعوة الباطل و**المبحث السابع:** عن المرائي المانّ بصدقته و**المبحث الثامن:** في المؤمن المنفق في سبيل الله و**المبحث التاسع:** في مثل الحياة الدنيا و**المبحث العاشر: جعلته** في أمثال من السنة في الماء .

وقد ختمت الفصول **بفصل سادس** عن **الصراع على الماء** وجعلته في ستة مباحث: **المبحث الأول:** نظرة تاريخية و**المبحث الثاني:** آيات وأحاديث الصراع على الماء و**المبحث الثالث:** في المياه العربية عامة والفلسطينية خاصة و**المبحث الرابع:** عن الصراع على الماء وأبعاده الدينية والسياسية أما **المبحث الخامس:** فكان بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي في قضية المياه وختمت الفصل **بالمبحث السادس:** الذي بينت فيه حقيقة الصراع في المنطقة والذي من أسبابه المياه .

ثم خاتمة الرسالة وختمتها بالنتائج والتوصيات، ثم جعلت فهارس علميـــة للرســـالة فهـــرس للآيات وآخر للأحاديث وثالث للمراجع ورابع للموضوعات .

ثانياً: النتائج

وفي ختام هذه الرسالة أضع النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لموضوعها
{ الماء في القرآن الكريم دراسة موضوعية } وهي كالتالي:

1- أن الماء قد حاز مساحةً واسعة في آيات القرآن الكريم .

2- أن القرآن ذكر صور الماء وأشكاله المختلفة بالإجمال والتفصيل لبعض الظواهر المائية .

3- أن القرآن أبرز أهمية الماء من النواحي التالية الشرعية والاقتصادية والطبية والحربية والاجتماعية والشرب والسقاية .

4- حثت الشريعة الإسلامية على الحفاظ على الماء من الفساد، والاقتصاد في استهلاكها.

5- بيّن القرآن مصادر الماء السماوية والجوفية .

6- وفرّق القرآن بين الماء العذب بأوصافه والملح بأوصافه، وما في كل منهما من منافع.

7- وضح القرآن كيف أن الماء كان في الدنيا نعمة لقوم ونقمة لقوم آخرين وكذلك في الآخرة كان نعمة لأهل الجنة وعذاباً لأهل النار .

8- لقد أشار القرآن إلى الإعجاز العلمي الموجود في الماء من خلال دخوله في علوم شتى منها علم الأحياء وعلم الطب والزراعة والجغرافيا والجيولوجيا، بإشارات متفاوتة .

9- إن القرآن ضرب الأمثلة بالماء مربياً المؤمنين من خلال هذه الأمثال البليغة .

10- إن الصراع على الماء قديم .

11 – أن حقيقة الصراع في المنطقة من أسبابه الماء .

ثالثاً: التوصيات

1- الاعتناء بالدراسات القرآنية الجادة ولا سيما التفسير الموضوعي لمواضيع القرآن .

2- الاعتناء الجاد بالمياه، فهي عصب الحياة وذلك من خلال :

أ- المحافظة عليها من أسباب التلوث .

ب- المحافظة على قطرة المياه من الهدر والتلف والضياع بالإسراف وخلافه من الأساليب الضارة .

ج- التمسك بالثروة المائية وعدم التفريط بها أمام الحملة الصهيونية عليها في فلسطيننا الحبيبة.

ء- محاولة إيجاد وسائل أخرى للحصول على قطرة الماء، مثل: التحلية من البحر وغيرها .

3- الأمة العربية مطالبة بالمحافظة على مواردها المائية والتمسك بحقها ولو اضطرت للمقاتلة دونه .

4- إفراد دراسة جادة علمية لقضية المياه الدولية دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الدولي .

5- إفراد مشاهد الماء في القرآن وما تشكله من لوحات ناطقة ببلاغتها وألوانها بدراسة علمية جادة منفردة، لما للموضوع من اهتمام قرآني كبير .

6- الاعتناء بالبحار وما فيها من ثروات تشكل الأمن الغذائي للعالم في المستقبل.

Abstract

This research is entitled ‘Water in the Holy Quran: An Objective study’ It Discuses the Quranic verses that refer to water. The importance of this topic derives from the importance of water worldwide and the number of verses which speak about water in the Holy Quran. The study includes an introduction, six chapters and conclusion. In the introduction, the researcher refers to the importance of the topic, the previous studies, the reasons of choosing this topic specifically and the scientific features of water.

Chapter one discusses the importance of water religiously, economically, medically, militarily, and socially. Then it clarifies its uses and the ways of keeping it from pollution.

Chapter two clarifies the types and features of water in the holy Quran. Here the sources of water are clarified. This includes the mineral and salty water.

Chapter three refers to water as a blessing in the day life and the hereafter. Historically, water was a blessing for some people and torture for others throughout life, Whereas it is considered as a blessing in the paradise and torture for the infidels in the Hellfire in the Day of Judgement.

Chapter four analyses the scientific aspects of water in the holy Quran. This covers five types of sciences: biology, medicine, agriculture, geology, and geography.

Chapter five mentions water in the Quranic proverb. Here the researcher refers to the proverbs which refer to everyday life and hereafter. The strength of Bani Israel’s hearts and the acts of infidels, which are like mirage. The chapter refers also to the fact that Allah’s words are endless.

Chapter six focuses on the conflict on water in the Holy Quran. This point is traced historically in the Gospel. The chapter also discusses the Arab water in general and the Palestinian water in particular clarifying verses and Hadiths, which refer to this point. Finally it is clarified that the next war will be on water.

The conclusion includes a summary of the research, results, and recommendations.

الفــهــارس

أولاً: فهرس الآيات

ثانياً: فهرس الأحاديث

ثالثاً: فهرس المراجع

رابعاً: فهرس الموضوعات

أولاً: فـــــهــرس الآيـــــــات

17	لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ ...	198	24
18	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ... وَاللَّـــهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ	204-205	73 -151
19	وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ	222	15-208
20	فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ...	249	104
21	وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ	255	249
22	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ...	257	260
23	كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ...	261	27
24	مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ	261-267	279
25	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ	264	124-279
26	وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ ...	265	124-213-283
27	إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً ...	282	22
	سـورة آل عمران		
28	قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ	13	350
29	لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ ...	111-112	326
30	وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ	185	287
31	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ... فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ	190-191	145
	سـورة النساء		
32	وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ ...	13	167
33	إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ ...	29	22
34	وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ ...	43	14-13-17-15-210
35	فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ	65	317-329
36	مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...	79	37
37	كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ	102	118
38	مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ	143	256
39	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأسفل	145	255

64	وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً ...	48	118
65	وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ...	50	192
66	وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ...	56	77-280
67	وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا ...	57	233-112
68	... وَلا تُفْسِدُوا فِي الأرض ...	85	81
69	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ...	96	-105
70	قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا...	129	52
71	وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ... وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ	-130 133	-162
72	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ ...	138	149-162
73	وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً	145	30
74	مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ	148	150-36
75	وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ ...	160	91-87-20
76	وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ...	163	148
	سـورة الأنفال		
77	وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ...	11	-156-155-140-19-15 211-210
	سـورة التوبة		
78	كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا	8	329-15
79	لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ	21	167
80	وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا	24	22
81	الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ ...	67	255
82	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ	111	173
	سـورة يونس		
83	لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ	4	188-186

84	تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ...	9	173
85	هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...	22	153
86	فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْض	23	188
87	إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ	24	288-216
88	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ...	90	147
89	إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ... حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ	97-96	93
	سـورة هـود		
90	وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا ...	3	105
91	أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا ...	36	158
92	وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ...	37	158
93	إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ ... وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ	39-38	158
94	حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ...	40	158
95	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ	42	160-95
96	قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ ...	43	160-95
97	وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ ...	44	160
98	وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ...	52	106-20
99	وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً	65-64	311
	سـورة يوسف		
100	وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ	15	108
101	وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا ...	19	108
102	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ	47	27
	سـورة الرعد		
103	وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ	3	319-103-97
104	هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا ...	12	111
105	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ...	14	275
106	أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ ...	17	263-230-131-3
107	لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى ...	18	266

130	وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ...	67	275-153-25
131	ولَقَدْ كرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ ...	70	151
132	وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ	81	282
133	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ ...	85	250
134	وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ...	90	92
135	أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ ...	91	229-107
سورة الكهف			
136	وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ...	29	191-188
137	كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا	33	160
138	أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا ...	41	228
139	وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ	52	186
140	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ	60	146
141	فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا ... مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا	62-61	147-30
142	قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ	63	147
143	أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ...	79	144
144	حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ...	86	90
145	قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ ...	94	45
146	قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ... وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا	96-95	45
147	قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي	109	249-140
سورة مريم			
148	فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً...	59	185
سورة طه			
149	وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...	53	220-99
150	فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً...	77	146
سورة الأنبياء			
151	وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ	30	ح-1-21-155-201-202-199-224-225

152	وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ... وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ	84-83	62
سـورة الحج			
153	وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا...	5	219-200-67
154	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ...	6	219
155	يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ	19	187
156	وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ ... وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ	37-36	33
157	فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ...	45	108
سـورة المؤمنون			
158	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ	12	200
159	وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ...	18	238-227-224
160	وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ ... وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ	22-21	35
161	وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً ...	50	136
سـورة النور			
162	مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ	35	251
163	فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ ... بِغَيْرِ حِسَابٍ	37-36	272
164	وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ... نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ	39-38	270
165	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا	43	-130-126-113-47-4 240-247-235-136
166	وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ	45	ح-201
سـورة الفرقان			
167	وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا ...	48	233-139-55-32-8
168	لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ ...	49	55-32-67
169	الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأرض ...	2	202
170	وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ...	53	-141-233-134-67-40 238
171	تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ...	61	152
سـورة الشعراء			

233	وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ...	11	55
234	وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ... وَلا يَكَادُ يُبِينُ	51-52	161-102
235	يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ	71	181
	سورة الدخان		
236	وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ	24	147
237	كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ	25	95-90
238	وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ	27	90
239	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ	51	172-94
240	فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ	52	94
	سورة الجاثية		
241	وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ ...	5	122
242	اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ ...	12	145-23
243	وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرض...	13	78
	سورة الأحقاف		
244	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ	24	117-5
	سورة محمد		
245	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا ...	15	187-186-172-168
	سورة ق		
246	وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا	9	138
247	وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا .... كَذَلِكَ الْخُرُوجُ	11-9	55
	سورة الذاريات		
248	فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا	2	115
249	وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ	21	145-خ
250	وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ	22	122
	سورة الطور		

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
251	كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ...	23	178
252	وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ	24	181
	سـورة القمر		
253	فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ	11	95
254	وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا	12	115-95
255	وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ	13	29
	سـورة الرحمن		
256	مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(19)بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ	20-19	238
257	يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ	22	37
258	وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ	24	240-145
259	يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ	44	190
260	فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ	50	170-89
261	وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ	62	172-90
262	فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ	66	170-89
	سـورة الواقعة		
263	يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ	17	181
264	بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ	18	178-136
265	وَظِلٍّ مَمْدُودٍ	30	171
266	وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ	31	171
267	فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ	42	187
268	أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ... أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ	64-63	156-25
269	أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ... أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ	69-68	234-114-68
270	أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ... أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ	72-71	29
271	فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ	93	188-186
272	وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ	94	188
	سـورة الحديد		

308	وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْــعِ(11)وَالأرض ذَاتِ الصَّدْعِ	12-11	266-136-123
سـورة الغاشية			
309	تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً(4)تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ	5-4	190
سـورة العلق			
310	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ	1	210
311	سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ	18	184
سـورة الهمزة			
312	وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ	1	184
سـورة الكوثر			
313	إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ	1	174

ثانياً: فــــهــــرس الأحـــاديـــث

26	كان يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاثًا	أنس بن مالك	69
27	لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ	أبو هريرة	82
28	اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ	أبو هريرة	65
29	ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل	أبو هريرة	300
30	مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ	أبو هريرة	301
31	مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ	ابن عمر	256
32	مثل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ	أبو موسى	298
33	الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاثٍ فِي الْمَاءِ وَالْكَلا	ابن عباس	66
34	مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى	أبو هريرة	33
35	نهَى عَنْ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ	أبو سعيد الخدري	70
36	وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ	140
37	الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي	أبو سعيد الخضري	184
38	كل شيء خلق الله من الماء	أبو هريرة	2
39	إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً	أبو هريرة	12
40	الحمى من فيح جهنم	ابن عمر	65
41	إذا اتيت بالمرأة قد حمت	أسماء بنت أبي بكر	65
42	هو حوض ترد عليه أمتي	أنس	176
43	نهر في جهنم بعيد القعر	ابن مسعود	185
44	دلني على صدقة قال اسقي الماء	ابن مسعود	67
45	كان إذا رأى المطر قال اللهم صبباً نافعاً	عائشة	258
46	أمرنا ﷺ بتغطية الإناء	أبو هريرة	82
47	بينا رجل بفلاة من الأرض	أبو هريرة	111
48	مفاتح الغيب خمس	ابن عمر	119
49	اسق يا زبير ثم أرسل الماء	عبد الله بن زبير	317
50	إنه رأي أربعة أنهار	أنس	324
51	لا يمنع فضل الماء	أبو هريرة	67

ثالثاً: فــهــرس الــمــراجــع

1. القرآن الكريم.
2. إبراز المعاني من حرز الأماني / لأبي شامة / عبد الرحمن بن إسماعيل بـن عثمان الدمشقي (ت665 هـ) . ـ ط1 . ـ 1349 هـ / 1930 م .
3. الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ؛ تحقيق محمـد أبو الفضل إبراهيم . ـ بدون طبعة ، ـ القاهرة ، مكتبة دار القرآن .
4. الأحكام السلطانية / الماوردي . ـ ط3. ـ القـاهرة ، مكتبـة مـصطفى الحلبـي ، 1973 م.
5. الأحكام السلطانية / محمد بن الحسين الفراء . ـ ط1. ـــ بيـروت ، دار الكتـب العلمية 1403 هـ / 1983 م .
6. أحكام القرآن / أبو بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي (ت 543 هـ) ؛ تحقيق على محمد البجاوي . ـ ط1 . ـ بيروت ، دار الجيل 1408هـ / 1988م.
7. أخلاق النبي ﷺ وآدابه / عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصـفهاني ؛ تحقيق السيد الجميلي . ـ ط2 . ـ بيروت ، دار الكتب العربية ، 1989 م.
8. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / محمد بن محمد العمادي تـ(951هـــ) . ـ بيروت ، دار الإحياء التراث العربي .
9. أساس البلاغة / محمود بن عمر الزمخشري . ـــ ط 1 . ـــ بيـروت ، دار صادر ، 1399هـ / 1979 م.
10. الأساس في التفسير / سعيد حوى . ـ ط1 . ـــ القـاهرة ، حلـب ، بيروت ، 1405 هـ / 1985 م.
11. أساسيات علم الجيولوجيا / محمد يوسـف حـسن وآخـرون . ـــ نيويورك،الناشر جون وايلي وأولاده 1983 م.
12. أسباب النزول / علي بن أحمد الواحدي النيسابوري . ـ ط1 . ـــ بيروت، عالم الكتب .
13. إسرائيل ومشاريع المياه التركية / عوني عبد الرحمن السبعاوي . ـــ ط1 . ـ أبو ظبي ، مركز الإمارات للدراسـات والبحـوث الاسـتراتيجية ، عـدد 10 . 1997م.

14. أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجاني . ــ دون طبعة . ــ القاهرة ، المكتبة التوفيقية .
15. أسرار العلاج بالماء الساخن والاسترخاء / محمد كمال مصطفى . ـــ ط1 .ــ القاهرة ، الطلائع ، 1998 م.
16. أسلوب الزراعة العلمية في القرآن الكريم / محمد عيسى مراد . ــ ط1 . ــ
17. الأسودان التمر والماء بين القرآن والسنة والطب الحديث / حسان شمس الدين باشا . ــ ط1 . ــ جدة ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، 1992 م.
18. أصول الفقه الإسلامي / وهبة الزحيلي . ــ ط1 . ــ دمشق ، دار الفكر ، 1986 م.
19. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت1393 هـ) . ــ القاهرة ، مكتبة بن تيميّة ، 1408 هـ / 1988 م.
20. الأطماع الإسرائيلية في مياه الضفة الغربية / دائرة شئون الوطن المحتل ، ملف الجداول والخرائط جدول رقم 85 .
21. الإعجاز العلمي في الإسلام / محمد كامل عبد الصمد . ــ ط4 . ــ القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 1997 م.
22. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / عبد السلام اللوح . ــ ط1 . ــ غزة ، فلسطين ، آفاق للنشر والتوزيع ، 1419 هـ / 1999 م .
23. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد سيد الأرناؤوط . ـــ ط1 . ـــ القاهرة ، مكتبة مدبولي .
24. إعجاز القرآن الكريم / فضل حسن عباس وابنته سناء . ــ ط 1 . ــ عمان ، دار الفرقان ، 1991 م.
25. إعجاز النبات في القرآن الكريم / نظمي خليل أبو العطا . ـــ ط1 . ـــ القاهرة ، مكتبة النور .
26. أعلام الموقعين / بن قيم الجوزية . ــ بدون طبعة . ـــ القاهرة ، دار الحديث.
27. الإفصاح في فقه اللغة / حسين موسى وعبد الفتاح الصعيدي . ــ ط2 . ـــ القاهرة ، دار الفكر العربي .

28. الإكسير في علم التفسير / سليمان بن عبد القوي البغدادي (ت716 هـــ) ؛ تحقيق عبد القادر حسين . ــ ط1 . ــ بيــروت ، دار الأوزاعــي ، 1409 هـــ / 1989 م.
29. الأم / الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي و: 150 هــ / 204 هــ . ــ ط2 . ــ بيروت ، دار المعرفة ، 1393 هــ / 1973 م.
30. أمثال القرآن وصور أدبه الرفيع / عبد الرحمن حسن حبنّكه الميــداني . ـــ ط2 . ــ دمشق ، دار القلم ، 1412 هــ / 1992 م.
31. الأمثال في القرآن الكريم / بن قيم الجوزية ؛ تحقيق إبراهيم محمد . ـــ ط1 . ــ طنطا، مصر ، مكتبة الصحابة ، 1406 هــ .
32. الأمثال في القرآن الكريم / سميح عاطف الزين . ــ ط1 . ــ بيــروت ، دار الكتاب اللبناني ،1987 م.
33. الأمثال في القرآن الكريم / محمد جابر فياض . ــ بدون طبعة . ــ هيرفرن ، فيرجيينا USA المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1414 هــ / 1993 م.
34. الأمن المائي العربي الحاجيات والمتطلبات / عبد القادر ازريق المخـــادمي . ــ ط1. ــ دمشق ، دار الفكر ، 1420 هــ /1999 م .
35. الإنسان وتلوث البيئة / محمد سيد الأرناؤوط . ــ ط2 . ــ القاهرة ، الـــدار المصرية اللبنانية ، 1996 م.
36. أنوار التنزيل وأسرار التأويل / المعروف بتفسير البيضاوي / ناصر الـــدين عبد الله بن عمر (ت 685 هــ) . ــ بيروت ، دار صادر .
37. أيسر التفاسير / أبو بكر الجزائري . ــ ط1 . ــ الناشــر المؤلــف ، 1414 هــ / 1993 م.
38. اقتصاديات النقل البحري / كارولين ألولين ؛ ترجمة مختار الـــسويقي . ـــ ط2 . ــ القاهرة ، 1984 م.
39. اقتصاديات النقل البحري / كارولين أولولين ؛ ترجمة مختار السويقي . ـــ ط2 . ــ القاهرة ، مطابع مذكور ، 1979 م .
40. الموسوعة العربية العالمية / . ــ الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع . ــ ط2 . ــ 1419 هــ /1999 م.
41. بحر العلوم / منصور بن محمد بن أحمد السمرقندي ؛ تحقيق علـــي محمـــد معوض وآخرون . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار الكتب العلمية، 1314هــ / 1993 م.

42. البحر المحيط / محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي(ت745هـ) . ــــ ط1 . ــ بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ / 1993 م.

43. البداية والنهاية / للإمام أبي الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ؛ تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح . ــ ط1 . ــ القاهرة ، دار الحديث ، 1992 م.

44. البرهان في توجيه متشابه القرآن / محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (505 هـ) ؛ تحقيق عبد القادر عطا . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1406 هـ / 1986 م.

45. البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ــ ط2 . ــ بيروت ، دار المعرفة ، 1391 هـ / 1972.

46. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817 هـ) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1387 هـ .

47. البعث والنشور / أحمد بن الحسن البيهقي ؛ تحقيق محمد بن السعيد بسيوني زغلول . ــ ط1 . ــ بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، 1408 هـ / 1988 م.

48. تأملات في خلق السماوات والأرض / أشرف فوزي البارودي . ــ ط1 . ــ القاهرة ، دار الكتاب الحديث ، 1420 / 2000 م .

49. تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتض الزبيدي . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار مكتبة الحياة .

50. تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك / محمد بن جرير الطبري ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ــ ط4 . ــ القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب رقم 30 .

51. تاريخ جرجان / حمزة بن يوسف الجرجاني (428 هـ) ؛ تحقيق أحمد عبد المعيد خان . ــ ط3 .ــ بيروت ، عالم الكتب ، 1981 م.

52. التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور . ــ تونس ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، 1417 هـ / 1997م .

53. التخويف من النار / عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي 736 هـ ــ 795 هـ ؛ مراجعة وتعليق محمد حسن الجمعي . ــ ط3 . ــ دمشق ، بيروت ، دار الرشيد ، 1409 هـ / 1989 م.

54. تركيا والشرق الأوسط / فليب روباني ؛ ترجمة ميخائيل نجم خوري . ــ ط1. ــ القاهرة ، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث ، مكتبة مدبولي، 1993 م .

55. تفسير الفخر الرازي / المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب: محمد فخر الدين بن عمر الرازي (ت 606 هـ) . ـ ط1 . ـ بيروت ، دار الفكر ، 1401 هـ / 1981م.
56. تفسير القرآن / عبد الرزاق بن همام الصنعاني ؛ تحقيق مصطفى مسلم محمد . ـ ط1 . ـ الرياض ، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع ، 1310 هـ / 1989م.
57. تفسير القرآن الحكيم / الشهير بتفسير المنار / السيد محمد رشيد رضا . ـ ط2 . ـ بيروت ، دار المعرفة ، دون سنة .
58. تفسير القرآن العظيم / عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ؛ تحقيق أحمد عبد الله الزهراني . ـ ط1 . ـ المدينة مكتبة الدار البيضاء ، الرياض دار طيبة ، الدمام دار بن الهيثم، 1408هـ .
59. التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب . ـ القاهرة ، دار الفكر العربي.
60. التفسير القيم / الإمام بن القيم 691 هـ ـ 751 هـ ؛ تحقيق محمد حامد الفقي . ـ بيروت ، دار الكتب العلمية 1398 هـ / 1978 م.
61. تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي . ـ دون طبعة . ـ بيروت ، دار الفكر .
62. التفسير الواضح / محمد محمود حجازي . ـ ط4 . ـ القاهرة ، مكتبة الاستقلال الكبرى .
63. التفسير الوسيط للقرآن الكريم / محمد السيد طنطاوي . ـ ط3 . ـ القاهرة، مؤسسة الرسالة ، 1407هـ / 1987 .
64. تفسير ابن كثير / الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774 هـ) . ـ بيروت ، دار الفكر ، 1401 هـ / 1981 م.
65. تلوث المياه العذبة / أحمد عبد الوهاب عبد الجواد . ـ ط1 . ـ سلسلة رائدة المعارف البيئية ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، 1995 م .
66. تلوث المياه وتحديات الوجود / محمد يسري دعبس . ـ ط2 . ـ الإسكندرية ، الناشر المؤلف ، سلسلة التنمية والبيئة .
67. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان / إسماعيل حقي البروسوي ؛ اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني . ـ ط1 . ـ القاهرة ، دار الصابوني ، 1408 هـ / 1988 م.

68. تهذيب اللغة / لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ؛ تحقيق عبد الحليم ومراجعة محمد على النجار . ــ ط1 . ــ القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

69. توحيد الخالق / عبد المجيد عزيز الزنداني . ــ ط1 . ــ القاهرة ، دار السلام ، 1405 هـ / 1985 م.

70. التوقيف على مهمات التعاريف / محمد عبد الرؤوف المناوي ؛ تحقيق محمد رضوان الداية . ــ ط1 . ــ دمشق ، دار الفكر ، 1410 هـ / 1990م.

71. تيسير الكريم الرحمن / عبد الرحمن بن ناصر السعدي . ــ بدون طبعة . ــ مكة ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلان ، 1398 هـ .

72. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب / لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري (ت429 هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ــ بدون طبعة . ــ القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب رقم 57 .

73. جامع البيان عن تأويل آي القرآن / أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) . ــ دار الفكر .

74. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير / الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي 846 هـ ــ 911 هـ . ــ بيروت ، دار الفكر .

75. الجامع لأحكام القرآن الكريم / لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت671 هـ) . ــ ط2 . ــ 1380 هـ / 1961 م.

76. الجدول في إعراب القرآن / محمود صافي . ــ ط3 . ــ دمشق ، دار الرشيد ، 1416 هـ / 1995 م.

77. الجديد في المنظور العلمي المجيد / إسلام الشبراوي . ــ ط1 . ــ مكتب الرسالة الدولية للطباعة والكمبيوتر ، 1418 هـ / 1997 م.

78. جريدة الأهرام / يناير ، 1990 .

79. الجغرافيا الاقتصادية / فتحي محمد أبو عيانة . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار النهضة العربية .

80. الجغرافيا الاقتصادية / محمد رياض وكوثر عبد الرسول .

81. الجغرافيا الاقتصادية / محمد محمود الديب . ــ ط1 . ــ القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1981 م.

82. الجغرافيا الطبيعية / حسن أبو سمور ، وعلي غانم . ــ ط1 . ــ عمان ، دار المعارف 1419هـ / 1998 م.

83. الجغرافيا المناخية / نعمان شحادة . ـــ ط1 . ـــ عمان، دار المستقبل،1996.
84. جغرافية البحار والمحيطات / مهدي محمد علي . ــ بدون طبعة.، بغداد ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .
85. الجمان في متشابهات القرآن / بن ناقية البغدادي ؛ تحقيق مصطفى الصاوي الجويني ، الإسكندرية ، منشئة المعارف .
86. حاشية أحمد بن محمد الصاوي على تفسير الجلالين / أحمد بن محمد الصاوي . ــ ط1 . ــ القاهرة ، الناشر مصطفى البابي الحلبي 1360 هـ / 1941م.
87. حرب المياه من النيل إلى الفرات / نبيل السمان . ـــ ط2. ـــ الخليل ، فلسطين ، دار المستقبل للدراسات والنشر والإعلام ، 1997 م .
88. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / عبد القادر بن عمر البغدادي ؛ تحقيق عبد السلام هارون . ــ ط2 . ــ القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، 1979 م.
89. خلق الإنسان بين الطب والقرآن / محمد علي البار. ــ ط1 . ــ جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، 1400 هـ / 1980 م.
90. الدر المنثور في التفسير المأثور / الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت911 هـ). ــ بيروت ، دار الفكر ، 1414 هـ / 1993 م.
91. دلائل الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية / موسى الخطيب . ــ ط1 . ــ القاهرة ، مؤسسة الخليج العربي، 1994 م.
92. الرحيق المختوم / صفي الرحمن المباركفوري . ـــ بيروت ، دار إحياء التراث .
93. روح الدين الإسلامي / عفيف عبد الفتاح طبارة . ــ ط12 . ـــ بيروت ، دار العلم للملايين ، 1394 هـ / 1974 م.
94. روح القرآن الكريم / عفيف عبد الفتاح طبارة . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار العلم للملايين .
95. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت 1270هـ) . ــ بيروت ، دار الفكر ، 1398 هـ / 1978 م.

96. زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي 508 هـ / 597 هـ ، المكتب الإسلامي لصاحبه زهير الشاويش . ـ ط4 . ـ بيروت ، دمشق ، 1474هـ / 1987 م.

97. زاد المعاذ / ابن قيم الجوزية . ـ ط23 . ـ بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الكويت ، مكتبة المنار ، 1989 م.

98. الزهد / الإمام أحمد . ـ بدون طبعة . ـ دار عمر بن خطاب للنشر والتوزيع .

99. سلسلة العلم في خدمة الإنسان (الزراعة) / محمد الشحات . ـ بدون طبعة ، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية .

100. سنن أبي داوود / سليمان بن الأشعث السجستاني ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ـ ط1 . ـ بيروت ، دار الإحياء العربي .

101. سنن الترمذي / محمد بن عيسى بن سورة تـ (297هـ)؛ تحقيق إبراهيم عطوة عوض . ـ بيروت، دار إحياء التراث العربي .

102. سنن النسائي / أحمد بن شعيب النسائي / شرح الحافظ جلال الدين السيوطي . ـ ط2 . ـ بيروت ، المكتبة العلمية ، 1986 م.

103. السيرة النبوية / بن هشام ؛ حققها وضبطها ووضع فهارسها: مصطفى السقا و إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، بيروت ، الدار الثقافية العربية .

104. شرح الشاطبية / المسمى بإرشاد المريد إلى مقصود القصيد على الصباغ .

105. شرح المجلة / سليم رستم اللبناني . ـ ط3. ـ بيروت ، دار الكتب العلمية ، رقم 1174 ، 1176 .

106. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / إسماعيل حماد الجوهري ؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . ـ ط2 . ـ بيروت ، دار العلم للملايين ، 1399 هـ / 1979م.

107. الصحة والبيئة / محمد كمال عبد العزيز . ـ ط1 . ـ القاهرة ، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير .

108. صحيح البخاري / محمد بن اسماعيل البخاري . ـ ط1 . ـ بيروت ، دار الفكر .

109. صحيح مسلم / الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري و: 206 هـ / 261 هـ ؛ حقق نصوصه وصححه ورقمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه

وعلق عليه ملخص شرح النووي ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية / فيصل عيسى البابلي الحلبي .

110. الصراع المائي بين العرب و إسرائيل / رفعت سيد أحمد . ـــ ط1. ـــ 1413هـ / 1993 م .

111. الصراع على الماء واستخداماته في الشرق الأوسط / توماس تاف . ـــ ط1 . ـــ أبو ظبي ، الناشر المركز ، 1997 م .

112. طبائع النساء أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي . ـــ ط1 . ـــ مكتبة القرآن ، 1405هـ / 1985 م .

113. عالم الحيوان في العلم والقرآن / محمد محمود عبد الله . ـــ ط1 . ـــ بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، 1996 م.

114. عالم النبات في القرآن الكريم / عبد المنعم فهيم الهادي و دنيا محسن بركة . ـــ ط1 . ـــ القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1990 م.

115. العلاج بالماء وطرق التداوي به / أيمن الحسيني . ـــ ط1 . ـــ القاهرة ، مكتبة بن سيناء ، 1992 م.

116. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ / أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت756 هـ)؛ حققه وعلق عليه محمد التو نجي . ـــ ط1 . ـــ بيروت ، عالم الكتب ، 1414 هـ / 1993 م.

117. غاية المأمون شرح التاج الجامع للأصول / منصور على ناصف. ـــ ط3 . ـــ بيروت ، دار إحياء التراث ، 1381 هـ / 1961 م .

118. الغذاء والدواء / صبري القباني . ـــ ط15 . ـــ بيروت ، دار العلم للملايين ، 1982 م.

119. غرائب القرآن و رغائب الفرقان / الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري . ـــ ط1 . ـــ القاهرة ، دار الصفوة ، 1416 هـ / 1995 م.

120. غريب الحديث / محمد بن محمد إبراهيم الخطابي ؛ تحقيق عبد الكريم الغرباوي . ـــ ط1 . ـــ دمشق ، دار الفكر ، 1402 هـ / 1982 م.

121. الفائق في غريب الحديث / محمد بن عمر الزمخشري ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي . ـــ ط3 . ـــ دار الفكر ، 1399 هـ / 1979 م.

122. فتح الباري شرح صحيح البخاري / الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي / قرأ أصله تصحيحاً

وتحقيقاً وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة عبد العزيز بن عبد الله بن باز قام بإخراجه وتصحيح / محب الدين الخطيب . ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 773 هـ ـ 852 هـ .

123. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250 هـ) . ـ بدون طبعة . ـ بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

124. الفتوحات الإلهية / سليمان بن عمر العجيلي المشهور بالجمل . ـ بدون طبعة . ـ القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى .

125. فجر الحضارة في الشرق الأدنى / هنتري فرانكفورت ؛ ترجمة ميخائيل خوري . ـ ط1. ـ الدار العربية للنشر .

126. الفقه الإسلامي وأدلته/ د: وهبة الزحيلي . ـ ط3 . ـ دمشق ، دار الفكر ، 1409 هـ / 1989 م.

127. في رحاب التفسير / عبد الحميد كشك . ـ ط1 . ـ القاهرة ، المكتب المصري الحديث .

128. في ظلال القرآن / سيد قطب . ـ بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1361 هـ / 1971م.

129. القانون الدولي العالمي / علي صادق أبو هيف . ـ ط11 .ـ الإسكندرية ، منشأة المعارف .

130. قانون السلام في الإسلام / محمد طلعت الغنيمي . ـ ط1. ـ الإسكندرية ، مصر ، منشأة المعارف .

131. القانون في الطب / بن سيناء . ـ ط1 . ـ بيروت، مكتبة المعارف ، 1413 هـ / 1993م.

132. مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن والبقاع / صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739 هـ) ؛ تحقيق محمد علي البجاوي . ـ ط1. ـ بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1373 هـ / 1954 م.

133. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم / موريس بوكاي . ـ ط1 . ـ دار الفتح للإعلام العربي ، 1417 هـ / 1997 م.

134. القرآن والكون / حمد عبد الله الشرقاوي . ـ ط3 . ـ بيروت ، دار الجيل ، 1411 هـ / 1991 م.

135. قصص الأنبياء / بن كثير ؛ تحقيق ومراجعة الشيخ خليل الميس . ــ بدون طبعة . ــ بيروت، دار القلم .

136. قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن / مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي ؛ تحقيق سامي عطا حسن . ــ ط1 . ــ الكويت ، دار القرآن الكريم.

137. الكامل في التاريخ / علي بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير . ــ ط3 . ــ بيروت ، دار الكتاب ، 1400هــ / 1980 م.

138. كتاب التعريفات / العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني . ــ ط1 . ــ بيروت ، مكتبة لبنان ، 1978 م.

139. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل / محمد بن أحمد بن جزي الكلبي . ــ ط4 . ــ بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1403 هــ / 1983 م.

140. الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) / المركز العالمي للكتاب المقدس . ــ ط1 . ــ 1986 م .

141. الكشاف عن حقائق والتنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / محمود بن عمر الزمخشري (ت528هــ) . ــ ط3 . ــ القاهرة ، دار الريان للتراث ، 1417 هــ / 1987 م.

142. كوكب الأرض / حسن سيد أحمد أبو العينين . ــ ط5 . ــ بيروت ، دار النهضة العربية ، 1979 م.

143. الكون والتكوين في آيات الكتاب المبين / محمد محمود عبد الله . ــ ط1 . ــ الرياض، دار الشواف للنشر والتوزيع ، 1415هــ / 1995 م .

144. لسان العرب / جمال الدين محمد بن منظور . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار صادر ، 1410 هــ/ 1990 م.

145. الله والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل . ــ ط1 . ــ بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، 1410هــ / 1990 م.

146. الله يتجلى في عصر العلم / مجموعة من الباحثين والعلماء الأمريكيين ؛ ترجمة الدمرداش سرحان ؛ تعليق محمد جمال الدين الفندي . ــ ط3 . ــ القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع ، 1968 .

147. الماء سائل الحياة / جمال عبد المنعم الكومي . ــ القاهرة ، دار الاعتصام للنشر والتوزيع .

148. الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي / محمد بن عبد العزيز بنعبد الله . ــ ط 1 . ــ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1996 م.
149.
150. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / ضياء الدين محمد بن محمد ، بن الأثير (ت 637 هـ) ؛ تحقيق أحمد الحوفي . ــ ط1 . ــ القاهرة ، دار النهضة للطبع والنشر مصر .
151. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807 هـ) ؛ تحرير الحافظين الجليلين العراقي وبن حجر . ــ القاهرة ، مكتبة القدس للطبع والنشر والتوزيع 1414 هـ / 1994 م.
152. مجمل اللغة / أحمد بن فارس ؛ تحقيق زهير عبد المحسن سلطان . ــ ط2 . ــ بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1986 م.
153. محاسن التأويل / محمد جمال الدين القاسمي (ت1332 هـ) . ــ ط2 . ــ بيروت ، دار الفكر ، 1398 هـ / 1978م .
154. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي 481 هـ ــ 546 هـ . ــ بدون طبعة ، فاس المجلس العلمي ، 1399 هـ / 1979 م .
155. مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي . ــ بدون طبعة . ــ بيروت ، دار القلم .
156. مرويات الصحابة في الحوض والكوثر / عبد القادر بن محمد عطا الصوفي . ــ ط1 . ــ المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، 1413 هـ / 1992 م.
157. المزهر في علوم اللغة وأنواعها / السيوطي . ــ ط1 . ــ مكتبة محمد علي صبيح وأولاده .
158. مسائل الجاهلية / محمد بن عبد الوهاب؛ تحقيق محمود شكري الألوسي . ــ ط1 . ــ المدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية ، 1396 هـ / 1976 م .
159. المستدرك على الصحيحين / محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ؛ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1411 هـ / 1990 م.
160. مسند أبي يعلى الموصلي / أحمد بن علي بن المثنى التميمي تــ (307هـ) ؛ تحقيق حسين سليم أسد . ــ ط2 . ــ بيروت ، دار المأمون للتراث ، 1410هـ / 1989 م .

161. مسند أحمد بن حنبل / الإمام أحمد بن حنبل . ــ بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
162. مسند البّزار / أحمد بن عمر عبد الخالق البّزار (ت92 هــ) ؛ تحقيق محفوظ الرحمن زين الله . ــ ط1 . ــ بيروت ، والمدينة المنورة ، مؤسسة علــوم القــرآن ومكتبة العلوم والحكم ، 1409 هــ .
163. المشاهد في القرآن / حامد القنيبي . ــ ط1 . ــ الزرقاء ، الأردن ، مكتبــة المنار ، 1984 م .
164. مشكلات البيئة المعاصرة / محمد عبد الرحمن الــشرخوي . ـــ ط1 . ـــ القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1993 م.
165. مع الأنبياء في القرآن الكريم / ؛ تحقيق عبد الفتاح طبارة . ـــ ط4 . ـــ بيروت ، دار العلم للملايين .
166. مع الطب في القرآن الكريم / عبد الحميد ذياب وأحمد قرقوز . ــ ط2 . ـــ دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، 1402 هــ / 1982 م.
167. المعارك الحربية على الجبهة المصرية / جمال حماد . ــ ط1 . ــ القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي ، 1409 هــ / 1989 م.
168. معاني القرآن / أبي جعفر النحاس ؛ محمد علي الصابوني . ـــ ط1 . ـــ مكة ، جامعة أم القرى ، 1408 هــ .
169. معجزة القرآن / نعمت صدقي . ــ ط2 . ـــ القــاهرة ، دار الاعتــصام ، 1398 هــ / 1978م.
170. المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم / سعد الدين السيد صالح . ــ ط2 . ــ القاهرة ، دار المعارف ، 1993 م.
171. المعجم الأوسط / سليمان أحمد الطبراني تــ (360هـــ) ؛ تحقيــق طــارق محمد وعبد المحسن الحسيني . ــ ط1. ــ القاهرة ، دار الحــرمين ، 1415هـــ / 1994م.
172. معجم البلدان / شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومــي البغدادي . ــط1 . ــ بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1399 هــ / 1979 م.
173. معجم التداوي بالأعشاب / ابن قيم الجوزية . ــ ط2 . ــ القــاهرة ، مكتبــة التراث الإسلامي ، 1407 هــ / 1986 م.
174. المعجم الكبير / سليمان بن أحمد الطبراني ؛ تحقيق حمــدي عبــد المجيــد السلطي . ــ ط2 . ــ القاهرة ، مكتبة بن تيميّة ، 1404 هــ / 1984 م.

175. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي . ــــ بــدون طبعة . ــ بيروت،دار إحياء التراث 1364 هــ / 1945 م.

176. معجم المقاييس في اللغة / أحمد بن فارس بن زكريا بــن حبيــب الــرازي المعروف بابن فارس (ت 395 هــ) ؛ تحقيق شهاب الدين أبو عمرو . ــ ط1 . ــــ بيروت ، دار الفكر ، 1415 هــ / 1994م.

177. معجم مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمــد بــن الفضل (ت502 هــ)؛ تحقيق نديم مرعشلي . ــ بيروت ، 1392 هــ / 1972 م.

178. المغني والشرح الكبير / الإمامين موفق الدين (ت620 هــ) وشــمس الــدين (ت682 هــ) بني قدامة . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار الفكر ، 1404 هــ / 1984 م.

179. المقاصد الحسنة/محمد عبد الرحمن السخاوي؛تحقيق محمد عثمان الخشت .- ط2.- بيروت، دار الكتاب العربي، 1414هــ 1994م.

180. المقتطف من عيون التفاسير / مصطفى الخيري المنصوري ؛ تحقيق محمــد علي الصابوني . ــ ط1 . ــ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، 1995 م.

181. مقدمة بن خلدون / عبد الرحمن بن محمد بن خلــدون . ــــ بيــروت ، دار العودة .

182. من بلاغة القرآن / أحمد أحمد بدوي . ــ بدون طبعة . ــــ القــاهرة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

183. من كل شيء موزون / عبد المحسن صالح . ــ ط1 . ــ جدة ، الريــاض ، الدمام ، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع 1404 هــ / 1984 م.

184. منشورات فلسطين المحتلة 1981 م .

185. المنهج التربوي للسيرة النبوية / منير محمد الغضبان . ــ ط1 . ــ الأردن ، مكتبة المنار ، 1991 م .

186. الموارد المائية في الوطن العربي / عز الدين فراج . ــ ط1 . ــ القــاهرة ، دار الفكر العربي ، 1986 م.

187. موسوعة الزاد / ديادكو ؛ ترجمة البهيج ملا حويش . ــ مدريد ، ديراكــو ، 1900 م.

188. الموسوعة العربية الميسرة / مجموعة من العلماء . ــ دار الشعب .

189. الموسوعة الفلسطينية / هيئة الموسوعة أحمد المرعشلي وآخرون . ــ ط1 . ــ دمشق ، 1984 م .

190. المياه العربية بين العجز ومخاطر التبعية / عبد الله مرسي العقـــالي . ــ ط2 . ــ مصر ، الجيزة، مركز الحضارة العربية ، 1997 م .

191. المياه حرب المستقبل / عادل عبد الجليل بترجي . ــ ط1 . ـــ الـسعودية، الناشر المؤلف ، 1418هــ / 1997 م .

192. النتف في الفتاوى / علي بن الحسين بن محمد السغدي . ــ ط2. ــ بيـروت ــ دار الفرقان ، عمان ــ مؤسسة الرسالة .

193. نحو تفسير موضوعي لآيات القرآن الكريم / محمد الغزالي . ـــ ط2 . ـــ القاهرة ، دار الشروق ، 1996 م.

194. نزهة الأعين النواظر في وجوه علم الوجوه والنظائر / جمـال الـدين بـن الجوزي (ت597 هــ)؛ تحقيق محمد عبد الكريم كـاظم الراضـي . ـــ ط1 . ـــ بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1404 هــ / 1984 م.

195. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق / محمد بن عبد الله بن إدريس المعـروف بالشريف الإدريسي . ــ ط1 . ــ القاهرة ، مكتبة الثقافـة الدينيـة ، 1414 هـــ / 1994 م.

196. نظرات في الكون والقرآن مدارسة عقلية إيمانية / مهندس عبد الهادي ناصر . ــ ط1 . ــ ، 1995 م.

197. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / تأليف برهان الدين إبراهيم بن عمـر البقاعي ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1415 هــ / 1995م .

198. نظم المتناثر في الحديث المتواتر / محمد بن جعفر الكتاني . ـــ ط2 . ـــ القاهرة ، دار الكتب السلفية ، 1983 م.

199. نقص المياه والآثار المترتبة عليها / محمد عبـد الهـادي راضـي ، معهـد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، 1987 م .

200. النكت والعيون / تفسير الماوردي / تصنيف علي بـن محمـد بـن حبيـب الماوردي البصري 364 هــ ــ 450 هــ . ــ ط1 . ــ بيروت ، دار الكتب العلمية ، ومؤسسة الكتب الثقافية ، 1412 هــ / 1992 م.

201. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / فخر الدين الرازي ؛ دراسة وتحقيق أحمد حجازي السقا . ــ ط1 . ــ القاهرة ، المكتب الثقافي ، 1989 .

202. النهاية في غريب والأثر / بن الأثير ؛ تحقيق طاهر الزاوي و محمود محمد الطناحي . ــ دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي .

203. وجعلنا من الماء كل شيء حي / محمد رشاد الطوبي . ـــ ط2. ـــ دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، رقم 507 ، 1992 م .

الــدوريــــــــات

204. مجلة الأحكام العدلية / جمعية المجلة ؛ تحقيق نجيب هواويني . ــ ط1. ــ .

205. مجلة الأزهر / الجزء التاسع ــ السنة السادسة والستون ، رمضان ، 1414هـ / فبراير ، مارس 1994م.

206. مجلة الأزهر / الجزء السادس ــ السنة الستون ــ جمادى الآخرة، 1409هـ فبراير/ 1980 م .

207. مجلة الأزهر / عدد رجب ، الجزء السابع ــ السنة السادسة والستون ، 1414هـ / ديسمبر ، يناير 1994 م.

208. مجلة السياسة الدولية / عدد 101 ، يوليو 1990 م .

209. المجلة العربية / يناير ، 1985 .

210. مجلة القافلة / العدد التاسع ، المجلد الأربعون ، رمضان، 1412 هـ / مارس ، إبريل 1992 م .

211. مجلة المسلمون / عدد الجمعة ، رقم 31 ، شعبان ، 1412هـ / مايو 1982.

212. مجلة المنهل / شوال ، ذو القعدة ، 1417 هـ / فبراير ، مارس 1997م.

213. مجلة الوعي الإسلامي / عدد 363 ، ذو القعدة ، إبريل ، 1996 م .

214. مجلة الوعي الإسلامي / عدد يوليو ، 1982 .

215. مجلة صامد الاقتصادي / العدد 88 ، يونيو ، 1992 .

216. مجلة فلسطين المسلمة / عدد يناير ، 1418 هـ / 1998 م .

217. مجلة منار الإسلام / عدد فبراير ، 1985 م .

218. مجلة هذه سبيلي / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ــ العدد الرابع، 1402هـ / 1982م

رابعاً:فـهرس الـموضوعـات